

الجزء الثالث

فلسفة
الحودوث
الإسلامية
عند
الإمام
عليه السلام

د. السيد محمود محمد الموسوي

دار الولااء

بيروت - لبنان



www.haydarya.com



دار الإفتاء
 30725 - شارع - 00971 3 584200 - 00971 3 54139
 www.dar-ifta.com - info@dar-ifta.com
 E-mail: dar-ifta@dar-ifta.com

ISBN 978-9953-546-60-2

هذا الكتاب من سلسلة: فلسفة الجود والإيثار
 شارك في تأليفه: الشيخ محمد صالح المنجد
 مدير مركز البحوث والدراسات الإسلامية
 دار الإفتاء، القاهرة، مصر
 الطبعة الأولى: 2017م

فلسفة الجود والإيثار
لدى
الإمام علي بن أبي طالب
عليه السلام

دار الولاء

للطباعة والنشر والتوزيع



لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 00961 1 545133 - 00961 3 689496 - ص.ب. 307/25
www.daralwala.com - info@daralwala.com
E-mail: daralwala@yahoo.com

ISBN: 978-9953-546-60-5

اسم الكتاب: فلسفة الجُود والإيثار لدى
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - المجلد الثالث
المؤلف: الدكتور السيد محمود مناف
الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعة: الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

فلسفة الجود والإيثار
لدى

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

المجلد الثالث

الدكتور

السيد محمود نايف



دار الولاة

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقارنةٌ بين جودِ حاتمٍ وجودِ الإمامِ عليٍّ

سوف نرى بأُمِّ أعيننا التآلقَ الواضحَ لكرمِ الإمامِ عليِّ بنِ
أبي طالبٍ وتميِّزه الباذخ المبينِ عليَّ كرمِ حاتمِ الطائيِ عليَّ
أكثرَ من صعيدٍ :

مقارنةٌ بين جودِ حاتمٍ وجُودِ الإمامِ علي

خطوات في وهج الصباح الباسم

لقد سرتُ خطواتٍ قليلةً في وهجِ الصباحِ الباسمِ الجميلِ وَمَا ذهبْتُ إلا قريباً من الموقعِ الأولِ حتى توقفتُ وأحببتُ أن أتمهّلَ وأتأمّلَ، فهل يا ترى أني على سدادِ الطريقِ وحكمةِ المسيرِ وأنا في حالِ رغبةٍ ملحةٍ أن أرمي بجسدي وروحي ساعةً في هذه اللجّةِ الفوارةِ العظيمةِ سابحاً ومخاطراً إلى أن أخرج منها سالماً ظافراً؟

ولم ألبث متوقفاً متأملاً أطيل الفكرَ وأبحث عن سلامة الرؤية وصحة الإقدام حتى تدانت الشمس من الطفل، وكادت أسراب الطيور أن تجنح نحو دفاء الأعشاش والأوكار.

وكان أساس التأمل والتفكير يدور حول مقارنةٍ تاريخيةٍ وفكريةٍ وأدبيةٍ تعقد حلقاتها لأول مرة - فيما أعلم - على حلقات المباحثة والمناقشة... على أن صعوبتها لا تكمن - في الدرجة الأولى - بين طيات جدّتها وحدثاتها، بقدر ما تكمن في خطورة مسؤوليتها التاريخية وثقل تبعاتها الأخلاقية.

فعلى الرغم مما لحاتم الطائي من سماحة نفس وكرم بارع يأخذ بمجامع القلوب، ولكن هل ترقى مكائنه وتسمو في ذلك إلى أن تصبح أهلاً للمقارنة ما بينها وبين سماحة وكرم عملاق الجود الإنساني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب!

٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
إذ لا بُدَّ في المقارنة من أن تكون بين طرفين متقاربين ولو نوعاً ما، ثم تبين
وجوه الفوارق ما بينهما وحسم النتيجة لصالح أحدهما، أما أن يُقارَن بين
المصباح وإن كان ساطع الضياء وبين وَقْدان الشمس الضاحية في رابعة النهار،
فهو مما لا يستجيده المحققون ولا يقرُّه أولوا الألباب.

على أنني حينما راجعت ذاكرتي واستنطقتها وتباحثتُ معها حول النصوص
في الكتاب الذي هو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، وجدت صاحبه قد
استشهد بشعر حاتم في كلامه: (وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفِّي هَذَا
العَسَلِ وَلُبَابِ هَذَا القَمَحِ وَتَسَائِجِ هَذَا القَرِّ، وَلَكِنْ هَيَّاتُ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ
وَيَقُوْدَنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ الأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالحِجَازِ أَوْ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لا طَمَعَ لَهُ فِي
القُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبْعِ، أَوْ آيَّتِ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بَطُونٌ غَزَتْنِي وَأَكْبَادٌ حَرَّتْنِي، أَوْ
أَكُونُ كَمَا قَالَ القَائِلُ:

وَحَسْبُكَ عَاراً أَنْ تَبَيْتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحْنُ إِلَى القِدِّ^(١).

كما قد استشهد الإمام أمير المؤمنين بشعر حاتم مرةً أخرى حيث أنه (عليه
السلام) أكل قليلاً من تمر دقل وشرب عليه ماء وأمرَّ يده على بطنه وقال: مَنْ
أدخله بطنه النار فأبعده الله، ثم تمثل:

فإنك إن أعطيتَ بطنك سؤلةً وفرجك نالا مُنتهى الذم أجمعا^(٢)

وفي خبر آخر: مَنْ أدخله بطنه النار فأبعده الله، ثم أنشد^(٣)...

وما قبل ذلك قال رسول الله «ص» عن حاتم بعد أن وصفته ابنته سقانة
بالصفات الحميدة: هذه صفة المؤمن لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه، خلوا

١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦ / ٢٨٦.

٢- المصدر نفسه، ٣ / ١٥٨. ٣- المصدر نفسه، ١٩ / ١٨٨.

مقارنةً بين جود حاتم وجُود الإمام علي ٩

عنها فإن أباهَا كان يحب مكارم الأخلاق واللهُ يحب مكارم الأخلاق^(١). فشجعتني مديح الرسول «ص» لحاتم، وكذا هذان التمثلان العلويان على الاقدام نحو المقارنة، ولقد مسحاً برفق عن حرّ وجهي قترّة التردّد والتوقف، أضف اليّ ذلك أن الإمام أبا جعفر الباقر (عليه السلام) قد تمثّل بشعر حاتم^(٢)، كما أتتني على جوده الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بقوله الشريف: ويحك أما رأيت حاتم طيّ كيف ساد قومه وما كان بأجودهم موضعاً^(٣).

حَنُونٌ عَلَى الْفُقَرَاءِ

وحاتم^(٤) هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس من بني ثعلب أولئك القوم المشهورون بجودة الرمي، وهم من أفخاذ قبيلة طيء القحطانية الأصل. وكان حاتم فارساً نجيداً، وشاعراً مجيداً، وزعيماً جليلاً، محبوباً للخير، حنوناً على الفقراء، رؤوفاً بالمساكين، قاضياً لحوائج الناس، (غياث الوري في

١ - الأغاني، ١٧ / ١٦٤ - ١٦٥.

٢ - روى الكليني عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن حنّاد بن عيسى عن معاوية بن عمار عن نجم بن حطيم الغنوي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: اليأس ممّا في أيدي الناس غير المؤمنين في دينه أو ما سمعت قول حاتم:

إِذَا مَا عَزَمْتَ الْيَأْسَ الْفَيْتَةُ الْغِنَى إِذَا عَزَفْتَهُ النَّفْسَ وَالطَّمَعُ الْفَقْرُ

الكافي، ٢ / ١٤٩. ٣ - كشف الغمة، ٢ / ٢٧٥.

٤ - الحاتم في اللغة: الحاكم الموجب للحكم. والحاتم: الأسود من كل شيء. وفي حديث الملاعنة: إن جاءك به أشحم أحتّم أي أسود. والختمة بفتح الحاء والتاء: السواد، وقيل: سمي الغراب الأسود حاتماً لأنه يختم عندهم بالفراق إذا تعب أي يخكم. ابن سيده: الحاتم غراب البين لأنه يختم بالفراق، وهو أحمر المنقار والرجلين، قال ابن سيده: الختم إيجاب القضاء. وجاء في القرآن الكريم: كان على ربك حتماً مقضياً، وجمعه حُتومٌ.

١٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
السنين الشداد^(١)، (لا يرى الاتفاق في الحمد مَعْرَماً)^(٢)، وكان من أكرم البشر
وأجودهم في زمانه. وقد أحب حاتم الجود حتى عبده، وما أكثر ما ينقلبُ
المحِبُّوبُ إلى مَعْبُودٍ كما يقول فيكتور هيجو.

لم تبلغ ابنته سقانة بنت حاتم (رضوان الله عليها) حينما وصفت أباها أمام
رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» بحق وصدق وهي تقول: كان أبي يفكُّ
العاني، ويحمي الذمار، ويقري الضيف، ويشبع الجائع، ويفرّج عن المكروب،
ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يردّ طالب حاجة قط^(٣). ولقد أحسن ابن
الأعرابي وأجاد في مقولته عن حاتم: كان جواداً يشبه شعرة جوده، ويصدق قوله
فعله، إذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا أسر أطلق، وكان يقسم بالله ألا يقتل
واحد أمته^(٤).

مات حاتم بعوارض اسم جبل في بلاد طيِّء وقبر حاتم عليه، وكانت وفاته
قُبَيْلَ المبعث النبوي بسنوات.

وحاتم قد أبقى له الجود في الوري

مقاماً كعلياء السماء مغلداً

وجاد له معنى الحياة بمدحة

وغنني له في المشرقين وغردا

١ - قال هلال بن معاوية الطائي:

وبالجبيلين لنا معقل

صعدنا إليه بصم الصعاد

وزيد لنا ولنا حاتم

غياث الوري في السنين الشداد

٢ - من شعر لحاتم يصف به حالته في الجود سوف يأتي.

٣ - راجع الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني، ١٧ / ١٦٤ - ١٦٥.

٤ - المصدر نفسه، ١٧ / ٣٦٦.

كذلك ابنه المنهال مازال قائماً

على تلعات النسل مجداً مُوطداً

من مناهل الاتحاد

نستطيع أن نلاحظ جملة من موارد الالتقاء والاتحاد، ما بين كرم العلم الطائي وكرم العلم الهاشمي، كما نستطيع أن نلاحظ جملة أخرى من موارد الانعطاف والافتراق، فمن بين نقاط الاتحاد والالتقاء بين كرميهما:

١ - التنظير للجود والكرم

ليس للغالبية من الكرماء تنظير علمي أو فلسفي أو أدبي للجود والإيثار سواء أكان الحديث عاماً فيه أو عن جواد معين أو عن خصوص جودهم وإيثارهم بالذات، وإنما يُعرف عنهم ذلك من خلال ممارساتهم الكريمة ومواقفهم العملية الطيبة، غير أن من الكرماء ثلثة قد نظروا لآيات العطاء والكرم ودافعوا عنها وحرّضوا على التمسك بها، ومن بين هؤلاء الإمام علي بن أبي طالب وحاتم الطائي وهما موضوع دراستنا الحالية.

فأما بالنسبة للإمام فقد ورد السيل المتدفق الهادر من تنظيراته القيمة في هذا المجال كما هو واضح للعيان في الكتاب هذا وغيره سواء في مضمار النثر وهو الأكثر والأوفر أو مضمار الشعر، وأما بالنسبة إلى حاتم فقد عثرنا له بعد الجهد على قوله المنشور (الحُرُّ عبدُ الضيف)^(١)، وعلى قوله المنشور أيضاً (الجودُ بالوجود غاية المجهود)^(٢). على أن العمدة في تنظيراته تكاد تقتصر على

١ - تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي الكنعني، مجموع الغرائب وموضوع الرغائب /

٢ - المصدر نفسه / ٤١٣.

١٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
المضمار الشعري فحسب ، وديوان شعره المطبوع عدة طبعات حافل بمضامينها ،
بل هي الغالبة عليه في مختلف القوافي (كما قد ذُكر شعره في كثير من المصادر
الأدبية والتاريخية) . فمن بين تنظيراته الشعرية على سبيل الأمثلة :

وإنني لأستحيي صحابي أن يَرَوَا
مكان يدي من جانب الزاد أقرعاً^(١)
أقصر كفي أن تنال أكفهم
إذا نحن أهوينا وحاجاتنا معا
أبيت خميص البطن مضطراً الحشا
حياء أخاف الضيم أن أتضلعا
فإنك إن أعطيت نفسك سؤلها
وفرجك نالا مستهى الدم أجمعا

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك
ويا ابنة ذي الجدين والفرس الورد^(٢)
إذا ما صنعت الزاد قالتسي له
أكيلا فإني لست آكله وحدي
كريباً قصياً أو قريباً فإني
أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

١- وفي رواية: وإنني لأستحيي أكيلي أن يرى الخ.

٢- في شرح نهج البلاغة للفيلسوف ابن ميثم البحراني: والفرس النهدي.

كفى بك عاراً أن تبيت ببطنة
وحولك أكباداً تحنُّ إلى القُدِّ
وكيف بشبع المرء زاداً وجاره
خفيفُ المعنى بادي الخاصة والجهدِ
وللموت خبيرٌ من زيارة ساخلِ
يلاحظُ أطرافَ الأكيلِ على عمدِ
وإنني لعبد الضيف ما دام نازلاً
وما من خلالي غيرها شيمة العبدِ^(١)

وما أنا بالساعي بفضل زمايها
لتشرب ما في الحوض قبل الركائبِ
وما أنا بالطاوي حقيية رحلها
لأبعتها خفاً وأترك صاحبي
إذا كنت رباً للقلوص فلا تدعُ
رفيقك يمشي خلفها غيرَ راكبِ

١ - وفي رواية: وما فيَّ إلا تلك من شيمة العبدِ. وفي شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: وما فيَّ إلا هذه شيمة العبدِ. ذكرها في شرحه للكتاب الذي أرسله الإمام علي (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف.

أنسخها فأردفه فإن حملتكما
فذاك وإن كان العقابُ فعاقب^(١)

أماويُّ إن المال غادٍ ورائحُ
ويبقى من المال الأحاديث والذكرُ

وقد علم الأقبام لو أن حاتماً
أراد شراء المال كان له وفراً

وإنسي لا آل بـمال صنيعة
فأولُّه زادٌ وآخره ذخِرُ

فقدماً عصيتُ العاذلاتِ وسلَّطت
عليّ مُصطفى مالي أناملي العشرُ

أماويُّ إنسي لا أقول لسائلي
إذا جاء يوماً حلٌّ في مالنا النذر^(٢)

أماويُّ ما يغني الثراء عن الفتى
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

أماويُّ إن يصبح صداي بسفرة
من الأرض لا ماء لدي ولا خمِرُ

١ - أي إن لم تستطع أن تحملكما الناقة فتعاقبا علي ركوبها بأن تتركب أنت مرة ويركب صاحبك مرة.

٢ - أو التزرأي لا أقول للسائل مالنا قليل لا يتسع لحاجتك.

تري أن ما أنفقت لم يكُ ضرني
وأن يدي مما بخلت به صفرُ
أماويُّ إنسي ربِّ واحدٍ أمُّه
أخذتُ فلا قتلُ عليه ولا أسرُ
عنينا زماناً بالتصعلك والغنى
كما الدهرُ في أيامه العسرُ واليسرُ
فما زادنا بغياً على ذي قرابةٍ
غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ

ايضاح

١ - ماوية بنت حجر الغسانية امرأة حاتم وكانت أدبية عاقلة ذات شخصية قوية، خطبها النابغة الذبياني ورجل من النبئت (والنبئت قوم من الأنصار) وحاتم الطائي، فاخترته عليهما.

٢ - حشرجت يوماً أي أن النفس حشرجت وتغشاها الموت، والحشرجة غرغرة الصدر، ومنه قول عدي بن حاتم الطائي: إن حرَّ الحلقوم وحشرجة الحيزوم (الحيزوم الصدر) لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي (عليه السلام). في خبر ذكره المسعودي في مروج الذهب، ٣ / ١٣، والسيد المرتضى في الأمالي ١ / ٢١٧، وابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد ٣ / ٨٦.

وعاذلتين هبنا بعد هجمة
تلومان مبتلاً مفيداً مُلوما

١٦..... فلسفة الجود والابتكار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

تلومان لما غرور النجم ضلّة

فتي لا يرى الإنفاق في الحمد مغرماً

فإنكما لا ما مضى تدركانه

ولست على ما فاتني متندماً

ففسك أكرمها فإنك إن تهن

عليك فلن تلفي لك الدهر مكرماً

وإني لأقري الضيف قبل سؤاله

وأطعن قُذماً والأسنة ترعفتُ

وإني لأخزي أن تُرى بي بطنه

وجارات بيبي طاوياتٌ ونُحفتُ

وإني لأغشي أبعد الحي جفتي

إذا حرّك الأطناب نكباءٍ حرجف^(١)

وإني لأعطي سائلي ولربما

أكلفُ ما لا أستطيع فأكلفُ

وأجعل مالي دون عِرضي إنني

كذلكم مما أفيدُ وأتلفُ

وكان حاتم إذا اشتدّ البرد أمر غلامه يساراً فأوقد ناراً في بقاع من الأرض

١ - النكباء: ريح تهب من كل جهة، والحرجف: الريح الباردة الشديدة الهبوب.

لينظر إليها من ظلّ عن الطريق، وفي ذلك يقول حاتم:

أوقد فإن الليل ليل قر
والريح يا واقد ربح صر
عسى يرى نارك من يمر
إن جلبت ضيفاً فانت حُر

يقول الأديب التونسي الدكتور مبروك المناعي: نظراً إلى أن الليل يحد من امكانيات الرؤية، فإن صاحب الدار الكريم يتخذ إجراءً تكميلياً يتمثل في اشعال النار بصورة تكون فيها مرئية من بعيد كي تجلب الضيفان، وقد اشتهر عند الجاهليين ايقادهم نارين نار الحرب ونار القرى^(١).

٢ - المقام الأعلى في الكرم

لا يعرف المحققون وجود انسان في زمان حاتم الطائي أجود منه وأكرم على الرغم من كثرة الكرماء المتميزين آنذاك، كما لا يعرف المحققون وجود إنسان في زمان علي بن أبي طالب (عليه السلام) أجود منه وأكرم على الرغم من كثرة الكرماء المتميزين آنذاك أيضاً، إلا أنه قد جاء في الزمن بعد حاتم من هو أسمح منه وأكرم كالرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» والإمام علي (عليه السلام)، ولم يأت بعد عليّ من هو أسمح منه وأكرم إلى هذا اليوم أبداً.

٣ - لم يردّ طالب حاجة قط

العَلَمَان الكبيران الهاشمي والطائي كلاهما موصوف بحقّ في أنه لم يردّ سائلاً قط، فأما بالنسبة إلى الهاشمي (سَلَامُ اللهِ عَلَيْهِ) فلقد جاء في وصف أم

١٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
هانبيء له : مَا رَدَّ سَائِلًا قَطُّ مِنْهُ هُوَ صَبِيٌّ إِلَى أَنْ اسْتَشْهَدَ (رضي الله عنه) (١). وأما
بالنسبة إلى الطائي فلقد جاء في وصف سفانة له : ولم يرد طالب حاجة قط (٢)

نعم لم يرد صاحب حاجة قط وإن كان طلبه مكلفاً لهما ومرهقاً لوضعهما
المادي، ومن شواهد ذلك أن أعرابياً من بني أسد قال لعلي : أعطني من مالك .
قال : والله ما أصبح في بيتي فضل عن قوتي ، ثم أعطاه درعه (٣) .

وقال حاتم الطائي وكان صادقاً فيما يقول عاملاً بما يدعي :

وإنسي لأعطي سائلي ولربما أكلف ما لا أستطيع فأكلف

قال الدكتور عمر فاروق الطباع في مقدمته لديوان حاتم : كان شعر حاتم
صورة نفسه المعطاءة، وترنيمه حناياه التي لم تجد في دنياها بهاءً سوى بهاء
البذل، ولا جمالاً سوى جمال الإيثار (٤) .

٤ - ميراث الجود والإيثار

لقد ورثت أسرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) رجالاً ونساءً من
أبيها صفة الجود والإحسان والإيثار بشكل فريد (٥)، وبقيت آثارها الطيبة في

١ - محمد بن سليمان القاضي الكوفي، مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب،
٧٦ / ٢ .

٢ - الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني، ١٧ / ١٦٤ .

٣ - محمد بن سليمان الكوفي القاضي، مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٢
٧٥ - ٧٦ / ٤ - ديوان حاتم الطائي / ١٢ .

٥ - قد قلنا في هذا المعنى شعراً أوردناه في الكتاب تحت عنوان (الاکرام بما يُرضي)
من جملته :

إلا وأكرمه بما يُرضيه
وبذاك أوصى رهطه وذويه

هل معتب سأل الامام عطية
طبع عليه مضي حبيب محمد

مقارنةً بين جود حاتم وجُود الإمام علي ١٩

بنيها وأحفادها وذراريها إلى الآن بصورة تستدعي الالتفات وتستقطب الأكبار والاعجاب، كما ورثت أسرة حاتم الطائي رجالاً ونساءً من أبيها صفة الجود والإحسان والإيثار، وبقيت آثارها الطيبة في بنيها وأحفادها وذراريها إلى الآن بصورة حسنة وجيدة.

٥ - التضحية والفداء بالنفس والأموال

كلا الأمرين من الجود الزكي بالنفس والجود الأريحي بالمال طريق وسيعٌ لاجِبٌ إلى الفداء والتضحية في سبيل المبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية الشماء. وبما أن كلاهما يعبر عن الاستعداد الحقيقي للتضحية والعطاء فلهذا قلما نرى شجاعاً غير جواد أو جواداً غير شجاع، وإن كان ثم تفاوت في درجة الشجاعة أو الكرم فقد يكون الشجاع من الدرجة الأولى كريماً من الدرجة الثانية، وقد يكون الكريم من الدرجة الأولى شجاعاً من الدرجة الثانية.

وإذا لم يكن لعلي بن أبي طالب نظير أو مثيل في الشجاعة والكرم، فإنه لم يكن لحاتم في زمانه نظير في الكرم كذلك، وقلما يوجد له أمثال ونظراء في الشجاعة والاقدام بين أهل عصره جميعاً، وأما الذين يفوقونه في البطولة والشجاعة فقليلون.

٦ - أرسى النوال ما بقي حتى الممات

إذا تحدّثنا عن جود علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإننا نتحدّث عن جود الذي (مَا رَدَّ سَائِلاً قَطُّ مِنْهُ صَبِيٌّ إِلَى أَنْ اسْتَشْهَدَ) (رضي الله عنه) (١). وإذا تحدّثنا عن جود حاتم الطائي فإننا نتحدّث عن جود الذي (لم يزل على

حقاً وأورث صحبةً وبنيه

والجود ما ورث الفتى عن آله

١ - من كلمة متقدمة لأم هانئ بنت أبي طالب.

٢٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
حاله من اطعام الطعام وانهاه ماله حتى مضى لسبيله (١).

وهذا هو الجود الحقيقي الذي لا شائبة عليه إنه جود منذ الصغر حتى
أقصى ما يبلغ العمر. أصدق الجود ما تراءى منذ الصغر، وأرسى النوال ما بقي
حتى الممات.

من مناهل الانعطاف والافتراق

ثم أمور تتعلق بالجود والإيثار قد امتاز بها الإمام علي بن أبي طالب علي
حاتم الطائي نجمها بما يلي:

١ - القرآن يشيدُ بكرم علي وإيثاره

أشاد القرآن الكريم في موارد كثيرة من آياته البينات بإيثار علي وجوده
الفذ كما هو الحال في سورة الدهر: « يوفونَ بالَّذرِّ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ
مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلٰى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » (٢) ...

وكما هو الحال في سورة المجادلة: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ
فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ » (٣). حيث كان علي بن أبي طالب الوحيد من بين أصحاب الرسول « صلى
الله عليه وآله وسلم » قد عمل بهذه الآية باتفاق المفسرين. ومن أحب التفصيل
فليراجع بحث « إيثار علي وجوده في القرآن الكريم ».

ومن المعلوم أنه لم يكن لحاتم الطائي ثناء على التخصيص في كتاب الله

١ - من كلمة لابن السكيت في حق حاتم. الأغاني، ١٧ / ٣٦٩.

٢ - الدهر، الآية / ٧ - ٨. ٣ - المجادلة الآية / ١٢.

تبارك وتعالى.

٢ - ارضاء الواحد القهار

لا ريب أن كلاً من الإمام عليّ وحاتم الطائيّ صاحب نفس كريمة المعدن بشكل عجيب، عميقة الحب للإحسان إلى القريب والبعيد، تواقفة إلى نفع الإنسانية وتكريمها وانتشالها من آلامها وفجائعها، فأكرم حاتم وأعطى وأحسن ارضاءً لنفس أمارة بالخير والفضل والنوال، وأكرم علي وأعطى وأحسن ارضاءً لله الواحد القهار « وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَنُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً * » (١).

٣ - طهارة الأموال هي الشرط الأعظم لصحة الإنفاق

لا ريب أن كلاً من الإمام عليّ وحاتم الطائيّ كان ينفق ويجود من أمواله الخاصة لا من أموال الآخرين ممن قرب أو بعد، إذ أن طهارة الأموال هي الشرط الأعظم لصحة الإنفاق على الناس والجود عليهم، وهذا مما يحكم به العقل الرصين قبل الشريعة المقتنسة، فكل من يمتلك عقلاً موزوناً يعرف أن الإنفاق والبذل على الناس من أموال الآخرين ظلم واعتداء وهو ليس من الجود في شيء، وما أصحّ المثل القائل: وهب الأمير ما لا يملك. بيد أن حاتماً في بعض الحالات الشاذة التي تلحّ عليه النفس الأمارة بالخير أن يجود ويكرم وينحر ويقري الضيوف، قد يتخذ من السوءى طريقاً للحسنى، ونعني بالسوءى هنا عدم حليّة المال وطهارته، كما سوف نرى.

تألق كرم علي كرم حاتم

في القصة التاريخية التالية سوف نرى بأم أعيننا التألق الواضح لكرم الإمام علي بن أبي طالب وتمييزه الباذخ المبين علي كرم حاتم الطائي علي أكثر من صعيد:

كان مبدأ الأمر لحاتم في الجود أنه لما ترعرع جعل يخرج طعامه، فإن وجد من يأكله معه أكله، وإن لم يجد طرحه، فلما رأى أبوه أنه يهلك طعامه قال له: الحق بالإبل. فخرج إليها، فوهب له جارية وفرساً وفلوها.

وقيل: بل هلك أبوه وهو صغير، وهذه القصة كانت مع جدّه سعد بن الحشرج. فلما أتى حاتم الإبل طفق يبتغي الناس فلا يجدهم ويأتي الطريق فلا يجد عليه أحداً، فبينما هو كذلك إذ أبصر بركب علي الطريق، فأتاهم فقالوا: يا فتى هل من قرى؟ فقال: تسألون عن القرى وقد ترون الإبل! وكان الذين بصر بهم: عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي خازم، والنابعة الذبياني، وكانوا يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثة من الإبل، فقال عبيد: إنما أردنا اللبن وكانت تكفينا بكرة إن كنت لا بدّ متكلّفاً لنا شيئاً. فقال حاتم: قد عرفت ولكن رأيت وجوهاً مختلفة وألواناً متفرقة، فظننت أن البلدان غير واحدة، فأردت أن يذكر كل منكم ما رأى إذا أتى قومه. فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها وذكروا فضله. فقال حاتم: أردت أن أحسن اليكم فصار لكم الفضل عليّ، وإني أعاهد الله أن أضرب إيلي عن آخرها أو تقوموا إليها فتقسموها. ففعلوا، فأصاب كل واحد تسعاً وثلاثين بعيراً، ومضوا علي سفرهم إلى النعمان.

وإن أبا حاتم أو جدّه سمع بما فعل فقال: أين إيلي؟ فقال: يا أبتى طوقتك طوق الحمامة مجدداً وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أثنى به علينا عوضاً

مقارنة بين جود حاتم وجود الإمام علي ٢٣
عن إيلك . فلما سمع منه ذلك قال : أبابلي فعلت ذلك ؟ قال : نعم . قال : والله لا
ساكنتك أبداً . فخرج أبوه بأهله وترك حاتماً ومعه جاريتته وفرسه وفلوه^(١) .

وهذه القصة من القصص التي تجتذب القلوب اجتذاباً وتناغي بروقتها
الخلاب الأرواح والضمائر فتستحسنها لأول وهلة وتستطيعها . ولكن بعدما
نمعن النظر فيها وندقق في مضمونها نجد عليها أكثر من اشكال واستفسار وذلك
كما يلي :

أولاً : إن صحَّ أن حاتماً قد وهب إيل أبيه أو جدّه وليس إيله الشخصية ،
فيكون طبقاً لهذا قد وهب ملك من لم يأذن له بالهبة الجزيلة ، أي بالإيل كلها ، وهذا
ما يحظره العقل ويأباه إباءً كاملاً . علماً أن حُب إنسان ما لإسداء الخير
والإحسان لا يسمح له ببذل أموالٍ أو ممتلكاتٍ لم يُحوَّلَ ببذلها لاسيما إن كانت
باهظة الثمن .

ثانياً : إن صحَّ أن حاتماً قد نحر لهم ثلاثة من الإيل وهم ثلاثة أفراد لا أكثر ،
فقد دخل في حدِّ الاسراف ، ولا يخفى أن الاسراف غير ممدوح لدى الأعراف
الاجتماعية قديماً وحديثاً (فضلاً عن الشرائع) ، ولذلك قال له عبيد : إنما كانت
تكفيننا بكرة إن كنت لا بدّ متكلِّفاً لنا شيئاً .

ثالثاً : إن صحَّ أن حاتماً قال لهم : ظننت أن البلدان غير واحدة ، فأردت أن
يذكر كلُّ منكم ما رأى إذا أتى قومه . ففي النفس شيء من هذا الكلام ، وإن كانت
الغالبية من الكرام تستجلب المدائح وتسعى لإدراكها والتفاخر بها ما بين الناس ،
ولكنه حاتم .

١ - أبو الفرج الاصفهاني ، الأغاني ، ١٧ / ٣٦٦ - ٣٦٨ ، والنويري ، نهاية الإرب ، السفر

سِيَّاسَةُ مَالِيَّةٍ خَاصَّةٌ فِي الْعَطَاءِ

إِذَا مَا كَانَتْ تُمَّ اعْتِبَارَاتٍ رَاسِيَّةٍ لَأَكْرَامِ الْخَلِيلِ الْحَمِيمِ ، فَتَمَّ
اعْتِبَارَاتٍ سَارِيَّةٍ لَأَكْرَامِ الْبَغِيضِ الْخَصِيمِ .



سِيَّاسَةُ مَالِيَّةٍ خَاصَّةٌ فِي الْعَطَاءِ

لقد اتبع الإمام أمير المؤمنين سياسةً ماليةً خاصةً في العطاء هي عين سياسة رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » من جهة عدم التفريق بالأعطيات - من حيث المنع وعدمه أو كثرة العطاء وقلته - ما بين الناس من الأكابر والأصاغر أو القرباء والبعداء؛ فيكرم الصديق الودود، ويكرم العدو اللدود؛ طبقاً للموازين الشرعية، فإذا ما كانت ثم اعتبارات راسية لإكرام الخليل الحميم، فثم اعتبارات سارية لإكرام البغيض الخصيم؛ وكل ذلك أمرٌ تستدعيه في جميع الأحوال مقتضيات رُوحية أو أخلاقية أو سياسية، أو كل هذه القضايا مجتمعة. فمن حق الرئيس أن يفضل الناس بعضهم على بعض في أمواله الشخصية أو لا يمنح الأعداء والمبغضين منها شيئاً، وإن كان يجدر به أن لا يحرم منها الأعداء والمبغضين، وأما في مجال الفيء من أموال الدولة، فلا يصح منه غير المساواة ما بينهم من غير تمييز لطائفة على طائفة لأي سبب من الأسباب، وعلى هذا المسار القويم مشى الإمام أمير المؤمنين نظرياً وتطبيقياً في شتى الظروف والملابسات، فمن كلام له (عليه السلام) لما عوتب على التسوية في العطاء وتصويره الناس أسوة في العطاء من غير تفضيل أولي السابقات والشرف: **أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللَّهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَمَا أَمْ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا، وَلَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ (عليه السلام):** **أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ. وَلَمْ يَضَعْ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ**

٢٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

حَقُّهُ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ وَكَانَ لِغَيْرِهِ وَدُهُمْ فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْمًا
فَاخْتَجَّ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ وَالْأَمُّ خَدِينٍ^(١).

ومن كلام له (عليه السلام) كلم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعة ذلك أنه
قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً فقال (عليه السلام): إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي
وَلَا لَكَ وَإِنَّمَا هُوَ فِيَّ لِلْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ
مِثْلُ حَظِّهِمْ وَإِلَّا فَجَنَازَةٌ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ^(٢).

يقول المفكر العبقرى الفيلسوف جورج جرداق في كتابه البارع «علي
والثورة الفرنسية»: كما كان عليٌّ أولَ شرقيٍّ أعلن أنَّ الأموال العامة هي أموال
الشعب لا أموال الطبقة الحاكمة أو طبقات الأشراف، كان كذلك أولَ حاكمٍ في
الشرق كله يصوغ هذه الحقيقة صياغة تحمل طابع القانون؛ فالأموال العامة
(ليست طعمة للولاة) بل هي ملك الناس، والولاية في دستوره ليسوا بالنسبة لهذه
الأموال أكثر من (خزان أموال الرعية)، وهم في نص آخر (خزان الرعية ووكلاء
الأمّة) وفي خطبه نجد هذا القول الصريح: (تربت يد هذا المشتري نصرّة غادر
فاسق بأموال الناس).

والسابقون من البشر لهم عمل في إنتاج هذا المال في دستور علي
والحاضرون لهم عمل كذلك فيه ولللاحقين حق به فجميع الناس هم أهل هذا المال
لذلك بعث علي إلى بعض عماله يقول: (أما بعد فإن ما بيدك من المال له أهل قبلك
وهو صائرٌ إلى أهلٍ له بعدك). ونظرة علي إلى المال هي النظرة التي يحب أن
تلقى على كل مولدات الحضارة البشرية نتيجة جهود كل الناس في كل أرض

١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٨ / ١٠٩ الخطبة / ١٢٦.

٢- المصدر نفسه، ١٣ / ١٠، الخطبة / ٢٢٧.

وكل زمان. وإذا نحن أخذنا رأي علي في المال بوصفه نتاج جهود عامة مشتركة، كمقياس لكل ما تنتجه الجهود العامة المشتركة، أفلا نراه قد أدرك القاعدة الأساسية في نتاج الحضارة الذي هو عمل يشترك فيه السابقون واللاحقون والقدامى والمحدثون! والذي عبر عنه الفيلسوف الفرنسي باسكال حين قال: (إنه يجب أن ننظر إلى سلسلة البشر خلال عصور التاريخ كأنها رجل واحد يعيش أبداً ويتعلم بدون انقطاع).

وأروع من ذلك كله وأشد منه اظهاراً لما بين البشر من تعاون وتكافؤ قول علي: (ثم جعل الله حقوقاً لبعض الناس على بعض؛ فجعلها تكافؤاً في وجوهها ويوجب افتراضها بعضها بعضاً، ولا يستوجب بعضها إلا بعض).

وإني لم أعر في أقوال مفكري فرنسا العظام قبيل الثورة وفي أثنائها أي في أغنى مرحلة من مراحل التاريخ البشري على أروع من هذه الفكرة وهذا البيان في اظهار وحدة الجهود المشتركة بين البشر التي عبر عنها علي بوحدة الواجبات ووحدة الحقوق^(١).

فليس المقياس النظري والعملي في توزيع الثروات وتقسيم الأعطيات لدى إمام أئمة العدالة والانصاف أن ينتمي هذا الخطه ويتزلف اليه بالود والمحبة، أو يُحسب ذلك على جماعته ويتقرب بالتشيع والمؤالاة، أو أن يكون هذا وذاك من الأسرة المالكة والقراية القريبة، كما لم يكن المقياس السابق للايمان واعتناق الاسلام فلهؤلاء حظهم من الدرجات الرفيعة يوم الدين، بل المقياس في مثل هذه الأمور جميعاً أن هذا المال: إِنَّمَا هُوَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ.

٣٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وكان الخليفة الثاني قد اختط مساراً غير هذا المسار فرتب الناس طبقات
وجماعات من حيث توزيع الأموال عليهم ، ولكنه التفت أخيراً إلى عدم صواب
المنهج الفئوي لما فيه من أضرار فادحة على المجتمع ، فأراد أن يتحول عنه
ويصحح ما وقع فيه ويمضي على ما مضى عليه الرسول وأبو بكر من الابتعاد عن
التمييز ما بين الناس ، إلا أن المنية أدركته فحالت بينه وبين ما أراد .

يقول المفكر المصري الكبير عبد الفتاح عبد المقصود :

لقد أشعل عمر الجذوة حقاً ثم لم يمهله العمر ليصلي طريقها المشبوب ، أشعل
عمر الجذوة وتركها تنقد وتأكل النفوس ، وتلفت الناس بعد مضيئه عن الدنيا بأعوام
ليروا عالماً غير الذي ابتناه لهم الاسلام ، فقد أوشكت المساواة بين الأفراد أن
تكون معدومة ، بل إنها امّحت أصلاً ...

ولعلنا نستطيع أن نفهم كيف رأى أن يخالف بسرعة طريقة صاحبيه التي
التزمت المساواة ، وكيف أثر عليها هذه التفرقة في القسم حين نسمعه يقول : لا
أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه .

وإنها لحقاً لفكرة جميلة ، ولكنها أيضاً غير سديد ، وهي هكذا تكشف عن
عمر رجلاً تسرع به دائماً عاطفته ، غير أننا نبخسه حقّه إن تركناه قانعاً بصحة رأيه
حتى ساعة حينه ، ذلك أنه في آخر عهده ودّلوا ثاب ثانية إلى نظام التسوية^(١) . هذا
وقد أكد عبد الفتاح عبد المقصود كثيراً على الدور الكبير لنظام عدم المساواة
في سحق الناس على عثمان وتعبئة الجمهور ضده ومن ثم تشتت المسلمين
فُرَقاً وأحزاباً .

ادعوا لي غنياً وباهلةً فليأخذوا عطاياهم

إن الذي منع من أموال الناس أقرباءه وشيعته ورفض أن يزودهم فوق حقهم من أموال المسلمين أمثال ابنته وصفينته زينب بنت علي، وأخيه والموالي له عقيل بن أبي طالب، وشيعته وابن عمه عبد الله بن زمعة^(١)، هو الذي يستجلب البعداء عنه أمثال غني وباهلة لأخذ حقوقهم الماليّة من بيت المال بلا أي رادع قانوني أو حاجز اداري أو مانع نفسي.

قال إبراهيم الثقفي في كتابه «الغارات»: حدثنا محمد قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا إبراهيم قال: حدثني عبيد بن سليمان النخعي قال: حدثني سعيد الأشعري قال: استخلف علي (عليه السلام) حين سار إلى النهروان رجلاً من النخع يقال له: هانئ بن هوذة، فكتب إلى علي (عليه السلام): أن غنياً وباهلة فتنوا فدعوا الله عليك أن يظفر بك عدوك. قال: فكتب إليه علي (عليه السلام): أجلهم من الكوفة، ولا تدع منهم أحداً. قال عبيد بن سليمان: حدثنا عبد الله بن الرومي أن علياً (عليه السلام) قال: لا يجاوروني فيها بعد ثلاث.

حدثنا محمد قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا إبراهيم قال: وأخبرني علي بن قادم قال: أخبرني شريك بن عبد الله النخعي عن ليث عن أبي يحيى قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول: يا باهلة اغدوا خذوا حنكم مع الناس، والله يشهد أنكم تبغضوني وأني أبغضكم.

١ - عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وقصي هو

٣٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

حدثنا محمد قال : حدثنا الحسن قال : حدثنا إبراهيم قال : حدثني يوسف بن كليب المسعودي قال : حدثني معاوية بن هشام عن الصباح بن يحيى المزني عن الحارث بن حصيرة عن أصحابه عن علي (عليه السلام) أنه قال : ادعوا لي غنياً وباهلةً وحيماً آخر قد سماهم فليأخذوا عطاياهم فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لهم في الإسلام نصيب ، وإنني لشاهد لهم في منزلي عند الحوض وعند المقام المحمود أنهم أعدائي في الدنيا والآخرة ، لآخذن غنياً أخذةً تضرب منها باهلة ، ولئن ثبتت قدماي لأردن قبائل إلى قبائل ، وقبائل إلى قبائل ، ولأبهرجن ستين قبيلة ما لها في الإسلام نصيب .

حدثنا محمد قال : حدثنا الحسن قال : حدثنا إبراهيم قال : وأخبرنا يوسف بن كليب قال : حدثني يحيى بن سالم العبدي عن عمرو بن عمير عن أبيه عن علي (عليه السلام) أنه قال : ادعوا لي غنياً وباهلةً فليأخذوا أعطياتهم فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لهم في الإسلام نصيب ، ولئن ثبتت قدماي لأردن قبيلة إلى قبيلة ، ولأبهرجن ستين قبيلة ما لها في الإسلام نصيب^(١) .

هكذا كان علي بن أبي طالب

أرايتم يا عشاق العدالة والانصاف وناشدي الصدق والموضوعية إنساناً يأتيه عدوٌ معروفٌ بعداوته وشحنائه ، سابقاً ولاحقاً ، فيسيء إليه مستعمداً ، ثم يأتيه في اليوم التالي في حاجة مهمّة فينجزها له ، وكأنما لم يقع أبداً من الطرف المقابل شيء من سوء يُذكر^(٢) !

١ - إبراهيم الثقفي الغارات / في غني وباهلة .

٢ - وهذا العدو المتوسل بالامام أمير المؤمنين هو أبو هريرة الدوسي .

صدقت يا هيتو باديسا حيث تقول: الشجرة لا تحجب ظلها حتى عن
الخطاب.

نعم نعم يا علماء وفلاسفة حضارة الشرق والغرب هكذا كان أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب، وهكذا المؤتمل من التلميذ الأكبر لرسول الله «صلى الله عليه
 وآله وسلم» أن يكون.

أرأيتم إلى نبل وكرم إنسان يتقخم عليه الميدان خصيم له شديد البأس،
مرهوب الصولة، عازماً على قتله، بسلاح نافذ مرهف فيضربه، لكنه لم يستطع
قتله، فيصرعه ذلك الإنسان ويرميه أرضاً؛ فيطلب منه أن لا يأخذ سلبه وهو ذو
قيمة مادية خاصة؛ فيسرع إلى اجابته وتلبية طلبه من دون أي تردد، على الرغم
من حاجته الماسة إلى هذه الأموال آنذاك^(١)!!!

نعم نعم يا علماء وفلاسفة حضارة الشرق والغرب هكذا كان أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب، وهكذا المؤتمل من التلميذ الأكبر لرسول الله «صلى الله عليه

١ - وهذا المقاوم العنيد والذي لم يستلبه الإمام علي درعه الباهظة القيمة بعد أن قتله هو
عمرو بن عبد ود العامري فارس معركة الأحزاب، وهكذا صنع الإمام علي مع الزعيم اليهودي
حيي بن أخطب في السنة الخامسة الهجرية؛ فإنه لما أقيم بين يديه (ع) وهو يقول قتلة شريفة
بيد شريف.

فقال له أمير المؤمنين: إن خيار الناس يقتلون شرارهم، وشرار الناس يقتلون خيارهم؛ فالويل
لمن قتله الأخيار الأشراف والسعادة لمن قتله الأردال الكفار.

فقال: صدقت لا تسلبني حلتي.

قال: هي أهون علي من ذلك.

قال: سترتني سترك الله.

ومد عنقه فضربها علي (ع) ولم يسلبه من بينهم.

راجع الشيخ محمد المفيد في كتابه الإرشاد ١ / ١١٢.

وآله وسلم» أن يكون.

أرايتم جود وفضل ورفعة نفس إنسان، يحمل عليه وغد حقير أئيم، فيقتنه جائراً بسيف قد دافه بالسم ثلاثين يوماً، فيوفعه على فراش الموت الأحمر، فيقول المقتول المظلوم - في حالة لفظه لأنفاسه الأخيرة وهو يوصي بالقاتل لئلاً يقصّر أحد بحقّه بسبب جريمته الكبرى: (أطعموه واسقوه وأحسنوا ساره) ^(١)!!!

لقد عمل ابن أبي طالب بكل ما قال له الصادق الأمين «صلى الله عليه وآله وسلم» وقد نصحه ذات يوم قائلاً: يا علي كن سخياً فإن الله تعالى يحب السخاء، وكن شجاعاً فإن الله تعالى يحب الشجاع، وكن غيوراً فإن الله تعالى يحب الغيور. وإن امرؤ سألك حاجةً فاقضها فإن لم يكن لها أهل فكن أنت لها أهلاً ^(٢). فكان مثلاً أسمى لتعاليمه الإلهية الراشدة، فهي هو (سلام الله عليه) يكرم حتى الحقوق المعتدي عبد الرحمن بن ملجم.

حقاً إنه ليس مثل هذا العمل المثالي الجبار بالذي يقع بكثرة كائناً في تاريخ حياة الأسرة البشرية، بل هو نادر الوجود للغاية؛ لأن معناه بالتأكيد أن يكرم الإنسان المظلوم المحروم عن قصد ويحسن إحساناً متعمداً إلى من تعمد إراقة دمايته، وتوجه بقصد إلى إزهاق روحه والقضاء عليه قضاء مبرماً، وقد أجهز عليه فعلاً بالسلاح القاتل، مع سبق تبييت الخطة العدوانية والاصرار عليها، نعم يقع الإحسان إلى الأسراء وكرامهم في إطار قوانين كثيرة، وفي عدد غير قليل

١ - وهذا الباغي الأئيم الذي حظي بتكريم الإمام علي ورعايته ولفظ أخلاقه هو أشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم.

٢ - ابن أبي الدنيا، كتاب قضاء الحوائج، الرواية / ٤٤. والمنتقى الهندي، كنز العمال / ٤٣٤٨٤، والسخاوي، الجواهر المجموعة، الرقم / ١٨. وقد ورد الحديث عن مندل بن علي (رض) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي (رض) عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم».

من المجتمعات ولكنه يختلف من بعض الجهات الرئيسية عن الصورة التي نتحدث عنها ، وذلك من قبيل أن يصدر الاعتداء المقصود من قبل الأسير على بعض الأفراد دون حالة القتل وإزهاق الأرواح ، أو مع حالة القتل وإزهاق الأرواح ولكن بحق الآخرين ، من الذين يقعون تحت سلطة الذي بيده عقدة العفو والتسامح والتكريم ، لا أنه اعتداء بالقتل عليه بشكل جنائي مباشر .

إن ما حصل بالفعل من إحسان الإمام علي بن أبي طالب وفضاله وتكريمه ، حتى للأعداء والمبغضين والحاقدين ، لَمِنْ مُعْجَزَاتِ تَأْرِيسِخِ الأُمَمِ والشعوب ، وما يشكل دُرَّةَ ناصعة وفريدة من نوعها الأصيل في تاج كبريات الأعمال الإنسانيَّة الخالدة .

إنه علي بن أبي طالب على كل حال ، ألم يكن حليف القرآن المجيد ، وحبيبه الوفي الأمين ؟ وإذا كان القرآن ربيع القلوب ، فإنَّ علياً ربيع القرآن .

نعم نعم يا علماء وفلاسفة حضارة الشرق والغرب هكذا كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . وهكذا المؤمِّل من التلميذ الأكبر لرسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » أن يكون .

لقد طالعنا قصص الكرام والأجواد العظام أمثال قصص : هاشم بن عبد مناف ، وعبد المطلب بن هاشم ، وحاتم الطائي ، وعنبة بنت عفيف والدة حاتم ، وحفيدها عدي بن حاتم ، وأبي ذر الغفاري ، وأوس بن حارثة بن لأم ، وغالب بن صعصعة بن ناجية (والد الفرزدق الشاعر) ، وسُحَيْمِ بن وَثَيْلِ الرياحي ، وعبيد الله بن أبي بكره الثقفي ، ويزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، .. وغيرهم فما رأينا كهذا اللون الأسمى من قصص جود وكرم ونبل وأريحيَّة إمام المتقين والصدِّيقين ، باب مدينة علم الرسول « صلى الله عليه وآله وسلم » علي بن أبي طالب .

٣٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

إنها القصص والأخبار التي تهز الأعماق وتفجر مكامن الإعجاب والاكبار... فسبحان الله الخالق الباري المصور الذي أبدع هذا المخلوق العظيم، وأودع في قلبه الشفيف الوديع، وبيانه الباهر الساحر، وسيرته العاطرة الزاكية، الأسرار المثلى من مكارم الأخلاق، وروائع الجمال الفاتن الأخاذ.

فسحقا سحقا لمن لا يقتدي بك يا منبع الفضائل والمحاسن.

وتعسا تعسا لمن لا يتعشّقك يا سير الجمال الخالد.

هل يكون جود وكرم وإيثار من دون حُبٍّ أو رحمة؟

وهل كان عليّ يحبّ أعداءه والمغتصبين لحقوقه بكلّ ما استطاعوا،

ويرحم الساخطين عليه من دون ذنب أو جناية؟

نعم نعم يا علماء وفلاسفة حضارة الشرق والغرب هكذا كان أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب. وهكذا المؤمل من التلميذ الأكبر لرسول الله «صلى الله عليه

وآله وسلم» أن يكون.

ولعمري لئن كان قد أحسن اليهم بمال ولطف ورحمة، فلقد أحسنوا إليه بما

هو أكبر وأجزل... إنهم هم الذين كانوا من كبريات الأسباب في اكتشاف نواصع

ذلك القلب المثالي الذي تحيط به أضلاع الإمام علي بن أبي طالب، وهم الذين

كانوا وراء اجتلاء سوامق الثراء الأخلاقي والإنساني العظيم الذي كان عليه إمام

المتقين والأولياء علي بن أبي طالب.

اللهم إلا أن إحسان وفضل عليّ كان عن قصد كريم، وسلامة نيّة، وطيب

مراد، وكان إحسانهم وفضلهم عن قصد لثيم، وسوء تفكير، وخبث مراد. فأبعد الله الظالم منهما لنفسه، ولصاحبه ولأمته، وللقيم الإنسانية النبيلة الفاضلة «فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ»^(١).

أحسنوا إليهم فإنهم أضياف

أخذ الوالي على العراق من قبل الدولة الأموية الطاغية الدموي عبيد الله بن زياد بن أبيه ابن أديّة أخا بني بلال، فقطع يديه ورجليه، وصلبه على باب داره، فقال لأهله وهو مصلوب: انظروا إلى هؤلاء الموكلين بي فأحسنوا إليهم؛ فإنهم أضياف^(٢).

حقاً إن هذا طراز رفيع جداً من الأخلاق والتربية العالية، قام به الخارجي عام (٥٨ هجرية)، وهو يقتدي من حيث يشعر أو لا يشعر بسيرة قائد الغر المحجلين وإمام الصديقين والأولياء، الذي قال عن أسيره الظالم الأثيم: (أطعموه واسقوه وأحسنوا السار).^(٣)

تقدمة كريمة رقيقة إلى تلك اليد الغليظة

قبض معن بن زائدة على عدة من الأسارى فعرضهم على السيف، فالتفت

١ - غافر، الآية / ٧٨.

٢ - انظر نثر الدر، ٥ / ٢١٢، وابن أديّة هو عروة بن أديّة من مشاهير الخوارج.

٣٨..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

اليه بعضهم فقال: أصلح الله الأمير لا تجمع علينا الجوع والقتل، فوالله إن كرم الأمير يبعد عن ذلك. فأمر لهم حينئذ بطعام وشراب، فأكلوا وشربوا ومعن بن زائدة ينظر اليهم، فلما فرغوا من أكلهم قالوا له: أيها الأمير أطل الله بقاءك إننا قد كنا أسراك والآن صرنا ضيوفك فانظر كيف تصنع بضيوفك؟ فعند ذلك قال لهم: قد عفوت عنكم. فقال له أحدهم: والله أيها الأمير إن عفوك عنا أشرف من يوم ظفرك بنا. فسُرَّ معن بهذا الكلام وأمر لكلّ منهم بكسوة ومال.

إن هذا أيضاً طراز رفيع جداً من الأخلاق والتربية العالية، قام به معن بن زائدة الشيباني - أحد الأمراء والفرسان المغاوير والأجواد المذكورين في العصر العباسي الأول - وهو يقتدي من حيث يشعر أو لا يشعر بسيرة قائد الغر المحجلين وإمام الصديقين والأولياء، الذي قال عن أسيره الظالم الأثيم: (أطعموه واسقوه وأحسنوا أساره) (١).

غير أنه مهما حسن في مخيلتنا وراق لعيوننا صنيع معن بن زائدة الشيباني فإنه بلا ريب دون صنيع الإمام أمير المؤمنين بكثير، لقد أكرم الشيباني أولئك الذين قد شهروا السيوف بوجهه ولكنهم لم يردوه قتيلاً أبداً ولعلمهم لم يجرحوه أو يخذشوه، وأما الإمام علي بن أبي طالب فهو ينظر بعين بصيرة إلى اقتراب منيته ودنو حتفه وغشيان حِمَامِهِ، وبعين بصيرة إلى الضيف الذي أطعمه بيده الغليظة

١ - قال المؤرخ والشاعر المسيحي الكبير بولس سلامة في ديوان (ملحمة الغدير) يذكر

فتك ابن ملجم بالإمام ودعوة الإمام المظلوم إلى اطعامه والإحسان إليه:

ومشى الليث للعرين جريحاً	مُرِيلاً طرفه إلى أجوائه
قال مدوا له الفراش وثيراً	وأعدوا أطايباً لفضائمه
جهش المسجد اليتيم بكاءً	حين غاب الإمام من فقائه

سياسة مالية خاصة في العطاء ٣٩
مرارة كل هذا الاقتراب الأثيم والدنو الظالم والغشيان المعتدي، ومع هذا فإنه
(سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) يحنو حنو الأب الشفيق الرؤوف على الولد العاق الجافي، وإنه
(سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) يوصي بتقدمة كريمة رقيقة إلى تلك اليد الغليظة.

(وهذا التماسك في شخصيّة ابن أبي طالب واضح ساطع في الفكرة
الأساس التي يتوجه بها إلى الصديق والعدو معاً، وإلى القريب والبعيد،
والمحارب والمحارب، لا قُرب يدفعه في طريق التبديل والتغيير في هذه
الفكرة ولا مودة ولا محازبة، ولا بُعد يميل به عن هذه الفكرة ولا عداً ولا
خصومة؛ فالأساس الذي ينزع عنه بآرائه وتعاليمه واحد لا يجوز عليه رضاء أو
غضب، ولا يزحزحه سلم أو قتال، ولا يبذل وجهه وعد أو وعيد)^(١).

«وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا
دُمْتُ حَيًّا»^(٢).



ظَاهِرَةُ الْجُودِ الْهَاشِمِي

قال إمام الأئمة

أَمَّا نَحْنُ فَأَبْدَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وَأَسْمَعُ عِنْدَ الْمَوْتِ
بِنُفُوسِنَا، وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمْكَرُ وَأَنْكَرُ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ.

ظَاهِرَةُ الْجُودِ الْهَاشِمِيَّةِ

لقد بقيت ظاهرة الجود والإيثار والإحسان المتميز مناراً ساطعاً يميز البيت الهاشمي طوال التاريخ المشرق والعريق لهم، منذ الجد الأول للهاشميين (عمرو بن عبد مناف بن قصي) ^(١). المعروف بهاشم وبعمرو العلي، والي ولده عبد المطلب بن هاشم، مطعم طير السماء، ومطعم السباع في البر ^(٢)، ثم الي صدر الإسلام والعصر الأموي، ثم الي العصر العباسي، بل إن الأمر قد بقي هكذا الي العصر الحاضر كما هو ملحوظ ومجرب.

عن عمر بن أبي بكر العدوي - من بني عدي بن كعب - قال: حدثني يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل عن أبيه قال: اصطلحت قريش علي أن ولي هاشم بعد موت أبيه عبد مناف السقاية والرفادة؛ وكان هاشم رجلاً موسراً، وكان هاشم يقوم أول نهار اليوم الأول من ذي الحجة فيسند ظهره الي الكعب من تلقاء بابها فيخطب قريشاً فيقول: يا معشر قريش أنتم سادة العرب أحسنها وجوهاً وأعظمها أحلاماً وأوسطها أنساباً وأقربها أرحاماً. يا معشر قريش أنتم جيران بيت الله أكرمكم بولايته وخصكم بجواره دون بني إسماعيل، وإنه يأتيكم في هذا الموسم

١ - وهو الذي سمي هاشماً لأنه كان يهشم الثريد واللحم للفقراء والمستضعفين وهو القائل: المائدة رزق ومن كان مضافاً وسع الله عليه.

٢ - سمي عبد المطلب بمطعم طير السماء لأنه كان يضع الطعام للطيور فوق الجبال، وبمطعم السباع في البر لأنه يلقي اليهم الطعام في البر، ومن جملة ما يدل علي سعة كرمه وجوده كذلك أنه لما عقد لولده الطاهر المبارك عبد الله علي الزكية الطاهرة آمنة بنت وهب تصافحوا وتهانوا وتصافقوا وتماثقوا، وأولم عبد المطلب وليمة عظيمة فيها جميع أهل مكة وأوديتها وشعابها وسوادها؛ فأقام الناس في مكة أربعة أيام.

٤٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
زوّار الله يعظمون حرمة بيته، فهم لذلك ضيف الله وأحقّ ضيف الكرامة ضيف
الله، وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم به، ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من
جاره؛ فأكرموا ضيفه وزوّاره فإنهم يأتون شعناً غُبراً من كل بلد، ضواًمر
كالقِداح، وقد أرجفوا وتفلوا وقملوا وأرملوا، فأقروهم وأعينوهم. وربّ هذه
البنية لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتموه، ألا وإني مخرج من طيب مالي وحلاله
ما لم تقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضعه فمن شاء منكم
أن يفعل مثل ذلك فعل. وأسألکم بحرمة هذا البيت ألا يخرج منكم رجل من ماله
لكرامة زوار بيت الله ومعونتهم إلا طيباً لم يؤخذ ظلماً ولم تقطع فيه رحم ولم
يغتصب. فكانت قريش تخرج من صفو أموالها ما تحتمله أحوالها وتأتي بها إلى
هاشم فيضعه في دار الندوة لضيافة الحاج. وكان قوم من قريش يترافدون وكانوا
أهل يسار؛ فكان كل إنسان ربما أرسل بمائة مثقال ذهب هرقلية. وكان هاشم
يخرج في كل سنة ما لا كثيراً.

وكان هاشم يأمر بحياض من آدم تجعل في مواضع زمزم من قبل أن تحفر
يستقي فيها من البئر التي بمكة، فيشرب الحاج، وكان يطعمهم أول ما يطعم قبل
يوم التروية بيوم بمكة وبمنى وبجمع وعرفة، وكان يثرد لهم الخبز واللحم والسمن
والسويق والتمر، ويحمل لهم الماء فيسقون بمنى، والماء يومئذ قليل إلى أن يصدر
الحاج من منى، ثم تنقطع الضيافة وتفرق الناس إلى بلادهم.

قال عبد الله بن عباس: والله لقد علمت قريش أن أول من أخذ الإيلاف
وأجاز لها العيرات لهاشم، والله ما شدت قريش رحالاً ولا حبلاً بسفر، ولا أناخت
بعيراً لحضر، إلا بهاشم، والله إن أول من جعل باب الكعبة ذهباً لعبد المطلب.

وكانت قريش تجاراً لا تعدو تجارتهم مكة إنما تقدم عليهم الأعاجم
بالسلع فيشترونها منهم يتبايعون بها بينهم ويبيعون من حولهم من العرب، حتى
رحل هاشم بن عبد مناف إلى الشام فنزل بقيصر، فكان يذبح كل يوم شاة،

ويصنع جفنة من ثريد، ويدعو الناس فيأكلون. وكان هاشم من أحسن الناس خلقاً وتاماً فذكر لقيصر وقيل له: ها هنا شاب من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم ويدعو الناس. وإنما كانت الأعاجم والروم تصنع المرق في الصحاف ثم تأتدم عليه بالخبز، فدعا به قيصر فلما رآه وكلمه أعجب به وجعل يرسل إليه فيدخل عليه، فلما رأى مكانه سأله أن يأذن لقريش في القدوم عليه بالمتاجر، وأن يكتب لهم كتب الأمان فيما بينهم وبينه ففعل، فبذلك ارتفع هاشم من قريش^(١).

وكان هاشم إذا قصده قاصد أكرمه وكان يكسو العريان ويطعم الجائع ويفرج عن المعسر ويوفي عن المديون ومن أصيب بدم دفع عنه، وكان بابه لا يغلق عن صادر ولا وارد، وإذا أولم وليمة أو اصطنع طعاماً لأحد وفضل منه شيء يأمر به أن يلقي إلى الوحش والطيور، حتى تحدثوا به وبجوده في الآفاق وسوّده أهل مكة بأجمعهم وشرقوه وعظموه وسلموا إليه مفاتيح الكعبة والسقاية والحجابه والرفادة ومصادر أمور الناس ومواردها، وسلموا إليه لواء نزار وقوس إسماعيل (عليه السلام) وقميص إبراهيم (عليه السلام)^(٢).

إذا ما أخذنا مقطعاً زمنياً كصدر الاسلام على سبيل المثال، التي شهادة الإمام الحسين بن علي عام (٦١ هجرية)، فسوف نرى أن من جملة أكبر الأجواد في المجتمع الاسلامي حينذاك: رسول الله محمد «ص»، أبا طالب بن عبد المطلب^(٣)، جعفر بن أبي طالب الطيار، فاطمة بنت أسد بن هاشم، الصديقة

١ - ذكر هذه الأخبار الزبير بن بكار في كتابه «أنساب قريش»، ولما كان الكتاب ليس بحوزتنا الآن فقد نقلنا ذلك باختصار وتصرف كثير «من شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد المعتزلي، ١٥ / ٢٠٩ - ٢١٣. وقد نقله عن «أنساب قريش».

٢ - بحار الأنوار ١٥ / ٣٨.

٣ - يكفي للدلالة على جوده أنه أطعم الناس في زواجه سبعة أيام وفي ذلك يقول أمية بن

٤٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

الزهراء فاطمة بنت محمد «ص»، علي بن أبي طالب، الحسن بن علي، الحسين بن علي صلوات الله عليهم، عبد الله بن جعفر الطيار، عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، أخوه عبد الله بن العباس.

هؤلاء كلهم أجمعون من بني هاشم، فإذا أردنا أن نعدّ الطبقة الكبرى من الأجيال من غيرهم، كقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وعدي بن حاتم الطائي، وعرابة بن أوس الأنصاري، وغالب بن صعصعة بن ناجية والد الفرزدق، وطلحة بن عبد الله بن خلف، وسعيد بن العاص، وغيرهم، فإن عددهم بمجموعه لا يكاد أن يتجاوز عدد أجاود الهاشميين، الذين يشكلون نحو نصف الطبقة الأولى، من أجاود المجتمع الإسلامي آنذاك، وهذا من العجائب التي تدعو إلى غاية الأكبار والتبجيل، مع العلم أن الهاشميين في تلك الفترة مجرد أسرة، أو بطن قليل العدد، من بطون قبيلة قريش، التي لم تكن هي الأخرى من كبريات القبائل العربية آنذاك...، فيكون عدد الهاشميين بالقياس إلى عدد أفراد المجتمع الإسلامي كافة، عدداً ضئيلاً للغاية، ولكن شاء الله عز وجل لهذا البيت الذي يحمل أعظم رسالة وضاءً صالحاً ومصلحةً على ظهر هذا الكوكب، أن يحمل أيضاً الهموم الاجتماعية والإنسانية، وأن يتصدى بحزم وكياسة ليرفع لواء خفاقاً في الدرر لأعظم آيات الجود والإيثار والفداء والتضحيات الجليلة بالنفس والنفس.

ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين علي: حتى أفضت كرامته الله سبحانه إلى محمد «ص»، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعز الأرومات مغرساً، من

أبي الصلت التقي:

وكان عرساً لبس الحالب
من راجل خف ومن ركب
أيامها للرجل الحاسب

أغرنا عرس أبي طالب
أقراؤه البدو بأقطاره
فنازلوه سبعة أحصيت

الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتخب منها أمناؤه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم^(١).

كما ورد في نهج البلاغة: وقال (عليه السلام) وَقَدْ سُئِلَ عَنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ: .. وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذُلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وَأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا، وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمَكْرُ وَأَنْكَرُ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ^(٢).

وقد حكم لهاشم دغفل بن حنظلة النسابة حين سأله معاوية عن بني هاشم فقال: هم أطعم للطعام، وأضرب للهام. وهاتان خصلتان يجمعان أكثر الشرف^(٣).

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥ هـ) فيما نقله عنه المؤرخ والأديب علي بن عيسى الأربلي في كتابه القيم كشف الغمة في معرفة الأئمة قال وهو يتحدث عن تفضيل بني هاشم: وأما الجود فليس على ظهر الأرض جواد جاهلي ولا اسلامي ولا عربي ولا أعجمي، إلا وجوده يكاد يصير بخلاً إذا ذكر جود علي بن أبي طالب، وعبد الله بن العباس، والمذكورون منهم بالجود كثير لكننا اقتصرنا.

وقال الجاحظ أيضاً: وحسن الخلق في البخيل أسرع، وفي الدليل أوجد، وفيهم (أي الهاشميون) مع فرط جودهم وظهور عزهم، من البشر الحسن، والاحتمال وكرم التفاضل، ما لا يوجد مع البخيل الموسر، والدليل المكثر، الذين يجعلان البشر وقاية دون المال.

١ - وقال الإمام علي أيضاً وقد سئل عن مقارنه بين الهاشيين والأمويين: نحن أنجد وأمجد وأجود، وهم أنكر وأمكر وأغدر. وقال كذلك: نحن أطعم للطعام وأضرب للهام.
٢ - شرح نهج البلاغة ١٨ / ٢٨٥. ٣ - المصدر، ١٥ / ٢٠٩.

٤٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

ويروى أنه افتخر رجل من بني هاشم، ورجل من بني أمية، فقال الأموي للهاشمي: اذهب فسل أهلك، وأذهب فأسأل أهلي؛ فأتى الأموي عشيرته فسأل عشرة منهم، فأمروا له بمائة ألف درهم، وأتى الهاشمي عبيد الله بن عباس، فأمر له بمائة ألف درهم، ثم أتى الحسن، فأمر له بمائة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى الحسين، فأمر له بمائة وعشرين ألف درهم، وقال: لا أساوي أخي في الفضل. فجاء الأموي بما أعطاه أهله، وجاء الهاشمي بما أعطاه ثلاثة من أهله، فغضب الأموي فردّها على أصحابها فقبلوها، وردّها الهاشمي على أصحابها فلم يقبلوها. فكانت الأخيرة أشدّ على الأموي من الأولى^(١).

تعليق: على الرغم من كون بني أمية من الأثرياء المتموليين في الجاهلية وصدرا الاسلام، وكونهم أغنى الناس وأكثرهم أموالاً في عصر حكمهم ورياستهم أي العصر الأموي، إلا أن مما لا ريب فيه، أنّهم في الجود والعطاء وفي التضحية دون بني هاشم بمراتب.

والقصة التي أشرنا إليها دليل بليغ على ذلك، كما توجد أدلة أخرى من بينها ما ذكره المؤرخون ومن جملتهم محمد بن حبيب البغدادي في «المنق» وعبد الله بن إسماعيل الكاتب في «عين العبرة»، نقلاً عما رواه العلماء: من أن أمية بن عبد شمس، كان قد نُبّه في أهل بيته بني عبد شمس، وشرف فيهم، وتقدم عليهم، حتى قال لعنه هاشم: أنا أشرف منك، فإن أحببت أن تعرف ذلك فنا فرني. فقال له هاشم: كيف أنا فرك وأنت كبعض ولدي! فقال: هيهات إنني شرفت بنفسي.. وجدّ في ذلك.

فأجابه على المنافرة، على أن يأخذ النافر من المنفور مائة ناقة، ويجليه عن الحرم عشر سنين.

فتنافرا إلى كاهن غسان، من قرية سطيح كان بغسان، وخرج كل واحد منهما في أهله وولده، ومن مال إليه. وكان ممن خرج مع أمية حموه أبو بهمة بن عبد العزيز، أحد بني الحارث بن فهر. قالوا: فنفر بين هاشم وأمية. فقال: والقمر الباهر، والنجم الزاهر، وكل منجد وغابر، لقد سبق هاشم أمية بالمآثر. أولاً وآخراً.

فأعطوه مائة ناقة ونهضوا فقال هاشم: والله لا تدخل الحرم عشر سنين. ونفاه إلى الأردن؛ فأقام بها. ودخل هاشم مكة ونحر الإبل وأطعم، فلما كان بعد عشر سنين قدم أمية مكة.

قال عبد الله بن إسماعيل: ثم تلا ذلك حسد حرب بن أمية بن عبد شمس عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، لما ذهب شرفه كل مذهب، فدعاه إلى المنافرة؛ فكره عبد المطلب ذلك، فلج حرب وأكثر وجعل يأكله بلسانه، حتى تكلم في ذلك رجال من قريش؛ فأجابه عبد المطلب وحكماً بينهما نفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب؛ ففضى لعبد المطلب، بعد قصص طويلة، ومدح لعبد المطلب جليلة، فأنشأ نفيل يقول:

أبوكما واحد والفرع بينكما

منه الخشاش ومنه المشر اليتع

فاعرف لقوم هم السادات فضلهم

لا يدركك يوم شره دفع^(١)

هم الربى من قريش في أرومتها

والمطعمون إذا ما مشها التبع

١ - يوجد بياض قبل كلمة دفع في أصل كتاب «المنق» فاستدركه المحقق بكلمة ماله

٥٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

فأخذ عبد المطلب الإبل فنحراها، وأطعم الناس؛ فغضب حرب علي نفيل وأوعده وقال له: من انتكاس الدهر أن جعلناك حكماً، فاستعصم نفيل بالعاص بن وائل^(١).

وجاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: إن أريد الموازنة بين ملوك بني العباس، وملوك بني أمية في العطاء، افتضح بنو أمية وناصروهم، فضيحة ظاهرة؛ فإن نساء خلفاء بني عباس، أكثر معروفاً من رجال بني أمية، ولو ذكرت معروف أم جعفر وحدها، لأتى ذلك علي جميع صنائع بني مروان، وذلك معروف، ولو ذكر معروف الخيزران، وسلسبيل، لملئت الطوامير الكثيرة به، وما نطن خالصة مولاتهم، إلا فوق أجواد أجوادهم، وإن شئت أن تذكر مواليتهم وكتابهم، فاذا ذكر عيسى بن ماهان، وابنه عليا، وخالد بن برمك، وابنه يحيى، وابنه جعفرأ، والفضل، وكاتبهم منصور بن زياد، ومحمد بن منصور، وفتى العسكر؛ فإنك تجد لكل واحد من هؤلاء، ما يحيط بجميع صنائع بني عبد شمس^(٢). فأما ملوك الأموية، فليس منهم إلا من كان يبخل علي الطعام، وكان جعفر بن

١ - والهاشميون هم الذي قيلت فيهم هذه الأبيات الجميلة التي ذكرها عبد الله بن

اسماعيل الكاتب في كتابه «عين العبرة» ولعلها من شعره:

مصفون في الأنساب محضون نجوهم	هو المحض قينا والصريح المهذب
خضعون أشراف لهاميم سادة	مطاعيم أيسار إذا الناس أجذبوا
إذا نشأت منهم بأرض سحابة	فلا التبت محطور ولا البرق خلب
لهم رتب فضل علي الناس كلهم	فضائل يستعلي به المترتب
مساميح منهم قائلون وفاعل	وسباق غايات إلى الخير مسهب
أولئك نسي الله منهم وجعفر	وحمزة زين الفيلقين المجرب
هم ما هم شفعا ووترا لقومهم	لفقدانهم ما يغدر المستحوب

٢ - بنو عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أعم من بني أمية؛ لأنه يشملهم إضافة إلى بني

نوفل بن عبد شمس، وغيرهم.

سليمان كثيراً ما يذكر ذلك، وكان المنصور إذا ذكرهم يقول: كان عبد الملك جباراً لا يبالي ما صنع، وكان الوليد مجنوناً، وكان سليمان همه بطنه وفرجه، وكان عمر أعور بين عميان، وكان هشام رجل القوم، وكان لا يذكر ابن عاتكة. ولقد كان هشام مع ما استثناه به يقول: هو الأحوال السراق، ما زال يدخل إعطاء الجند شهراً في شهر، وشهراً في شهر، حتى أخذ لنفسه مقدار رزق سنة^(١).

أقول: لقد كان المنصور ببخله وشح نفسه يمثل حالة من الحالات الاستثنائية الشاذة عن العباسيين أو الهاشمين عموماً فيكرمهم وجودهم وبالرغم من حرصه وبخله يصف هشام بن عبد الملك بالسرقة والحرص الشديد على الأموال، كأنه أراد أن يفرّ لو اذاً ويتسلل مما يوصف به، أو كان هشام بخيلاً وشديد الحرص على الممتلكات والأموال حتى بالقياس إلى المنصور الدوانيقي. ولئن كان هشام يدخل إعطاء الجند شهراً في شهر، وشهراً في شهر، حتى أخذ لنفسه مقدار رزق سنة، فقد سرق المنصور من أموال الشعب وممتلكات الأمة وجهود المستضعفين مقدار رزق نحو عشرين سنة، فلم يكن طيلة فترة حكمه كلها إلا سارقاً شحيحاً. لقد كان المنصور هشامياً في بخله وسياسته وجبروته.

تنظير الصديقة الزهراء

سيدة نساء العالمين ، وقدوة الناس أجمعين ، سماء المناقب والفضائل ،
وسناء الأواخر والأوائل ، الصديقة فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد « صلى
الله عليه وآله وسلم ». فمما قالته حول الموضوع :

- في دلائل الإمامة (لأبي جعفر الطبري الإمامي) : حدثنا أبو المفضل محمد
بن عبد الله قال : حدثنا محمد بن محمد بن معقل العجلي القرميسيني قال : حدثني
موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن جده علي بن الحسين عن أبيه
الحسين عن أمه فاطمة (ع) قالت : قال لي أبي رسول الله « صلى الله عليه وآله
وسلم » : إياك والبخل فإنه عاهة لا تكون في كريم . إياك والبخل فإنه شجرة في
النار وأغصانها في الدنيا ؛ فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله النار . والسقاء
شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا ؛ فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله
الجنة (١) .

عاهة لا تكون في كريم

قد تكون العاهة في البنية المادية كجسم الانسان وبدن الحيوان ، كما نشاهد

١ - دلائل الامامة ٤ / المقدمة ص ١٠١ وقد روى الحديث الشريف : « السقاء شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا ؛ فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله الجنة ». عن رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » من الصحابة كل من : علي بن أبي طالب والصديقة فاطمة الزهراء وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري وأنس بن مالك ومعاوية بن أبي سفيان وأبو هريرة ، كما رواه الإمام جعفر الصادق عن رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم ». وانظر الحديث في كنز العمال للمتقي الهندي برقم / ١٥٩٢٧ .

ذلك في الحديثين الشريفين التاليين :

- أحمد بن عبد الله عن أحمد بن أبي عبد الله عن غير واحد من أصحابه عن علي بن أسباط عن حسين بن خارجة عن ميسر بن عبد العزيز قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): لا تُعَامِلْ ذَا عَاهَةٍ فَإِنَّهُمْ أَظْلَمُ شَيْءٍ (١).

- روى محمد بن علي بن الحسين في معاني الأخبار عن محمد بن هارون الزنجاني عن علي بن عبد العزيز عن القاسم بن عبيد رفته عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: لا يُورِدَنَّ ذُو عَاهَةٍ عَلَيَّ مُصِحِّحٌ.

يَعْنِي الرَّجُلَ يَصِيبُ إِلَيْهِ الْجَرْبُ أَوْ الدَّاءُ فَقَالَ لَا يُورِدَنَّهَا عَلَيَّ مُصِحِّحٌ أَيِ الَّذِي إِلَيْهِ صِحَاحٌ (٢).

وقد تكون العاهة في البنية المعنوية كدين بعض الناس وأخلاق بعض أفراد المجتمع، وإذا كانت العاهة في البنية المادية خطيرة وموجبة للحذر منها، فإن العاهة في البنية المعنوية، أخطر وأشد فتكاً، وأضر للفرد المصاب وللمجتمع.

ومن مفردات هذه العاهات المعنوية: الكبرياء والحسد والحقد والدعارة والبخل والجشع والكسل، وهي التي تسمى في الفلسفة الغربية في العصر الوسيط بالكبائر السبع The Seven Deadly .. ولذا كان تحذير الإسلام من هذه العاهات تحذيراً مؤكداً وعميقاً، كما في قول رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» على سبيل المثال: إِيَّاكَ وَالْبَخْلَ فَإِنَّهُ عَاهَةٌ لَا تَكُونُ فِي كَرِيمٍ. ولما كانت العاهة في البنية المادية موجبة للنفور منها واشتمزاز النفوس؛ فلذا شبه الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» البخل بها ليكون موجباً للنفور منه واشتمزاز النفوس

١- الكافي ٥ / ١٥٨ و ٥٩ / باب من تكره معاملته و مخالطته...

٢- وسائل الشيعة ١١ / ٥٠٧ / ٢٨- باب كراهة الحذر من العدو. / ١٥٣٨٥

٥٤..... فلسفة الجود والإنثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
كذلك. بل لو تفتن اللبيب أكثر في عاهة البخل لعلم أنها أبشع صورة وأقبح منظرًا،
من العاهة المادية كما أشرنا.

— عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق بالاسناد عن الرضا عن
آبائه عن علي بن الحسين (ع) أنه قال: حدثتني أسماء بنت عميس قالت: كنت
عند فاطمة (عليها السلام) إذ دخل عليها رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»
وفي عنقها قلادة من ذهب، كان اشتراها لها علي بن أبي طالب من فيء؛ فقال لها
رسول الله «ص»: «يا فاطمة لا يقول الناس: إن فاطمة بنت محمد تلبس
لباس الجبابة؛ فقطعتها، وباعتها، واشترت بها رقبة فأعتقتها؛ فسُرَّ بذلك
رسول الله «ص»»^(١).

ما أوفر التهم الباطلة

لم تكن هذه القلادة من مال حرام، أو من مال دخلته الشبهة، أو من بيت مال
الدولة الذي يصرف في مصالحها ومصالح الأمة، بل هي من المال الحلال الخالص
حيث كان اشتراها لها علي بن أبي طالب من فيء، وعلي بن أبي طالب لا يشتري
إلا من المال الحلال الطيب ولا ينفق إلا في الحلال الطيب، وكم يدخل السرور
والابتهاج على قلب الوالد الحنون وهو يرى ابنته وحببية قلبه تترين وتتجمل بما
يفرحها ويقر عينها، ويظهرها بالمظهر الحسن اللائق ما بين صديقاتها وقربياتها.
ولا يشك رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أبداً في حليّة المال ولا طيبه
وصفائه من الكدر، بيد أن الذي يهمله ويقلق تفكيره أن لكثير من أفراد المجتمع
السنة حداداً لا ترحم ولا تتورع في مواطن مختلفة عن قول السوء والصاق التهم
وارسال الكلام على عواهنه، فمن المتوقع أن يقولوا: إن فاطمة بنت محمد تلبس

لباس الجبابة .

فهل أن مجرد لبس القلادة الذهبية مع العلم بكونها من المال الحلال الزكي يُعدُّ من لباس الجبابة؟

إن الحقيقة التي فرضت نفسها علينا، أو الحقيقة الضرورية كما في الاصطلاح الفلسفي، أن مجرد لبس القلادة الذهبية مع العلم بكونها من المال الحلال الزكي لم يكن في نفسه من لباس الجبابة، بيِّدَ أن قالةً سوء، وحاكةً الزور والأباطيل، وحساداً نعم، يقلبون الأمور على غير وجهها، ويصورون الحق بغير صورته السليمة والمشرقة؛ فيُخشى أن يتهموا محمداً، وبنات محمد، ورسالة محمد «ص». فما أوفرَ التهمَ الباطلةً في كل زمان ومكان، وما أوفرَ المصدقينَ للأباطيلِ في كل زمان ومكان.

فلولا الزهد الذي تتسم به الصديقة فاطمة بنت محمد «صلى الله عليه وآله وسلم»، والحفاظ على السمعة الكريمة لأبيها ورسالته المقدسة، لم تقطع القلادة ولم تبعها، ولولا الجود الذي تتسم به الصديقة فاطمة بنت محمد «ص»، لم تشتري بها رقبة وتعتقها في سبيل الله تبارك وتعالى، ولا اشترت بها شيئاً من الأشياء الثمينة، التي يعتز بها الناس ويفرحون لها، ويدخرونها ليوم من الأيام الآخر.. ولكننا ألسنا نعلم أنها الصديقة الزهراء البتول، فاطمة بنت محمد «ص»، نعم فاطمة بنت محمد «ص»، وكفى.

قلادة فاطمة

— في الأمالي للصدوق (رض) عن الكاظم (عليه السلام) قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» دخل على ابنته فاطمة (ع) وفي عنقها قلادة؛ فأعرض عنها، فقطعتها، ورمت بها، فقال لها رسول الله «ص»: أنت مني يا

٥٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
فاطمة. ثم جاء سائل فناولته القلادة (١)(٢).

عظمُ بركةِ عِقْدِ فاطمة

قال محمد بن أبي القاسم رحمه الله في كتابه «بشارة المصطفى لشيعته المرتضى»: «أخبرنا الشيخ أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله فيما أجاز لي روايته عنه وكتب لي بخطه سنة إحدى عشرة وخمسمائة بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: أخبرني أبو الحسن محمد بن الحسين المعروف بابن الصقال قال: حدثنا أبو المفضل محمد بن معقل

١ - بحار الأنوار، ٤٣ / ٨٤.

٢ - وقصة أخرى من إنفاق الصديقة فاطمة وجودها ذكرها الصدوق في الأمالي قائلاً: حدثنا الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي الكوفي حدثنا جعفر بن محمد بن جعفر العلوي الحسيني قال حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار قال: حدثنا حسن بن صالح بن أبي الأسود قال: حدثنا أبو معشر عن محمد بن قيس قال: كان النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة (ع) فدخل عليها فأطال عندها المكث، فخرج مرة في سفر، فصنعت فاطمة (ع) مسكتين من ورق وقلادة وقرطين وستراً لبيت لقدم أبيها وزوجها (ع)، فلما قدم رسول الله «ص» دخل عليها، فوقف أصحابه على الباب لا يدرون أيقنون أو ينصرفون لطول مكثه عندها. فخرج عليهم رسول الله «ص» وقد عرف الغضب في وجهه، حتى جلس عند المنبر. فظنت فاطمة (ع) أنه إنما فعل ذلك رسول الله «ص» لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر، فنزعت قلادتها وقرطبيها ومسكتيها ونزعت الستر، فبعثت به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وقالت للرسول: قل له «ص»: «تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول: اجعل هذا في سبيل الله. فلما أتاه وخبره قال «ص»: «فعلت فداها أبوها. - ثلاث مرات - ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء. ثم قام فدخل عليها. الأمالي للشيخ الصدوق / المجلس الحادي والأربعون / ٧. ويتضح من تفصيل هذه القصة والتنبيه إلى جزئياتها أنها مغايرة لما مضى من قصة القلادة التي أنفقتها فاطمة (ع)، ومغايرة أيضاً لقصة القلادة الثانية التي أنفقتها أيضاً.

العجلي القرمسي بشهرزور قال: حدثني محمد بن أبي الصهبان الباهلي قال: حدثنا الحسن بن علي بن فضال عن حمزة بن حمران عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه (ع) عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» صلاة العصر فلما انفتل جلس في قبلته والناس حوله، فبينما هم كذلك إذ أقبل إليه شيخ من مهاجرة العرب سمل قد تهلل واختلق وهو لا يكاد يتمالك ضعفاً وكبراً، فأقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يستجليه الخبر فقال الشيخ: يا نبي الله أنا جائع الكيد فأطعمني وعاري الجسد فاكسني وفقير فأعني. فقال: مَا أَجِدُ لَكَ شَيْئاً وَلَكِنَّ الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ. انطلق إلى منزل من يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يؤثر الله على نفسه، انطلق إلى حجرة فاطمة وكان بيتها ملاصقاً بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» الذي ينفرد به لنفسه من أزواجه يا بلال قم فقف به على منزل فاطمة. فانطلق الأعرابي مع بلال فلما وقف على باب فاطمة نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل البيت النبوة ومختلف الملائكة ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند رب العالمين. فقالت فاطمة (ع): من أنت يا هذا. قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيك سيد البشر مهاجراً من شقة وأنا يا بنت محمد عاري الجسد جائع الكبد فواسيني رحمك الله. وكان لفاطمة وعلي في تلك الحال ورسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً وقد علم رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» ذلك من شأنهما، فعمدت فاطمة (ع) إلى جلد الكبش مدبوغ بالقرض كان ينام عليه الحسن والحسين (ع) فقالت: خذ هذا أيها الطارق فعسى الله أن يرتاح لك ما هو خير منه. فقال الأعرابي: يا بنت محمد شكوت إليك الجوع فناولتني جلد كبش ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب؟ قال: فعمدت (ع) لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمها حمزة بن عبد المطلب فقطعته من عنقها ونبذته إلى الأعرابي فقالت: خذه وبعه فعسى الله أن يعوضك به ما هو خير منه. فأخذ الأعرابي العقد وانطلق

٥٨..... فلسفة الجرد والإينار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
إلى مسجد رسول الله والنبي « صلى الله عليه وآله وسلم » جالس في أصحابه
فقال : يا رسول الله أعطتني فاطمة بنت محمد هذا العقد وقالت : بِعْهُ فَعَسَى أَنْ
يصنع لك . قال : فبكى النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » وقال : لا كيف يصنع الله
لك وقد أعطتك فاطمة بنت محمد سيدة بنات آدم ؟ فقام عمار بن ياسر رحمه الله
فقال : يا رسول الله أتأذن لي بشراء هذا العقد ؟ قال « صلى الله عليه وآله وسلم » :
اشتره يا عمار فلو اشترك فيه الثقلان ما عذبهم الله بالنار . فقال عمار : بكم هذا
العقد يا أعرابي ؟ قال : بشبعة من الخبز واللحم وبردة يمانية أستر بها عورتني
وأصلي فيها لربي ودينار يبلغني إلى أهلي . وكان عمار قد باع سهمه الذي نفعه
رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » من خبير ولم يبق منه شيئاً فقال : لك
عشرون ديناراً ومائتا درهم هجرية وبردة يمانية وراحتلي تبلغك إلى أهلك
وشبعة من خبز البر واللحم . فقال الأعرابي : ما أسخاك بالمال !

وانطلق به عمار فوفاه ما ضمن له وعاد الأعرابي إلى رسول الله « صلى الله
عليه وآله وسلم » فقال له رسول الله : أشبعت واكتسيت ؟ قال الأعرابي : نعم يا
رسول الله واستغنيت بأبي أنت وأمي . قال « صلى الله عليه وسلم » : فأجز فاطمة
بصنيعها . فقال الأعرابي : اللهم إنك إله ما استحدثناك ولا إله لنا نعبده سواك وأنت
رازقنا على كل الجهات ، اللهم أعط فاطمة (ع) ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .
فأمن النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » على دعائه وأقبل على أصحابه فقال : إن
الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك أنا أبوها وما أحد من العالمين مثلي ، وعلي
يعلمها ولولا علي ما كان لفاطمة كفو أبدا ، وأعطها الحسن والحسين وما للعالمين
مثلهما سيدا شباب أسباط الأنبياء وسيدا أهل الجنة . وكان بإزائه المقداد وابن عمر
وعمار وسلمان رضي الله عنهما فقال : وأزيدكم . فقالوا : نعم يا رسول الله قال
« صلى الله عليه وآله وسلم » : أتاني الروح الأمين يعني جبرئيل (عليه السلام)
وقال : إنها إذا هي قبضت ودفنت يسألها الملكان في قبرها من ربك ؟ فتقول : الله

ربي فيقولان: من نبيك؟ فتقول: أبي. فيقولان: فمن وليك؟ فتقول: هذا القائم على شفير قبري علي بن أبي طالب. ألا وأزيدكم من فضلها؟ إن الله قد وكل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها وهم معها في حياتها وعند قبرها بعد موتها يكثرون الصلاة عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها. فمن زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي، ومن زار فاطمة فكأنما زارني، ومن زار علي بن أبي طالب فكأنما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنما زار علياً، ومن زار ذريتهما فكأنما زارهما. فعمد عمار إلى العقد وطبَّه بالمسك ولفَّه في بردة يمانية، وكان له عبد اسمه سهم ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخبير فدفع العقد إلى المملوك وقال له: خذ هذا العقد فادفعه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وأنت له. فأخذ العقد فأتى به رسول الله «ص» وأخبره بقول عمار رحمه الله فقال النبي «ص»: انطلق إلى فاطمة فادفع إليها العقد وأنت لها. فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله. فأخذت فاطمة (ع) العقد وأعتقت المملوك، فضحك الغلام فقالت فاطمة (ع): ما يضحكك يا غلام؟ فقال: أضحكني عظم بركة هذا العقد أشبع جائعاً وكسا عرياناً وأغنى فقيراً وأعتق عبداً. ورجع إلى ربه^(١).

الوصية الكريمة

— في الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن فضال عن أحمد بن عمر عن أبيه عن أبي مريم قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن صدقة رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وصدقة علي (عليه السلام)؟ فقال: هي لنا حلال. وقال: إن فاطمة (ع) جعلت صدقتها لبني هاشم، وبني

المطلب .

— في الكافي: علي عن أبيه^(١). عن ابن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): ألا أقرئك وصية فاطمة؟ قال: قلت: بلى. فأخرج حقاً أو سلفاً فأخرج منه كتاباً فقرأ: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أوصت به فاطمة بنت محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أوصت بحوائطها السبعة العواف والدلال والبرقة والمبيت والحسنى والصفية... إلى آخر الوصية التي مرّ محتواها فيما سبق من الكتاب (في بحث الموارد المالية /المورد ٨).

٦ - كتاب الدلائل للطبري، بإسناده عن أبي جريح عن جعفر بن محمد عن أبيه عن فاطمة (ع) أنها أوصت لأزواج النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لكل واحدة منهن باثنتي عشرة أوقية، ولنساء بني هاشم مثل ذلك، وأوصت لأمامة بنت أبي العاص بشيء.

وبإسناد آخر عن عبد الله بن حسن عن زيد بن علي أن فاطمة (ع) تصدقت بمالها على بني هاشم وبني عبد المطلب، وأن علياً (عليه السلام) تصدق عليهم وأدخل معهم غيرهم^(٢).

وممن أكد المعنى الأخير الكاتب المغربي الأستاذ محمد بن عبد العزيز بن عبد الله في كتابه «الوقف في الفكر الإسلامي» قائلاً: ممن ثبت عنه الوقف من كبار الصحابة وسادات آل البيت: فاطمة الزهراء بنت رسول الله «صلى الله عليه وسلم» تصدقت بمالها على بني هاشم والمطلب، وأن علياً تصدق عليهم وأدخل

١ - علي عن أبيه: المقصود علي بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم بن هاشم الكوفي وكلاهما من

العلماء العدول المكثرين جداً من الروايات. ٢ - بحار الأنوار ٤٣ / ٢١٩.

تنظير الإمام الحسن المجتبي

الإمام الزكي الرضي الحسن بن علي (ع) سبط رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وريحاته وقرّة عينيه ومن خرج من ماله مرتين، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات^(٢). وكان نظير أبيه المرتضى لا يرد سائلاً من الناس أبداً صديقاً أو عدواً، فلما سئل عن علّة عدم ردّ للسائل وإن كان على فاقة قال: إني لله سائل، وفيه راغب، وأنا أستحي أن أكون سائلاً، وأردّ سائلاً، وإن الله تعالى عودني عادة أن يفيض نعمه عليّ، وعودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني المادّة^(٣).

وجاءه بعض الأعراب فقال: أعطوه ما في الخزانة. فوجد فيها عشرون ألف درهم فدفعها إلى الأعرابي فقال الأعرابي: يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي! فأنشأ الحسن (عليه السلام):

نحن أناس نوالنا خَـضِلُ
بـررّعُ فيه الرجاء والأملُ

١ - الوقف في الفكر الاسلامي، ١ / ١٢٦.

٢ - هذا من الأخبار المستفيضة والشهيرة، وقد رواه ابن أبو نعيم الاصفهاني في حلية الأولياء وابن الجوزي في صفوة الصفوة وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤل وابن الأثير الجزري في أسد الغابة وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة وغيرهم.

٣ - جلال الدين السيوطي، الكنز المدفون / ٢٣٤، والشبلنجي نور الأبصار / ١٧٧.

٦٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

تَجُودُ قَبْلَ السُّؤَالِ أَنْفُسُنَا

خَوْفًا عَلَيَّ مَاءٍ وَجِهٍ مِنْ يَسْتَلُّ^(١)

وكان الإمام الحسن كأيّبه الإمام أمير المؤمنين علي الرغم من كثرة من تنعموا بأمواله وفيوض كرمه ونواله من أزهد الناس في الدنيا ومن أبعدهم عن الانجراف للملذات وتوظيف الأموال للقضايا الشخصية لأهداف دانية. وهو الصادق كل الصدق فيما يقول:

لِكِسْرَةٍ مِنْ خَسِيْسِ الْخَبْزِ تَشْبِعُنِي

وَشُرْبَةِ مِثْلِ قِرَاحِ الْمَاءِ تَكْفِينِي

وَطَمْرَةٍ مِنْ رَقِيْقِ الثَّوْبِ تَسْتَرْنِي

حَيًّا وَإِنْ مَثُّ تَكْفِينِي لِتَكْفِينِي^(٢)

لقد تحدثنا عن كرم الإمام الحسن وجوده بصورة غير مختصرة في كتاب لنا مستقل عنه (سلام الله عليه) ونكتفي الآن بنقل مجموعة من كلماته وأحاديثه العطرة عن الجود والإيثار:

١- عن جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال: قال الحسن بن علي (ع): إِذَا

طَلَبْتُمُ الْحَوَائِجَ فَاطْلُبُوهَا مِنْ أَهْلِهَا. قِيلَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَنْ أَهْلُهَا؟ قَالَ: الَّذِينَ قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَذَكَرَهُمْ فَقَالَ: «إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ»^(٣). قَالَ: هُمْ أَوْلُوا

١- السروي، المناقب، ٤ / ١٦. ٢- المناقب، ٤ / ١٥ - ١٦.

٣- ورد نص قوله تعالى: «إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ» في الآية المباركة: «أَفَمَنْ يَعْلَمُ

أَلَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ». الرعد، الآية / ١٩. وكذلك في الآية المباركة: «أَمْ مَنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ». الزمر، الآية / ٩.

٢ - التبرع بالمعروف، والاعطاء قبل السؤال، من أكبر السؤدد (٢).

٣ - وسئل عن البخل؟ فقال: هو أن يرى الرجل ما أنفقته تلفاً، وما أمسكه شرفاً (٣).

٤ - من عَدَّد نعمه، محقَّ كرمه (٤).

٥ - الوعدُ مرض في الجود، والانجاز دواؤه (٥).

٦ - أتاه عليه السلام رجل يسأله فقال: (إن المسألة لا تصحُّ إلا في غرم فادح، أو فقر مدقع، أو حمالة مفضعة).

فقال الرجل: ما جئت إلا في إحداهنّ. فأمر له بمائة دينار، ثم أتى أخاه الشهيد (عليه السلام) فقال له مثل الذي قال له أخوه، ثم أعطاه تسعة وتسعين ديناراً، وكره أن يساوي أخاه.

ثم إن الرجل أتى عبد الله بن عمر فأعطاه سبعة دنائير، ولم يسأله عن شيء. فحدّثه بقصته وما جرى بينه وبينهما (عليهما السلام). فقال عبد الله: ويحك، وأين تجعلني منهما؟! إنهما غرّا العلم غرّاً (٦).

- وسأله أمير المؤمنين: ما السماحة؟ فقال: اجابة السائل، وبذل النائل (٧).

١ - كِتَابُ الْعُقُولِ وَالْجَهْلِ مِنَ الْكَافِي، ١ / ٢٠.

٢ - المصدر السابق.

٣ - المصدر السابق.

٤ - المصدر السابق.

٥ - المصدر السابق.

٦ - نزهة الناظر / ٧٨ والتذكرة الحمدونية لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي ابن حمدون، ٢ / ٢٧٦.

٧ - البحار / ٧١ / ٣٥٣.

٦٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

٧- وسئل أيضاً ما السماحة؟ فقال: البذل في العسر واليسر^(١).

٨- وسأل معاوية الحسن عليه السلام عن الكرم والنجدة والمروءة؟ فقال: أما

الكرم فالتبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال والإطعام في المتخل^(٢)...

٩- المعروف ما لم يتقدمه مطل، ولم يتبعه من^(٣).

١٠- سأل رجل الحسن بن علي شيئاً بعد أن كان مثيراً، فأعطاه خمسين

ألف درهم، وخمسمائة دينار، وأعطى الجمال طيلسانه كراه.

١١- تمام المروءة إعطاء الأجرة لحمل الصدقة^(٤).

تفصيل الإمام الحسين الشهيد

الإمام الصديق الشهيد الحسين بن علي (عليه السلام) سبط الرسول

«صلى الله عليه وآله وسلم» وقرّة عينيه وريحانته ومن اتفق المسلمون على أنه

أحد سيدي شباب أهل الجنة، ومن قال عنه الرسول «ص»: «حُسين مني وأنا

من حُسين، حُسين سبط من الأسياب، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسيناً».

١ - المصدر ذاته...

٢ - نزهة الناظر: ٧٨، ٧٩ وترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من تأريخ مدينة دمشق

للعلامة المحمودي ص ١٦٥ و ١٦٦، وقال أبو حيان التوحيدي في كتابه «البصائر والذخائر»:

قيل للحسين بن علي رضي الله عنهما: ما الكرم؟ قال: التبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال

والإطعام في المتخل. البصائر والذخائر، الرقم / ٦٥٧.

٣ - نزهة الناظر للحلواني / ٧١.

٤ - عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية / ١٢٥، وابن حجر الهيتمي،

الصواعق المحرقة / ١٣٧، والديلمي، إرشاد القلوب / ١٣٦.

قال كمال الدين الشافعي رحمه الله تعالى عن كرمه وجوده: قد تقدم في الفصل المعقود لذكر كرم أخيه الحسن قصة المرأة التي ذبحت الشاة وما وصلها به لما جاءته بعد أخيه الحسن... وقد اشتهر النقل عنه (عليه السلام) أنه كان يكرم الضيف ويمنح الطالب ويصل الرحم وينيل الفقير ويسعف السائل ويكسو العاري ويشبع الجائع ويعطي الغارم ويشد من الضعيف ويشفق على اليتيم ويعين ذا الحاجة، وقل أن وصله مال إلا فرقه. وروي أن معاوية لما قدم مكة وصله بمال كثير وثياب وافرة وكسوات وافية فرد الجميع عليه ولم يقبل منه، وهذه سجية الجواد وشنشنة الكريم وسمة ذي السماحة وصفة من قد حوى مكارم الأخلاق؛ فأفعاله المتلوثة شاهدة له بصفة الكرم، ناطقة بأنه متصف بمحاسن الشيم^(١).

قال شعيب بن عبد الرحمن الخزاعي: وجد علي ظهر الحسين بن علي يوم الطف أثر، فسألوا زين العابدين عن ذلك؟ فقال: هذا مما كان ينقل الجراب علي ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين^(٢).

وخرج الحسن إلى سفر فأضل طريقه ليلاً فمرّ براعي غنم، فنزل عنده فألطفه وبات عنده، فلما أصبح دلّه على الطريق، فقال له الحسن: إني ماض إلى ضيعتي ثم أعود إلى المدينة، ووقت له وقتاً وقال له: تأتيني به.

فلما جاء الوقت شغل الحسن بشيء من أموره عن قدوم المدينة، فجاء الراعي وكان عبداً لرجل من أهل المدينة، فصار إلى الحسين وهو يظنّنه الحسن فقال: أنا العبد الذي بتّ عندي ليلة كذا ووعدتني أن أصير اليك في هذا الوقت...

١ - نقلها عنه في كشف الغمة في ترجمة الحسين (عليه السلام) / السابع في كرمه

وجوده.

٦٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وأراه علامات عرف الحسين أنه الحسن. فقال الحسين له: لمن أنت يا غلام؟
فقال: لفلان. فقال: كم غنمك؟ قال: ثلاث مائة. فأرسل إلى الرجل فرغبه حتى
باعه الغنم والعبد، فأعتقه ووهب له الغنم مكافأة لما صنع مع أخيه، وقال: إن الذي
بات عندك أخي وقد كافأك بفعلك معه^(١).

من مفردات التنظير

فمما قاله الإمام الشهيد الحسين بن علي (عليه السلام) في هذا الموضوع:

١ - كتب إليه أخوه الحسن يلومه على عطاء الشعراء فكتب إليه: أنت أعلم
مني بأن خير المال ما وقى العرض^(٢).

العلة الكامنة وراء هذا البذل والعطاء

أقول: لعل سرّاً أو فلسفة كتابة الحسن (عليه السلام) إليه، من جهة
محاولة اطلاع الآخرين على العلة الكامنة وراء هذا البذل والعطاء للشعراء من
قبل الحسين، مما قد يجعل تصرفه (عليه السلام) محلّ التساؤل والاستغراب
عند بعض الناس، لا سيما من قبل الذين يستشعرون النقص في شخصياتهم
وأنفسهم؛ فيحاولون جاهدين الإسراع برشق التهم والأباطيل والتهجم على
الأشراف والأكابر والأسر المرموقة. وبهذه الوسيلة الذكية المشار إليها، يكون

١ - مقتل الحسين، ١ / ١٥٣

٢ - نزهة الناظر / ٨٣، والتمثيل والمحاضرة للتعالي / ٣٠ وفيه: خير المال ما وقى به

الإمام الحسن قد درء عن أخيه العظيم المفدى شبهة الجاهلين، وطيش السفهاء والمرتابين، وإلا فإن علم الحسن ومعرفته لا يقصر عن علم الحسين ومعرفته (سلام الله عليهما).

ولا نستبعد أبداً أن يكون الحسن السبط (عليه السلام) بنفسه ممن يصدق على بعض الشعراء أحياناً؛ اقتداءً بسنة جده وأبيه (صلوات الله عليهما)، فحينئذ تكون كتابته لأخيه الحسين إنما هي للعلّة المشار إليها، أو لغيرها من العلل.

ومن أجل المزيد من تسليط الضوء على هذا الموضوع المهمّ فكرةً وتطبيقاً نذكر ما قاله ورام بن أبي فراس الأشتري صاحب كتاب مجموعة ورام في هذا المجال^(١)؛ وأما المروءة فنعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف، في ضيافة وهدية وإعانة، وما يجري مجراه فإن هذه لا تسمى صدقة، بل الصدقة ما تسلم إلى المحتاج، إلا أن هذا أيضاً من الفوائد الدينية؛ إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء، وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسخياء. فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروءة. وهذا أيضاً مما يعظم الثواب فيه؛ فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام، من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها.

وأما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء، وثلب السفهاء، ودفع شرهم، وقطع ألسنتهم. وهذا أيضاً مع توخي فائدته في العاجلة، من الحظوظ الدينية أيضاً.

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة. فكيف لا، وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة، واحتراز عما يشور من

٦٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
كلامه من العداوة التي تحمل في المكاره والانتقام على مجاوزة الحد في
الشرع. انتهى.

وللإمام علي كلمات تنسجم ومقالة الحسين (عليه السلام) وتدعم
محتواها؛ فلترجع في الكتاب القيم «غرر الحكم» فمن جملتها:

- لم يذهب من مالك ما وقى عرضك.
- وفور الأموال بانتقاص الأعراض لوؤم.
- ما أذل النفس كالحرص ولا شأن العرض كالبخل.
- أفضل الغنى ما صين به العرض.
- الجود حارس الأعراض.
- الكرم إيثار العرض على المال.
- ما حصنت الأعراض بمثل البذل.
- وفور الدين والعرض بابتذال الأموال.
- وفور العرض بابتذال المال.

ومن هنا يعلم الانسجام الفكري التام والتلاحم الرئوي الأكيد ما بين
مفاهيم وتعاليم وتوجيهات الرسول وأئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، فلا
تضارب ولا تعارض حقيقي ما بينهم، حتى في المواقع التي يظن فيها المتسرعون
عدم الانسجام، وليس الأمر الذي بين أيدينا إلا شيئاً يسيراً من دلائل التلاحم
الفكري والتناغم الرئوي المنير الساطع.

تحية بطاقة ريحان

٢ - قال أنس بن مالك^(١): كنت عند الحسين فدخلت عليه جارية بيدها
طاقة ريحان فحيتته بها فقال لها: أنت حرة لوجه الله تعالى.

فقلت : تُحييك بطاقةٍ لا خطرَ لها فتعتقها؟!!

فقال : كذا أدبنا الله تعالى ، قال : « وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا »^(١).

بِذْلِ التَّحِيَّةِ مِنْ مَخَاسِنِ الْأَخْلَاقِ

إِنَّ بِذْلَ التَّحِيَّةِ مِنْ مَخَاسِنِ الْأَخْلَاقِ كَمَا رَوَى ذَلِكَ عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامِ)^(٢) وَلَا رَيْبَ أَنْ حُسْنَ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ مِنْ عَلَائِمِ الْإِيمَانِ وَمَعَالِمِ الْإِسْلَامِ ، وَلَقَدْ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ «ص» أَفْشَاءَ السَّلَامِ فِي الْعَالَمِ مِنْ مَوَاصِفَاتِ أَوْلِي النَّهْيِ^(٣) ، كَمَا قَالَ «ص» مُؤَكِّدًا عَلَى الْمُنْحَى ذَاتَهُ : إِذَا التَّقِيْتُمْ فَتَلَاقُوا بِالسَّلَامِ وَالتَّصَافِحِ وَإِذَا تَفَرَّقْتُمْ فَتَفَرَّقُوا بِالِاسْتِغْفَارِ^(٤).

وَلِلْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَحَادِيثٌ وَأَفْرَةٌ فِي الْأَهْمِيَّةِ الْقَصْوَى لِلتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ (عَلَيْهِ التَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ) :

— طَلَاقَةُ الْوَجْهِ بِالْبَشْرِ وَالْعَطِيَّةُ ، وَفَعْلُ الْبِرِّ وَبِذْلُ التَّحِيَّةِ ، دَاعٍ إِلَى مَحَبَّةِ الْبِرِّيَّةِ^(٥).

— بِذْلُ التَّحِيَّةِ مِنْ حَسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالسَّجِيَّةِ^(٦).

— سَنَةُ الْأَخْيَارِ لِيْنِ الْكَلَامِ وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ^(٧).

— إِذَا لَقِيْتُمْ إِخْوَانَكُمْ فَتَصَافَحُوا وَأَظْهَرُوا لَهُمُ الْبِشَاشَةَ وَالْبِشْرَ؛ تَتَفَرَّقُوا وَمَا عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَوْزَارِ قَدْ ذَهَبَتْ^(٨).

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ (ع) : إِذَا سَلِمَ أَحَدُكُمْ فَلِيَجْهَرُ بِسَلَامِهِ لَا يَقُولُ سَلِمْتُ قَلَمَ يَرُدُّوهُ عَلَيَّ وَلَعَلَّهُ قَدْ يَكُونُ قَدْ سَلِمَ وَلَمْ يَسْمَعَهُمْ ، وَإِذَا رَدَّ أَحَدُكُمْ فَلِيَجْهَرُ بِرُدِّهِ لَا

١ - النساء، الآية / ٨٦. ٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٩٩٤٣.

٣ - الديلمي، أعلام الدين / ١١٥. ٤ - الطبرسي، مشكاة الأنوار / ١٩٧.

٥ - غرر الحكم، الحكمة / ٩٩٣٨. ٦ - المصدر، الحكمة / ٩٩٤٤.

٧ - المصدر، الحكمة / ٩٩٤٥. ٨ - بحار الأنوار، ١٠ / ١١٢.

٧٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

يقول المسلم سلمت فلم يردوا علي^(١).

عرفنا النبيلَ بتحمُّله لما لا يجب

في الحقيقة إن كثيراً من الناس يلتفتون جيداً إلى تحيات وترحيب الأكاير، أو من هم في طبقتهم من الأشراف والأماثل، أو على الحد الأدنى إلى من لم يكونوا من المُستخدَمين أو من المُسحوقين، فهم بالنتيجة يحترمون ويعتبرون تحيات وترحيب أولئك دون هؤلاء ويحيونها بأحسن منها أو يردونها.

أما الإمام الحسين (عليه السلام) في مدرسته العلوية الروحية العملاقة والتي لها من شفافية الخلق وسمو النفس ما لا يستطيع وصفه البيان البليغ مهما ارتقى فهي التي تحنو على المُستخدَمين والمسحوقين ولها من القيم السماء ما تثمن بها جهودهم المبذولة وطيبهم المعهود وإخلاصهم وتحياتهم وصدق تعاملهم، وتعطي كل ذي حق حقه.

إنَّ الفارق ما بين أخلاقية اللئيم حقاً وأخلاقية الكريم حقاً لفارق كبير جداً؛ فالأول يختزل كلَّ المبررات ويتهرب من كل الدوافع السليمة الداعية إلى البرِّ والإحسان والخيريَّة والتعاون البناء بشتى وسائل التهرب والالتواء، والثاني يرحب ويحتضن كلَّ المبررات ويتطلع لكل الدوافع السليمة الداعية إلى البرِّ والإحسان والخيريَّة والتعاون البناء بشتى وسائل التطلع والتصدي والتفاعل الإيجابي والعمل المثمر.

ولقد كنا عبّرنا سابقاً عن هاتين الظاهرتين الاجتماعيتين المتضاربتين واللتين طالما تحدثان على صعيد الواقع العملي بصور شتى بقولنا: عرفنا النبيلَ

بتحمُّله لما لا يجب، والرَّذلَ بتخلُّصه مما يجب^(١).

تكون الصنِيعَة مثل وابل المطر

٣ - وقال رجل عند الحسين بن علي: إن المعروف إذا أسدي إلى غير أهله ضاع. فقال الحسين (عليه السلام): ليس كذلك، ولكن تكون الصنِيعَة مثل وابل المطر، تصيب البرَّ والفاجر.

وقد ورد نحوه فيما جاء عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (رض)، أنه سمع قائلاً ينشد:

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً

حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ المَصْنَعِ

فقال: إنَّ هذا الشعر يبخلُّ الناس، ولكن تكون الصنِيعَة كوابل المطر، تصيب البرَّ والفاجر.

شرُّ خصال الملوك

٤ - وقال الحسين (عليه السلام): شرُّ خصال الملوك: الجبن من الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل عند الإعطاء^(٢).

المَرْمَى السياسي

وهذه الحكمة البالغة صحيحة في نفسها بلا ريب سواء كان المقصود بها

١ - وأتينا هذا المعنى بالصياغة الشعرية في ملحمة لامية الموحدين فقلنا:

عرفنا النبلَ الفدَّ في حملٍ مثقلٍ من الخير لم يُفرض لمن يتحمَّلُ
ورذلاً عرفناه بفنِّ تَخْلِصٍ من الخير لما أوجسبوه وأوكلوا

٧٢..... فلسفة الجُرد والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
المرمى السياسي أم لا . وأغلب الظن أن الحسين وإن جاء بها كمفهوم عام ومفيد
لمختلف السامعين والمتلقين ، إلا أنه (سلام الله عليه) قاصد للمرمى السياسي
والاعلام الدقيق عن صفات الملوك من أعداء أئمة آل محمد « صلى الله عليه
وآله وسلم » بشكل عام ؛ فصفحات التأريخ طالما أنبأتنا عن مواصفات هؤلاء
الملوك المعادين والمغتصبين : الجبن من الأعداء ، والقسوة على الضعفاء ، والبخل
عند الإعطاء .

لا ترفع حاجتك إلا الى أحد ثلاثة

٥ - وجاء رجل من الأنصار الى الإمام الحسين (عليه السلام) يريد أن
يسأله حاجة ، فقال (عليه السلام) : يا أخا الأنصار صُنْ وجهك عن بذلة المسألة ،
وارفع حاجتك في رقعة فإني آتٍ فيها ما سرّك إن شاء الله .

فكتب : يا أبا عبد الله إن لفلان عليّ خمسمائة دينار ، وقد ألحّ بي فكلّمه
ينظرني الى ميسرة . فلما قرأ الحسين (عليه السلام) الرقعة دخل الى منزله
فأخرج صرّة فيها ألف دينار . وقال له : أما خمسمائة فاقض بها دينك ، وأما
بخمسمائة فاستعن بها على دهرك ، ولا ترفع حاجتك إلا الى أحد ثلاثة : الى ذي
دين ، أو مروّة ، أو حسب . فأما ذو الدين فيصون دينه ، وأما ذو المروّة فإنه
يستحي لمروّته ، وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في
حاجتك ، فهو يصون وجهك بغير قضاء حاجتك^(١) .

١- تحف العقول / ٢٤٧ / وعنه (عليه السلام) (أي الإمام الحسين) في قصار هذه

المعاني وبحار الأنوار ٧٥ / ١١٨ باب ٢٠ - مواظب الحسين بن أمير المؤمنين .

ذو دين ومرؤة وحسب

إذا ما كانت الفرصة لا تتاح لذوي الصلاح والشرف أو للطيبين من الناس أن يرفعوا حاجاتهم إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مرؤة، أو حسب، فمن حسن حظ هذا الرجل الأنصاري وعلامات توفيقه أن رفع الحاجة التي من تجتمع فيه هذه المواصفات الحميدة جميعاً بأروع أشكالها ومضامينها ومناهجها؛ فدين الإمام الحسين دين لا يُناظر، ومرؤة الإمام الحسين مرؤة لا تُماثل، وحسب الإمام الحسين حسب لا يُشاكل، و«اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»^(١).

إِنَّ خَيْرَ مَالِكَ مَا وَقَيْتَ بِهِ عِرْضَكَ

٦ - في كتاب أنس المجالس: أَنَّ الْفِرْزْدِقَ أَتَى الْحُسَيْنَ لَمَّا أَخْرَجَهُ مِرْوَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَمِائَةَ دِينَارٍ. فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ شَاعِرٌ فَاسِقٌ. فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): إِنَّ خَيْرَ مَالِكَ مَا وَقَيْتَ بِهِ عِرْضَكَ، وَقَدْ أَثَابَ رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كَعْبَ بْنَ زَهَيْرٍ، وَقَالَ فِي عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ: اقْطَعُوا لِسَانَهُ عَنِّي^(٢).

العطاء يقطع اللسان

كان النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قد أعطى العباس بن مرداس السلمي أربعة من الإبل من غنائم وقعة حنين؛ فسخطها وقال يومئذ أبياته العينية: أتجعل نهبي ونهب العبيد.

١ - الأنعام من الآية المباركة / ١٢٤.

٢ - البحار، ٤٤ / ١٨٩ - ١٩٠، ورسائل ابن أبي الدنيا رسالة مكارم الأخلاق / ٤٥٣ وفيه: يا أبا عبد الله أعطيت شاعراً مبتهراً. والابهار اطلاق التهمة على الناس زوراً وباطلاً.

٧٤..... فلسفة الجُرد والإينار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

فبلغ النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ذلك فأحضره وقال: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟ فقال له أبو بكر: بأبي أنت وأمي لست بشاعر. قال: وكيف قال؟ قال: بين عيينة والأقرع. فقال رسول الله «ص»: قم يا علي إليه فاقطع لسانه. فقال العباس: فوالله لهذه الكلمة كانت أشدّ علي من يوم خشع حين أتونا في ديارنا. فانطلق بي وإني لأودّ أن أخلص منه فقلت: أنتقطع لساني؟ قال: إني ممضٍ فيك قول رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم». فما زال حتى أدخلني الحظائر وقال: خذ ما بين أربع إلى مائة. فقلت: بأبي أنت وأمي ما أكرمكم وأحلمكم وأعلمكم.

فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أعطاك أربعاً وجعلك مع المهاجرين فإن شئت فخذها، وإن شئت فخذ المائة وكن مع أهل المائة. قال: قلت: أشرّ عليّ. قال: إني آمرك أن تأخذ ما أعطاك وترضى. قلت: فإني أفعل.

جود الحسين يضمّد العواطف

٧- عبأ عمر بن سعد أصحابه.. وفي ذلك الوقت وصل الخبر إلى محمد بن بشير الحضرمي أن ابنه قد أسر بثغر الرّيّ فقال: عند الله أحتمسبه ونفسي، ما كنت أوثر أن يؤسر وأبقى بعده. فسمع الحسين (عليه السلام) قوله فأذن له في المضي فقال: أكلتني السباع حياً إن فارقتك. فأعطاه خمسة أثواب بروداً قيمتها ألف دينار، وقال: احملها مع ولدك هذا لفك أخيه. فحملها معه^(١).

من السجايا العظيمة التي تكاد أن تكون من مختصات أهل البيت النبوي: الجود في كل حال مهما أمكن سواء كان مع الأعداء أو الأصدقاء، أو مع الوضعين

المختلفين من الاقلال والاكثر، أو مع الأمرين المتباينين من الحرب والسلام.

وفي ما يختص بالشأن الأخير ما جاء في هذا الكتاب من إكرام الإمام أمير المؤمنين لعدوه في الحرب وأثناء المبارزة بسيفه الذي يقاتل به وما كان في ذلك من أثر طيب على الخصيم المبارز، وفي كتاب «تأريخ المدينة المنورة» للنميري وهو يتحدث عن انفجار الينابيع المائية المفاجئة في أرض الإمام علي: فأتي علي (رضى الله عنه) فبشر بذلك فقال: بشر الوارث^(١). ثم تصدق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله وأبناء السبيل القريب والبعيد، في السلم والحرب.

وفي الخبر الحالي وبيننا يعبأ قائد الجيش الأموي عمر بن سعد أصحابه لحرب الإمام الحسين بن علي إذا بالإمام لا يغيب الجود وحسن الكرم عن أحاسيسه وتفكيره، فيمنح تلك الثياب الباهظة الثمن والتي قيمتها ألف دينار إلى أحد أصحابه الأماجد لتحرير ولده من وثاق الأسر والاعتقال.

وقد أثار الكرم الحسيني حفيظة أحد المقيمين في أمريكا فكتب إلى الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء لما رآه قد ذكر الخبر في كتابه «نبذة من السياسة الحسينية»^(٢) بما مختصره: إن الخمسة أثواب التي أعطاها الحسين إلى محمد بن بشير الحضرمي كان يزيد ثمن الواحد منها على مائة ليرة عثمانية، لا يتوافق اقتناؤها بهذا الثمن الباهظ من قبل الحسين مع دواعي الزهد التي كانت متجسمة في أبيه وجده سيد الرسل... إن هذه الرواية - على ما فيها من استقراء في النقل - تصور لنا الحسين مسرفاً، طامعاً في خير الدنيا أكثر من الآخرة، بينما لو رجعنا إلى استقصاء ورع الحسين وزهده وتقواه لوجدنا ذلك أنه لا يتوافق ورغبة الحسين في تضييد عواطف الفقراء المجروحة، والترفيه على كل بائس محتاج.

١ - في نسخة الكتاب (يسر الوارث.). وكأنه تصحيف بشر الوارث.

٢ - نبذة من السياسة الحسينية / ٢٣ - ٢٤.

٧٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

وقد أجابه صاحب الأدلة العلمية والبحوث الموضوعية والبيان السامق الرفيع بما موجزه: كأنك تحسب أن الزهد هو الفقر وعدم الوجدان، وأن الغناء والثروة تنافي الزهد؟ لا يا عزيزي، حقيقة الزهد هو عدم الحرص على المال وعدم المبالاة في الدنيا، وحقيقة الزهد لا تظهر ولا تتجلى إلا مع توفر النعم وغازاة المال وبذله وعدم الحرص. أما الفقير المعدم الذي لا يجد ولا يملك شيئاً فأبي زهد له،؟ وأي فضيلة له في هذا الزهد القهري؟ وقد سئل الحسن البصري أنت أزهد أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: عمر بن عبد العزيز أزهد مني؛ لأنه وجد فعفّ، وتمكن فكفّ..

أقول: ما أحسن وأروع ما يقوله المقيم في أمريكا مجيباً عن سؤاله واشكاله من حيث لا يعلم: رغبة الحسين في تضييد عواطف الفقراء المجروحة، والترفيه على كل بائس محتاج، فما كل ما يحوزه الكريم المفضل من الأموال يعود إلى منافع الشخصية، وإذا حاز الكرم الأموال، فقد حازها النساء والرجال. وبالفعل كان الأمر كذلك فقد ضمد الإمام الحسين بتلك الثياب الفاخرة عواطف الأسير المضطهد وعواطف أبيه القلق الحيران.

تعزير مؤشرات التقشير

ومما قاله الإمام الشهيد الحسين بن علي (عليه السلام):

٨ - عمرو بن دينار قال: دخل الحسين عليّ أسامة بن زيد^(١)، وهو مريض،

١ - أسامة بن زيد من خيار الصحابة وأكابرهم بايع علياً (عليه السلام) ولكنه توقف عن القتال معه لشبهة عرضت له، إلا أنه كان مخلصاً له. وقد ذكر أبو عمرو الكشي عن محمد بن مسعود، قال حدثني أحمد بن منصور، عن أحمد بن الفضل، عن محمد بن زياد، عن سلمة بن محرز، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: ألا أخبركم بأهل الوقوف؟ قلنا بلى. قال: أسامة بن زيد وقد رجع فلا تقولوا إلا خيراً...

وهو يقول: واغمّاه، فقال له الحسين: وما غمّك يا أخي؟

قال: ديني وهو ستون ألف درهم.

فقال الحسين: هو عليّ.

قال: إني أخشى أن أموت.

فقال الحسين: لن تموت حتى أقضيها عنك.

فقضاها قبل موته (١).

٩ - وخطب الحسين (سلام الله عليه) في الناس داعياً لهم إلى المنافسة في المكارم، وإلى التسارع إلى الجود والعطاء قائلاً: أيها الناس نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغنم، ولا تحسبوا بمعروف لم تعجلوه، واكتسبوا الحمد بالنجح، ولا تكتسبوا بالمطل ذمّاً، فمهما تكن لأحد عند أحد صنيعه له رأى أنه يقوم بشكرها، فالله له بمكافأته فإنه أجزل عطاء وأعظم أجراً. واعلموا أن حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم، فلا تملّوا النعم فتحوزوا نقماً، واعلموا أن المعروف يكسب حمداً ويعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسرّ الناظرين، ويفوق العالمين، ولو رأيتم اللؤم رجلاً رأيتموه سمجاً مشوّهاً تنفر منه القلوب، وتغضّ دونه الأبصار.

وذكر الكشي ما وجدته في كتاب أبي عبد الله الشاذاني، قائلاً: حدثني جعفر بن محمد المديني، عن موسى بن القاسم البجلي عن صفوان عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبد الله، عن آبائه (عليهم السلام) قال: كتب علي (عليه السلام) إلى والي المدينة: لا تعطين سعدا ولا ابن عمر من الفيء شيئاً، فأما أسامة بن زيد فإنني قد عذرتك في اليمين التي كانت عليه.

وجاء في رجال الكشي: حدثنا محمد بن مسعود، قال: حدثني علي بن محمد قال: حدثني محمد بن أحمد، عن سهل بن زادويه، عن أيوب بن نوح، عن رواء، عن أبي مريم الأنصاري، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إن الحسن بن علي (ع) كفن أسامة بن زيد في برد أحمر

٧٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
أيها الناس من جاد ساد، ومن بخل رذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا
يرجو، وإن أعفى الناس من عفى عند قدرته، وإن أوصل الناس من وصل من
قطعه، والأصول على مغارسها، بفروعها تنمو. فمن تعجل لأخيه خيراً وجده
إذا قدم عليه غداً. ومن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة التي أخيه.. كافأه بها في كل
وقت حاجة، وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منها.. ومن نفّس كربة مؤمن
فرّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة.. ومن أحسن أحسن الله إليه، والله يحب
المحسنين^(١).

١- وقال لمعاوية: من قبل عطاءك فقد أعانك علي الكرم^(٢).

١١- مالك إن لم يكن لك كنت له، فلا تبق عليه فإنه لا يبقى عليك، وكله قبل
أن يأكلك^(٣).

١٢- روي عن الحسين بن علي (ع) أنه قال: صحّ عندي قول النبي «ص»:
أفضل الأعمال بعد الصلاة إدخال السرور في قلب المؤمن بما لا إثم فيه، فأتني
رأيت غلاماً يواكل كلباً فقلت له في ذلك.

فقال: يا بن رسول الله إني مغموم أطلب سروراً بسروره؛ لأنّ صاحبي
يهودي أريد أفارقه.

فأتني الحسين إلى صاحبه بمائتي دينار ثمناً له.

١ - نزهة الناظر / ٨١ - ٨٢، وكشف الغمة، ٢ / ٢٩، والتذكرة الحمدونية لمحمد بن
الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، ١ / ٢٥٤، ونهاية الإرب لشهاب الدين النويري، السفر
الثالث / ٢٠٥.

٢ - المصدر / ٨٣، دخلت أعرابية علي خالد القسري فأنشدت في مدحه رجزاً طويلاً،
فقال لها خالد: هذه حاجتك دوننا.

فقالت: والله لئن كان لي نفعها، إن لك أجرها وذخرها، مع أن أهل الجود لو لم يجدوا من يقبل
العطاء، لم يوصفوا بالسخاء.

٣ - نزهة الناظر، ٨٤ - ٨٥.

فقال اليهودي: الغلام فداء لخطاك، وهذا البستان له، ورددت عليك المال.

فقال (عليه السلام): وأنا قد وهبت لك المال.

قال: قبلت المال ووهبته للغلام.

فقال الحسين (عليه السلام): أعتقت الغلام ووهبته له جميعاً.

فقالت امرأته: قد أسلمت ووهبت زوجي مهري.

فقال اليهودي: وأنا أيضاً أسلمت وأعطيتها هذه الدار^(١).

١٣ - علم أبو عبد الرحمن السلمي^(٢) ولد الحسين «الحمد» فلمّا قرأها

على أبيه أعطاه ألف دينار، وحشاً فاه دُرّاً. فقيل له في ذلك. فقال: وأين يقع هذا من عطائه. يعني تعليمه^(٣).

١٤ - وفي أسانيد أخطب خوارزم أورده في كتاب له في مقتل آل الرسول:

أن أعرابياً جاء إلى الحسين بن علي وقال: يا ابن رسول الله قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها، فقلت في نفسي أسأل أكرم الناس، وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله «ص».

فقال الحسين: يا أبا العرب أسألك عن ثلاث مسائل فإن أجبت عن واحدة

أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبت عن الكل أعطيتك الكل.

فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله أمثلك يسأل عن مثلي وأنت من أهل بيت

١ - البحار، ٤٤ / ١٩٤.

٢ - في البحار ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: عبد الرحمن السلمي والصحيح ما أثبتناه. وكان أبو عبد الرحمن من تقات أصحاب علي (عليه السلام)، ومن أكبر القراء وقد أخذ القراءة عن علي وعبد الله بن مسعود.

٣ - البحار، ٤٤ / ١٩١، ومناقب آل أبي طالب، ٤ / ٦٦.

٨٠..... فلسفة الجُردِ والإينارِ لدى الإمامِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالبٍ (عليه السلام)

العلم والشرف؟

فقال الحسين (عليه السلام): بلى سمعت جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يقول: المعروف بقدر المعرفة.

فقال الأعرابي: سل عما بدا لك، فإن أجبت وإلا تعلمت منك ولا قوة إلا بالله.

فقال الحسين (عليه السلام): أيُّ الأعمال أفضل؟

فقال الأعرابي: الإيمان بالله.

فقال الحسين (عليه السلام): فما النجاة من المهلكة؟

فقال الأعرابي: الثقة بالله.

فقال الحسين (عليه السلام): فما يزين الرجل؟

فقال الأعرابي: علم معه حلم.

فقال: فإن أخطأه ذلك؟

فقال: مال معه مروءة.

فقال: فإن أخطأه ذلك؟

فقال: فقر معه صبر.

فقال الحسين (عليه السلام): فإن أخطأه ذلك؟

فقال الأعرابي: فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فإنه أهل لذلك. فضحك الحسين ورمى بصرّة إليه فيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه وفيه فصّ قيمته مائتا درهم فقال: يا أعرابي أعطِ الذهب إلى غرمائك، واصرف الخاتم في نفقتك.

فأخذه الأعرابي وقال: «اللَّهُ أَغْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»^(١).

١٥ - روى السيد ولي الله الرضوي في مجمع البحرين في مناقب السبطين ، عن الحسن البصري قال : كان الحسين (عليه السلام) سيّداً زاهداً ورعاً صالحاً ناصحاً حسن الخلق ، فذهب ذات يوم مع أصحابه إلى بستان له وكان في ذلك البستان غلام يقال له صافي ، فلما قرب من البستان رأى الغلام يرفع الرغيف فيرمي بنصفه إلى الكلب ويأكل نصفه ، فتعجب الحسين (عليه السلام) من فعل الغلام فلما فرغ من الأكل قال : الحمد لله رب العالمين اللهم اغفر لي ولسيدي وبارك له كما باركت على أبيه يا أرحم الراحمين . فقام الحسين (عليه السلام) ونادى يا صافي . فقام الغلام فرعاً وقال : يا سيدي وسيّد المؤمنين إلى يوم القيامة إني ما رأيتك فأغف عني . فقال الحسين (عليه السلام) : اجعلني في حل يا صافي دخلت بستانك بغير إذنك . فقال صافي : بفضلِكَ وكرمِكَ وسؤدّدِكَ تقول هذا ! فقال الحسين (عليه السلام) : إني رأيتك ترمي بنصف الرغيف إلى الكلب وتأكل نصفه فما معنى ذلك ؟ فقال الغلام : يا سيدي إن الكلب ينظر إلي حين أكل فأني أستحي منه لنظره إلي وهذا كلبك يحرس بستانك من الأعداء وأنا عبدك وهذا كلبك ناكل من رزقك معاً . فبكى الحسين (عليه السلام) ثم قال : إن كان كذلك فأنت عتيق لله . ووهب له ألف دينار . فقال الغلام : إن أعفقتني فأني أريد القيام بستانك . فقال الحسين (عليه السلام) : إن الكريم إذا تكلم بكلام يتبني أن يصدقه بالفعل البستان أيضاً وهبته لك وإني لما دخلت البستان قلت اجعلني في حل فأني قد دخلت بستانك بغير إذنك كنت قد وهبت البستان بما فيه غير أن هؤلاء أصحابي لأكلهم الثمار والرطب فاجعلهم أضيافك وأكرمهم لأجلي أكرمك الله يوم القيامة وبارك لك في حسن خلقك ورأيك . فقال الغلام : إن وهبت لي بستانك فأني قد سبّلته لأصحابك^(١) .

تنظيرُ الإمام علي بن الحسين

كان الإمام علي بن الحسين بن علي (عليه السلام) ضياء العالمين، وقدوة المهتدين، وزين العابدين، وكان عظيم الاهتمام بالجود والإيثار والإحسان^(١)، ولما وجّه يزيد بن معاوية عسكره لاستباحة المدينة ضمّ علي بن الحسين أربعمئة مُنافيَّة يعولهنَّ الى أن انقرض جيش مسلم بن عقبة فقالت امرأة منهن: ما عشت والله بين أبويّ بمثل ذلك التشريف^(٢).

ولما مدحه الفرزدق بقصيدته العصماء:

١ - واشتهرت فيه قصيدة الفرزدق همام بن غالب حينما تجاهله هشام بن عبد الملك أيام الحج، والتي منها فيما يشير الى روائع جوده وإحسانه، والى جود وكرم أهل بيته الطيبين الطاهرين عموماً:

حلوا الشمائل تحلو عنده نعم	خَمَالٌ أَثْقَالٌ أَقْوَامٌ إِذَا فَدَحُوا
عنها العماية والإملاق والظلم	عَمَّ الْبِرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ
تستوكفان ولا يعرفهما عدم	كَلَّتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
يزينه خصلتان الحلم والكرم	سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تَخْشَى بَوَادِرَهُ
رحب الفناء أرب حين يستمر	لَا يَخْلَفُ الْوَعْدَ مَيْمُونًا نَقِيْبَتَهُ
كفر وقريهم منجى ومعتصم	مَنْ مَعَشَرَ حَبِيْبِهِمْ دِيْنَ وَبَغْضَهُمْ
ويستزاد به الإحسان والنعم	يَسْتَدْفَعُ السُّوْءَ وَالْبَلْوَى بِحَبِيْبِهِمْ
في كل فرض ومختوم به الكلم	مَقْدَمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللّٰهِ ذِكْرُهُمْ
أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم	إِنْ عَدَّ أَهْلَ التَّقَى كَانُوا أُنْتَمَهُمْ
ولا يدانيهم قوم وإن كرموا	لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ غَايَتِهِمْ
والأسد أسد الشرى والبأس محتدم	هَمُّ الْغِيُوْثِ إِذَا مَا أَزْمَتْ أَزْمَتْ
خيم كريم وأيد بالندى هضم	يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ الذَّمُّ سَاحَتِهِمْ
سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا	لَا يَقْبِضُ الْعَسْرَ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ
محمد وعلي بعده علم	فَسَجْدُهُ مِنْ قَرِيْشٍ فِيْ أَزْمَتِهَا

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأْتَهُ

وَالْبَيْتَ يَعْرِفُهُ وَالْحِجْلُ وَالْحَرَمُ

حبسه هشام بن عبد الملك بعسفان بين مكة والمدينة وغضب غضباً شديداً من القصيدة، فبلغ ذلك علي بن الحسين فبعث إليه باثني عشر ألف درهم وقال: اعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به. فردّها وقال: يا ابن رسول الله ما قلت هذا الذي قلت إلا غضباً لله ولرسوله، وما كنت لأرزا عليه شيئاً. فردّها إليه وقال: بحقي عليك لما قبلتها فقد رأى الله مكانك وعلم نيتك. فقبلها^(١).

وجاء في كتاب «الوقف في الفكر الاسلامي» للأستاذ المغربي محمد بن عبد العزيز بن عبد الله وهو من خيرة علماء المذهب المالكي: كان الإمام علي بن الحسين زين العابدين من أكثر الناس رحمة بالبوّساء لا يعلم أن أحداً من أصدقائه عليه دّين إلا أدّى دينه عنه، فقد دخل عليّ محمد بن أسامة بن زيد يعود فوجده يبكي فسأله عن بكائه فقال: علي خمسة عشر ألف دينار. فقال: هي علي. وكان يقول: صدقة الليل تطفىء غضب الرب وتثير القلب والقبر وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة^(٢).

ومن كلمات الإمام علي بن الحسين فيما يخص الجود والايثار:

١ - ابن شهر آشوب السروي، المناقب / ٤ - ١٧١. وكان أئمة آل البيت (ع) إذا وهبوا شيئاً إلى بعض الناس ثم أرجعوه اليهم لسبب من الأسباب لا يقبلونه بل يصرون على انفاذه، وفي كتاب الفنون: نام رجل من الحاج في المدينة فتوهم أن هميانه سرق، فخرج فرأى جعفر الصادق مصلياً ولم يعرفه فتعلق به وقال له: أنت أخذت همياني. قال: ما كان فيه؟ قال: ألف دينار. قال: فحمله إلى داره ووزن له ألف دينار. وعاد إلى منزله ووجد هميانه فعاد إلى جعفر معترداً بالمال فأبى قبوله وقال: شيء خرج من يدي لا يعود إلي. قال: فسأل الرجل عنه فقيل: هذا جعفر الصادق. قال: لا جرم هذا فعال مثله. ذكره السروي في كتابه «المناقب» ٤ / ٢٧٤.

٢ - الوقف في الفكر الاسلامي، ١ / ١٢٧.

إن الكريم يسترُّ سرورين

١ - الكريم يبتهج بفضله ، واللئيم يفتخر بملكه^(١) .

يتحدث علي بن الحسين (عليه السلام) عن خُلُقَيْن متفاوتين أحدهما خلق الكريم الملازم له - ما تمكَّن من الانعام والافضال - وهو الابتهاج والمسرة، ومن أين لا يفرح وينشرح صدر الكريم وهو يحقق أمنيته الغالية بإكرامه للآخرين وحلِّ معضلاتهم .

والحقيقة ان الكريم يسترُّ سرورين وهما سروره بإكرامه للآخرين وقدرته على حلِّ معضلاتهم، وسروره باشتراكه إشتراكاً طيباً بفرحة من فرحوا بإكرامهم وإرفاد أحد المحسنين الكرماء لهم .

وثاني الخلقين اللذين تحدث عنهما علي بن الحسين خُلُق اللئيم وهو يملك فيفتخر بما أوتي وإن لم يقدم شيئاً يذكر، أو يمنح ما فيه الكفاية؛ وذلك لأنَّ المال عنده أمنية غالية قد حصل عليها لتوظف إليه مآربه وتبلغه حاجاته الشخصية وان كانت في درجة السقوط، بل إن كثيراً من اللؤماء يفتخرون بالملك ويفرحون بالأموال في الوقت الذي يبخلون بها حتى على أنفسهم وذويهم وأقرب الناس اليهم «لِبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»^(٢) . مع العلم أنه (لا فخر في المال إلا مع الجود) على حدِّ تعبير الإمام علي بن أبي طالب^(٣) .

إن خُلُق اللئيم - وهو يملك - الافتخار والزهو بما أوتي وإن لم يكسبه الملك جاهاً ووقاراً أو عزَّة وكرامةً أو منصباً سياسياً أو مقاماً اجتماعياً، أو غير ذلك مما هو محطُّ الفخار والاعتزاز بين الناس . فحسب اللئيم أنه يملك ويشترُّ أمواله ثم لا شيء وراء ذلك .

١ - نهاية الإرب للنويري، السفر الثالث / ٢٠٥، والتذكرة الحمدونية لمحمد بن الحسن

المعروف بابن حمدون، ٢ / ٢٦١ والنظرية السياسية لدى الأمام زين العابدين / ٣١٢ .

٢ - البقرة، الآية / ١٠٢ . ٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٤٨٦ .

الجود استعداد للموت

٢ - عن سفيان بن عيينة قال: رأى الزهري علي بن الحسين ليلة باردة مطيرةً وعلي ظهره دقيق وحطب وهو يمشي فقال له: يا بن رسول الله ما هذا؟ قال: أريد سفرًا أعدّ له زاداً أحمله إلى موضع حريز. فقال الزهري: فهذا غلامي يحمله عنك، فأبى. قال: أنا أحمله عنك؛ فإني أرفعك عن حمله. فقال علي بن الحسين: لكنني لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري، ويحسن ورودي علي ما أرد عليه، أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك وتركنتني، فانصرف عنه. فلما كان بعد أيام قال له: يا بن رسول الله «ص» لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثراً؟ قال: يا زهري ليس ما ظننت ولكنه الموت، وله كنت أستعد، إنما الاستعداد للموت تجنب الحرام وبذل الندى والخير^(١).

الموت حاكمٌ مستبدٌ، شديدٌ في وطأته، قاهرٌ في سطوته، عريقٌ في قسوته، جبارٌ في صولته، سواءً أتى فجاءةً وبغتةً، أو رويداً وتمهلاً. إذا فلا بد من الاستعداد الكافي واللازم، لملاقاة استبداد الحاكم العاتي، روى فضالة عن إسماعيل عن أبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام) قال: كان عيسى ابن مريم (عليه السلام) يقول: هوّل لا تدري متى يلقاك ما يمنعك أن تستعدّ له قبل أن يفجأك^(٢). وعن عبد الصمد بن بشير عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قلت له: أصلحك الله من أحب لقاء الله أحب لقاءه، ومن أبغض لقاء الله أبغض لقاءه؟ قال: نعم. قلت: فوالله إنا لنكره الموت. فقال: ليس ذلك حيث تذهب إنما ذلك عند المعاينة، إن المؤمن إذا رأى ما يحب [عين الموت] فليس شيء أحب إليه من أن [يقدم على الله] يتقدم والله يحب لقاءه، وهو يحب لقاء الله حينئذ، وإذا رأى ما يكره فليس شيء أبغض إليه من لقاء الله عز وجل والله عز وجل يبغض لقاءه^(٣).

وقد وجّهنا الإمام سيد العابدين وزين المتقين (عليه السلام)، إلى طريقة الاستعداد وكيفيته قائلاً بإيجاز مفيد: الاستعداد للموت تجنب الحرام، وبذل

١ - محمد بن علي الصدوق، علل الشرائع / ٨٨، ووسائل الشيعة ٤ / ٢٧٩ - ٢٨٠.

٢ - الحسين بن سعيد الأهوازي، الزهد / ٨١.

٣ - الأهوازي، الزهد / ٨٣.

النَّدَى وَالْخَيْرِ .

إِنَّ تَجَنُّبَ الْحَرَامِ آيَةٌ تَحْمِلُ التَّقْوَى، وَبِذَلِ النَّدَى وَالْخَيْرِ آيَةٌ الْإِسْتِعْدَادِ لِلْقِيَا. وَمَا أَكْثَرَ الَّذِينَ يَسْتَعِدُّونَ لِلْمَوْتِ عَنْ طَرِيقِ تَجَنُّبِ الْحَرَامِ إِلَّا أَنَّهُ مَا أَقْلُ الَّذِينَ يَسْتَعِدُّونَ لِلْمَوْتِ عَنْ طَرِيقِ تَجَنُّبِ الْحَرَامِ وَبِذَلِ النَّدَى وَالْخَيْرِ فِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ .

وَمَا أَرْوَعٌ وَأَحْسَنُ الْعِبْرَةَ الْمَسْتُوحَاةَ مِنْ تِلْكَ الْحِكَايَةِ الْجَمِيلَةِ الْوَاقِعَةِ فِي عَهْدِ النَّبُوَّةِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وَبَيْنَ أَحَدِ أَصْحَابِهِ حَيْثُ قَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِي لَا أَحِبُّ الْمَوْتَ؟

قَالَ: هَلْ مَعَكَ مِنْ مَالٍ؟

قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ: قَدِّمِ مَالَكَ فَإِنَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ مَعَ مَالِهِ؛ إِنْ قَدَّمَهُ أَحَبَّ أَنْ يَلْحَقَهُ، وَإِنْ خَلَفَهُ أَحَبَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ مَعَهُ (١).

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ الْعَمَلِيِّ مِنْ تَقْدِيمِ الْمَالِ وَبِذَلِ النَّدَى اسْتِعْدَاداً لِلْمَوْتِ أَوْ لِلِقَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَا وَرَدَ فِي تَرْجُمَةِ الصَّحَابِيِّ الْكَبِيرِ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» مِنْ تَأْرِيخِ مَدِينَةِ دَمَشَقَ لِابْنِ عَسَاكِرَ عَنْ بِلَالٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: يَا بِلَالُ اتَّقِ اللَّهَ فَقِيراً، وَلَا تَلْقَهُ غَنِيّاً .

قَالَ: قُلْتُ: وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: إِذَا رُزِقْتَ فَلَا تَخْبَأُ، وَإِذَا سُئِلْتَ فَلَا تَمْنَعُ .

قَالَ: قُلْتُ: وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: هُوَ ذَاكَ وَإِلَّا النَّارُ (٢)(٣).

١ - المحجة البيضاء ٦ / ٤٢ .

٢ - تأريخ مدينة دمشق ١٠ / ٤٦٥ .

٣ - وروى أبو بكر البيهقي في السنن الكبرى، والمتقي الهندي في كنز العمال من حديث

أبي هريرة أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» دخل على بلال وعنده صيرة من تمر فقال: ما هذا يا بلال؟ قال: تمر ادخرته. قال: أما تخشى يا بلال أن يكون له بخار من نار جهنم؟! أنفق

مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَفْرَعَ أَبْوَابَ الْجَنَانِ

٣- يروى عن جابر بن يزيد الجعفي في حديث طويل أنه قال: قلت لعلي بن الحسين (عليه السلام): يا ابن رسول الله هل بعد ذلك شيء يقصّرهم؟ قال (عليه السلام): نعم إذا قصروا في حقوق إخوانهم ولم يشاركوهم في أموالهم، ولم يشاوروهم في سرّ أمورهم وعلائبتهم، واستبدوا بحطام الدنيا دونهم، فهناك يسلب المعروف، ويسلخ من دونه سلخاً، ويصيبه من آفات هذه الدنيا وتلايها ما لا يطيقه ولا يحتمله من الأوجاع في نفسه وذهاب ماله وتشتت شمليه؛ لما قصّر في برّ إخوانه. قال جابر: فأغتممت والله غمماً شديداً وقلت: يا ابن رسول الله ما حقّ المؤمن على أخيه المؤمن؟ قال: يفرح لفرجه إذا فرح ويحزن لحزنه إذا حزن ويؤدّ أموره كلها فيحصّلها، ولا يغمّ لشيء من حطام الدنيا الفانية إلا واساه حتى يجريان في الخير والشر في قرن واحد. قلت: يا سيدي فكيف أوجب الله كل هذا للمؤمن على أخيه المؤمن؟ قال (عليه السلام): لأنّ المؤمن أخ المؤمن لأبيه وأمه على هذا الأمر لا يكون أخاه وهو أحق بما يملكه. قال جابر: سبحان الله ومن يقدر على ذلك؟ قال (عليه السلام): من يريد أن يفرع أبواب الجنان ويعانق الحور الحسنان ويجمع معاً في دار السلام.

قال جابر: فقلت: هلكت والله يا ابن رسول الله لأنني قصرت في حقوق إخواني ولم أعلم أنه يلزمني على التفصير كل هذا ولا عشره، وأنا أتوب إلى الله تعالى يا ابن رسول الله بما كان مني من التفصير في رعاية حقوق إخواني المؤمنين^(١).

الترغيب والترهيب منهج متميز وعظيم من ثواب المناهج الأخلاقية والاجتماعية والسياسية في القرآن الكريم وسنة النبي الأمين «صلى الله عليه

وآله وسلم» كما نجد له امتدادات واسعة في سيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ولا ريب أن له أكبر الأدوار العملية الناجحة في تنشيط دوافع الخير والفضل والإحسان وتفعيلها لدى المؤمنين بالله تعالى في شتى الأزمان والأصقاع، وعلى سبيل المثال ما الآيات القرآنية التي تصف الجنات وتبشر بها وتشوق إلى الحلول فيها والتنعم بكرامتها وخيراتها وبركاتها، وكذا الآيات القرآنية التي تصف النيران وتذمر منها وتحذر من مغبة الوقوع في ويلاتها ولهواتها، والاستيطان ما بين أطباق جمراتها، إلا معالم واضحة وبارزة من معالم منهج الترغيب والترهيب في النظرية الإلهية الهادفة إلى بث نفحات الخير والتعاون ما بين الأسرة البشرية واثرائها بأفاق الرحمة والعطف والفضل والاحسان، وإلى تقليص منافذ السموم والشر والتنافر والاساءة ما بين جماعاتها وأفرادها.

والنص الحالي هذا واحد من تلك النصوص الكثيرة المروية عن الإمام السجاد (عليه السلام) والتي تشكل ضمن السياقات المركزية لمنهج الترغيب والترهيب في النظرية الإلهية المباركة. فلماذا يُسلب من بعض الناس المعروف، وَيُسْلَخُ مِنْ دُونِهِ سَلْخًا، وَيُصِيبُهُ مِنْ آفَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا وَيَلَايَهَا مَا لَا يُطِيقُهُ وَلَا يَحْتَمِلُهُ مِنَ الأَوْجَاعِ فِي نَفْسِهِ وَذَهَابِ مَالِهِ وَتَشْتِ شَمْلِهِ؟

إنه إنما يتلقى ببدنه ومهجته وأمنيته كل تلك النصول الحادة للعذاب والهوان والدمار المعنوي والمادي (لِمَا قَصَرَ فِي بَرِّ إِخْوَانِهِ) مادياً ومعنوياً.

وأما ذياتك الانسان الشفيف القلب الملائكي الروح الذي ما طفق ناهضاً وقائماً بأعباء المسؤولية الأخوية، وما فتأ واقفاً إلى جانب المؤمن ناصراً ومعيناً في شتى الأوضاع والأحوال و(يَفْرَحُ لِفَرَجِهِ إِذَا فَرَخَ وَيَحْزَنُ لِحَزَنِهِ إِذَا حَزَنَ وَيُنْفِذُ أَمْرَهُ كُلَّهَا فَيَحْصِلُهَا، وَلَا يَغْتَمُّ لَشَيْءٍ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ إِلَّا وَاسَاءَهُ حَتَّى يَجْرِيانِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي قَرْنٍ وَاحِدٍ) فهذا الذي يبشره الإمام السجاد (عليه السلام) بالبشارة الكبرى والخير الأعظم ويرغبه بالسعادة الأبدية والعيشة الهائنية الرغيدة؛ إذ لا يسعى ويكدح لأداء حقوق الإخوة بالرغم من صعوباتها ومشاقها إلا (مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَفْرَعَ أَبْوَابَ الْجَنَانِ وَيُعَانِقَ الحُورَ الْجِسَانَ وَيَجْتَمِعَ مَعَنَا فِي دَارِ السَّلَامِ).

تعزير مؤشرات التنظير

٤ - وقال علي بن الحسين في رسالته المعروفة برسالة الحقوق وهي رسالة متواترة المضمون: وأما حق السائل فاعطاؤه اذا تهيأت صدقة، وقدرت على سد حاجته، والدعاء له فيما نزل به، والمعاونة له على طلبته، وإن شككت في صدقه، وسبقت اليه التهمة له، ولم تعزم على ذلك، لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان؛ أراد أن يصدك عن حظك، ويحول بينك وبين التقرب إلى ربك، وتركته بستره، ورددته رداً جميلاً. وإن غلبت نفسك في أمره، وأعطيته فيما عرض في نفسك منه؛ فإن ذلك من عزم الأمور^(١).

٥ - وله (عليه السلام) في الرسالة ذاتها وهو الحق (٤٦): وأما حق المسؤول فحقه إن أعطى قبل منه ما أعطى بالشكر له، والمعرفة لفضله، وطلب وجه العذر في منعه، وأحسن به الظن. واعلم إنه إن منع فماله منع، وإن ليس التريب في ماله وإن كان ظالماً؛ فإن الإنسان لظلوم كَفَّار^(٢).

٦ - وأما حقّ ذي المعروف عليك فإن تشكره، وتذكر معروقه، وتنشر له المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله سبحانه، فإنك اذا فعلت ذلك، كنت قد شكرته سرّاً وعلانية. ثم إن أمكن مكافأته بالفعل كافأته، وإلا كنت مرصداً له، موطناً نفسك عليها^(٣).

٧ - وأما حقّ المال فإن لا تأخذه إلا من حِلِّه، ولا تنفقه إلا في حِلِّه، ولا تحرفه عن مواضعه، ولا تصرفه عن حقائقه، ولا تجعله اذا كان من الله إلا اليه سبب^(٤)، ولا تؤثر به على نفسك من لعلّه لا يحمذك، وبالحريّ أن لا يحسن خلافته في تركك، ولا يعمل فيه بطاعة ربك؛ فتكون معيناً له على ذلك، وبما أحدث في مالك أحسن نظراً لنفسه، فيعمل بطاعة ربّه فيذهب بالغنيمة، وتسبوء بالاثم والحسرة والندامة مع التبعة، ولا قوّة الا بالله^(٥).

١ - تحف العقول / ١٩٤. والخصال للشيخ الصدوق / أبواب الخمسين.

٢ - المصدران معاً / ١٩٠ - تحف العقول / ١٩٠.

٤ - في عبارة التحف: ولا تجعله اذا كان من الله الا اليه وسبب إلى الله. وأحسب أن ما

أثبتناه أجود. ٥ - تحف العقول / ١٩١ - ١٩٢.

٩٠..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

٨- عن الباقر (عليه السلام): إنَّ علي بن الحسين (ع) كان يخرج في الليلة الظلماء، فيحمل الجراب على ظهره، وفيه الصرر من الدنانير والدراهم، وربما حمل على ظهره الطعام أو الحطب، حتى يأتي باباً باباً، فيقرع ثم يناول من يخرج إليه، وكان يغطّي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه. فلما توفي فقدوا ذلك؛ فعلموا أنّه: كان علي بن الحسين.

ولمّا وُضع على المغتسل، نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الأبل، مما كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين. ولقد خرج ذات يوم وعليه مطرف خزّ، فتعرض له سائل فتعلّق بالمطرف فمضى وتركه. وكان يشتري الخبز في الشتاء فإذا جاء الصيف، باعه وتصدّق بثمنه... وكان يعول مائة أهل بيت من فقراء المدينة، وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضراء والزمناء والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، ومن كان له منهم عيال حمله من طعامه إلى عياله، وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ ويتصدّق بمثله^(١).

٩- أحمد بن محمد بن خالد البرقي باسناده عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: كان علي بن الحسين (عليه السلام) إذا كان اليوم الذي يصوم فيه يأمر بشاة فتذبح وتقطع أعضاؤها وتطبخ، فإذا كان عند المساء أكبّ على القدور حتى يجد ريح المرق وهو صائم، ثم يقول: هات القصع، اغرفوا لآل فلان، واغرفوا لآل فلان، حتى يأتي علي آخر القدور، ثم يأتي بخبز وتمر فيكون ذلك عشاؤه^(٢).

١٠- وقال لابنه محمد بن علي، المعروف بالإمام محمد الباقر (عليه السلام): كفّ الأذى، وقصّ الندى^(٣).

١١- في كتاب الغيلانيات لأبي بكر محمد بن عبد الله الشافعي: حدثنا بشر بن موسى ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا جعفر بن محمد عن أبيه (أن قيماً له جدّ ليلاً فنهاه وقال له علي الحسين: ألم تعلم أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» نهى

١- الخصال / ١٠٠، والوسائل، ٦ / ٢٧٦ - ٢٧٧.

٢- البرقي / المحاسن / كتاب المآكل / باب الإطعام في شهر رمضان / ٦٧.

٣- نزّهة الناظر: ٩١.

عن جِزَادِ اللَّيْلِ وَصِرَامِ اللَّيْلِ قَالَ: وَذَلِكَ أَنَّ الْمَسَاكِينَ لَا يَحْضُرُونَ اللَّيْلَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ جِزَادُ الْإِدْخَارِ^(١).

١٢ - فِي أَمَالِي الشَّيْخِ الْمَفِيدِ: أَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَوْلُوَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى عَنْ حَمَادٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْيَمَانِيِّ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الشَّمَالِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (ع) قَالَ: مَنْ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا مِنْ جَوْعَةٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ وَمَنْ سَقَى مُؤْمِنًا مِنْ ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ وَمَنْ كَسَا مُؤْمِنًا ثَوْبًا كَسَاهُ اللَّهُ مِنَ الثِّيَابِ الْخَضِرِ وَلَا يَزَالُ فِي ضَمَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ سَلَكٌ^(٢).

تَنْظِيرُ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ:

وَمِنْ ذَلِكَ تَنْظِيرُ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَسْمُومِ فِي التَّوْرَةِ بِبَاقِرِ الْعِلْمِ^(٣). (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِيمَا يَخْصُ الْإِيثَارَ وَالْإِحْسَانَ لِلنَّاسِ:

وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

١ - فِي كِتَابِ «عَلَلِ الشَّرَائِعِ» لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الصَّدُوقِ «رَضٍ»، وَكِتَابِ «التَّوْحِيدِ» لَهُ أَيْضًا^(٤). بِالْإِسْنَادِ إِلَى أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): كَانَ رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» يَتَعَوَّذُ مِنَ الْبَخْلِ؟

قَالَ: نَعَمْ فِي كُلِّ صَبَاحٍ مَسَاءً، وَنَحْنُ نَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْبَخْلِ إِنَّهُ يَقُولُ: «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» وَسَأَخْبِرُكَ عَنْ عَاقِبَةِ الْبَخْلِ: إِنْ قَوْمٌ لَوَطَ كَانُوا أَهْلَ قَرْيَةٍ أَشْحَاءَ عَلَى الطَّعَامِ؛ فَأَعْقَبَهُمُ الْبَخْلُ دَاءً لَا دَوَاءَ لَهُ فِي فُرُوجِهِمْ.

فَقُلْتُ: وَمَا أَعْقَبَهُمْ؟

١ - كِتَابُ الْغِيَلَاتِيَّاتِ الْحَدِيثِ / ٧٢.

٢ - أَمَالِي الشَّيْخِ الْمَفِيدِ، الْمَجْلِسُ الْأَوَّلُ، الْحَدِيثُ / ٥.

٣ - وَأَكَّدَ عَلِيُّ هَذَا الْمَعْنَى رَسُولُ اللَّهِ «ص»، وَأَمْرُ الصَّحَابِيِّ الْكَبِيرِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ أَنْ يُبَلِّغَهُ عَنْهُ السَّلَامَ، فَعَاشَ حَتَّى أَدْرَكَهُ وَيَبْلُغَهُ سَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ «ص».

٤ - وَانظُرْ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ لِلْجَزَائِرِيِّ / ١٣٣ - ١٣٤.

٩٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

فقال: إن قرية قوم لوط كانت على طريق السيارة تنزل بهم فيضيفونهم فلما أكثروا ذلك عليهم ضاقوا بذلك ذرعاً - بخلاً ولؤماً - فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه من غير شهوة بهم وإنما كانوا يفعلون ذلك بالضيف حتى ينكل النازل عنهم؛ فشاع أمرهم في القرى فأورثهم البخل بلاء لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم من غير شهوة إلى ذلك، حتى صاروا يطلبونه من الرجال في البلاد ويعطونهم عليه الجعل.

فقلت له: جعلت فداك فهل كان أهل قرية لوط كلهم يفعلون؟

فقال: نعم إلا أهل بيت منهم من المسلمين أما تسمع لقوله تعالى: «فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ». وإن لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة يدعوهم إلى الله عز وجل، وكان لوط رجلاً سخياً كريماً يقري الضيف إذا نزل به، ويحذرهم قومه، فلما رأى قومه ذلك قالوا: إنا ننهاك عن العالمين إن فعلت فضحناك في ضيفك.

فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه؛ لأنه لم يكن للوط عشيرة. ولم يزل لوط وإبراهيم (عليه السلام) يتوقعان نزول العذاب على قومه، وأن الله كان إذا أراد عذاب قوم لوط أدركته مودة إبراهيم وخلته ومحبة لوط فيؤخر عذابهم، فلما اشتد عليهم غضب الله وأراد عذابهم، وقضى أن يعوض إبراهيم من عذاب قوم لوط بغلام عليم؛ فيسلي به مصابه بهلاك قوم لوط؛ فبعث الله رسلاً إلى إبراهيم يبشرونه بإسماعيل فدخلوا عليه ليلاً ففرع، وخاف أن يكونوا سراقاً، فلما رآته الرسل مذعوراً قالوا: سلاماً قال سلاماً إنا منكم وجلون. قالوا: لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم. وهو إسماعيل. قال: فما خطبكم بعد الإشارة؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم لوط، لننذرهم عذاب رب العالمين فقال إبراهيم للرسول: إن فيها لوطاً. قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله أجمعين إلا أمراًته.

تعريزان لحديث الإمام الباقر

أ - ما جاء في رواية أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): كان رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يتعوذ من البخل؟

قال: نعم في كل صباح مساء. مؤيد ومُسدّد بما ذكر في صحيح مسلم عن أنس عن النبي «ص»: «كان النبي «صلى الله عليه وسلم» يدعو بهذه الكلمات: اللهم إني أعوذ بك من (البخل)، والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات^(١).

بما جاء في رواية أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) من وصف قوم لوط بالبخل مؤيد ومُسدّد المضمون بما ذكر في تفسير القرطبي عن رسول الله «ص»: «إن قوماً نزلوا بساحل البحر ففكر هو البخلهم نزول الأضياف بهم، فقالوا: ليبعد الرجال منا عن النساء؛ حتى يعتذر الرجال إلى الأضياف بعيد النساء، وتعتذر النساء بعيد الرجال، ففعلوا، وطال ذلك بهم؛ فاشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء^(٢).

مؤثّرات عاطرة

٢ - عن جابر الجعفي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: عبد الله عابداً ثمانين سنة، ثم أشرف على امرأةٍ فوقعت في نفسه فنزل إليها فراودها عن نفسها فتابعته، فلما قضى منها حاجته طرقة ملك الموت واعتقل لسانه، فمرّ سائل فأشار إليه أن خذ رغيفاً كان في كسائه؛ فأحبط الله عمله ثمانين سنة بتلك الزنية، وغفر له بذلك الرغيف^(٣).

أ - لا عجب أن تحبط أعمال هذا العابد الذي عبد الله ثمانين سنة بفاحشة ارتكبها عن قصد وعلم؛ لأن العبادة لم تنهه عن المنكر، لا سيما أنه قد بلغ من الكبر عتياً، فقد عبد الله ثمانين سنة فكم يكون عمره في السنة الأولى من العبادة؟
ب - ولما كانت الأعمال بخواتيمها وآخر عمل لهذا العابد أن أشار للسائل أن خذ رغيفاً؛ فيكون آخر عمل للعابد عملاً طيباً مباركاً مما يتقرب به الأنبياء والصديقون والصالحون إلى الله تعالى.

٩٤..... فلسفة الجرد والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

ج- والخبر عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) يدلنا على أن إطعام الطعام وإكرام السائل ولو بشيء يسير، مما تُغفر به الذنوب، وتُصحح به مسيرة الانسان.

تعزير مؤشرات التنظير

٣ - عن محمد بن مسلم قال: كنت في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فسقطت شرفة من شرف المسجد فوقعت على رجل فلم تضره وأصابته رجله، فقال أبو جعفر (عليه السلام) سلوه أي شيء عمل اليوم؟ فسأله، فقال: خرجت وفي كمي تمر فمررت بسائل فتصدقت عليه بتمر. فقال أبو جعفر (عليه السلام): بها دفع الله عنك^(١).

٤ - عن سدير الصيرفي عنه (عليه السلام): إن الصدقة لتدفع سبعين بليّة من بلايا الدنيا مع مائة سوء، إن صاحبها لا يموت مائة سوء أبداً مع ما يُدخر لصاحبها في الآخرة.

٥ - عن اسحاق بن غالب عن أبيه عن أبي جعفر (عليه السلام): البرّ وصدقة السرّ ينفيان الفقر، ويزيدان في الرزق، ويدفعان سبعين مائة سوء^(٢). ٦ - عن الحسن النصري عن أبي جعفر (عليه السلام): ألا أخبركم بخمس خصال هي من البرّ والبرّ يدعو إلى الجنّة؟ قلت: بلى. قال: إخفاء المصيبة وكتمانها، والصدقة تعطىها يمينك لا تعلم بها شمالك، وبرّ الوالدين فإن برهما لله رضا، والأكثر من قول لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، فإنه من كنوز الجنّة، والحبّ لمحمّد وآله^(٣).

٧ - عن ضريس بن عبد الملك عن أبي جعفر (عليه السلام): إن الله تبارك وتعالى يحبُّ إيراد الكبد الحرّى، ومن سقى كبداً حرّى من بهيمة وغيرها أظله الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه^(٤).

١ - الكافي، باب أن الصدقة تدفع البلاء، الحديث / ١١، والوسائل، ٤ / ٢٦٩.

٢ - الوسائل، ٦ / ٢٧٧، ٣ - الوسائل، ٦ / ٢٧٨.

٤ - الوسائل، ٦ / ٢٨٤.

٨- عن الوصافي عنه (عليه السلام): كان فيما ناجى الله عزَّ وجلَّ به موسى (عليه السلام): يا موسى أكرم السائل ببذلٍ يسيرٍ أو بردٍّ جميلٍ؛ لأنه يأتيك من ليس بانس ولا جان، بل ملائكة من ملائكة الرحمن يبلونك فيما خولتكَ، ويسألونك عمَّا نولتكَ، فانظر كيف أنت صانع يابن عمران^(١).

٩- وقال (عليه السلام): اعلم أن طالب الحاجة لم يكرم وجهه عن مسألتك فأكرم وجهك عن رده^(٢).

١٠- وقال (عليه السلام) يوماً لمن حضره ما المرؤة؟ فتكلموا فقال (عليه السلام): المرؤة أن لا تطمع فتذل، ولا تسأل فتقل، ولا تبخل فتشتم، ولا تجهل فتخصم.

فقيل: ومن يقدر على ذلك؟!

فقال (عليه السلام): من أحب أن يكون كالناظر في الحدقة، والمسك في الطيب، وكالخليفة في يومكم هذا في القدر^(٣).

١١- عن الحسن بن جهم قال: قال أبو الحسن لاسماعيل بن محمد وذكر له ابنه: تصدق نه. قال: إنه رجل. قال: فمره أن يتصدق ولو بالكسرة من الخبز، ثم قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): إن رجلاً من بني إسرائيل كان له ابن وكان له محبباً فأتى في منامه فقيل له: إن ابنتك ليلة يدخل بأهله يموت، قال: فلمّا كان تلك الليلة وبنى عليه أبوه فتوقّع أبوه ذلك فأصبح ابنه سليماً، فأتاه أبوه فقال له: يا بني هل عملت البارحة شيئاً من الخير؟ قال: لا، إلا أن سائلاً أتى الباب وقد كانوا أدخروا الي طعاماً فأعطيته السائل. فقال: بهذا دفع الله عنك^(٤).

١٢- باحتمال المؤمن تجب المؤدّة^(٥).

١٣- وقال (عليه السلام): من صنع مثل ما صنع إليه فقد كافأ، ومن أضعف

١ - الوسائل، ٦ / ٢٩١ - ٢٩٢.

٢ - تحف العقول / وروي عنه (عليه السلام) (أي الإمام الباقر) في قصار هذه المعاني.

٣ - المصدر / وروي عنه (عليه السلام) (أي الإمام الباقر) في قصار هذه المعاني.

٤ - الوسائل ٤ / ٢٦٢.

٥ - تحف العقول / وروي عنه (عليه السلام) (أي الإمام الباقر) في قصار هذه المعاني.

كان شكوراً، ومن شكر كان كريماً^(١).

١٤ - من علم أنه ما صنع كان إلى نفسه لم يستبطن الناس في شكرهم، ولم يستزدهم في مودتهم؛ فلا تلتمس من غيرك شكر ما آتيت به إلى نفسك ووقيت به عرضك^(٢).

١٥ - عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن مهران عن ابن مسكان عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: «سَيَطْرُقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قال: ما من عبد منع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله له ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار، يطوق في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب، وهو قول الله عز وجل: «سَيَطْرُقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قال: ما بخلوا به من الزكاة^(٣).

١٦ - روى ابن أبي الدنيا عن سليمان بن أكرم: كان محمد بن علي يجيز بالخمسمائة والستمائة إلى الألف، وكان لا يمل من مجالسة إخوانه^(٤).

١٧ - قال الشيخ الطوسي: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمد، قال: أخبرني أبو القاسم جعفر ابن محمد، قال: حدثنا محمد بن يعقوب، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن عمرو بن شمر، عن جابر، قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام) ونحن جماعة بعد ما قضينا نسكنا، فودعنا وقلنا له: أوصنا يا ابن رسول الله. فقال: ليعن قويمكم ضعيفكم، وليعطف غنيكم على فقيركم...^(٥).

١٨ - ابن أبي الدنيا باسناده عن حماد بن أبي حنيفة قال: كان أبو جعفر محمد بن علي يدعو نفعاً من إخوانه كل جمعة؛ فيطعمهم الطعام الطيب، ويطيبهم،

١ - المصدر / وروي عنه (عليه السلام) (أي الإمام الباقر) في قصار هذه المعاني

٢ - تحف العقول / وروي عنه (عليه السلام) (أي الإمام الباقر) في قصار هذه المعاني

٣ - الكافي، ٣ / ٥٠٥، الحديث / ١٠.

٤ - أمالي الطوسي / ٤١٠ - ٢.

٥ - الإخوان / ٢١٦.

ويخرجهم، ويروحون إلى المسجد من منزله^(١).

١٩ - وقالت سلمى مولاة الباقر (عليه السلام) وهي تتحدث عنه وتصف إحسانه وجوده: كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب، ويكسوهم الثياب الحسنة، ويهب لهم الدراهم، فأقول له في ذلك ليقُلَّ منه فيقول: يا سلمى ما حسنة الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف، وفي رواية: يا سلمى ما يُؤمَّلُ في الدنيا بعد المعارف والأخوان^(٢).

٢٠ - وعن الأسود بن كثير: شكوت إلى أبي جعفر الحاجة وجفاء الإخوان فقال: لبس الأخ أخ يرعاك غنياً، ويقطعك فقيراً. ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم فقال: استنفق هذه فاذا فرغت فأعلمني^(٣).

٢١ - وكان لا يُسمع من داره يا سائل بورك فيك، ولا يا سائل خذ هذا، وكان يقول: سمّوهم بأحسن أسمائهم^(٤).

٢٢ - وقال: ويحك يا مغرور، ألا تحمد من تعطيه فانياً ويعطيك باقياً، درهم يفتنى، بعشرة تبقى، إلى سبعمائة ضعف مضاعفة، من جواد كريم^(٥).

٢٣ - ويروى عنه (عليه السلام): إن شئت أن لا تعامل أحداً إلا ولك الفضل عليه، فافعل^(٦).

٢٤ - وقال (عليه السلام): ما من عبد يمتنع من معونة أخيه المسلم، والسعي له في حاجته قضيت أو لم تقض، إلا ابتلي بالسعي في حاجة فيما يؤثم عليه ولا يؤجر، وما عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضي الله، إلا ابتلي بأن ينفق أضعافها فيما يسخط الله^(٧).

٢٥ - وقال (عليه السلام): إن الله كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في

١ - الإخوان / ٢٣٧.

٢ - ابن أبي الدنيا، الإخوان / ٢١٥، والاربلي، كشف الغمة / ٢ / ١١٨، ١٢٦.

٣ - الإخوان / ٢١٧، والاربلي، كشف الغمة، ٢ / ١١٩.

٤ - كشف الغمة: ٢ / ١٥٠. ٥ - تحف العقول / ٢١١.

٦ - المصدر نفسه / ٢١٣. ٧ - المصدر نفسه / ٢١٤.

٩٨..... فلسفة الجود والإنثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

المسألة، وأحب ذلك لنفسه. إن الله جل ذكره يحب أن يُسأل، ويُطلب ما عنده^(١).

٢٦- ويروى عنه (صلوات الله عليه) القول: إن الله جعل للمعروف خلقاً من أهله، حبَّب اليهم المعروف، وحبَّب اليهم فعاله، ووجَّه إلى طلاب المعروف الطلب اليهم، ويسَّر لهم قضاءه، كما يسر الغيث للأرض المجدبة، ليحييها، ويحيي أهلها. وإن الله جعل للمعروف أعداءً من خلقه، بغَّض اليهم المعروف، وبغَّض اليهم فعاله، وحظر إلى طلاب المعروف التوجه اليهم، وحظر عليهم قضاءه، كما يحظر الغيث على الأرض المجدبة، ليهلكها ويهلك أهله، وما يعفو الله عنه أكثر^(٢).

٢٧- وقال (عليه السلام): مَنْ صنع مثل ما صنع إليه فقد كافأ، ومن أضعف فقد كان شكوراً، ومن شكر فقد كان شكوراً، ومن علم أنما صنع كان إلى نفسه، لم يستبطأ الناس في شكرهم، ولم يستزدهم في مودتهم، فلا تلتمس من غيرك شكر ما آتيت به إلى نفسك، ووقيت به عرضك. واعلم أن طالب الحاجة، لم يكرم وجهه عن مسألتك، فاكرم وجهك عن رده^(٣).

٢٨- وقال (عليه السلام): لو يعلم السائل ما في المسألة، ما سأل أحد أحداً، ولو يعلم المسؤول ما في المنع ما منع أحد أحداً^(٤).

٢٩- وقال (عليه السلام): إن لله عبداً ميامين مياسير، يعيشون ويعيش الناس في أكنافهم، وهم في عباده مثل القطر، والله عباد ملاعين مناكيد، لا يعيشون ولا يعيش الناس في أكنافهم، وهم في عباده مثل الجراد، لا يقعون إلا أتوا عليه^(٥).

٣٠- البرقي بإسناده عن عبيد الله الوصافي عن أبي جعفر أنه قال: إن الله يحب إراقة الدماء، وإطعام الطعام، وإغاثة اللفهان^(٦).

٣١- روى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه سمعه يقول:

١- المصدر نفسه.

٢- المصدر نفسه / ٢١٥

٣- المصدر نفسه / ٢١٩

٤- المصدر نفسه.

٥- المصدر نفسه / ٢١٩ - ٢٢٠

٦- المحاسن / كتاب المآكل / الحديث ١٠

ثلاث خصال هنّ من أحب الأعمال إلى الله: مسلم أطعم مسلماً من جوع، وفك عنه كربة، وقضى عنه دينه^(١).

٣٢ - وعن أبي حمزة أيضاً عنه (عليه السلام) انه قال: من أطعم ثلاثة نفر من المسلمين، أطعمه الله من ثلاث جنان ملوك السماء الفردوس، ومن جنة عدن، ومن شجرة في جنة عدن غرسها ربي بيده^(٢).

٣٣ - وعن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سئل محمد بن علي (عليه السلام): ما يعدل عتق رقبة؟ قال: إطعام رجل مسلم^(٣).

٣٤ - عن ثابت الثمالي^(٤). قال لي أبو جعفر (عليه السلام): يا ثابت أما تستطيع أن تعتق كل يوم رقبة؟ قلت: لا والله جعلت فداك ما أقوى على ذلك. قال فقال: أما تستطيع أن تعشي أو تغدي أربعة من المسلمين؟ قلت: أما هذا فأنا أقوى عليه. قال: هو والله يعدل عند الله عتق رقبة^(٥).

٣٥ - عن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر قال: لئن أحج حجة أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة ورقبة، حتّى انتهى إلى عشر، ومثلها ومثلها حتّى انتهى إلى سبعين، ولإن أعلّ أهل بيت من المسلمين أشبع جوعتهم وأكسو عورتهم وأكف وجوههم عن الناس أحبّ إليّ من أن أحج حجة وحجة حتّى انتهى إلى عشر وعشر، ومثلها ومثلها حتّى انتهى إلى سبعين^(٦).

٣٦ - عن أبي اسماعيل أنّه سأل أبا جعفر (عليه السلام): جعلت فداك إنّ الشيعة عندنا كثير، فقال: فهل يعطف الغنيّ على الفقير؟ وهل يتجاوز المحسن عن المسيء؟ ويتواسون؟ فقلت: لا. فقال: ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من

١ - المصدر نفسه / الحديث ١٢.

٢ - المصدر نفسه / الحديث ٤٣.

٣ - المصدر نفسه / الحديث ٤٥.

٤ - المقصود به أبو حمزة الثمالي العار الذكر ثابت بن مالك بن دينار الثمالي الأزدي من

أكابر أصحاب أهل البيت (عليه السلام) ومن أركان الحديث.

٥ - المصدر نفسه / الحديث ٥١.

٦ - وسائل الشيعة، ٢٠ / ٢٥٩ - ٢٦٠، ومثله عن أبي جعفر (عليه السلام) أيضاً في

الكافي، ٤ / ٢ / باب فضل الصدقة، والوسائل، ٦ / ٢٥٩ - ٢٦٠.

٩٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

المسألة، وأحب ذلك لنفسه. إن الله جل ذكره يحب أن يُسأل، ويُطلب ما عنده^(١).

٢٦- ويروى عنه (صلوات الله عليه) القول: إن الله جعل للمعروف خلقاً من أهله، حبَّب اليهم المعروف، وحبَّب اليهم فعاله، ووجَّه إلى طلاب المعروف الطلب اليهم، ويسَّر لهم قضاءه، كما يسر الغيث للأرض المجدبة، ليحييها، ويحيي أهلها. وإن الله جعل للمعروف أعداءً من خلقه، بغَّض اليهم المعروف، وبغَّض اليهم فعاله، وحظر إلى طلاب المعروف التوجه اليهم، وحظر عليهم قضاءه، كما يحظر الغيث على الأرض المجدبة، ليهلكها ويهلك أهله، وما يعفو الله عنه أكثر^(٢).

٢٧- وقال (عليه السلام): مَنْ صنع مثل ما صنع إليه فقد كافأ، ومن أضعف فقد كان شكوراً، ومن شكر فقد كان شكوراً، ومن علم أنما صنع كان إلى نفسه، لم يستبطناً الناس في شكرهم، ولم يستردهم في مودتهم، فلا تلتمس من غيرك شكر ما آتته إلى نفسك، ووقيت به عرضك. واعلم أن طالب الحاجة، لم يكرم وجهه عن مسألتك، فاکرم وجهك عن رده^(٣).

٢٨- وقال (عليه السلام): لو يعلم السائل ما في المسألة، ما سأل أحد أحداً، ولو يعلم المسؤول ما في المنع ما منع أحد أحداً^(٤).

٢٩- وقال (عليه السلام): إن لله عبداً ميامين مياسير، يعيشون ويعيش الناس في أكنافهم، وهم في عباده مثل القطر، والله عباد ملاعين مناكيد، لا يعيشون ولا يعيش الناس في أكنافهم، وهم في عباده مثل الجراد، لا يقعون إلا أتوا عليه^(٥).

٣٠- البرقي باسناده عن عبيد الله الوصافي عن أبي جعفر أنه قال: إن الله يحب إراقة الدماء، وإطعام الطعام، وإغاثة اللهفان^(٦).

٣١- روى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه سمعه يقول:

١ - المصدر نفسه.

٢ - المصدر نفسه / ٢١٥

٣ - المصدر نفسه / ٢١٩

٤ - المصدر نفسه.

٥ - المصدر نفسه / ٢١٩ - ٢٢٠

٦ - المحاسن / كتاب المآكل / الحديث ١٠

ثلاث خصال هنّ من أحب الأعمال إلى الله : مسلم أطعم مسلماً من جوع ، وفك عنه كربة ، وقضى عنه دينه^(١).

٣٢ - وعن أبي حمزة أيضاً عنه (عليه السلام) انه قال : من أطعم ثلاثة نفر من المسلمين ، أطعمه الله من ثلاث جنان ملوك السماء الفردوس ، ومن جنة عدن ، ومن شجرة في جنة عدن غرسها ربي بيده^(٢).

٣٣ - وعن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سئل محمد بن علي (عليه السلام) : ما يعدل عتق رقبة ؟ قال : إطعام رجل مسلم^(٣).

٣٤ - عن ثابت الثمالي^(٤) . قال لي أبو جعفر (عليه السلام) : يا ثابت أما تستطيع أن تعتق كل يوم رقبة ؟ قلت : لا والله جعلت فداك ما أقوى على ذلك . قال فقال : أما تستطيع أن تعشي أو تغدي أربعة من المسلمين ؟ قلت : أما هذا فأنا أقوى عليه . قال : هو والله يعدل عند الله عتق رقبة^(٥).

٣٥ - عن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر قال : لئن أحج حجة أحب إليّ من أن أعتق رقبة ورقبة ، حتى انتهى إلى عشر ، ومثلها ومثلها حتى انتهى إلى سبعين ، ولإن أعلّ أهل بيت من المسلمين أشبع جوعتهم وأكسو عورتهم وأكف وجوههم عن الناس أحب إليّ من أن أحج حجة وحجة حتى انتهى إلى عشر وعشر ، ومثلها ومثلها حتى انتهى إلى سبعين^(٦).

٣٦ - عن أبي اسماعيل أنه سأل أبا جعفر (عليه السلام) : جعلت فداك إن الشيعة عندنا كثير ، فقال : فهل يعطف الغنيّ على الفقير ؟ وهل يتجاوز المحسن عن المسيء ؟ ويتواسون ؟ فقلت : لا . فقال : ليس هؤلاء شيعة ، الشيعة من

١ - المصدر نفسه / الحديث ١٢ .

٢ - المصدر نفسه / الحديث ٤٣ .

٣ - المصدر نفسه / الحديث ٤٥ .

٤ - المقصود به أبو حمزة الثمالي المار الذكر ثابت بن مالك بن دينار الثمالي الأزدي من

أكابر أصحاب أهل البيت (عليه السلام) ومن أركان الحديث .

٥ - المصدر نفسه / الحديث ٥١ .

٦ - وسائل الشيعة ، ٢٠ / ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ومثله عن أبي جعفر (عليه السلام) أيضاً في

الكافي ، ٤ / ٢ / باب فضل الصدقة ، والوسائل ، ٦ / ٢٥٩ - ٢٦٠ .

١٠٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

يفعلون ذلك^(١).

٣٧ - عن سعيد بن الحسن : إنَّ أبا جعفر الباقر (عليه السلام) قال : أيجيء أحدكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه ؟ فقلت : ما أعرف ذلك فينا . فقال أبو جعفر : فلا شيء إذا . قلت : فالهالك إذا ؟ فقال : إنَّ القوم لم يعطوا أحلامهم بعد^(٢) .

مَنْ لَمْ يَكُنْ سَخِيًّا ، لَمْ يَكُنْ شَيْعِيًّا

إضافة إلى هذين الحديثين الأخيرين حول عدم صدق حقيقة التشيع على البخلاء وإن انتسبوا ظاهراً إليه ، ماسياً تي - إن شاء الله - عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، ونحوه عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ما يؤكد هذا المعنى ويعززه .

كل ذلك من أجل أن يعلم أئمة أهل البيت شيعتهم وغير شيعتهم : أن التشيع - حق التشيع - سخاء وجود وإيثار ، وإنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ سَخِيًّا ، لَمْ يَكُنْ شَيْعِيًّا ، وإنَّ أَحَبَّ أَهْلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ بقلبه ولسانه وتظاهر بذلك ما بين القريب والبعيد^(٣) . لا ريب أنَّ أهل البيت النبوي من أجود البشر وأسمحهم بالنفس والمال ، فلماذا نرى بعض من ينتسب إلى شيعتهم ، ويحشر نفسه في صفوفهم ، لا يقتدي بسلوكهم الوضّاء ومسيرتهم الراشدة الحميدة ؟

تنظير الإمام جعفر الصادق

نحن الآن إزاء إمام الدين والدنيا وسيد الفقهاء في عصره وما تلاه من عصور ، عالم الشرق والغرب جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وهو يُنظر

٢ - الوسائل ، ٦ / ٢٩٩ .

١ - الوسائل ، ٦ / ٢٩٩ .

٣ - قال الإمام الصادق : امتحنوا شيعتنا عند ثلاث : عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها ، وعند أسرارهم كيف حفظهم لها من عدونا ، وعند أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها . ذكره الديلمي في أعلام الدين / ١٣٨ .

بقوة ثاقبة وسداد Good sense لموضوع الإحسان والايثار^(١)؛

الإحسان يخفف حدة التوتر

١ - قال الصادق (سلام الله عليه) : إني لأسارع إلى حاجة عدوي؛ خوفاً أن أردّه فيستغني عني^(٢).

روي نحو هذا المحتوى الجميل للرواية عن علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، ولا عجب في ذلك فإن حُسن الخلق والإحسان للصديق والعدو من شيمة محمد وآل محمد (ص). وتقدم ما يدلُّ عليه كذلك في موضوع إكرام الصديق والعدو.

والسؤال الذي يفرض نفسه لماذا الخوف من أن يرده فيستغني عنه، ثم أليس ترك العدو مشغولاً بحاجته مما يصرّفه عن الخصومة والاعتداء أو النزاع والمناوشة؟

١ - من جملة الكرم والجود العملي للإمام الصادق ما ذكره السروي في ترجمة الصادق (عليه السلام) من كتابه «المناقب» ٤ / ٢٧٣ - ٢٧٤: ابن حنيفة السابق قال: مرّ بنا المفضل وأنا وأختي نتشاجر في ميراث فوقف علينا ساعة ثم قال: تعالوا إلى المنزل. فأتيناها وأصلح بيننا بأربعمائة درهم ودفعها إلينا من عنده حتى يستوثق كل واحد منا ثم قال: أما إنها ليست من مالي ولكن أبا عبد الله أمرني إذا تشاجر رجلان من أصحابنا في شيء أصلح بينهما وأفتديهما من ماله فهذا مال أبي عبد الله (عليه السلام). وفي عروس الترماشيري أن سائلاً سأله حاجة فأسعفها فجعل السائل يشكره فقال (عليه السلام):

إذا ما طلبت خصال الندي	وقد عضك الدهر من جهده
فلا تطلبين إلى كالح	أصاب اليسارة من كده
ولكن عليك بأهل العلى	ومن ورت المجد عن جدّه
فذلك إذا جئته طالباً	تحب اليسارة من جدّه

٢ - كشف الغمة: ٢ / ٢٠٦. ولما حضرت الصادق (عليه السلام) الوفاة قال: أعطوا الحسن بن علي وهو الأفتس سبعين ديناراً. قيل له: أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة! فقال: ويحك ما تقرأ القرآن: «وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْجِنَابِ». الرعد، الآية / ٢١.

١٠٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

ومختصر الجواب أنّ الإحسان وقضاء حوائج الناس مما يسبب المحبة والانسجام ويخفف حدة التوتر، تسببياً يقتضيه منطق الفطرة الانسانية، وضرورة الأمر الواقع Necessity empiric كما يعبر الفلاسفة المعاصرون، ويدل عليه سيل من التجارب الاجتماعية في مختلف الأزمنة. علماً بأن الكثيرين من الطرف الثالث من أفراد المجتمع حينما يبصرون أخلاقية قضاء الحوائج التي يتسم بها الذي ينصف عدوه، بل ويحسن إليه ويقدم بين يديه ما يستغيه، فإنهم سوف يكونون إلى جانبه وصفه، لا سيما إذا تمادى الشخص المقابل بالنزاع والخصومة.

كما أن الأكابر فالأكابر من أولي الرفعة النفسية والشموخ الروحي والسمو الأخلاقي لا يتعاطم عليهم الإحسان وقضاء حوائج الناس من أي فريق كانوا من فرق المحبة أو العداة. وبتعبير آخر:

إنّ الأكابر حقاً من لا يكبر عليهم الإحسان إلى الأصدقاء والأعداء على حدّ سواء.

فقه كريم وفقه بخيل

٢- مرّ رجل بالإمام الصادق (عليه السلام) وهو يتغدى فلم يسلم، فدعاه إلى الطعام. فقيل له: السنّة أن يسلم ثم يدعى وقد ترك السلام على عمد. فقال: هذا فقه عراقيّ فيه بخل^(١).

من كلمة الصادق (عليه السلام) فقه عراقيّ فيه بخل، ومما نشاهده نظرياً وتلمسه عملياً، نستطيع أن نفهم أن الفقه الفعلي المطروح على أرض الواقع حول قضايا الجود والكرم وقضايا البخل واللؤم، يمكن تقسيمه إلى عدة أقسام: فمن ذلك الفقه الكريم ومثاله ما في هذه الرواية من الدعوة إلى الطعام وإن لم يسلم المارّ على المائدة، ومن ذلك الفقه البخيل أو الذي فيه بخل، ومثاله ما في هذه الرواية أيضاً من قول بعض فقهاء العراق: السنّة أن يسلم ثم يدعى، أي لا يدعى

الى الطعام إن لم يسلم على عمده .

كما نستطيع أن نعد من جملة هذه الأقسام الفقهية : الفقه اللثيم وهو قريب الشبه بدرجة شديدة من درجات البخل ، ومثاله ما عليه بعض الدوائر النافذة اقتصادياً والمنتفعة كثيراً من أموال المسلمين ؛ حيث تجيز لأنفسها وتبيح لعدد معين من المرتبطين بها والمنضمين الي لوائها الانتفاع الشره والاستفادة البشعة من الأموال ، في الوقت الذي قد أعدت فيه شتى الصيغ التحريمية والاحتياطات الوجوبية الجاهزة لكل من يستحق شيئاً من المال سواء تصدى للطلب منه ، أو لم يتصدّ واكتفى بالانتظار الطويل وبحسن الظن بإنصاف الطرف المقابل وإحسانه المرتقب . ولات حين انصاف وإحسان .

كان حاتم الطائي نسباً عظيماً لقبيلته

٣ - قال المفضل بن عمر : سألت أبا عبد الله (الإمام جعفر الصادق) عن الحسب ؟ فقال (عليه السلام) : المال . قلت : فالكرم ؟ قال : التقوى . قلت : فالسؤدد ؟ قال : السخاء . ويحك أما رأيت حاتم طي كيف ساد قومه وما كان بأجودهم موضعاً^(١) ؟

إن قول الإمام الصادق عن حاتم : ما كان بأجودهم موضعاً . أي من حيث النسب ؛ وهذا لا يعني أبداً أن حاتم كان وضيع النسب ، ولكن الرواية تنفي عنه أن يكون خير قبيله نسباً وأفضلهم أباً وجداً ، بل كان فيهم من هو خير منه وأفضل في خصوص هذه الجهة . إلا أن حاتم إن لم يكن أفضل قبيلته نسباً فلقد كان أفضلهم عملاً ، وأجملهم صنيعاً ، وأحسنهم قيماً إنسانية فاضلة تبقى لؤلؤة مشرقة في تاج الكرامة والخلود مدى التاريخ الانساني .

إن حاتم طيء قد رفع شأن قبيلته عالياً ، ولم يرتفع بقبيلته شيئاً ؛ لأنه كان خيراً منهم نفساً وطبيعة وفضلاً وخلقاً ، ولم يكونوا خيراً منه في هذه الأمور ولا في بعضها . بالطبع لا أعني أن في هذه القبيلة الكريمة نقصاً وضعة وهواناً ، ولكن

١٠٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

أعني أن منزلتها السامية دون منزلة حاتم، فهو يرفعها حيث تشاء ولا يرتفع بها حيث يشاء.

ومن كان في مثل حاتم الطائي في مجده وسؤدده وسموق وجاهته وموقعه فهو لا يحتاج إلى قبيلة مشهورة تعرفه، ولا نسب عريق يرفعه، ولا إلى أب ماجد يأخذ بضبعه إلى حيث الشموخ والثناء، قل لي برّبك متى كانت السماء العليا بمسيس حاجة إلى من يرفع شأنها وعلاها.

وبكلمة نافعة وجيزة: لقد كان حاتم الطائي نسباً عظيماً لقبيلته الجليلة؛ فبه يرفع شأنها من يعرفها، وبه يتعرفها من يجهلها. وربّ إنسانٍ خيرٍ من قبيلة، وقبيلةٍ خيرٍ من شعب.

الصدقةُ تدفعُ الدينَ، وتخلفُ بالبركة

٤ - ويروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) القول: إنَّ الصدقةَ تدفعُ الدينَ، وتخلفُ بالبركة^(١).

ثم بعض الغموض في قول الصادق (عليه السلام): إنَّ الصدقةَ تدفعُ الدينَ، وأعتقد أن معناه: أن الصدقة مسببة لسعة الرزق وتحسين الحالة المادية كما تنطق بذلك الروايات؛ فهي بذلك تمنع السبب المؤدي إلى الدين الذي يعبر في الأعم الأغلب من الحالات عن الحاجة والفقر وضيق الحال. وإلا فليست يستدين الإنسان مع ما في الدين من ذل وهوان، وقد يضاف إلى ذلك مشقة أداء الدين ومماطلة الدائن والحرص من لقاءه، بل يكره للإنسان في الشريعة أن يستدين إلا لضرورة معينة. ومن هذا نعرف أن مقدمة الدين حاجة وفقر وضيق حال، ونتيجة الدين ذل وهوان، وقد يضاف إلى ذلك مشقة أداء الدين والاضطرار إلى مماطلة الدائن، أي أن البلاء يحيط بالدين في المقدمة والنتيجة، وهذا هو البلاء المبرم والامتحان الأليم المفجع، والصدقة بحمد لله تبارك وتعالى تدفع البلاء وتطرده الفجيعة والألم والنقم.

من هذا الحديث الشريف (إنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ الدَّيْنَ، وتُخَلِّفُ بِالْبِرْكَاتِ) نَعْلَمُ أَنَّ الدَّورَ الإِيجَابِيَّ الفِعَالِ لِلصَّدَقَةِ لَا يَتَّصِرُ عَلَيَّ دَفْعَ الدَّيْنِ وَدَحْرَ قَوِيِّ الشَّدَةِ وَالبَلَاءِ، بَلْ أَنَّ الصَّدَقَةَ تَخَلِّفُ بِالْبِرْكَاتِ، بِمَعْنَى أَنَّ لَهَا دَوْرًا أُسَاسِيًّا فِي دَحْضِ البَلَاءِ وَدَوْرًا أُسَاسِيًّا كَذَلِكَ فِي القَاءِ البِرْكَاتِ عَلَيَّ الأَمْوَالِ، أَوْ عَلَيَّ مَا هُوَ الأَعْمُ مِنْهَا.

صَدَقَةُ اللَّيْلِ تَطْفَأُ غَضَبَ الرَّبِّ

٥ - فِي رِوَايَةِ المَعْلِيِّ بنِ حُنَيْسٍ قَالَ: خَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي لَيْلَةٍ قَدِ رَشَّتْ وَهُوَ يَرِيدُ ظِلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ، فَاتَّبَعْتَهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ اللّهُمَّ رُدَّهُ عَلَيْنَا. فَاتَيْتَهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَنْتَ مُعَلِّي؟

قُلْتُ: نَعَمْ جَعَلْتَ فِدَاكَ.

فَقَالَ: التَّمْسُ بِبِيَدِكَ فَمَا وَجَدْتَ مِنْ شَيْءٍ فَادْفَعْهُ إِلَيَّ. فَإِذَا أَنَا بِخَبْرٍ مُنْتَشِرٍ كَثِيرٍ، فَجَعَلْتَ أَدْفَعُ إِلَيْهِ مَا وَجَدْتَهُ، فَإِذَا أَنَا بِجِرَابٍ أَعْجَزُ عَنْ حَمَلِهِ مِنْ خَبْرٍ، فَقُلْتُ: جَعَلْتَ فِدَاكَ أَحْمَلُهُ عَلَيَّ رَأْسِي؟

فَقَالَ: لَا أَنَا أَوْلَى بِحَمَلِهِ مِنْكَ، وَلَكِنْ امْضِ مَعِي.

قَالَ: فَاتَيْنَا ظِلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ فَإِذَا نَحْنُ بِقَوْمٍ نِيَامُ فَجَعَلَ يَدْسُ الرِّغِيفَ وَالرِّغِيفِينَ حَتَّى أَتَى عَلَيَّ آخِرَهُمْ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا. أَلَيْسَ أَنَّ قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): صَدَقَةُ اللَّيْلِ تَطْفَأُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَمْحُو الذَّنْبَ العَظِيمَ، وَتَهَوِّنُ الحِسَابَ^(١).

الوَجْدَانُ اليَقِظَانُ يَتَحَسَّسُ بِمَأْسَاةِ النِّيَامِ

هَذَا هُوَ الوَجْدَانُ اليَقِظَانُ الَّذِي يَتَحَسَّسُ بِمَأْسَاةِ النِّيَامِ وَمَشْكَالَةِ الجِيَاعِ حَيْثَمَا كَانُوا لَا سِيَّمَا أَنَّ التَّعْبِيرَ بِظِلَّةِ بَنِي سَاعِدَةَ فِي لَيْلَةٍ قَدِ رَشَّتِ السَّمَاءُ يُوْحِي بِقُوَّةِ وَتَرْكِيزِ أَنَّ هَؤُلَاءِ النِّيَامِ مِنْ أَوْهِنِ الفُقَرَاءِ وَمِنِ المَحْتَاجِينَ إِلَيَّ حُدًّا بَعِيدًا إِذْ أَنَّهُ؛ لَا سَقْفًا يَظْلَهُمْ إِلَّا ظِلَّةُ بَنِي سَاعِدَةَ، وَلَا مَكَانًا يَأْوِيهِمْ إِلَّا ظِلَّةُ بَنِي سَاعِدَةَ.

فَمَاذَا يَصْنَعُ إِذَا صَاحِبُ الوَجْدَانِ اليَقِظَانِ الَّذِي يَتَحَسَّسُ بِمَأْسَاةِ النِّيَامِ

١٠٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

ومشكلة الجياع حيثما كانوا؟

تسكنُ الأصواتُ وتهدأُ الليلةُ الليلاءُ وترقُّدُ العيونُ حتى عيونُ الجياع، بيد أن عيني صاحب الوجدان اليقظان لم تذوقا لذة الرقاد وطعم الوَسْن؛ لقد كَحَلَّ عينيه الجميلتين السهْرُ على المحتاجين والمساكين والحرص على انتشالهم واتقاذهم من حَسَك الأشجان.

فها هو يدسُّ الرغيف والرغيفين لهذا ولذاك حتى يأتي عليّ آخر ما جاء به من الأرغفة في ليلة قدرشت السماء.

فكان من أولى الناس أن يحظى عند الله عز وجل بما صوّره جده أمير المؤمنين بقوله البديع المأثور عنه: تبادروا المكارم، وسارعوا إلى تحمل المغارم، واسعوا في حاجة من هو نائم، يحسنُ لكم في الدارين الجزاء، وتنالوا من الله عظيم الحباء^(١).

ملاحظة: قد رويت قصة شبيهة بهذه عن الإمام أمير المؤمنين، وقد يكون ذلك بسبب تكرّرها وأنها وقعت لكل واحد منهما (سلام الله عليهما)، ولا بدع في الأمر أبداً فهذي الشمس من تلك السماء، وهذا النهرُ الزاخرُ من ذلك البحر المتلاطم، أو كما قال علي بن الرومي من قصيدة خالدة:

كفعلِ عليّ نبي المواطنِ قبلةً
أبي حسنٍ والغصنُ من حيث يخرجُ

جود إبراهيم سبب اصطفاؤه خليلاً

٦- عن زيد الشحام عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن إبراهيم (عليه السلام) كان أبا أضياف، فكان إذا لم يكونوا عنده خرج يطلبهم، وأغلق بابهم... الحديث، وفيه: أن جبرئيل (عليه السلام) جاء إليه فقال: أرسلني ربك اليّ عبد من عبيده يتخذه خليلاً. فقال إبراهيم (عليه السلام): فأعلمني من هو أخدمه حتى أموت؟ قال: فأنت هو. قال: وبم ذاك؟ قال: لأنك لم تسأل أحداً شيئاً قط،

ولم تُسأل شيئاً قط فقلت: لا^(١).

لا ريب في صحة نعت كلّ نبي من أنبياء الله عزّ وجلّ بالضيافة أو أنه أبو أضياف؛ وذلك باعتباره قائداً حقيقياً، والكرم وحسن الضيافة من السمات اللازمة للقائد الحقيقي، ومن سماته أيضاً أنه أب للأمة، أو للجماعة التي من المفروض أن يقودها، والجدير بالآباء إكرام الأبناء والجود عليهم. ولكن إبراهيم خليل الرحمن من جملة الأنبياء والمرسلين الأعظم تميّزاً واتصافاً بالجود والبذل والعطاء، والأكثر اهتماماً ورعاية لهذا الأمر، مما يكشف النقاب عن السبب الأكبر في اصطفاء الله سبحانه له وتعيينه خليلاً.

وقد ذكر المؤرخ الكبير علي بن حسين المسعودي في كتابه «أخبار الزمان» ما يميّط اللثام عن العلة في الاختيار الإلهي لخلّة إبراهيم (سلام الله عليه) قائلاً: إن الله تعالى أوحى إبراهيم (عليه السلام): إنك لما سلّمت مالك للضيفان، وولدك للقربان، ونفسك للنيران، وقلبك للرحمن، آتخذناك خليلاً^(٢).

وفي كتاب «أعلام الدين» للحسن بن أبي الحسن الديلمي تغمده الله برأفته ولطفه كلمة حسنة نافعة حول التحريض على بذل النفس والأموال والاقترداء بخليل الرحمن (عليه السلام) في سموّ ايثاره وبراعة جوده، نذكرها مراعين الاختصار: إني لأعجب من قوم سمعوا الله تعالى يقول: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ

١ - وسائل الشيعة، ٦ / ٢٩١، والكافي ٤ / ٤٠ - باب معرفة الجود والسخاء.. ومشكاة الأنوار / ٢٣٠ - الفصل الرابع في السخاوة والبخل.

٢ - انظر كتاب «سلافة العصر» لابن معصوم رحمه الله / ٣٦٧. وتأكيداً على المعنى المذكور قال صاحب كتاب «وسائل الوسائل» الفقيه المحدّث محمد بن الحسن الحرّ العاملي رحمه الله (١٠٣٣ هـ - ١١٠٤ هـ):

والجودُ خيرُ الوصفِ للإنسانِ	فضلُ الفتى بالبذلِ والإحسانِ
أمواله وقفاً على الصيفانِ	أو ليس إبراهيم لما أصبحت
ناهيك فضلاً خلّة الرحمنِ	أضحى خليل الله جلّ جلاله
تعلو بأخصمها على التيجانِ	صحّ الحديث به فيما لك رتبة

١٠٨..... فلسفة الجرد والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ...^(١). وهم يرجون ذلك بغير بذل نفس ولا مال، فانظروا أيها الإخوان إلى معاني هذه الآية، وكونه تعالى باع الجنة بالنفس والمال، وأكثر الناس لا يسمح بماله ولا بشيء منه، ثم مع هذه الحال يرجو الجنة فهذا هو الطمع.

ألا ترون إلى إبراهيم الخليل (عليه السلام) كيف بذل نفسه وولده وماله؟ أما بذل نفسه فإنه لما كسر أصنام المشركين أضرموا له النار وحذفوه إليها في المنجنيق؛ فعرض له جبرئيل (عليه السلام) في الهواء فقال له: ألك حاجة؟ قال: إليك لا. وأما بذله لولده فإنه أضجعه للذبح كما حكى الله تعالى بقوله: «قَلَّمَا أَشَلَّمَا وَتَلَّه لِّلْجَبِينِ»^(٢). أسلم إبراهيم ولده للذبح، وأسلم إسماعيل نفسه. وأما المال فإنه لما اتخذه الله خليلاً قالت الملائكة: إلهنا اتخذت بشراً من الآدميين خليلاً! قال سبحانه: إني اخترته في نفسه فجاد بها، وفي ولده فجاد به، وقد بقي ماله، فانزلوا الأرض فاخبروه فيه. فنزل نفر من الملائكة في شبه البشر، فعرضوا له وسلموا عليه وقالوا: يا خليل الرحمن إن نحن آمننا بك وصدقناك فما لنا عندك؟ قال: لي العصا، ولكم الرعاء. يعني الأغنام. فجاد بالنفس والمال والولد حتى قال الله تعالى «وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى»^(٣). فصدق الله في شهادته له ببذله نفسه وماله وولده^(٤).

«وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ»^(٥).

الله سبحانه خازن الصدقة

٧- وعن المعلى بن خنيس أيضاً عنه (عليه السلام): إن الله لم يخلق شيئاً إلا وله خازن يخزنه إلا الصدقة فإن الرب يليها بنفسه، وكان أبي إذا تصدق بشيء وضعه في يد السائل، ثم ارتده منه فقبله وشمّه، ثم رده في يد السائل.

٢- الصافات، الآية / ١٠٣.

١- التوبة، الآية / ١١١.

٤- أعلام الدين / ٢٤٥.

٣- النجم الآية / ٢٧.

٥- الأنبياء، الآية / ٧٣.

إن قلت: لا إله إلا الله والله أكبر. فالثواب خازن يخزنه.

وإن قلت: اللهم صل على محمد وآل محمد. فالثواب خازن يخزنه. وإن أقمت الصلاة وأدّيت الحج والعمرة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فالثواب خازن يخزنه.

وإن تصدقت فإن الرب يليها بنفسه ويخترنها بيده!!

إن هذا الأمر عظيم جليل جميل غاية العظمة والجلال والجمال يصعب جداً على الفكر البارع تصوّره ويصعب جداً على البيان الرائع تصويره (إن الله لم يخلق شيئاً إلا وله خازن يخزنه إلا الصدقة فإن الرب يليها بنفسه).

إن هذا الأمر عظيم جليل جميل غاية العظمة والجلال والجمال تخشع له القلوب وتتشعر منه الجلود وتهنئ لأوتار وقعه الضمائر والمشاعر (إن الله لم يخلق شيئاً إلا وله خازن يخزنه إلا الصدقة فإن الرب يليها بنفسه).

لقد كان الإمام محمد الباقر (سلام الله عليه) ينحني لهذه العظمة ويتشني أمام هذا الجلال والجمال ويطبع على شفّتيهما التقبيل الساخن ويشمهما شم الحبيب الودود العشوق.

هذه حالة الصدقة في سبيل الله تعالى في جسامته العائدة وجسامته الثواب وإن كنت تمتلك أضعاف أضعافها، إذاً فما حال الايثار في سبيل الله عز وجل، لا ريب أنه أجزل وأجسم وأغنم.

روى أبان بن تغلب عن الصادق (عليه السلام) أنه سأل الصادق (عليه السلام): أخبرني عن حقّ المؤمن على المؤمن؟

فقال: يا أبان دعه لا تُرّده.

قلت: بلى جعلت فداك، فلم أزل أردد عليه.

فقال: يا أبان تقاسمه شطر مالك.

ثم نظر اليّ فرأى ما دخلني فقال: يا أبان أما تعلم أن الله قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟

١١٠..... فلسفة الجرد والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

قلت: بلى جعلت فداك.

فقال: إذا أنت قاسمته فلم تؤثره بعد، إنما أنت وهو سواء، إنما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر^(١).

من مرامي السخاء

٨ - وعن علي بن عوف الأزدي عنه (عليه السلام): السخاء أن تسخو نفس العبد عن الحرام أن تطلبه، فإذا ظفر بالحلال طابت نفسه أن ينفقه في طاعة الله عز وجل^(٢).

ملاحظة: الظاهر أن الإمام الصادق (عليه السلام) يقصد من قوله (السخاء أن تسخو نفس العبد عن الحرام أن تطلبه) لا مطلق الحرام - وإن كان على الإنسان أن يتجنب المحرمات جميعاً - بل خصوص المال الحرام. بقريته قوله (عليه السلام) فيما بعد (فإذا ظفر بالحلال طابت نفسه أن ينفقه...) إذ الحلال هنا المال الحلال الذي إذا ظفر به العبد الصالح طابت نفسه أن ينفقه في طاعة الله عز وجل. فيكون ملخص مراده (عليه السلام) أن الطريقة السليمة في السخاء أن يكون المصدر المالي حلالاً، وأن موارد الانفاق ما كانت في طاعة الله عز وجل، وهذا ما أشار إليه هرمس الحكيم لماسئل عن الجواد فقال: من جاد بالمال، وصان نفسه عن المطامع، وكفَّ يده عن مال غيره^(٣).

شكر الساخط يوجب الصلاح

٩ - جاء في ارشاد القلوب: روي أن الصادق (عليه السلام) قال لشقيق: كيف أنتم في بلادكم؟ فقال: بخير يا ابن رسول الله إن أعطينا شكرنا وإن منعنا صبرنا، فقال: له هكذا كلاب حجازنا يا شقيق. فقال له: كيف أقول؟ قال له: هلا كنتم إذا أعطيتم آثرتم، وإذا منعتم شكرتم؟ وهذه درجته ودرجة آباءه وأبنائه

(عليهم السلام) (١).

وقع لي عدم وضوح حينما وقفت على ذيل كلام الصادق (عليه السلام): (هلا كنتم إذا أعطيتم آثرتم، وإذا منعتهم شكرتم). فما معنى الشكر مع المنع وما تبرير ذلك؟ وقصاري ما للانسان أن يعمل مع وجود المنع أن لا يتكلم على المانع كلاماً يؤذيه ويقدمه بشخصيته، أو أن يتوخى له عذراً مقبولاً. ولكن شاء الله تبارك وتعالى أن لا تمضي إلا نحو ساعة على عدم الوضوح، حتى وقفت من دون قصد على كلام الإمام علي (عليه السلام): شكرك للساخط عليك، يوجب لك منه صلاحاً وتعظفاً (٢).

مَا مِنْ رَجُلٍ أَذَى الزَّكَاةَ فَنَقَصَتْ مِنْ مَالِهِ

١٠ - عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) قَالَ: صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِينَ حَبَّةً، وَحَبَّةٌ خَيْرٌ مِنْ بَيْتٍ مَمْلُوءٍ ذَهَباً يُنْفَقُ فِي بَرٍّ حَتَّى يُنْفَدَ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: وَلَا أَفْلَحَ مَنْ ضَيَّعَ عَشْرِينَ بَيْتاً مِنْ ذَهَبٍ، بِخَمْسَةِ وَعَشْرِينَ دِرْهَمًا. فَقُلْتُ: وَمَا مَعْنَى خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ دِرْهَمًا؟ قَالَ: مَنْ مَنَعَ الزَّكَاةَ وَقَفَّتْ صَلَاتُهُ حَتَّى يُزَكِّيَ (٣).

١١ - حُمَيْدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنِ الْخَشَّابِ، عَنِ ابْنِ بَقَّاحٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ جُمَيْعٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) قَالَ: مَا مِنْ رَجُلٍ أَذَى الزَّكَاةَ فَنَقَصَتْ مِنْ مَالِهِ، وَلَا مَنَعَهَا أَحَدٌ فَزَادَتْ فِي مَالِهِ (٤).

١٢ - عَنْ أَبِي وَوَلَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ: يَكْرَهُوا بِالصَّدَقَةِ، وَارْغَبُوا فِيهَا؛ فَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ يَرِيدُ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ، لِيُدْفَعَ اللَّهُ عَنْهُ شَرًّا مِمَّا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ شَرًّا مِمَّا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ (٥).

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٦١٩٨.

١ - إرشاد القلوب ١ / ١٢٣.

٣ - الكافي، ٣ / ٥٠٥، الحديث / ١٢.

٥ - الوسائل، ٤ / ٢٦٧.

٤ - الكافي ٣ / ٥٠٤، الحديث / ٦.

١١٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

١٣ - يروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) القول: السخاء من أخلاق الأنبياء وهو عماد الإيمان، ولا يكون مؤمن إلا سخياً، ولا يكون سخياً إلا ذو يقين وهمة عالية؛ لأن السخاء شعاع نور اليقين. ومن عرف ما قصد، هان عليه ما بذل^(١).

صورة تعريفية وتوضيحية للسخاء

في هذه الأحاديث الأربعة الأخيرة عن الإمام الصادق (عليه السلام) تتلمس بقوة ومضاء اعطاء صورة تعريفية وتوضيحية بارزة الخطوط والملاحق عن السخاء، وهو أمر مهم جداً من الناحية العلمية والروحية؛ إذ أنه يضع الأمور في مواضعها المناسبة، ويحددها بحدارة لثلاث تخطط المفاهيم والرؤى.

لم يعرف الإمام الصادق السخاء تعريفاً بالحدّ التام وهو الذي يحيط بجميع ذاتيات المعرف، ويقع بالجنس القريب والفصل القريب، بل عرفه بالحدّ الناقص - حسب مصطلح المناطقة - وهو التعريف بذكر بعض ذاتيات المعرف. ويقع بالجنس البعيد والفصل القريب وكذا بالفصل القريب وحده. ففي الحديث الأول في تعريف السخاء: تخرج من مالك الحق الذي أوجبه الله عليك. فإن ما ذكره عليه السلام وإن مثل لوناً عالياً من ألوان السخاء وتعرض لأهم وجه ناصع فيه، بيد أن من المعلوم بل قد يكون من البديهي وجود سخاء كثير لم يوجبه الله عليك، ولم يكن من أموال الحقوق الشرعية الواجبة الأداء.

في البيان الثاني سوف نعرف جانباً مهماً من فلسفة ذكر اخراج المال الواجب؛ إن من أفراد المجتمع في مختلف العصور من لا يدفعون حق الله الواجب عليهم، لقلّة فقههم، أو لضعف إيمانهم وعدم مبالاتهم بالأحكام الشرعية، ويجودون فيما سوى ذلك من أموالهم، وقد يكونون ممن يشار إليهم بالبنان في البذل والعطاء.

ولا يحتاج ايضاح ذلك إلى مزيد من التنقيب والبحث في بطون التواريخ، بل القاء نظرات فاحصة على حياة مجتمعاتنا المعاصرة يكفي للبرهنة الشافية على ذلك. كما ان كثيراً من القادة والأمراء الذين عاصروهم الإمام الصادق وإلى يومنا

الحالي، يجودون بأموال الآخرين، وينفقون كثيراً من خزائن الدول التي يحكمونها - في صورة وافر لا تجوز لهم ولا تصح منهم، حتى أصبحوا الكرام الأجواد، وكعبة القُصّاد، حسبما تصوره الأغلفة الإعلامية المتعسفة الكاذبه، حتى انطلق الأمر على الغالبية من الشرائح الاجتماعية بل والسياسية، وأصبح وكأنه حقيقة راهنة لا يشوبها ريب ولا أدنى شبهة، وفي الوقت ذاته يبخلون بحق الله تبارك وتعالى، ولم يؤدوا زكاة أموالهم الخاصة فبئس ما كانوا يصنعون.

ومن الناس من يجودون جود السحائب المتراكمة، سواء كانت من الأموال العامة او الخاصة، ولكنهم يبذلونها في الموارد غير المشروعة أو اللائقة، وبغير حق. فهؤلاء ليسوا بكرماء أو أسخياء، وإنما السخيُّ الكريمُ الذي ينفق ماله في حق - كما عرفنا.

من هنا نستطيع أن نفهم وجهاً من وجوه الحكمة في تعريف السخاء بالنحو المروي عن الإمام الصادق، وأن لا نغترّ أو نتخدع بالمفاهيم البراقة والمضللة المشحونة بالأهداف القريبة للسياسة الجائرة المقترنة بالكذب والمكر والدجل.

في الوقت الذي يحرض فيه الإمام الصادق كثيراً على السخاء والندي، ويجلو عن محياه المشرق ما علق فيه من الغبار، يدعو إلى الجود المتميز والنائل الفخم الجزيل، وقد أضفى عليه الصفات الروحية السامية والرائعة: السخاء من أخلاق الأنبياء، وهو عماد الايمان... وأخيراً لا بد لنا من القول كدعوة ارشادية هادفة - من أخ صغير - وإن كنا نعتقد بأهميتها، وأن ليس لنا عنها من محيص:

ما ضرَّ من عمد إلى ما عليه من الحقوق المالية فأداها، أن لا يدعَ بُحيرةً زرقاء للجود والإيثار إلا وكان فيها السابح الماهر..

تعزير مؤشرات التنظير

١٤ - روى يونس، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: مَنْ مَنَعَ قِيرَاطًا مِنَ الزَّكَاةِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا مُسْلِمٍ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ

١١٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

عَزَّ وَجَلَّ: «رَبِّ إِرْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ»^(١).
وفي رواية أخرى ولا تُقْبَلُ له صلاة^(٢).

١٥- بعد أن نقل الصادق (عليه السلام) عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» حديث: ان السخاء شجرة من أشجار الجنة. قال: ليس السخيُّ المبذِّر الذي ينفق ماله في غير حقِّه، ولكنه الذي يؤدي إلى الله عزَّ وجلَّ ما فرض عليه في ماله من الزكاة وغيرها. والبخيل الذي لا يؤدي حق الله عزَّ وجلَّ في ماله^(٣).

١٦- وعن حريز بن عبد الله عنه (عليه السلام): السخي الكريم الذي ينفق ماله في حقِّ^(٤).

١٧- وقال (عليه السلام): جاهل سخي أفضل من ناسك بخيل^(٥).

١٨- ويروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) القول: ما من شيء أحبَّ إليَّ من رجل سلفت مني إليه يد اتبعها أختها وأحسنت ربَّها؛ لأنِّي رأيت منع الأواخر، يقطع لسان شكر الأوائل^(٥).

١٩- سئل الصادق لِمَ حرَّم الله الربا؟
قال: لثلاث يمتنع الناس بالمعروف^(٦).

٢٠- ويروى عن الصادق (عليه السلام): يا ابن جندب الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة، وقاضي حاجته كالمتشحط بدمه في سبيل الله يوم بدر وأحد، وما عذب الله أمةً إلا عند استهانتهم بحقوق فقراء إخوانهم^(٧).

٢١- ويروى عنه (عليه السلام) أيضاً: يا ابن جندب قال الله جلَّ وعزَّ في بعض ما أوحى: إنما أقبل الصلاة ممن يتواضع لعظمتي... ويطعم الجائع، ويكسو العاري، ويرحم المصاب، ويؤوي الغريب، فذلك الذي يشرق نوره مثل الشمس، أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة حليماً، أكلاه بعزتي، واستحفظه ملائكتي،

١- المؤمنون، الآية / ٩٩. ١- الكافي / ٣ / ٥٠٣ الحديث / ٣.

٢- بحار الأنوار، ٧١ / ٣٥٢ - ٣٥٣. ٣- المصدر...

٤- نزهة الناظر / ١٠٨.

٥- نزهة الناظر: ١٢٠، وكشف الغمة: ٢ / ٢٠٥.

٦- كشف الغمة، ٢ / ١٥٧. ٧- تحف العقول / ٢٢٣.

يدعوني فأليبه، ويسألني فأعطيه^(١).

٢٢ - وقال (عليه السلام): ثلاثة من فرط فيهن كان محروماً: استماعة جواد، ومصاحبة عالم، واستمالة سلطان^(٢).

٢٣ - وقال (عليه السلام): منع الجود، سوء الظن بالمعبود^(٣).

٢٤ - وقال (عليه السلام): ثلاثة من كن فيه كان سيئاً: كظم الغيظ، والعفو عن المسيء، والصلة بالنفس والمال^(٤).

٢٥ - وقال (عليه السلام): لا يكون الجواد جواداً إلا بثلاثة: يكون سخياً بماله على حال اليسر والعسر، وأن يبذله للمستحق، ويرى أن الذي أخذه من شكر الذي أسدي إليه أكثر مما أعطاه^(٥).

٢٦ - وقال (عليه السلام): من كانت فيه خلة من ثلاثة انتظمت فيه ثلاثتها في تفخيمه وهيبته وجماله: من كان له ورع، أو سماحة، أو شجاعة^(٦).

٢٧ - وقال (عليه السلام): أفضل الملوك من أعطي ثلاث خصال: الرأفة، والجود، والعدل^(٧).

٢٨ - ويروى عنه (سلام الله عليه): المعروف كاسمه وليس شيئاً أفضل من المعروف إلا ثوابه، والمعروف هدية من الله إلى عبده. وليس كل من يحب أن يصنع المعروف إلى الناس يصنعه، ولا كل من رغب فيه يقدر عليه، ولا كل من يقدر عليه يؤذن له فيه، فاذا من الله على العبد جمع الرغبة في المعروف والقدرة والأذن فهناك تمت السعادة والكرامة للطالب والمطلوب إليه^(٨).

٢٩ - عن الحسين بن نعيم قال: قال لي أبو عبد الله «ص»: أتحب إخوانك يا حسين؟

قلت: نعم.

قال: تنفع فقراءهم؟

قلت: نعم.

قال: أما إنه يحق عليك أن تحب من يحب الله، أما والله لا تنفع منهم أحداً

٢ - المصدر نفسه / ٢٣٢.

١ - المصدر نفسه / ٢٢٦.

٤ - المصدر نفسه، ٢ / ٢٣٣.

٣ - كشف الغمة، ٢ / ٢٠٦.

٦ - المصدر نفسه ٢ / ٢٣٦.

٥ - المصدر نفسه ٢ / ٢٣٤.

٨ - المصدر نفسه ٢ / ٢٦٧.

٧ - المصدر نفسه ٢ / ٢٣٥.

حتى تحبه .

قال : أتدعوهم إلى منزلك ؟

قلت : ما آكلُ إلا ومعِيَ منهم الرجلان ، أو الثلاثة ، أو أقل ، أو أكثر .

فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم .

فقلت : أدعوهم إلى منزلي ، وأطعمهم طعامي وأسقيهم وأوطئهم رحلي ،

ويكونون عليّ أفضل ممّا ؟

قال : نعم ، إنهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك ، وإذا

خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك^(١) .

٣٠- عن أبي معاوية الأشرق قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : ما

من مؤمن يطعم مؤمناً مؤسراً كان أو معسراً إلا كان له بذلك عتق رقبة من ولد

اسماعيل^(٢) .

٣١- عن شهاب بن عبدربه قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : إعمل طعاماً

وتتوق فيه وادعو عليه أصحابك^(٣) .

٢٠- وقال الصادق (عليه السلام) : ما فرض الله على هذه الأمة شيئاً أشد

عليهم من الزكاة ، وفيها تهلك عامتهم^(٤) .

٢١- وقال (عليه السلام) : إنما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة

للفقراء ، ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً ولا استغنى

بما فرض الله له . ولا والله ما افتقروا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء .

وحقيق على الله أن يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله . وأقسم بالذي خلق

الخلق وبسط الرزق أنه ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بترك الزكاة ، وما صيد صيدٌ

في بر ولا بحر إلا بتركه التسييح ذلك اليوم . وإن أحب الناس إلى الله تعالى

أسخاهم كفاً ، وأسخى الناس من أدى زكاة ماله ، ولم يبخل على المؤمنين بما

افترض الله لهم في ماله^(٥) .

٣٢- وقال (عليه السلام) : إن بقاء المسلمين وبقاء الإسلام : أن تصير

١ - المحاسن / كتاب المآكل / الحديث ٢٨ .

٢ - المصدر نفسه / الحديث ٤٧ . ٣ - المصدر نفسه / الحديث ١٣٧ .

٤ - جامع السعادات ، ٢ / ١٢٥ - ١٢٦ .

٥ - المصدر نفسه .

الأموال عند من يعرف الحق ويصنع المعروف. وإن فناء الإسلام وفتناء المسلمين : أن تصير الأموال في أيدي من لا يعرف فيها الحق، ولا يصنع فيها المعروف^(١).
٣٣ - وقال (عليه السلام) : رأيت المعروف كاسمه ، وليس شيء أفضل من المعروف إلا ثوابه^(٢).

٣٤ - وله (عليه السلام) يخاطب زرارة بن أعين : ثلاثة إن تعلمهن المؤمن كانت زيادة في عمره وبقاء النعمة عليه .
فقلت : وما هنَّ ؟

فقال : تطويله في ركوعه وسجوده في صلاته ، وتطويله في الجلوس على طعامه إذا أطمع على مائدته ، واصطناعه المعروف إلى أهله^(٣).

٣٥ - وقال الصادق (عليه السلام) : إن للجنة باباً يقال له المعروف ، لا يدخله إلا أهل المعروف . وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة (يعني كما أنهم يصنعون المعروف في الدنيا يصنعونه في الآخرة يهبون حسناتهم لمن شاؤوا كما قال الصادق في آخر الخبر) يقال لهم في الآخرة إن ذنوبكم قد غفرت لكم فهبوا حسناتكم لمن شئتم^(٤).

٣٦ - ويروي (عليه السلام) : ما أحسن عبد الصدقة في الدنيا إلا أحسن الله الخلافة على ولده من بعده .

٣٧ - وقال جعفر الصادق (عليه السلام) لابنه : يا بني كم فضل معك من النفقة ؟

قال : أربعون ديناراً .

قال : اخرج فتصدق بها .

قال : إنه لم يبق معي غيرها .

قال : تصدق بها فإن الله يخليقها ، أما علمت أن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الرزق الصدقة فتصدق بها ، ففعل ، فما لبث أبو عبد الله (عليه السلام) إلا عشرة أيام حتى جاءه من موضع أربعة آلاف دينار .

فقال : يا بني أعطينا الله أربعين ديناراً ، فأعطانا الله أربعة آلاف دينار^(٥).

١ - المصدر نفسه / ١٦٥ .

٢ - المصدر نفسه / ١٦٦ .

٣ - الكافي ، باب أن الصدقة تزيد في الرزق ، الحديث / ٣ ، الوسائل ، ٤ / ٢٥٤ .

١١٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

٣٨ - عن معاذ بن مسلم الهروي قال: كنت عند أبي عبد الله فذكروا الوجد فقال: داووا مرضاكم بالصدقة، وما على أحدكم أن يتصدق بقوت يومه؛ إن ملك الموت يُدفع إليه الصك بقبض روح العبد فيتصدق فيقال له: ردّ عليه الصك^(١).

٣٩ - عن جميل بن درّاج^(٢) عن أبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام): خياركم سمحاؤكم، وشراركم بخلاؤكم. ومن صالح الأعمال البرّ بالاخوان، والسعي في حوائجهم، وذلك مرغمة للشيطان، وتزحزح عن النيران، ودخول الجنان. يا جميل اخبر بهذا الحديث غرر اصحابك.

قال جميل: فقلت له: جعلتُ فداك مَنْ غرر أصحابي؟

قال: هم البارّون بالاخوان في العسر واليسر.

ثم قال: يا جميل اما إن صاحب الكثير يهون عليه ذلك، وقد مدح الله عزّ وجلّ صاحب القليل فقال: «وَيُؤْتِرُونَ عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٣).

٤٠ - عن أبي بصير عن الصادق: إن عيسى مرّ بقوم مجليين فقال: ما هولاء؟ فقالوا: إن فلانة بنت فلان تهدي إلى فلان بن فلان في ليلتها (التي أن قال): إن صاحبتهم ميتة في ليلتها هذه. فلما أصبحوا جاؤوا فوجدوها على حالها؛ فأخبروا عيسى فقال: يفعل الله ما يشاء ثم ذهب بهم إليها فسألها عمّا صنعت. فقالت: كان يعترينا سائل، وإنه جاءني في ليلتي هذه وهتف فلم يجبه أحد، فقامت متنكرة حتى أتيله.. فقال لها: تنحّي فاذا تحت ثيابها أفعى، فقال: بما صنعت صرف الله عنك هذا^(٤).

٤١ - ويروى عنه (عليه السلام): إن لله بقاعاً تسمى المنتقمة، فإذا أعطى الله عبداً مالاً لم يخرج حقّ الله منه سلط الله عليه بقعة من تلك البقاع، فأتلف ذلك المال فيها ثم مات وتركها.

٢ - بحار الأنوار ٧١ / ٣٥٠ - ٣٥١.

٤ - الوسائل، ٦ / ٢٧٠.

١ - المصدر، ٤ / ٢٦١.

٣ - الحشر الآية / ٩.

- الوسائل، ٦ / ٢٣.

٤٢ - عن عبيد بن زراره عنه (عليه السلام) ما من رجل يمنع درهماً في حقه إلا أنفق اثنين في غير حقه، وما من رجل يمنع حقاً في ماله إلا طوّقه الله به حيةً من نار يوم القيامة^(١).

٤٣ - عن المفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فسأله رجل في كم تجب الزكاة من المال؟ فقال له: الزكاة الظاهرة أم الباطنة تريد؟

فقال: أريدهما جميعاً. فقال: أمّا الظاهرة ففي كل ألف خمسة وعشرون، وأمّا الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك^(٢).

٤٤ - أورد شهاب الدين النويري في كتابه «نهاية الإرب» عن جعفر بن محمد الصادق القول: الجودُ زكاة السعادة، والإيثار على النفس موجب لآسم الكرم^(٣).

٤٥ - وقال (عليه السلام): على كل جزء من أجزاءك زكاة واجبة لله تعالى، بل على كل منبت شعر من شعرك، بل على كل لحظة من لحظاتك زكاة فزكاة العين... وزكاة اليد البذل والعطاء والسخاء بما أنعم الله عليك به، وتحريكها بكتابة العلم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى^(٤).

٤٦ - مجموعة الشهيد، رحمة الله عليه: روي عن مولانا جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال: طلبت الجنة فوجدتها في السخاء، وطلبت الشريعة في الدخول إلى الجنة فوجدتها في العمل لله تعالى، وطلبت حب الموت فوجدتها في تقديم المال لوجه الله، وطلبت الجواز على الصراط فوجدتها في الصدقة، وطلبت فضل الجهاد فوجدتها في الكسب للعيال، وطلبت فراغ القلب فوجدتها في قلة المال، وطلبت الغنى فوجدتها في القناعة^(٥).

١ - الوسائل، ٦ / ٢٥. ٢ - الوسائل، ٦ / ٣٠.

٣ - نهاية الإرب، السفر الثالث / ٢٠٤.

٤ - مصباح الشريعة / الباب الثاني والعشرون في الزكاة.

٥ - النوري، مستدرک الوسائل / ١٢ / ١٧٣ - ١٠١ - باب نوادر ما يتعلق بأبواب

١٢٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

٤٧ - الحسين بن سعيد عن محمد بن الفضل عن عذافر قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن الله ارتضى الإسلام لنفسه دينا فأحسنوا صحبتته بالسخاء وحسن الخلق^(١).

٤٨ - قال الشيخ الطوسي: أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت الأهوازي، قال أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الحافظ، قال أخبرنا جعفر بن عبد الله، قال حدثنا عمر بن خالد أبو حفص، عن محمد بن يحيى المدني، قال: سمعت جعفر بن محمد (عليهما السلام) يقول: من كان في حاجة أخيه المؤمن المسلم، كان الله في حاجته ما كان في حاجة أخيه^(٢).

٤٩ - قال الشيخ الطوسي: وبهذا الإسناد، عن ابن عقدة، عن عاصم بن عمرو، عن محمد بن مسلم، قال أتاني رجل من أهل الجبل، فدخلت معه عليّ أبي عبد الله (عليه السلام)، فقال له عند الوداع أوصني. فقال: أوصيك بتقوى الله وبر أخيك المسلم، وأحب له ما تحب لنفسك، وأكره له ما تكره لنفسك، وإن سألك فأعطه، وإن كف عنك فأعرض عليه، ولا تمله خيراً فإنه لا يملك، وكن له عضداً فإنه لك عضد، إن وجد عليك فلا تفارقه حتى تسأل سخيمته^(٣)، وإن غاب فاحفظه في غيبته، وإن شهد فاكفه واعضده ووازره وأكرمه ولاطفه، فإنه منك وأنت

١ - الزهد للحسين بن سعيد الأهوازي / ٥٧، وقد روى ابن شعبة الحراني في كتابه القيم تحف العقول نحو هذا الحديث الشريف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» ولعل الصادق (عليه السلام) نقل الحديث هنا عن جدّه المصطفى «صلى الله عليه وآله وسلم» ولم ينقل الراوي عنه ذلك.

٢ - الأمالي للطوسي / المجلس الرابع، فيه أحاديث أحمد بن محمد بن الصلت الأهوازي، وبقية أحاديث الشيخ المفيد محمد بن محمد بن التعمان. / ١٤٧.

٣ - السخيمة كما في كتاب العين لأحمد بن خليل الفراهيدي: الموجودة في النفس والسخم: مصدره. وقد سخمت بصدره، أي: أغضبت، وسللت سخيمته بقول طيب وجمعها: سخائم. وشعر سخام، أسود لين.

وخمر سخامية: لون يضرب إلى السواد، قال:

قبت كأني شارب بعد هجمة سخامية حمراء تحسب عندما

وسخمت وجهه: سودته.

٥٠ - وبهذا الإسناد، عن ابن عقدة، قال: حدثني أحمد بن الحسن، قال: حدثنا الهيثم بن محمد، عن محمد بن الفيض، عن معلى بن خنيس، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): مَا حَقُّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ؟

قال: سبع حقوق واجبات، ما منها حق إلا واجب عليه، إن خالفه خرج من ولاية الله، وترك طاعته، ولم يكن لله فيه نصيب. قال: قلت: حدثني ما هن؟ فقال: ويحك يا معلى، إني عليك شفيق، أخشى أن تضيع ولا تحفظ، وأن تعلم ولا تعمل. قال: قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال (عليه السلام): أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

والحق الثاني: أن تمشي في حاجته، وتتبع رضاه، ولا تخالف قوله.

والحق الثالث: أن تصله بنفسك، ومالك، ويديك، ورجليك ولسانك^(٢).

والحق الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته وقميصه.

والحق الخامس: أن لا تشبع ويجوع، ولا تلبس ويعرى، ولا تروى ويظماً.

والحق السادس: أن يكون لك امرأة وخادم وليس لأخيك امرأة وخادم، فتبعث بخادمك فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه، وتمهد فراشه، فإن ذلك كله لما جعل بينك وبينه.

والحق السابع: أن تبرّ قسمه، وتجب دعوته، وتشهد جنازته، وتعود مريضه، وتشخص بيدتك في قضاء حوائجه، ولا تلجئه إلى أن يسألك، فإذا

١ - الأمالي للطوسي / المجلس الرابع، فيه أحاديث أحمد بن محمد بن الصلت

الأهوازي، وبقية أحاديث الشيخ المفيد.

٢ - المعروف أن الصلة تكون بالمال أو بالنفس والمال، وأما أن تكون بهما وباليدين والرجلين واللسان فالظاهر منه أن يجعل هذه الأدوات وسائل للصلة والنفع أي أن يبذل قصارى جهوده في صلة المؤمن.

١٢٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

حفظت ذلك منه فقد وصلت ولايتك بولايته، وولايته بولايته (تعالى) (١).

٥١ - وبهذا الإسناد، عن ابن عقدة، قال: حدثنا محمد بن الفضل بن إبراهيم بن المفضل بن قيس بن رمانة، قال: حدثني أبي عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): إنه من عظم دينه عظم إخوانه، ومن استخف بدينه استخف بإخوانه، يا محمد، اخصص بمالك وطعامك من تحبته في الله (عز وجل) (٢).

٥٢ - وبهذا الإسناد، عن المفضل بن قيس، عن أيوب بن محمد المسلي، عن أيبان بن تغلب، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: من كان وصل لأخيه بشفاعة في دفع مغرم، أو جر مغنم، ثبت الله (عز وجل) قدميه يوم تزل فيه الأقدام (٣).

٥٣ - عِدَّةٌ من أصحابنا عن أحمد بن أبي عبد الله عن الحسن بن محبوب عن مالك بن عطية عن عامر بن جذاعة قال: جاء رجل إلى أبي عبد الله (عليه السلام) فقال له: يا أبا عبد الله قرض إلى ميسرة فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): إلى غلة تذك. فقال الرجل: لا والله. قال: فإلى تجارة توب. قال: لا والله. قال: فإلى عقدة تباع. فقال: لا والله. فقال أبو عبد الله (عليه السلام): فأنت ممن جعل الله له في أموالنا حقاً. ثم دعا بكيس فيه دراهم؛ فأدخل يده فيه فناوله منه قبضة ثم قال له: اتق الله ولا تشرف ولا تقتر ولكن بين ذلك قواماً، إن التبذير من الإسراف قال الله عز وجل: «ولا تبذروا تبذيراً» (٤).

٥٤ - أحمد بن محمد بن عبد الله وغيره عن أحمد بن أبي عبد الله عن أبيه

١ - الأمالي للطوسي / المجلس الرابع، فيه أحاديث أحمد بن محمد بن الصلت الأهوازي، وبقية أحاديث الشيخ المفيد.

٢ - الأمالي للطوسي / المجلس الرابع، فيه أحاديث أحمد بن محمد بن الصلت الأهوازي، وبقية أحاديث الشيخ المفيد.

٣ - الأمالي للطوسي / المجلس الرابع، فيه أحاديث أحمد بن محمد بن الصلت

الأهوازي، وبقية أحاديث الشيخ المفيد. ٤ - الكافي، ٣ / ٥٠١.

عن عبد الله بن القاسم عن رجل من أهل سباط قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) لعمار السباطي: يَا عَمَّارُ أَنْتَ رَبُّ مَالٍ كَثِيرٍ؟ قال: نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ.

قال: فَتَوَدَّى مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الزَّكَاةِ؟ فقال: نَعَمْ قال: فَتُخْرِجُ الْحَقَّ الْمَعْلُومَ مِنْ مَالِكَ؟ قال: نَعَمْ. قال: فَتَصِلُ قَرَابَتَكَ؟ قال: نَعَمْ. قال: وَتَصِلُ إِخْوَانَكَ؟ قال: نَعَمْ. فقال: يَا عَمَّارُ إِنَّ الْمَالَ يَفْنَى وَالْبَدَنَ يَبْلَى وَالْعَمَلَ يَبْقَى وَالذِّيَانَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. يَا عَمَّارُ إِنَّهُ مَا قَدَّمْتَ فَلَنْ يَسْبِقَكَ، وَمَا أَخَّرْتَ فَلَنْ يَلْحَقَكَ (١).

٥٥ - محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن عثمان بن عيسى عن سماعة

بن مهران عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ لِلْفُقَرَاءِ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ فَرِيضَةً لَا يُحْمَدُونَ إِلَّا بِأَدَائِهَا وَهِيَ الزَّكَاةُ، بِهَا حَقَّنُوا دِمَاءَهُمْ، وَبِهَا سَمُّوا مُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ حُقُوقًا غَيْرَ الزَّكَاةِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ». فَالْحَقُّ الْمَعْلُومُ مِنْ غَيْرِ الزَّكَاةِ وَهُوَ شَيْءٌ يُفْرِضُهُ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَالِهِ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْرِضَهُ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ وَسَعَةِ مَالِهِ، فَيَوَدِّي الَّذِي فَرَضَ عَلَى نَفْسِهِ إِنْ شَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي كُلِّ شَهْرٍ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَيْضاً: «أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً»، وَهَذَا غَيْرُ الزَّكَاةِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَيْضاً «يُتَّفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً»، وَالْمَاعُونَ أَيْضاً وَهُوَ: الْقَرْضُ يُفْرِضُهُ، وَالْمَتَاعُ يُعِيرُهُ، وَالْمَعْرُوفُ يَصْنَعُهُ.

وَمِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَيْضاً فِي الْمَالِ مِنْ غَيْرِ الزَّكَاةِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ «الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ..»، وَمَنْ أَدَّى مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَأَدَّى شُكْرَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ إِذَا هُوَ حَمِيدٌ عَلَى مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيهِ، مِمَّا فَضَّلَهُ بِهِ مِنَ السَّعَةِ عَلَى غَيْرِهِ، وَلِمَا وَفَّقَهُ لِأَدَائِهِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

عَلَيْهِ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ (١).

٥٦ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن أبي المغراء، عن أبي بصير قال: كنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) ومعنا بعض أصحاب الأموال فذكروا الزكاة؛ فقال أبو عبد الله (عليه السلام): إِنَّ الزَّكَاةَ لَيْسَ يُحْمَدُ بِهَا صَاحِبُهَا؛ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ ظَاهِرٌ؛ إِنَّمَا حَقَّنَ بِهَا دَمَهُ، وَسُمِّيَ بِهَا مُسْلِمًا، وَلَوْ لَمْ يُوَدِّهَا لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ. وَإِنَّ عَلَيْكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ غَيْرَ الزَّكَاةِ.

فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَمَا عَلَيْنَا فِي أَمْوَالِنَا غَيْرَ الزَّكَاةِ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَمَا تَسْمَعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» (٢) ! قال: قلت: ماذا الحَقُّ المَعْلُومُ الَّذِي عَلَيْنَا؟ قال: هو الشَّيْءُ يَعْمَلُهُ الرَّجُلُ فِي مَالِهِ يُعْطِيهِ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي الْجُمُعَةِ، أَوْ فِي الشَّهْرِ قَلَّ أَوْ كَثُرَ، غَيْرَ أَنَّهُ يَدُومُ عَلَيْهِ. وقوله عَزَّ وَجَلَّ: «وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ»؟ قال: هو الْقَرْضُ يُقْرِضُهُ وَالْمَعْرُوفُ يَصْطَنِعُهُ وَمَتَاعُ الْبَيْتِ يُعْبِرُهُ وَمِنْهُ الزَّكَاةُ. فقلت له: إِنَّ لَنَا جِيرَانًا إِذَا أَعْرَنَاهُمْ مَتَاعًا كَسَرُوهُ وَأَفْسَدُوهُ فَعَلَيْنَا جُنَاحٌ إِنْ نَمْنَعُهُمْ؟ فقال: لَا لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ إِنْ تَمْنَعُوهُمْ إِذَا كَانُوا كَذَلِكَ. قال: قُلْتُ لَهُ: «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا» (٣). قال: لَيْسَ مِنَ الزَّكَاةِ. قلت: قوله عَزَّ وَجَلَّ: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» (٤). قال: لَيْسَ مِنَ الزَّكَاةِ. قال: فقلت قوله عَزَّ وَجَلَّ: «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» (٥)؟

١ - الكافي، كتاب الزكاة/ باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق الحديث / ٨.

٢ - المعارج، ٢٤. ٣ - الانسان، الآية / ٨.

٤ - قال تبارك وتعالى: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ». البقرة، الآية / ٢٧٤.

٥ - قال تبارك وتعالى: «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ». البقرة، الآية / ٢٧١.

قال: لَيْسَ مِنَ الزَّكَاةِ، وَصَلْتِكَ قَرَابَتِكَ لَيْسَ مِنَ الزَّكَاةِ (١).

٥٧ - عليُّ بن إبراهيم، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن يحيى، عن عبد الله بن مُسكان، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ..» (٢)؟

قال: الْفَقِيرُ الَّذِي لَا يَسْأَلُ النَّاسَ، وَالْمَسْكِينُ أَجْهَدُ مِنْهُ، وَالْبَائِسُ أَجْهَدُهُمْ؛ فَكُلُّ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ فَأِعْلَانُهُ أَفْضَلُ مِنْ إِسْرَارِهِ، وَكُلُّ مَا كَانَ تَطَوُّعاً فَأِسْرَارُهُ أَفْضَلُ مِنْ إِعْلَانِهِ. وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا يَحْمِلُ زَكَاةَ مَالِهِ عَلَى عَاتِقِهِ؛ فَسَمَّهَا عِلَانِيَةً كَانَ ذَلِكَ حَسَنًا جَمِيلًا (٣).

٥٨ - علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن خالد عن خلف بن حماد عن حريز قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): ما من ذي مال ذهب أو فضة يمنع زكاة ماله إلا حَبَسَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعِ قَرْقَرٍ وَسَلَّطَ عَلَيْهِ شُجَاعاً أَقْرَعَ يُرِيدُهُ وَهُوَ يَحِيدُ عَنْهُ فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا مَخْلَصَ لَهُ مِنْهُ أَمَكَهُ مِنْ يَدِهِ فَقَضَمَهَا كَمَا يُقَضَّمُ الْفُجْلُ، ثُمَّ يَصِيرُ طَوْقاً فِي عُنُقِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَمَا مِنْ ذِي مَالٍ إِبِلٍ أَوْ غَنَمٍ أَوْ بَقَرٍ يَمْنَعُ زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا حَبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعِ قَرْقَرٍ يَطْوُهُ كُلُّ ذَاتِ ظِلْفٍ يظْلِفُهَا وَيَنْهَشُهُ كُلُّ ذَاتِ نَابٍ يَنْابِهَا. وَمَا مِنْ ذِي مَالٍ نَخْلٍ أَوْ كَرْمٍ أَوْ زَرْعٍ يَمْنَعُ زَكَاتَهَا إِلَّا طَوَّقَهُ اللَّهُ رِيْعَةً أَرْضِهِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٤).

٥٩ - محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسن بن عليّ الوشاء عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: قيل لأبي عبد الله (عليه السلام): لَأَيِّ

١ - كِتَابُ الزَّكَاةِ / بَابُ فَرَضِ الزَّكَاةِ وَمَا يَجِبُ فِي الْمَالِ مِنَ الْحُقُوقِ، ٣ / ٤٠٦، الْحَدِيثُ

٢ - التوبة، الآية / ٦٠.

٩ /

٤ - المصدر، ٣ / ٥٠٦، الْحَدِيثُ / ١٩.

٣ - الكافي ٣ / ٥٠٢، الْحَدِيثُ / ١٦.

١٢٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

شئني جعل الله الزكاة خمسة وعشرين في كل ألف ولم يجعلها ثلاثين؟ فقال: إن الله عز وجل جعلها خمسة وعشرين أخرج من أموال الأغنياء بقدر ما يكتفي به الفقراء، ولو أخرج الناس زكاة أموالهم ما احتاج أحد^(١).

٦٠ - الصدوق: حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى العطار رحمه الله قال:

حدثني أبي عن أحمد بن محمد بن عيسى عن عثمان بن عيسى عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله الصادق قال: إن الله تبارك وتعالى خص رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله عز وجل، وارغبوا إليه في الزيادة منها، فذكرها عشرة: اليقين والقناعة والصبر والشكر والرضا وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروءة^(٢).

علة الذكر الكامل

ذكرنا هذا الحديث كاملاً لأن عدة مفردات منه لها علاقة أصيلة بالكتاب

١ - المصدر ٣ / ٥٠٧ - باب العيلة في وضع الزكاة على ما هي لم تُرد ولم تُنقص.

الحديث / ١.

٢ - معاني الأخبار / ١٩١ باب معنى مكارم الأخلاق.. وورد في الأمالي للمفيد المجلس

الثالث والعشرون: ٢٢ -... عن علي بن مهزيار عن جعفر بن محمد عن إسماعيل بن عباد عن

عبد الله بن بكير عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (ص) أنه قال: إنا لنحب من شيعتنا من كان

عاقلاً فهما فقيهاً حليماً مدارياً صبوراً صدوقاً وفيماً ثم قال: إن الله تبارك وتعالى خص الأنبياء

(عليه السلام) بمكارم الأخلاق فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك، ومن لم تكن فيه

فليتضرع إلى الله وليسأله إياها.

قال قلت: جعلت فداك وما هي؟

قال: الورع والتقوى والصبر والشكر والحلم والحياء والسخاء والشجاعة والغيرة والبر وصدق

الحديث وأداء الأمانة.

(القناعة والشكر والسخاء والمروءة).

ونظراً للأهمية البالغة لمكارم الأخلاق قال عنها (عليه السلام): من لم تكن فيه فليتضرع إلى الله وليسأله إياها، كما في رواية العلامة المفيد في المجالس. ونظراً إلى أن الأخلاق قابلة للتغير والاصلاح والتهديب والتشذيب قال (عليه السلام) عنها: من كانت فيه فليحمد الله على ذلك، ومن لم تكن فيه فليتضرع إلى الله وليسأله إياها، كما في رواية الشيخ المفيد في المجالس.

التنظير الديني لمكارم الأخلاق

ما أشدَّ وأرسخ وأقوى التنظير الديني لمكارم الأخلاق، حتى كأنه كلُّ شيء في الديانة الإلهية مما حدا برسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أن يقول في الحديث المشهور عنه: **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**.

ويقول علي (عليه السلام): **عجبتُ لرجلٍ يأتيه أخوه المسلم في حاجةٍ فيمتنع من قضائها، ولا يرى نفسه للخير أهلاً، فهبَّ أنه لا ثواب يُرجى، ولا عقاب يُتَّقى، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح^(١).**

فما معنى مكارم الأخلاق، وما هي مفردات أو مصاديق مكارم الأخلاق، وما أهم هذه المفردات والمصاديق؟

معنى مكارم الأخلاق

الأخلاق على قسمين رئيسيين لا ثالث لهما وهما:

١ - الأخلاق الايجابية أو الجميلة مثل الصدق والجود وحسن الأدب مع

١ - علي المامطيري، نزهة الأبصار ومحاسن الآثار / ١٦٥. والآمدني، غرر الحكم،

الناس والإباء والشجاعة وغير ذلك.

وعن مثل هذه المواصفات السنية يقول رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «أكثر ما تلج به أمتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق، يعمران الديار ويزيدان في الأعمار. وعنه «صلى الله عليه وآله وسلم» أنه قال: ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق. وروى جعفر الصادق (عليه السلام) عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «إن صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم».

وعن أهل البيت (ع): «إن الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يندو عليه ويروح».

٢ - الأخلاق السلبية أو القبيحة مثل الكذب وازدواج الشخصية والبخل والشح وسوء الأدب مع الناس والغش والاستغلال وغير ذلك.

وعن مثل هذه المواصفات السلبية والأخلاق الذميمة يقول رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «أبى الله عز وجل لصاحب الخلق السيء بالتوبة».

قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه. وقيل: يا رسول الله ما الشؤم؟ فقال: سوء الخلق. وقال: «صلى الله عليه وآله وسلم»: «سوء الخلق يفسد العقل كما يفسد الخل العسل».

وقال الصادق (عليه السلام): «من ساء خلقه عذب نفسه».

والقسم الأول من القسمين هو مكارم الأخلاق أي أن حسن الأخلاق هو مكارم الأخلاق ويدل على هذا المحتوى الحديث التالي سأل رجل رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» عن حسن الخلق، فتلا قوله تعالى: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ

بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»^(١). ثم قال «صلى الله عليه وآله وسلم»: «وهو أن تصل مَنْ قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك». وبالمقارنة ما بين هذا الحديث الشريف والحديث التالي في المضمون: يا علي ثلاثة من مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم عمن جهل عليك. نعرف أن حسن الخلق هو مكارم الأخلاق.

مصاديق مكارم الأخلاق

كل الصفات الأخلاقية الايجابية في عددها الكبير هي مصاديق مكارم الأخلاق، إلا أن من أهمها وأكثرها عائدة وفائدة روحية واجتماعية كما استفدناها من الروايات هي: اليقين والقناعة والصبر والشكر والرضا وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروءة والصفح وقول الحق ولو على نفسك وذكر الله كثيراً. ولقد جاء في كتاب معاني الأخبار للشيخ محمد بن علي الصدوق (رض) / باب معنى مكارم الأخلاق ما يؤكد المطلب العلمي تأكيداً قوياً، ويركز على مفرداته بشكل واضح:

أ - حدثنا أبي رضي الله عنه قال حدثنا سعد بن عبد الله بن أبي خلف قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى عن أبيه عن محمد بن أبي عمير عن حماد بن عثمان قال: جاء رجل إلى الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) فقال: يا ابن رسول الله أخبرني بمكارم الأخلاق؟ فقال: العفو عمن ظلمك وصله من قطعك وإعطاء من حرمك وقول الحق ولو على نفسك.

ب - حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد عن أبيه عن النضر بن سويد عن القاسم بن سليمان عن جراح المدائني قال: قال

١٣٠..... فلسفة الجُرد والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
لي أبو عبد الله (عليه السلام) : ألا أحدثك بمكارم الأخلاق ؟ قلت : بلى . قال :
الصفح عن الناس ، ومؤاساة الرجل أخاه في ماله ، وذكر الله كثيرا .

ج - حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى العطار رحمه الله قال : حدثني أبي عن
أحمد بن محمد بن عيسى عن عثمان بن عيسى عن عبد الله بن مسكان عن أبي
عبد الله الصادق (عليه السلام) قال : إن الله تبارك وتعالى خص رسول الله
« صلى الله عليه وآله وسلم » بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم فإن كانت فيكم
فاحمدوا الله عز وجل وارغبوا إليه في الزيادة منها . فذكرها عشرة : اليقين
والقناعة والصبر والشكر والرضا وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروءة .

وأهم مفردات مكارم الأخلاق على الإطلاق هي تلك التي بينها الحديث
السالف عن رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » : يا علي ثلاث من مكارم
الأخلاق : تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .

تنظير الإمام موسى الكاظم

الإمام الطاهر الزكي عماد المآثر والفضائل ، ومأوى المساكين والأيتام
والأرامل ، المشهور بباب الحوائج ، العبد الصالح موسى بن جعفر الكاظم ، مما
يقوله (سلام الله عليه) في جملة تنظيره للجود والإيثار :

١ - قلّة الشكر تزهد في اصطناع المعروف^(١) .

الثناء حالة طبيعية وغريزة تلقائية في الانسان

الشكر والثناء على ذي الإحسان والمعروف من الواجبات التي لا تتخطاها

منطقية التفكير وأخلاقية التعامل السليم ، إلا أنه ما أكثر وأوفر الحالات التي يجب فيها الشكر والثناء إلا أن هذا الجيل من الناس أو ذلك يمرُّ بها مرور المتجاهل أو المتناقل ، وكأنَّ القضية لا تعنيه من قريب أو بعيد .

ومثل هذا التنكر الجحود والتعامل السمج المشين مما يزهّد في اصطناع المعروف لدى أكثر أهل المعروف ، حتى من الذين لم يكن قصدهم منه استجلاب الثناء والاطراء المجيد ؛ وذلك لأنهم يرون أن الطرف المقابل لا يستحق الإنعام والإكرام ، علماً بأن المعروف في حالة التنكر له وقلة شكره قد يسبب ضغوطاً وآلاماً نفسية على المفضل المنعم .

وللعلم أن توقع المحسنين للثناء والشكر ممن يسدون اليهم الفضل والتكريم حالة طبيعية وغريزة تلقائية في الانسان ليس فيها شيء من اعوجاج السليقة وزيفان السجية ، ولقد قال عمر بن الخطاب لابنة هرم : ما الذي أعطى أبوك زهيراً ؟ قالت : أعطاه مالاً يفنى وثياباً تبلى . قال : لكن ما أعطاكم زهير لا يبلىه الدهر ، ولا يفنيه الزمان .

وحكى أبو عثمان الجاحظ عن إبراهيم السندي قال : قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من وجوهها كان لا يجف لبداه ولا يستريح قلمه ولا تسكن حركته في طلب حوائج الناس وإدخال السرور على قلوبهم والرفق على ضعفائهم وكان عفيف الطعمة : خبرني عما هون عليك النصب وقواك على التعب ؟ فقال : قد والله سمعت غناء الأطيوار بالأسحار على أغصان الأشجار ، وسمعت خفق الأوتار ، وتجاوب العود والمزمار ، فما طربت من صوت قط طرّبي من ثناء حسنٍ على رجلٍ محسن . فقلت : لله أبوك فلقد ملئت كرمًا .

ومن يجهل من أولي الأبواب أن الابتعاد عن رياض الشكر والثناء يدل على حالة غير قويمه ولا سليمة في النفس والأخلاق والمجتمع المتدهور الجموح

في الجهالة واللجوج في الباطل.

الجواب السديد يستجلب الكرم العتيد

٢ - وقال موسى بن جعفر (عليه السلام) وقد حضره فقير مؤمن يسأله سدَّ فاقته، فضحك في وجهه وقال: أسألك مسألةً فإن أصبتها أعطيتك عشرة أضعاف ما طلبت، وإن لم تصبها أعطيتك ما طلبت - وقد كان طلب منه مائة درهم يجعلها في بضاعة يتعش بها -

فقال الرجل: سل.

فقال (عليه السلام): لو جعل اليك التمني لنفسك في الدنيا ماذا كنت تتمنى؟ قال: كنت أتمنى أن أرزق التقيَّة في ديني، وقضاء حوائج إخواني. فقال موسى: فما بالك لم تسأل الولاية لنا أهل البيت؟ قال: ذاك قد أعطيته وهذا لم أعطه، فأنا أشكر علي ما أعطيت، وأسأل ربي عزَّ وجلَّ ما مُتعت. فقال: أحسنت أعطوه ألفي درهم، وقال: اصرفها في كذا - يعني العفص - فإنه متاع يابس وسيقبل بعدما أدبر، فانتظر به سنةً واختلف إلى دارنا وخذ الأجراء في كلِّ يوم. ففعل. فلما تمت له سنة، فاذا قد زاد في ثمن العفص للواحد خمسة عشر، فباع ما كان اشترى بألفي درهم، بثلاثين ألف درهم^(١).

أحادية المنهج

قال الإمام علي (عليه السلام): أكرم ضيفك وإن كان حقيراً^(٢). وهو

١ - التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) / ٣٢٢ - ٣٢٣، وبحار

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٩٩٧٠.

التنظير الذي عمل به قوم ايماناً واحتساباً وسمواً أخلاقياً قليل النظر، وأعرض عنه قوم جهلاً وضياعاً وانحطاطاً في التربية والأخلاق والسلوك. وكان أئمة أهل البيت النبوي (عليهم السلام) على قمة الهرم الباذخ من الذين عملوا به وبلغوه تبيهاً سليماً ومتقناً، كما ورد ذلك في أخبار وقصص رويت عن سبطي رسول الله «ص»، وعن علي بن الحسين زين العابدين، حتى جاء الدور إلى موسى بن جعفر باب الحوائج، كما نراه في الخبر البديع التالي:

روي أنه (أي الإمام موسى بن جعفر) مرَّ برجل من أهل السواد دميم المنظر، فسلم عليه، ونزل عنده، وحادثه طويلاً، ثم عرض (عليه السلام) عليه نفسه في القيام بحاجة إنَّ عرضت له. فقيل له: يا ابن رسول الله أتتزل إلى هذا، ثم تسأله عن حوائجه وهو اليك أحوج!

فقال (عليه السلام): عبد من عبيد الله، وأخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله. يجمعنا وإياه خير الآباء آدم (عليه السلام)، وأفضل الأديان الإسلام، ولعل الدهر يردُّ من حاجتنا إليه فيرانا - بعد الزهو عليه - متواضعين بين يديه. ثم قال (عليه السلام):

نُواصلُ مَنْ لا يستحقُّ وصالنا مخافةً أن نبقى بغير صديق^(١)

تعزير مؤشرات التنظير

٣ - المعروف يتلوه المعروف، غلُّ لا يفكُّه إلا مكافأة، أو شكر.

٤ - ويروي عنه (عليه السلام): رأس السخاء أداء الأمانة.

١٣٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

٥ - وعنه (عليه السلام): السخي الحسن الخلق في كنف الله، لا يستخلي الله منه حتى يدخله الجنة، وما بعث الله عز وجل نبياً ولا وصياً إلا سخيّاً، وما كان أحد من الصالحين إلا سخيّاً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتى مضى^(١).

٦ - كما يروى عنه (عليه السلام): عشر من كانت فيه واحدة منها فليس منا، ولا من شيعتنا وعدّها منها البخل^(٢).

٧ - كما قال: من صنع اليه معروف فعليه أن يكافئ به، وليست المكافأة أن تصنع كما صنع، حتى ترى فضلك، فان صنعت كما صنع فله الفضل بالابتداء^(٣).

٨ - علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن فضال عن علي بن عقبة عن أبي الحسن (عليه السلام) يعني الأوّل قال: سمعته يقول: من أخرج زكاة ماله تامّة فوضعها في موضعها لم يُسأل من أين اكتسب ماله^(٤).

٩ - عن محمد بن يزيد عن أبي الحسن الأوّل قال: من لم يستطع أن يصلنا فليصل فقراء شيعتنا^(٥).

١٠ - سأل رجل أبا الحسن الأوّل (عليه السلام) وهو في الطواف فقال: أخبرني عن الجواد؟

فقال: إن لكلامك وجهين، فان كنت تسأل عن المخلوق، فان الجواد الذي يؤدّي ما افترض الله عليه، وإن كنت تسأل عن الخالق فهو الجواد ان أعطى، وهو

١ - العلامة محمد باقر المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ٧ / ٨٣.

٢ - القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الاطهار ٣ / ٢.

٣ - المصدر نفسه / ٢٩١ - ٢٩٢. ٤ - الكافي، ٣ / ٥٠٤.

٥ - الوسائل، ٦ / ٣٣٦.

الجواد ان منع؛ لأنه إن أعطاك أعطاك ما ليس لك، وإن منعك منعك ما ليس لك^(١).

١١ - عن ابن أبي نصر، قال: قرأت في كتاب أبي الحسن (عليه السلام) إلى أبي جعفر: يا أبا جعفر بلغني أن الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير، إنما ذاك من بخل لثلاثين منك أحداً خيراً، وأسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلا من الباب الكبير، فإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ثم يسألك أحد شيئاً إلا أعطيته؛ ومن سألك من عمومته أن تبره فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً والكثير اليك، ومن سألك من عمّاتك فلا تعطها أقل من خمسة وعشرين ديناراً، والكثير اليك، إني إنما أريد بذلك أن يرفعك الله؛ فأنتفق ولا تخش من ذي العرش اقتاراً^(٢).

ولا ندري على وجه الدقة والتأكيد من هذا أبو جعفر الذي أرسل إليه الإمام الكتاب وأوصاه بالبذل والنوال، ونهاه عن الابتعاد عن الناس اجتناباً لقضاء حوائجهم. إلا أن المحتمل أنه يعني المنصور الدوانيقي. وفي الكتاب ألفاظ تشير إلى ذلك مثل قوله (عليه السلام): إن الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير، ومثل قوله: فإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة، ثم لم يسألك أحد شيئاً إلا أعطيته، وكذلك مثل قوله: ومن سألك من عمومته أن تبره فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً، والكثير اليك.

تنظير الإمام علي الرضا

الإمام الزكي علي بن موسى الرضا من آل محمد (ص) خلاصة الأخلاق

١ - معاني الأخبار / ٧٥، وفروع الكافي، ١ / ١٧٢.

٢ - وسائل الشيعة، ٦ / ٣٢٤.

١٣٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

العليا والشمائل السنية العريقة لأبائه الأئمة الطاهرين .

قال الكاتب والشاعر العباسي إبراهيم بن العباس الصولي : ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ما جفا أحداً ولا قطع علي أحد كلامه ولا رد أحداً عن حاجة وما مد رجله بين يدي جليس ولا اتكأ قبله ولا شتم مواليه ومماليكه ولا قهقهه في ضحكه وكان يجلس علي مائدة مماليكه ومواليه ، قليل النوم بالليل يحيي أكثر لياليه من أولها إلى آخرها كثير الصوم كثير المعروف والصدقة في السرّ وأكثر ذلك في الليالي المظلمة .

وقال إبراهيم كذلك : كان الرضا (عليه السلام) إذا جلس علي مائدته أجلس عليها مماليكه حتى السائس والبواب .

وقال يعقوب بن إسحاق النوبختي : مرّ رجل بأبي الحسن الرضا فقال له : أعطني علي قدر مروءتك . قال (عليه السلام) : لا يسعني ذلك . فقال : علي قدر مروءتي . قال : إذا فنعم . ثم قال : يا غلام أعطه مائتي دينار^(١) .

دخل دعبل بن علي الخزاعي علي الرضا (عليه السلام) وأنشده :

أرى فيهم نبي غيرهم مستقسماً وأيديهم من فيهم صفرات

بكي (عليه السلام) وقال له : صدقت يا خزاعي .

فلما انتهى إلى قوله : وقبر ببغداد لنفس زكية .. قال الرضا (عليه السلام) : أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك ؟ قال : بلى يا ابن رسول الله . فقال (عليه السلام) :

وقبر يطوس يا لها من مصيبة ألت علي الأحشاء بالزفرات

الى الحشر حتى يبعث الله قائماً يسفرج عنه الهم والكربات

فقال دعبل: يا ابن رسول الله هذا الذي بطوس قبر من هو؟ قال: قبري
ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري. فلما انتهى
إلى قوله:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل ويسجزي على النعماء والنقمة

قال الرضا: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فحياه
بمائة دينار فرد الصرة وسأل ثوباً من ثياب الرضا ليتبرك به ويتشرف فأنفذ إليه
بجبة خز مع الصرة وقال للخادم: قل له خذ هذه الصرة فإنك ستحتاج إليها ولا
تراجعني فيها.

فانصرف دعبل وسار من مرو في قافلة فوقع عليهم اللصوص وأخذوا
القافلة وكتفوا أهلها وجعلوا يقسمون أموالهم فتمثل رجل منهم بقوله أرى فيئهم في
غيرهم متقسماً.. فقال دعبل: لمن هذا البيت؟ فقال: لرجل من خزاعة. قال: فأنا
دعبل قائل هذه القصيدة. فخلوا كتافه وكتاف جميع القافلة ورددوا إليهم جميع ما
أخذوا منهم. وسار دعبل حتى وصل إلى قم وأنشدهم القصيدة فوصلوه بمال كثير
وسألوه أن يبيع الجبة منهم بألف دينار فأبى، وسار عن قم فلحقه قوم من أحداثهم
وأخذوا الجبة منه فرجع دعبل وسألهم ردها عليه، فقالوا: لا سبيل لك إليها فخذ
ثمنها ألف دينار. فقال: على أن تدفعوا إلي شيئاً منها. فأعطوه وانصرف إلى وطنه
فوجد اللصوص أخذوا جميع ما في منزله فباع المائة دينار التي كان الرضا (عليه
السلام) وصله بها من الشيعة كل دينار بمائة درهم وتذكر قول الرضا (عليه

١٣٨..... فلسفة الجُود والإيثار لدى الإمامِ عليِّ بن أبي طالبٍ (عليه السلام)

السلام) إنك ستحتاج إليها^(١).

فما قاله الرضا من آل محمد (ع) عن فضيلة الجود والايثار:

تحسين معاش الآخرين

١ - عن علي بن شعيب أنه قال: دخلت على أبي الحسن الرضا (عليه السلام) فقال لي: من أحسن الناس معاشاً؟

قلت: أنت يا سيدي أعلم به مني.

فقال (عليه السلام): يا علي من حسن معاش غيره في معاشه.

يا علي من أسوأ الناس معاشاً؟

قلت: أنت أعلم.

قال (عليه السلام): من لم يعيش غيره في معاشه^(٢).

أقول: الذي يحسن معاش الآخرين بحسن معاشه فهو جماعة في فرد، وأمة في رجل، فلو هلك يوماً من الأيام لشعروا أيما شعورٍ بافتقاده وهولٍ فاجعته وجليلٍ مصابه. بل لشعروا بافتقادهم أنفسهم وهولٍ فاجعتهم وجليلٍ مصابهم. ولمثل هذا الأمر يقول امرئ القيس بن حجر الكندي:

فلو أنها نفسُ تموتُ وحيدةٌ ولكنها نفسٌ تساقطُ أنفسا

١ - مختصر من المناقب للسروي ٤ / ٣٩٨ - ٣٣٩.

٢ - تحف العقول / ٣٣٠.

يستتر وجهه كريماً وجوداً

٢ - عن اليسع بن حمزة قال: كنت في مجلس أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أحدثه وقد اجتمع إليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام اذ دخل عليه رجل طوال آدم فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، رجل من محبيك ومحبي آبائك وأجدادك مصدري من الحج وقد افتقدت نفقتي وما معي ما أبلغ به مرحلة، فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدي والله عليّ نعمة فاذا بلغت بلدي تصدّقت بالذي توليني عنك فلست بموضع صدقة. فقال له: اجلس رحمك الله. وأقبل على الناس يحدثهم حتى تفرّقوا، وبقي هو وسليمان الجعفري وخيشمة وأنا، فقال: أتأذنون لي في الدخول؟ فقال له سليمان: قدّم الله أمرك. فقام ودخل الحجرة وبقي ساعة ثم خرج وردّ الباب وأخرج يده من أعلى الباب وقال: أين الخراساني؟ فقال: ها أنذا. فقال: خذ هذه المأتي دينار فاستعن بها في مؤونتك ونفقتك وتبرّك بها، ولا تصدّق بها عني، واخرج فلا أراك ولا تراني، ثم خرج. فقال سليمان الجعفري: جعلت فداك لقد أجزلت ورحمت فلماذا سترت وجهك عنه؟ فقال: مخافة أن أرى ذلّ السؤال في وجهه لقضائي حاجته، أما سمعت حديث رسول الله «ص»: «المُسْتَتِرُ بِالحَسَنَةِ تَعْدُلُ سَبْعِينَ حِجَّةً، والمذيعُ بِالسَيِّئَةِ مَخْذُولٌ، والمُسْتَتِرُ بِهَا مَغْفُورٌ لَهُ. أما سمعت قول الأول:

متى آتبه يوماً أطلب حاجةً رجعت إلى أهلي ووجهي بمانيه^(١)

١ - الوسائل، ٦ / ٣١٩، وأنشده أبو نؤاس مدحاً له ولآل محمد «ص»:

مـ	مـ
طهرون نقيات ثيابهم	تتلى الصلاة عليهم أينما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه	فما له في قديم الدهر مفتخر
والله لما برا خلقاً فأتقنه	صفاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملاء الأعلى وعندكم	علم الكتاب وما جاءت به السور

١٤٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

قلنا تعليقاً على قصة الإمام علي الرضا (عليه السلام) مع الخراساني:

عليٌّ من عليٍّ في المعالي كمنزلة السماء من الجمال
ويسترُ وجهه كرمماً وجوداً مخافة أن يرى ذلَّ السؤال
إذا ما أضطم^(١) ذو نسبٍ عظيمٍ على حسبٍ أبر^(٢) على الرجال
وما قذرُ الرجالِ وإن تساموا إذا قيسوا إلى العلمِ المثالي
وقد قال النبي مقالَ حقٍ ونورُ الله يبرغُ في المقالِ
ستُدفنُ بضعةً مني بأرضٍ فتوردها كمالاً في كمالِ
إذا ما زارها النصيبُ^(٣) المُعتنى تولى الكربُ حالاً بعد حالِ
ويغفرُ كلُّ ذنبٍ أو أثمٍ إذا ما زارها الوصيبُ^(٤) المُوالي

تعزير مؤشرات التنظير

٣- وقال (عليه السلام): ليس لبخيل راحة^(٥).

فقال الرضا (عليه السلام): قد جئتنا بأبيات ما سبقك أحد إليها. يا غلام هل معك من نفقتنا شيء؟ فقال: ثلاثمائة دينار. فقال: أعطها إياه. ثم قال: يا غلام سق إليه البغلة.
انظر المناقب للسروي ٤ / ٣٦٧.

١ - اضطم: اضطم على الشيء اشتمل عليه وضمه إلى نفسه.

٢ - أبر: أبر في هذا الموضع يراد بها تفوق وغلب.

٣ - النصيب: يقال للمتعب والمُجهَد نصيب وناصب.

٤ - الوصيب: الذي يجد مرضاً أو وجعاً، والجمع: وصابن ووصاب، وكثيراً ما يطلق ذلك

علي من أوجعه الحب أو أمره. ٥ - تحف العقول / ٢٣١.

٤ - أحمد بن محمد البرقي عن أبيه عن معمر بن خلاد قال: كان أبو الحسن الرضا (عليه السلام) إذا أكل أتى بصحفة، فتوضع قرب مائدته فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به، فيأخذ من كل شيء شيئاً، فيوضع في تلك الصحفة، ثم يأمر بها للمساكين، ثم يتلو هذه الآية «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ»^(١)، ثم يقول: علم الله عز وجل أن ليس كل إنسان يقدر على عتق رقبة، فجعل لهم سبيلاً إلى الجنة بإطعام الطعام^(٢).

٥ - عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: ظهر في بني إسرائيل قحط شديد سنين متواترة، وكان عند امرأة لقمة من خبز فوضعت في فمها لتأكله فنادى السائل: يا أمة الله الجوع.

فقالت المرأة: أتصدق في مثل هذا الزمان، فأخرجتها من فيها ودفعتها إلى السائل... وكان لها ولد صغير يحتطب في الصحراء فجاء الذئب فاحتمله فوقعت الصيحة، فعدت الأم في أثر الذئب فبعث الله عز وجل جبرئيل (عليه السلام) فأخرج الغلام من فم الذئب فدفعه إلى أمه ثم قال لها جبرئيل: يا أمة الله أَرْضِيَتْ؟
لقمة بلقمة.

٦ - محمد بن سنان عن الرضا (عليه السلام) أنه كتب إليه فيما كتب من جواب مسأله: إِنَّ عِلَّةَ الزَّكَاةِ مِنْ أَجْلِ قَوْتِ الْفُقَرَاءِ، وَتَحْصِينِ أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّفَ أَهْلَ الصَّحَّةِ الْقِيَامَ بِشَأْنِ أَهْلِ الزَّمَانَةِ وَالْبَلْوَى، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ»^(٣). في أموالكم اخراج الزكاة، وفي أنفسكم توطين الأنفس على الصبر، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عزَّ

١٤٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وجلّ، والطمع في الزيادة، مع مافيه من الزيادة والرأفة والرحمة لأهل
الضعف والعطف على أهل المسكنة، والحثّ لهم على المواساة وتقوية الفقراء
والمعونة لهم على أمر الدين، وموعظة لأهل الغنى وعبرة لهم ليستدلّوا على فقراء
الآخرة بهم، ومالهم من الحثّ في ذلك على الشكر لله تبارك وتعالى لما خولهم
وأعطاهم والدعاء والتضرّع والخوف من أن يصيروا مثلهم، في أمور كثيرة في
أداء الزكاة والصدقات وصلة الأرحام واصطناع المعروف^(١).

٧ - ويروى عنه (عليه السلام): إن الله أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة أخرى:
أمر بالصلاة والزكاة، فمن صلّى ولم يركّ ماله لم تقبل منه صلاته وأمر بالشكر له
وللو الدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله، وأمر باتقاء الله، وصلة الرحم؛ فمن
لم يصل رحمه لم يتق الله^(٢).

٨ - أحمد بن محمد بن عيسى أنه سمع الرضا (عليه السلام) يقول: إنّ
صاحب النعمة على خطر^(٣)؛ إنّّه يجب عليه حقوق الله فيها، إنّّه لتكون عليّ النعم
من الله عزّ وجلّ فما أزال منها على وجل - وحرّك يده - حتى أخرج من الحقوق
التي لله عليّ فيها^(٤).

٩ - محمد بن عمر بن يزيد قال: أخبرت أبا الحسن الرضا (عليه السلام):
أني أصبت بابنين، وبقي لي بنّي صغير، فقال: تصدّق عنه، ثم قال حين حضر
قيامي: مَرُّ الصبيّ فليصدّق بيده بالكسرة والقبضة والشيء وإن قلّ؛ فإنّ كلّ شيء
يُرَاد به الله وإن قلّ، بعد أن تصدق النية فيه عظيم. إنّ الله عزّ وجلّ يقول: «فمنّ

١ - الوسائل، ٥ / ٦. ٢ - الوسائل، ١٣ / ٦.

٣ - إنما يكون صاحب النعمة في خطر لأن شكر النعمة قولاً وتصرفاً وإخراجاً للحقوق هو
الكافل لنموها وديمومتها. إن شكر النعم وقود فعال في استمرار النعم.

٤ - الوسائل، ٢٥ / ٦ - ٢٦.

يعملُ مثقالَ ذرَّةٍ خيراً يَرَهُ * ومن يعملُ مثقالَ ذرَّةٍ شراً يَرَهُ»^(١).

١٠- السخي يأكل من طعام الناس ليأكل من طعامه، والبخيل لا يأكل من طعام الناس لئلا يأكل من طعامه^(٢).

« وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ »^(٣).

١ - الوسائل، ٦ / ٢٦١.

٢ - تحف العقول / ٣٢٩. ومشكاة الأنوار / ٢٣١، وبحار الأنوار ٧١ / ٣٥٢.

٣ - آل عمران، الآية ١٤٣ - ١٣٤.

الرَّمْزُ الْمُشْرِقُ

تصحُّ لنا المَقُولَةُ بِكُلِّ ثِقَةٍ واطمئنانٍ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَظَلُّ رَمْزاً مُشْرِقاً زَاهِراً مِنْ أَعْظَمِ
رَمُوزِ الْجُودِ الْهَاشِمِيِّ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ، وَالْعَالَمِيِّ بِصُورَةٍ عَامَةٍ.

الرَّمْزُ الْمُشْرِقُ

يا علي إن الله جعلك سبّاقاً للخير

تصحُّ لنا المقولةُ بكلِّ ثقةٍ واطمئنانٍ أنَّ أميرَ المؤمنينَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ يظلُّ رمزاً مُشْرِقاً زاهراً من أعظم رموزِ الجودِ الهاشميِّ بصورةٍ خاصةٍ، والعالميِّ بصورةٍ عامةٍ، وتببهاً عليَّ حقه يقول رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فيما رواه العالم الجليل المفسر محمد بن العباس بن مروان: «يا علي إن الله جعلك سبّاقاً للخير، سخاءً بنفسك من المال، أنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلّمة، والظلّمة هم يحسدونك، ويبغون عليك، ويمنعونك حقك بعدي».

إذا كانت بعض الحوافز للجود والعطاء حوافز ليست فاضلة أو نبيلة، فما أروع وأسمى ذلك الجود الذي يحفل به القرآن الكريم في أكثر من مورد مثل قوله تعالى: «الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية» كما ذكرنا ذلك في تفسير الآية المباركة. ومثل قوله تعالى: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»، ومثل الآيات الكثيرة من سورة الإنسان (الدهر) التي نصّت بشكل جليّ رائقٍ عليَّ جود وإيثار عليٍّ وفاطمةٍ والحسن والحسين (عليهم السلام) ومن بينها: «ويطعمون الطعام علي حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً» * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً.

أرجو من الله سبحانه وتعالى أن لا أكون ممن يحب المبالغة، ويكبر منهج المبالغين، فلقد شنأت طريقتهم بحمد الله منذ الصغر، ولكن ثم حقيقة موضوعية

قد فرضت نفسها بقوة ووضوح فمن الواجب الأخلاقي والروحي والعلمي عليّ أن أقولها صريحةً صحيحةً مشرقةً -والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع: مَنْ يسبِّزُ كلمات مفسري القرآن عند المسلمين بشكل عام فسوف يعلم أن القرآن الكريم لم ينص عليّ مدح جود وبذل أحدٍ من البشر في هذه الأمة الإسلامية أو في الأمم السابقة، كما قد نص في عدّة مَوارد عليّ مدح جود أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبذله وإيثاره.

أأمل من الكتاب والمفكرين وحملة مشاعل رسالات الهدى والاستقامة عدم التسرع في أخذ هذا الرأي الذي قد ذكرنا أو التسرع في رده، بل أطلب منهم التفضل بمراجعة القرآن الكريم مراجعة وافية ودقيقة، ومطالعة ما قاله المحققون المخلصون من مفسري القرآن عموماً، ودراسة هذه الظاهرة السامية دراسة عميقة متأنية، ثم ليأخذ مَنْ يأخذ عن ادراك ودليل، وليردّ من يردّ عن وعي واضح وبرهان ساطع إن وجد بحق وموضوعية وانصاف ما يدل عليّ خلاف ما ذهب إليه، والله تعالى هو الملمه للحق والمسدّد للصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المواردُ الماليّة

قد يحلو لعدد من الباحثين والكتاب والمؤرخين أن يقدم السؤال التالي: من أين للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) تلك الموارد المالية الجمة والأماك الشخصية الكثيرة، التي ينفق منها باستمرار، وتظل تبعثه إلى ساحة الجود والعطاء وكثرة الصدقات، بعثاً شديداً دافقاً مستمراً؟

والإجابة عليّ هذا السؤال -من دون استغراق في التفاصيل الكثيرة -نقول:

إن من بين موارده المالية ما تبينه النقاط التالية:

١ - ما كان يحصل عليه من المغانم الوافرة في الحروب المظفرة التي كان يخوضها، لا سيّما الغنيمة الكبرى التي حصل عليها في حرب خيبر التي فتحت على يديه. قال السمعاني: في حديث ابن عمر أن رجلاً جاء إلى النبي «صلى الله عليه وسلم» فقال: يا رسول الله اليهود قتلوا أخي، فقال: لأعطينَّ الراية. الخبر. قال ابن عمر: فما تنامَّ آخرنا حتى فتح لأولنا؛ فأخذ علي قاتل الأنصاري فدفعه إلى أخيه فقتله.

قال الواقدي: فو الله ما بلغ عسكر النبي أخيراً حتى دخل عليّ حصون اليهود كلها وهي: قموص وناعم وسلالم ووطيخ وحصن المصعب بن معاذ، وغنم. وكانت الغنيمة نصفها لعلي، ونصفها لسائر الصحابة^(١).

قال الطبري وابن بطة: روى بريدة أنه ضربه (أي ضرب مرحب وهو أكبر فرسان اليهود في الجاهلية وصدر الاسلام) عليّ مقدمه فقَدَّ الحجر والمغفر، ونزل في رأسه حتى وقع في الأضراس، وأخذ المدينة.

ابن ماجة في السنن: أن علياً لما قتل مرحب أتى برأسه إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم».

الطبري في التاريخ والمناقب وأحمد في الفضائل ومسند الأنصار: أنه سمع أهل العسكر صوت ضربته.

١ - لم أجد هذه العبارة في كتاب «المغازي» للواقدي وهو يتحدث تفصيلاً عن حرب خيبر، بالرغم من ذكر ابن شهر آشوب السروي لها في كتابه «المناقب» ٣ / ١٣٠. ويظهر أنها من جملة ما حذفه الأيدي الأمانة الحريضة على الاسلام من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولها نظائر كثيرة.

وفي صحيح مسلم: لما فلق علي رأس مرحب، كان الفتح^(١).

وعبارة كانت الغنيمة نصفها لعلي ونصفها لسائر الصحابة، تعني أن علياً قد حصل في خيبر على أموال طائلة جداً؛ لما هو معلوم تاريخياً من الكثرة الفائقة لغنائم خيبر.

٢ - لما انتصر المسلمون في الحرب على يهود خيبر، صالحهم الرسول «صلى الله عليه وسلم» على بقائهم في الأرض على أن يدفعوا إليه نصف المتوجات الزراعية، فكان «صلى الله عليه وآله وسلم» يقسم هذه المتوجات بشكل مستمر، ويذكر الواقدي المؤرخ العباسي صاحب كتاب «المغازي» أنه «صلى الله عليه وسلم» أطعم كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً تمرّاً وعشرين وسقاً شعيراً، وللعباس بن عبد المطلب مائتي وسق، ولفاطمة وعليّ من الشعير والتمر ثلاثمائة وسق، والشعير من ذلك خمسة وثمانين وسقاً^(٢).

فكان عليّ يقبض حصته هذه منذ الانتصار في خيبر في السنة السابعة للهجرة حتى بعد وفاة الرسول «ص»، وهكذا في زمن الخلفاء الذين سبقوه، وكذلك كان يقبض معها حصّة فاطمة في زمن أبي بكر. يقول الواقدي: وكان من مات من المطعمين أو قتل في حياة رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، وأبي بكر، فإنه يرثه تلك الطعمّة من ورثه ماله. فلما ولي عمر بن الخطاب قبض طعمّة كل من مات، ولم يورثه، فقبض طعمّة زيد بن حارثة، وقبض طعمّة جعفر بن أبي طالب، وكلمه فيه علي بن أبي طالب فأبى، وقبض طعمّة صفية بنت عبد المطلب، فكلمه الزبير في ذلك حتى غالظه فأبى عليه برده، فلما ألحّ عليه قال: أعطيك بعضه. قال الزبير: لا والله لا تخلف ثمرة واحدة تحبسها عني. فأبى عمر تسليمه

١ - انظر ابن شهر آشوب السروي، المناقب ٣ / ١٣٠.

٢ - المغازي ٢ / ٦٩٣ - ٦٩٤.

كله إليه . قال الزبير لا آخذه إلا جميعاً ، فأبى عمر ، وأبى أن يرده عليّ المهاجرين . وقبض طعمة فاطمة ، وكلم فيها فأبى أن يفعل ، وكان يجيز لأزواج رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ما صنعن ، فماتت زينب بنت جحش في خلافته فخلّى بين ورثتها وبين تلك الطعمة (١) .

ولكي نعرف - نوعاً ما - ثمن الوسق الواحد من الشعير آنذاك نستعين بما يذكرونه من بيع حصة المقداد بن الأسود لمعاوية بن أبي سفيان وهي خمسة عشر وسقاً بمائة ألف درهم (٢) .

٣ - الحديقة التي غرسها رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » وكانت ملكاً للإمام علي ، وقيمتها اثني عشر ألفاً كما سيأتي .

٤ - ما يحصل عليه من عطاء الدولة ، باعتبار أن الدولة كانت تمنح الأموال للمسلمين منحة سنوية . وإذا كانت حصة الإمام السنوية في أوائل زمن عمر بن الخطاب حصة غير متميزة . لأن العطاء كان يوزع بالتساوي بين المسلمين ، ففيما بقي من خلافة عمر ، وكذا في خلافة عثمان ، كانت حصة عليّ حصة كبيرة ، باعتبار ما كانت للبدرين من الحصة المتقدمة .

٥ - جارية أهديت في الحبشة لجعفر بن أبي طالب (رض) ، فأهداها لأخيه الإمام علي ، كانت قيمتها أربعة آلاف درهم فباعها الإمام وأنفق ثمنها على المحتاجين .

٦ - قطيفة ثمينة جداً فيها أسلاك ذهبية ثقيلة ، قدم بها جعفر بن أبي طالب من الحبشة إلى رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » ، فأهداها للإمام علي ، ففصل علي القطيفة سلكاً سلكاً فباع بالذهب ، فكان ألف مثقال ، ففرقه كلها في فقراء

المهاجرين كما سيأتي .

٧ - صدقات كانت لعلي (عليه السلام) بقرى المدينة ، وكان قد استولى عليها بعد ذلك الأمير أشجع بن مزاحم الثقفي بجماعته وأنصاره ، وكان شجاعاً ، وكان له أخ قتله الإمام علي في وقعة هوازن وثقيف ، فنهض إليها الإمام بطائفة من أهل بيته معهم عمار بن ياسر (رض) وذلك في خلافة أبي بكر واستردّها بالقوة ، وقتل الفضل بن العباس بن عبد المطلب أشجع الثقفي ، وعاد الأمر إلى نصابه (١) .

٨ - لما استولى المسلمون على المدائن بعث سعد بن أبي وقاص بأخماس الغنائم إلى المدينة المنورة ، وبعث معها القطف وهو عبارة عن بساط واحد طوله ستون ذراعاً ، وعرضه ستون ذراعاً ، كانت الأكاسرة تعدّه للشتاء اذا ذهبت الرياحين شربوا عليه فكانهم في رياض ، فيه طرق كالصور ، وفيه فصوص كالأنهار ، أرضها مذهبة .. فقال عمر : أشيروا عليّ في القطف ، فمن بين مشير يقبضه ، وآخر مفوض إليه ؛ فقال علي : إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت ، أو لبيت فأبليت ، أو أكلت فأفنت ، وإنك إن تبقه عليّ هذا اليوم ، لم تعدم في غدٍ من يستحق به ما ليس له . فقال عمر : صدقتني ونصحتني . فقطعه بينهم ، فأصاب علياً - كما جاء في كتاب الكامل في التاريخ الذي أورد الخبر - قطعة منه فباعها بعشرين ألفاً .

٩ - كانت للإمام أمير المؤمنين مساحات كبيرة من الأراضي في ينبع ذات محاصيل زراعية وافرة وغنية جداً ، وكثيراً ما كان يعمل فيها بيديه الفولاذيتين ، واللتين لا تكادان تملآن أو تضجران من الكدح الناشط والعمل الدائب . ولقد جاء في كتاب تأريخ البلاذري ، وكذا في كتاب الفضائل تأليف أحمد بن حنبل :

أنه كانت غلة علي أربعين ألف دينار، فجعلها صدقة، وأنه باع سيفه وقال: لو كان عندي عشاء ما بعته^(١). وعن عطاء عن أبي جعفر قال: ما مات علي بن أبي طالب، حتى بلغت غلته مائة ألف، ولقد مات يوم مات وعليه سبعون ألف ديناراً^(٢).
 ١٠ - كانت (بئر الملك) ملكاً للإمام أمير المؤمنين وهي في الأساس بئر لتبّع ملك اليمن، سميت بئر الملك باسمه، فاستخرجها علي بن أبي طالب، وغرس عليها النخل^(٣). وكانت في إطار المدينة المنورة.

١١ - روى الكليني في الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن يحيى بن عمران الحلبي عن أيوب بن عطية الحذاء قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قسم نبيُّ الله الفيء فأصاب علياً أرض؛ فاحتفر فيها عيناً؛ فخرج ماء ينبع في السماء كهيئة عنق البعير؛ فسامها ينبع؛ فجاء البشير يبشر فقال (ع): بشر الوارث، هي صدقة بتة بتلا^(٤) في حجيج بيت الله، وعابر سبيل الله، لا تُباع ولا تُوهب ولا تُورث. فمن باعها أو وهبها فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، ولا يقبلُ اللهُ منه

١ - انظر «بحار الأنوار» ٤١ / ٢٦، وجاء في كتاب «خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» للشريف الرضي: أن علياً (ع) قال يوماً على منبر الكوفة: من يشتري مني سيفي هذا، لو أن لي قوت ليلة ما بعته. وغلته تشتمل حينئذٍ على أربعين ألف دينار. وقد اختلف في مقدار غلّة الإمام علي في خلافته فقبل أنها أربعون ألف دينار، وقيل مائة ألف دينار. وفي رواية ابن أبي الدنيا في رسالة مكارم الأخلاق، عن عطاء عن أبي جعفر قال: ما مات علي بن أبي طالب، حتى بلغت غلته مائة ألف. وسوف نذكر الرواية بتمامها إن شاء الله تعالى.

٢ - ابن أبي الدنيا، رسائل ابن أبي الدنيا / رسالة مكارم الأخلاق / ٤٢٠. ونحتمل أن كلمة ديناراً تحريف (ديناراً) فحذفت الراء.

٣ - انظر بحار الأنوار ٤٠ / ١٠٦ باب ٩١ - جوامع مناقبه صلوات الله عليه.

٤ - في خبر كتاب الاختصاص: بتلة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والبتلة هي التي لا عودة فيها ولا خيار معها.

صِرْفًا وَلَا عَدْلًا^(١).

وفي حديث المؤرخ العباسي عيسى بن يزيد بن بكر الكناني المعروف بابن دأب وهو يعدد مناقب الإمام علي في كتابه «فضل أمير المؤمنين» قال: ثم المروءة وعفة البطن والفرج وإصلاح المال، فهل رأيتم أحداً ضرب الجبال بالمعاول، فخرج منها مثل أعناق الجُزُر، كلما خرجت عنق قال: بَشُرِ الوارث. ثم يبدو له فيجعلها صدقة بتلّة، إلى أن يرث الله الأرضَ ومن عليها؛ ليصرف النار عن وجهه ويصرف وجهه عن النار^(٢).

للإمام علي أكثر من أرض في ينبع

قال المؤلف: الرقعة الجغرافية التي يطلق عليها - قديماً وحديثاً - ينبع رقعة جغرافية كبيرة المساحة جداً. وكون أكثر من حديث شريف وخبر تاريخي يذكر أن للإمام علي (عليه السلام) أرضاً ينبع لا يدل بالضرورة على أنها نفس تلك الأرض؛ إذ للإمام أكثر من أرض في ينبع؛ وعلى هذا الأساس فالأرض الزراعية للإمام في هذه الرواية غير الأرض الزراعية له في الخبر السابق.

١٢ - قال له رجل ورأى عنده وسق نوى: ما هذا يا أبا الحسن؟ قال: مائة ألف نخل إن شاء الله. ففرسه فلم يغادر منه نواة واحدة. فهو من أوقافه^(٣).

١٣ - سبعة حوائط (حوائط جمع حائط والمقصود بالحوائط تلك البساتين التي يحيطها سور أو سياج) كانت للصديقة فاطمة بنت محمد «صلى الله عليه

١ - بحار الأنوار ٤١ / ٤٠، ومسند الإمام زيد / ٢٣٨ - ٢٣٩، باب الصدقة الموقوفة.

٢ - الشيخ المفيد، الاختصاص / ١٥٨، والمجلسي، بحار الأنوار ٤٠ / ١١٤.

٣ - الكافي ٥ / ٧٤، ومناقب آل أبي طالب ٢ / ٢٢٣، ووسائل الشيعة ١٧ / ٤١، وبحار

وآله وسلم» أوصت بها إليه (عليه السلام). والى القراء الكرام نص الوصيَّة الفاطمية التي يرويها عنها حفيدها الإمام محمد الباقر (عليه السلام):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا أوصت به فاطمة بنت محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» أوصت بحوائطها السبعة بالصوف، والدلال، والبرقة، والمبيت، (الميثب كما في نسخة أخرى) والحسنى، والصفية، ومال أم إبراهيم، الی علي بن أبي طالب، فإن مضى فإلى الحسن، فإن مضى فإلى الحسين، فإن مضى فإلى الأكبر من ولدي، نشهد الله على ذلك، والمقداد بن الأسود، والزبير بن العوام، وكتب علي بن أبي طالب^(١).

ما قد ذكرناه وعددناه من الأموال والممتلكات إنما هي وغيرها جميعاً من الأموال والممتلكات الشخصية العائدة إلى أمير المؤمنين علي (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) بالذات، والتي كان ينفق منها بلا تردد، ويجود بها جود الفرات الزاخر أو البحر المتلاطم.

« وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ »^(٢).

١ - الكليني، الكافي ٧ / ٤٨، والشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الأحكام ٩ /

١٤٤ - ١٤٥، والاربلي، كشف الغمة ١ / ١٤٥.

٢ - المؤمنون، الآية / ٦٠ - ٦١.

أَمْثَلَةٌ لَا تُنْسَى

حقاً لقد كان علي بن أبي طالب في أخلاقه العُلَيا ومُثَلِه العَظيمة، وسلوكه البناء خارقاً للطبيعة Super natural . وإن رجلاً يتخذ الإِيثَارَ بالنفس والمال والأهل شعاره الملازم الأكيد في جميع أدوار حياته لهُو نادرة الوجود وأعجوبة الأعاجيب .

أمثلة لا تُنسى

بعد أن ذكرنا مقدماتٍ طويلةً وجمالاً من البحوث والدراسات فيما يرتبط بجود الإمام علي بن أبي طالب وإثاره وفلسفة الكرم والبذل عنده من الوجهة التنظيرية، نودُّ - بشوقٍ وتلهُّفٍ وقلبٍ معمود - أن نذكر أمثلةً عمليةً وحيويةً على هذا الجود والايثار، الذي أكبره الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد في عدة سور، وأثنى عليه الرسول الأمين «صلى الله عليه وآله وسلم» في كلامه المقدس، وأورده العلماء والمؤرخون والمفكرون بكل فخرٍ واعتزازٍ وإعجاب.

وما سوف نتعرض له - إن شاء الله تعالى - من جود الإمام وإثاره بعيد شيئاً ما عن الاستقصاء والاستيعاب، وإن كنا لا نكتفي بالنزر اليسير، بل نورد أمثلةً وافرة، نأمل أن يجد فيها الباحث عن الحقيقة والمتطلع إلى الجمال الأخاذ ما يروي الظمأ ويشفي الغليل. وما سنذكره قد كثر نقله في كتب كثيرة - بنحو متفرِّق في أكثر الأحيان - مثل الكتب المخصَّصة لتفسير القرآن الكريم، ومثل كتاب «تاريخ مدينة دمشق» للحافظ ابن عساكر، و«شرح الأخبار» لقاضي القضاة أبي حنيفة النعمان التميمي المغربي، و«الأمالي» للشيخ محمد بن علي الصدوق، و«الكافي» للشيخ محمد الكليني، و«المناقب» لابن شهر آشوب السروي، و«شرح نهج البلاغة» لعز الدين بن أبي الحديد، و«حلية الأبرار» للسيد هاشم البحراني، و«بحار الأنوار» للشيخ محمد باقر المجلسي.. الخ.

ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ

روى أبو الوفاء ریحان بن عبد الواحد الخوارزمي البجلي عن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) أنه قال: صلى علي بن أبي طالب جمعة في المسجد وجلس فأتاه أعرابي فقال: يا ابن الكرام أتيتك قاصداً مؤملاً فيك ما يؤمل في مثلك، ولا مثل لك في أصلك وفضلك، وقد خلفت ورائي عيلةً ينتظرون سييئك.

فقال: والله لقد وافيتني في أضييق وقت، ولكن نردُّ ذمامك بشيء يؤدبك إلى أهلك. وأمر له بمائة ألف درهم، واعتذر إليه وقال: تعود الينا في وقت كذا فنبلغ بك ما يشبه أملك.

فانصرف الأعرابي وهو يقول:

وَرثَ المَكـارَمَ والنُّهَى وَعَلا عَلَيَّ كَلُّ البَشَرِ

ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ ما جُدُّ يُعْطِي الجَزِيلَ بِلا كَدَرِ

زِينُ العَشِيرَةِ كَلَّها فِي البَدْوِ مَنا والحَضَرِ

ورئيسها في النائب وفي الرحال وفي الحضرة^(١)

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ

١ - وقعت القصة التي حكاها لنا أبو ذر الغفاري ما قبل خلافة الإمام علي (عليه السلام) بدليل رواية أبي ذر لها، وقد توفي أبو ذر قبل خلافة الإمام بسنوات، وفاته (رضي الله عنه) في عام (٥٣٢هـ).

٢ - وهذا دليل أيضاً على أن المنحة الكبيرة التي أمر بها الإمام للأعرابي كانت من أمواله الخاصة وليست من أموال الدولة التي لم يتسنى عرشها الإمام آنذاك.

٣ - وقعت القصة في مسجد المدينة وهو ذلك المسجد العظيم الذي يكثر فيه عدد المصلين ويرتفع إلى حشد كبير، بل وقعت في يوم الجمعة حيث يزداد العدد ويتكاثف المصلون، فلماذا أمم الأعرابي الإمام متوجهاً إليه دون سواه من تلك الجموع فهل أن ذلك باعتباره أكثرهم عقاراً وأوفرهم مالاً؟ بالطبع أن الأمر لم يكن كذلك فإن علياً وإن كان من أكابر الأثرياء بحسب الواقع (عن الإمام أبي جعفر الباقر قال: ما مات علي بن أبي طالب، حتى بلغت غلته مائة ألف)^(١). ولقد وُجد في رجال المدينة المنورة من هم أثري منه، إذاً لا يكمن السبب في عظمة الثروة العلوية بمقدار ما يكمن في عظمة الجود العلوي، بما يشير الأديب العباسي أشجع السلمي إلى أمثال ذلك قائلاً:

يَـوَدُّ المـلوكُ نـديَّ جـعفرٍ ولا يصنعون كما يصنعُ
وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسعُ

٤ - لم يكن ذلك الأعرابي بعيداً عما هو نظير هذا التعليل فلقد قال للإمام: يا ابن الكرام أتيتك قاصداً مؤملاً فيك ما يؤمل في مثلك. فما كل ذي ثروة يؤمل ويرتجى للفواضل والعطايا لا سيما في جلائل الأمور وعظائم الخطوب.

٥ - لا ريب أن في المسجد من بين جمهور المصلين من يرجي خيره وفضله بيد أن توجه الأعرابي كان نحو أفضلهم وأكرمهم (أتيتك قاصداً مؤملاً فيك ما يؤمل في مثلك ولا مثل لك في أصلك وفضلك).

١٦٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

٦- نستشف من كلمة الإمام علي (عليه السلام) للأعرابي (تعود إلينا في وقت كذا فنبلغ بك ما يشبه أملك) قصةً مضمرةً قد أغفلتها ذاكرة التأريخ ورد الأعرابي فيها على الإمام في الوقت المحدد له، فمنحه ذلك العطاء الجزل الذي يستقل إلى جانبه العطاء الكريم الأول.

٧- نستفيد من هذه القصة الممتعة أن الأعرابي المحظوظ قد أحب أن يقصد من يتوفر على الشرائط الآتية:

أ- صاحب ثروة كبيرة وغنى عريض لأنه قد خلف وراءه عيلةً ينتظرون السيب. ويفهم من قوله الإمام له بعد منحه إياه مائة ألف درهم: (تعود إلينا في وقت كذا فنبلغ بك ما يشبه أملك) أنه كان يؤمل الحصول على مبلغ كبير جداً).

ب- من يجمع بين كرم النفس وكرم الآباء (يا ابن الكرام... لا مثل لك في أصلك، وفضلك.. ورث المكارم والنهي). فلا ريب أن كرم الآباء معين دافق لكرم النفس.

ج- من يهب الكثير لا القليل (ضحّم التسيعة.. يعطي الجزيل).

د- من لا يكدر النعمة بالمن والأذى (يعطي الجزيل بلا كدر).

الموائد العامة في شهر رمضان

روى ابن دريد في الأمالي عن الجرهموزي عن ابن المهلب عن ابن الكلبي عن شداد بن إبراهيم عن عبيد الله بن الحسن العنبري عن ابن عرادة قال: كان علي بن أبي طالب يعشي الناس في شهر رمضان باللحم، ولا يتعشى معهم، فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم. فأفاضوا ليلةً في الشعراء وهم على عشائهم، فلما فرغوا خطبهم (عليه السلام) وقال في خطبته: اعلموا أن ملاك أمركم الدين، وعصمتكم

التقوى، وزينتكم الأدب، وحصون أعراضكم الحلم. ثم قال: قل: يا أبا الأسود فيم كنتم تفيضون فيه أي الشعراء أشعر؟ فقال: يا أمير المؤمنين الذي يقول:

ولقد أعتدي يدافع ركني أعوجي ذو مبيعةٍ إضريحُ

مخلطٌ مزيلٌ معنٌ مفنٌ منفحٌ مطرُحٌ سبوحٌ خَروجٌ^(١)

يعني أبا دؤاد الإيادي. فقال (عليه السلام): ليس به. قالوا: فمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: لو رفعت للقوم غاية فجزوا إليها معاً علمنا من السابق منهم، ولكن إن يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة. قيل: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هو الملك الضليل ذو القروح.

قيل: إمرؤ القيس يا أمير المؤمنين؟ قال: هو.

قيل: فأخبرنا عن ليلة القدر؟ قال: ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستر علمها، ولست أشك أن الله إنما يسترها عنكم نظراً لكم؛ لأنه لو أعلمكموها عملتم

١ - في شرح الغريب الوارد في هذا الخبر: قال ابن دريد لما فرغ من الخبر: إضريح ينبثق في عدوه. وقيل: واسع الصدر. ومنفح: يخرج الصيد من مواضعه، ومطرُح: يطرح ببصره، وخروج: سابق، والغاية بالغين المعجمة: الراية قال الشاعر:

وإذا غـاية مـجد رفعت نهض الصلت إليها فحواهما
ويروى قول الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابية باليمن

بالغين، والراء أكثر. فأما البيت الأول فبالغين لا غير، أنشده الخليل في عروضه، وفي حديث طويل في الصحيح: فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً. والسبعة: أول جري الفرس، وقيل: الجري بعد الجري.

أقول: لعل ما قيل من تفسير الميعة هنا بالجري بعد الجري، أفضل من تفسير ابن دريد لها بأول جري الفرس، لأن الشاعر الإيادي في صدد نعت فرسه وذكر محاسنه، فإذا قلنا أن الميعة: أول جري الفرس، لم يكن استجداده له واستحساناً لجريه إلا على تكلف.

١٦٤..... فلسفة الجود والايثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

فيها وتركتهم غيرها، وأرجو أن لا تخطئكم إن شاء الله، انهضوا رحمكم الله^(١).

منهج الإمام علي بن أبي طالب في الموائد عبر ودروس

١ - إن العبارة التي أوردها ابن دريد: كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يعشي الناس. لتوحي ايحاءً قوياً بليغاً بأن الحاضرين على مائدة الإمام علي بن أبي طالب أعداد غفيرة من الناس، أي أن الدعوة عامة للجميع، فيتناول ألوف الناس طعام الافطار على مائدة الإمام (عليه التحية والسلام).

٢ - إن مراجعة نص الخبر لتعني أن هذه الدعوة العامة للافطار لم تكن لمرة أو مرتين، بل هي سارية المفعول في شتى ليالي الشهر المبارك.

٣ - إن كثرة الدعوات العامة التي يقوم بها أفراد قليلون جداً في أي مجتمع من المجتمعات، لتدل دلالة قوية واضحة على انصافهم بغاية عليا من غايات الكرم والاحسان.

٤ - لقد حضر الناس على مائدة من كان (يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن) فهل يطعمهم كما يطعم نفسه ويرضيهم من المآكل بما كان يرضيها؟ كلا وألف كلا، إنه لم يصنع ذلك إلا في حالات الضرورة والايثار حينما لا يصبح في يديه إلا القرص ونحوه فيطعمه المحتاج اليه ويبقى طاوي البطن، وأما الحالات العامة له فإنه يطعم الآخرين أفضل الطعام وأجود المآكل المعهودة لديهم، فقد ورد في هذا الخبر (كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يعشي الناس في شهر رمضان باللحم)، ولقد جاء عن الامام جعفر الصادق فيما رواه البرقي في «المحاسن» عن إسماعيل بن مهران عن حماد بن عثمان عن زيد بن الحسن قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن أمير المؤمنين (عليه

السلام) أشبه الناس طعمة برسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» كان يأكل الخبز والخَلَّ والزيت، ويطعم الناس الخبز واللحم^(١). والخبز واللحم من الأطعمة الشهية والغالية الثمن، أما الخبز فهو الذي تسميه العرب - اعتداداً بأهميته الكبرى - جابراً كما تسميه عاصماً وتسميه عامراً - وكل واحد من هذه الأسماء يعبر عن ادراك واقعي لمدلوله الجليل الأثر في المعيشة سواء للأغنياء أو الفقراء لا سيما للثاني منهما. ولذلك يقول المؤرخ العراقي الدكتور جواد علي: ولم يكن في استطاعة الفقراء أكل الخبز لغلائه بالنسبة لهم؛ لذلك عُدَّ أكله من علائم السغنى والمال^(٢).

وأما اللحم فهو من المواد الغذائية الراقية في الغالبية العظمى من دول العالم، وبالنسبة للعرب (يعدُّ أكل اللحوم من أطايب الحياة، ومن المفاخر التي يتباهى بها الناس على غيرهم، إذ لم يكن في ميسور كلِّ إنسان الحصول على اللحم)^(٣).

٥ - ولا نعلم على وجه اليقين بالحكمة التي جعلت الإمام علياً (عليه السلام) يعيشي الناس ولا يتعشى معهم. ولكن أحسبنا على سداد إذا ما قلنا ان ذلك يعود إلى أن الإمام الزاهد حقَّ الزهد والمتشِّف غاية التشِّف ينأى بنفسه عن الموائد المهمة والأطعمة الشهية، وانه لمن أصدق الصادقين حيث يقول: (أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ)^(٤). كما ان ذلك يعود أيضاً إلى أن الإمام أراد أن يخدم الضيوف الوافدين على طعامه بنفسه، وأن

١ - انظر أبو جعفر أحمد بن أبي عبد الله محمد بن خالد البرقي، كتاب المآكل من

المحاسن باب الإطعام، ٦٩ - باب الخل والزيت / ٥٢٥.

٢ - الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ٨١ / ٥.

٣ - المصدر نفسه، ٦٤ / ٥.

٤ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦ / ٢٠٥، من كتاب له (عليه السلام) إلى

عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة.

١٦٦..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
يشرف علي نصب الموائد، ومراقبة حوائج الضيوف. وأمير الكرماء والأسخياء لا
يأنف من خدمته للضيوف وتواضعه بين أيديهم، فلقد قال (عليه السلام): ثلاث
لا يستحيا منهن: خدمة الرجل ضيفه، وقيامه عن مجلسه لأبيه ومعلمه، وطلب
الحق وإن قل (١).

ولقد ذكرنا في هذا الكتاب أنه: قد ورد علي أمير المؤمنين (عليه السلام)
أخوان له مؤمنان أب وابن، فقام اليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه،
وجلس بين أيديهما، ثم أمر بطعام فأحضر، فأكل منه، ثم جاء قنبر بطست وابريق
خشب ومنديل، وجاء ليصب علي يد الرجل ماءً، فوثب أمير المؤمنين (عليه
السلام) وأخذ الابريق ليصب علي يد الرجل، فتمرغ الرجل في التراب وقال: يا
أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصب علي يدي؟! قال: أقعد واغسل يدك فإن الله
عز وجل يراك، وأخوك الذي لا يتميز منك ولا ينفصل عنك يخدمك. فقعد
الرجل.. فقال له علي (عليه السلام): أقسمت بعظيم حقي الذي عرفته، لما
غسلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبراً، ففعل الرجل ذلك.

٦- كما أن الحاجة إلى الطعام من الحوائج الرئيسية للإنسان، فذلك الحاجة
إلى العلم والمعرفة والارشاد والموعظة، وهذا ما كان يقوم به الإمام علي (عليه
السلام) بالفعل وإنه لمفردة شاخصة من مفردات منهجه القويم، في التعليم
والتطعيم، حيث جاء في الخبر المذكور: فإذا فرغوا (أي من تناول الطعام)
خطبهم ووعظهم.

٧- من جملة تلك الخطب التي كان يلقيها الإمام علي في الموائد: اعلموا أن
ملاك أمركم الدين، وعصمتكم التقوى، وزينتكم الأدب، وحصون أعراضكم
الحلم. وهي خطبة نافعة جداً علي الرغم من إيجازها، مشبعة بالحكمة والإنارة

الفكرية حيث قد أعلمهم بعمق ووضوح أن ملاك الأمر الدين، وعصمة الناس التقوى، وزينتهم الأدب، وحصون أعراضهم الحلم.

٨ - قد يصحُّ أن نستشفَّ من هذه الخطبة الوجيزة أن الغالب على خطب الإمام علي (عليه السلام) بعد المآدب هو الإيجاز والاختصار، ولعلَّ السرَّ في ذلك أن الإنسان - عادة - بعد تناول الطعام لا يستطيع استيعاب الكلام الطويل والموعظة المفصلة استيعاباً كافياً. وفي هذا المنهج العلوي ترشيد وتوجيه للخطباء والمحاضرين في كلِّ عصر وجيل، فينبغي لهم أن لا ينسوا العمل طبق أصوله.

٩ - ينبغي للخطيب والمحاضر والمعلم أن يتوخَّى الأوقات المناسبة للتربية والتعليم، فيتجنَّب مثلاً لقاء الخطبة وتوجيه الكلام في حالة جوع الحاضرين لا سيما إذا اشتدَّ عليهم الجوع كما في شهر رمضان المبارك، إذ أن الجائع في شغلٍ شاغلٍ، عن الاصغاء الكامل، والاستيعاب الشامل. وهذا واضح في منهج الإمام علي حيث أفاد الخبر التاريخي الحالي: فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم.

١٠ - طالما يستأنس المجتمعون على الموائد من بعد تناولهم للطعام بالحديث والمناقشة، وعلى هامش مائدة الإمام أمير المؤمنين قد جرت لغة النقاش والمحاورة بين أبي الأسود الدؤلي - وهو من كبار تلاميذ الإمام علي في العلم والأدب والحكمة - وبين أصحابه، فأبى الإمام في منهجيته الفريدة إلا أن يسمح لهم في الحوار بحريَّة تامَّة في مجلسه، خلافاً لما عليه كثير من الرؤساء والملوك والسلاطين الذين لا يأذنون للناس في الكلام ضمن مجالسهم العامة، بل لم يكتفِ الإمام بمنحهم الحُرِّيَّة، وإنما أبدا استعداداً للمشاركة الفعَّالة في الحوار وتوجيهه الوجهة الصحيحة، وقد أبان للمتحاورين عن رأيه في المسألة.

١١ - كانت المآدب العلوية هذه من أجل افطار المؤمنين في مختلف ليالي

١٦٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
شهر الله سبحانه وتعالى، ليتضاعف الأجر الكبير للداعي مضاعفات كثيرة؛ فلقد
روى الشيخ الأقدم أحمد بن محمد بن خالد البرقي في كتابه «المحاسن»
بإسناده عن ابن محبوب عن أبي أيوب عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: قال
رسول الله «صلى الله عليه وآله»: مَنْ فطر مؤمناً في شهر رمضان كان له بذلك
عتق رقبة ومغفرة لذنوبه في ما مضى، فإن لم يقدر إلا على مذقة لبن ففطرها
صائماً، أو شربة من ماءٍ عذبٍ وتمرٍ لا يقدر على أكثر من ذلك أعطاه الله هذا
الثواب^(١). كما روى البرقي بإسناده عن ابن محبوب عن هشام بن سالم عن أبي
بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: أيما مؤمن فطر مؤمناً ليلة من شهر
رمضان كتب الله له بذلك أجر من أعتق نسمة مؤمنة، ومن فطر شهر رمضان كله
كتب الله له بذلك أجر من أعتق ثلاثين نسمة مؤمنة وكان له بذلك عند الله دعوة
مستجابة^(٢). فينبغي لمن يطلبون وجه الله سبحانه فيما يعملون أن يختاروا
الأوقات الفضلى والأزمنة المثلى؛ ليضاعفوا من مساعيهم واجتهادهم في الخير
والبرِّ والإحسان، وينفقوا الانفاق الأكبر والأكثر عائداً.

١٢- الحاضرون على هذه المأدبة ممن يرغبون في العلم والأدب ويحاولون
الانتهال منهما، مما يعبر عن ذلك نقاشهم مع أبي الأسود الدؤلي، واستفسارهم عن
أشعر الشعراء، وسؤالهم أمير المؤمنين عن تحديد ليلة القدر، وإن كان (عليه
السلام) لم يجيبهم للتعليل الذي أشار إليه.

١٣- لقد دَوَّنَ لنا التاريخ ليلةً واحدةً أو ليلتين من الليالي الحسان في مآدب
الإمام أثناء شهر رمضان المبارك، بما فيها من خطوطٍ شاخصةٍ لبعض المعالم
والتفصيلات ذات العبر والدروس الراقية، ولو دَوَّنَ أي التاريخ لنا تفصيلات

١ - المحاسن، باب الإطعام في شهر رمضان، الحديث / ٦٥.

٢ - المصدر نفسه، باب الإطعام في شهر رمضان، الحديث / ٦٤.

الليالي الأخرى وأطلعنا عليها لكان قد أورث الأجيال بعد الأجيال مادة علمية وأدبية وأخلاقية نادرة الوجود على صعيد تأريخ البشرية جمعاء، إذ أنه حينئذ ينشر لنا أريجاً عبقاً طيباً لليالي شهر يحفل بخطب إمام البلغاء والأدباء والمتكلمين وسيد الفقهاء والعلماء والحكماء، إضافة إلى ما تتضمن من ذبالك النبع الثر الزخار من المحاورات والمداولات التي يشرف الإمام علي بن نفسه على توجيهها الوجهة الفريدة، وتصحيح مسارها، وتقويم مفادها وسلامة منطلقاتها.

متى ساويناهم في طعامهم سألنا الله عن ذلك

روى محمد بن سليمان الكوفي القاضي في كتابه «مناقب الإمام أمير المؤمنين» بإسناده عن أبي بكر الهذلي عن الحسن (الحسن البصري) قال: حدثني رجل من بني تميم قال: وجّهني عبد الله بن عباس إلى علي بن أبي طالب بستمائة ألف درهم فضلت من عطايا أهل البصرة، فقدمت عليه وهو يعشي الناس في شهر رمضان فقال: يا أخا بني تميم اجلس فأصحب مع الناس. فقلت: بل أقوم معك وأعينك حتى يفرغوا. قال: ذلك اليك. فلما فرغوا قبض علي ذراعي (وذهب بي إلى بيته) فلما دخل منزله جلس ثم قال: يا قنبر ائتني بالمزود. فجاء بمزود مختوم فنظر إلى ختمه، فقلت في نفسي: هذا مال يريد أن يدفعه إلي. ففتحه، فأخرج لي كسر خبز يابس قبله بماء، وأتى بزيت وملح فصب عليه وقال: ادن يا أخا بني تميم. فقلت أقلني يا أمير المؤمنين، ردني إلى أصحابي. فقال: هيهات فاتك أصحابك. يا قنبر ائت الحسن بن علي فقل له: نزل بنا ضيف فإن يك عندك غياث فأغثه. فجاء بصحفة فيها مرق ولحم وأرغفة، فوضع بين يدي؛ فجعلت آكل، فقال: يا أخا بني تميم إنك لحاذق بأكل هذا. فقلت: أنت والله حاذق بأكل فلق الخبز. فبكي، ثم قال: يا أخا بني تميم متى ساويناهم في طعامهم

١٧٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
سألنا الله عن ذلك. ثم قام إلى حبّ علي الفرات فشرّب منه ماءً، ثم قال: الحمد لله
الذي أطعمني وسقاني^(١).

من الخطوط الإيثارية المشتركة

ما أشبه أمير المؤمنين في دعوته الكريمة هذه بالليلة السالفة من ليالي شهر
رمضان المبارك، فمن جملة النقاط الواضحة في الاشتراك والالتقاء ما بينهما:

١- كانت المأدبة العلوية تلك من أجل افطار المؤمنين في ليلة من ليالي شهر
الله سبحانه وتعالى، ليتضاعف الأجر الكبير للداعي مضاعفات كثيرة؛ والأمر
هكذا فيما يخص هذه الليلة.

٢- لاحظنا في تلك الليلة أنّ العبارة التي أوردها ابن دريد: كان علي بن
أبي طالب (عليه السلام) يعشي الناس. لتوجي إحياء قوياً بأن الحاضرين على
مائدة الإمام علي بن أبي طالب أعداد غفيرة من الناس، أي أن الدعوة عامة
للجميع، فيتناول ألوف الناس طعام الافطار على مائدة الإمام (عليه السلام).
وهكذا بالنسبة إلى هذه الليلة فعبارة أخي بني تميم: قدمت عليه وهو يعشي الناس
في شهر رمضان. بمعنى أن الدعوة عامة للجميع.

٣- لم يتناول الإمام في تلك الليلة الطعام مع الناس لبعض الأسباب
المقدّسة، وفي ليلة التميمي لم يتناول الإمام أيضاً الطعام معهم.

٤- أراد الإمام في تلك المأدبة أن يخدم الضيوف الوافدين على طعامه
بنفسه، وأن يشرف على نصب الموائد، ومراقبة حوائج الضيوف. وهذا واضح في
ليلة التميمي، فإنه لما قال له الإمام: يا أخا بني تميم اجلس فأصب مع الناس.

أجابه قائلاً: بل أقوم معك وأعينك حتى يفرغو.

لقد كان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا يرتضي أن يساوي الناس في أطعمتهم وما آكلهم قائلاً: متى ساويناهم في طعامهم سألنا الله عن ذلك. هكذا هكذا كان حتى في الطعام الذي يصنعه لهم من أمواله الخاصة ويقدمه لهم في الدعوات العامة. والعلّة في ذلك أنه الإمام والقائد والرئيس الأكبر: إنه القُدوة المثلّية، وإن قلّ من يقنّدي، ونَدَرَ من يتأسّى.

يتصدق بالأجرة ويشدُّ على بطنه حجراً

قال عزّ الدين بن أبي الحديد في أوائل الجزء الأول من شرح نهج البلاغة: وأما السخاء والجود فحاله فيه ظاهرة، وروي عنه: أنه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة، حتى مجلت يده، ويتصدّق بالأجرة ويشدُّ على بطنه حجراً^(١).

عملٌ جبارٌ وانسانيةٌ وثقى

لقد استرعت القصة هذه انتباه الكاتب المسيحي المتألق جورج جرداق، وسحرت بمفاتها روحه المفعمة بحب الفضيلة والخير والجمال فهو يقول عن كرم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: كرمه هو الكرم الذي الذي يعبر عن جملة المروءات متحدة في نفسها موجهة. ففيما كان يزجر ابنته زجراً شديداً إذا هي استعارت من بيت الأمة قلادة تزيّن بها جيدها أسوة ببعض البنات في عيد من الأعياد، وفيما كان يزجر أخاه عقيلاً إذا هو طلب إليه أن يمده بقليل من الأموال

١٧٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

العامة، وفيما كان يبعد عنه كل طالب رشوة وكل راغب في عطاء علي غير جهد وفي غير حق، كان فيما هو ثابت من الروايات يسقي بيده النخل لقوم من يهود المدينة حتى تمجّل يده، فيتناول أجرته فيهبها لأهل الفاقة والعوز^(١).

إنّ التاريخ والروايات تطالعنا أنه لطالما مجلت يد إمام المتقين والصديقين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالعمل الدؤوب لسنين طويلة المدى؛ استخراجاً للذهب الأخضر، حرثاً وغرساً ورعايةً وسقياً، حتى تمّ له اجتناء واقتطاف المحصولات الزراعية الوافرة جداً، والغنيّة حق الغناء بعوائدها ومواردها الماليّة الفخمة.

فما الذي يهدف له بولعٍ وشغفٍ، ويرنو إليه كلّ يوم بشوقٍ متوهّجٍ هذا الرجل الكبير الجليل العابد الناسك الزاهد والمتقشف بكل مال للكلمة من معنى جليل؟

إن من أهمّ الأهداف لحبيب الانسانية أن يوفّر أكبر قدرٍ ممكن من الأغذية الشهية الطيبة للضيوف والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام ومختلف الذين أجحف بهم الدهر المارد العنيد، وتغافل عنهم الأثرياء والمترفون، وتقاعس عنهم أو سخر منهم المتخّمون.

إذا كان من الفضل والخيرية والكرم والإحسان بمكانٍ أن يشارك الأغنياء والتموّلون الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام في لقمة العيش، ويقاسموهم في المطاعم، وما يقومُ أو دهم ويقومُ أصلاهم. فإنّ إمام المتقين علي بن أبي طالب لم يكن ليقتنع بهذا التفكير ويتعامل وفق هذا المنهج بشكل دائم ورتيب، بل قد أبت عليه نفسه الصديقة الكريمة الطهور، إلا أن يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة، حتى مجّلت يده، ويتصدّق بالأجرة، ويشدّ علي بطنه حجراً.

إنَّه حين يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة يدلُّ على أن الصنيع المذكور إنما كان على عهد النبوة؛ لأن اليهود كانوا فيها آنذاك، وقد أجلاهم الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» منها. إلا أن علياً قد مجلت يده ما بعد ذلك أيضاً، حيث أعتق ألف مملوك من كدِّ يمينه وعرق جبينه^(١).. فَيَا لَهُ من عَمَلٍ جبارٍ وانسائيَّةٍ وَتَقَى لا تُطال ولا تُدرَك، حتى وإن كثر المدَّعون في عصور النهضة والتنوير والتحرير.

«إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ * لِيُؤْتِيَهُمُ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ»^(٢).

خارق للطبيعة

بالإسناد عن زينب بنت علي عن أسماء بنت عميس عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: كان علي من أجود الناس، لقد كان أبوه يوجِّه معه باللطف إلى بعض أهله فيقول: يا أبة هذا قليل فزده. ثم يأتي أمه فاطمة بنت أسد فيقول: يا أم زيدي عليه من نصيبي فتفعل. ولقد كان يدفع إليه وإلى عقيل الشيء يسوي بينهما، فيميل عقيل عليه ويقول له: أعطيت أنت أكثر مما أعطيت أنا. فيضعه بين يديه فيقول: خذ منه ما تريد. ثم نشأ علي ذلك وكان جواداً شجاعاً، وضمَّه إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وهو ابن أربع سنين فكان في حجره فأخذ يهديه. وما ردَّ سائلاً قط منذ هو صبي إلى أن استشهد (رضي الله عنه)^(٣).

١ - انظر بحار الأنوار، ٤١ / ٣٧. ٢ - فاطر، الآية / ٢٩ - ٣٠.

٣ - محمد بن سليمان القاضي الكوفي، مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

١٧٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

حقاً لقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أخلاقه العليا ومثله الإنسانية العظيمة، وسلوكه البناء خارقاً للطبيعة Super natural. وإن رجلاً يتخذ الإيثار بالنفس والمال والأهل شعاره الملازم الأكيد في جميع أدوار حياته من لدن كان طفلاً حتى سنّ الكبر والى لقاء الشهادة، غير حاسب للذاتيات أدنى حساب، ولا جاعلٍ لها أقلّ سهمٍ من التردد والتقاعس والانكفاء، لهو نادرة الوجود وأعجوبة الأعاجيب، فهل وجود لنا الزمان بعده مرة أخرى بأمثال له أو شبه أمثال بعدد أصابع اليدين أو اليد الواحدة إلى يوم التناد؟

ولو علمت الفلسفة الرواقية (التي تعتبر أنّ الحكيم والفيلسوف لا تهتمه اللذائذ ولا المصائب ولا المسرات ولا الأحزان، بل يجعل كل شيء في سبيل الفضيلة) أقول لو علمت بمجيء كائن اسمه علي بن أبي طالب لعدّته الرواقي Stoicism الأكبر، ولظلت أعمدة الفلسفة المذكورة أمثال زينون وابكتاتوس وكليانت من تلاميذه أو تلاميذه الصغار وأبنائه البررة المتعلمين والمتدربين على يديه.

أنا أبو الأرامل واليتامى

روى الموفق المكي الخوارزمي في (المناقب) خطبة لعلي في اثني عشر رجلاً رسل معاوية إليه، لما استرد الفرات من معاوية فقال من جملتها: أنا أبو الأرامل واليتامى^(١).

حينما تعصف الرياح الهوج التي يرسلها الدهر الخؤون بين الفينة والفينة، وتقتلع خيام كثير من الناس، فتدع الأرامل واليتامى بلا راعٍ شفيق، ولا وليٍّ

حميم، ولا أب رحيم، يرسل اللطيف الخبير سبحانه وتعالى سُحْبَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ فترسل الواابل تلو الواابل بما يعصف بالرياح الهُوج حتى تهدأ راغمة، وتسكن وتستقر، فيتتنفس الأرامل واليتامى نسمات الحبور، ويستبشرون بالكرم الإلهي والرعاية الربانية المُغْدِقَةَ، ويشكرون للواابل - الذي لم يكن إلا رعاية الأفاضل والأماجد - خيرَه وبرّه ولطافة كرمه وامتنانه، «إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ»^(١).

إن من ينفقون بغزارة على الأرامل واليتامى قد أدوا اليهم حقاً كبيراً جداً من حقوقهم، كما قاموا بحلّ وتذليل مشكلة عظمى من مشاكلهم، وتجاوز بعض العقبات التي يواجهونها غالباً في مسار حياتهم الطافحة بالآلام والمآسي. إلا أن منح المال وكرم الإنفاق ليس كل شيء في الحياة، فلا بدّ من الرفق بهم والرعاية لهم في مختلف شؤونهم وقضاياهم، وأبوّة الأرامل واليتامى لا تتحقق بمجرد الانفاق عليهم وإن كان وافراً، ما لم تنتجز الأمور الأخرى التي من شأنها أن تسعد حياتهم وتكرم مشواهم، وهل أن واجبات الأبناء على الآباء تقتصر على بذل الأموال لا أكثر ولا أقل؟! كلا ثم ألف كلا. لقد كان الإمام أمير المؤمنين راعياً للأرامل واليتامى وأباً لهم، في أوسع أبواب الرعاية وأشملها، وأسمى لباب الأبوة وأنبهها، كرمأ وامتنانا، وَعَطْفاً وَتَحَنّاناً، وَرِعَايَةً وَإِحْسَاناً، وفي الموضوع التالي من هذا الكتاب (مَنْ يَحْمِلُ وَزْرِي عَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، دليل مشرق الجنبات لمزيد من إثبات المطلب ودعم المقصود.

ولقد كان الإمام علي وأبوه أبو طالب أبوين حنونين بارّين - بما للكلمة من معنى - باليتامى والأرامل. كما كان الإمام كأبيه أبي طالب مُعْجَباً جداً ومُحِبّاً جداً لاجتماع الصفتين الأخلاقيتين البارعتين لدى بعض الخاصة من الناس ألا وهما: صفة رعاية اليتامى وإكرامهم، وصفة الإحسان الكبير إلى الأرامل. ولقد قال أبو

١٧٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

طالب في الجاهلية وهو يرثي خاله المعروف بالإحسان والإكرام (هشام بن المغيرة المخزومي) من قطعة شعرية، وكان عام مات هشام تأريخاً كعام الفيل وعام الفجار وعام بنيان الكعبة:

وكان هشام بن المغيرة عصمةً إذا عرك الناس المخارِفَ والفقْرُ

بأبياته كانت أراملُ قومه تلوذ وأيتامُ العشيرة والسفْرُ

وقال أبو طالب في الاسلام - إبان فترة الحصار في الشعب المعروف بشعب أبي طالب قصيدة رائعة مشهورة في كتب تأريخ الأدب العربي ولدى قدماء المؤرخين، يمدح في عدد من أبياتها رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، ويشير بوضوح وتركيز إلى الصفتين الطيبتين المذكورتين:

وأبيض يُستقنى الغمامُ بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأراملِ

وحسب أبي طالب (رضوان الله عليه) أجراً وثواباً وفخراً واعتزازاً وجوداً وكرماً أنه أولى منتهى العناية والاهتمام لأفضل وأكرم يتيم على وجه الأرض، وقام برعايته وخدمته أحسن قيام، بما لم يكن له نظير بين الرعاة والخدام. على أن رعايته وخدمته وحراسته وحياطته له لم تقتصر على فترة يتمه «صلى الله عليه وآله وسلم»، بل تجاوزتها كثيراً إلى ما بعد البعثة المباركة بسنوات طويلة حيث المشاق الكثيرة التي لقيها والجهود الجبارة التي قدّمها، حتى لقي الله سبحانه وتعالى وهو عليه راض، وعلى شائيه ساخط.

رعاية اليتامى والأراملِ

قال البخاري في كتابه «الجامع الصحيح»: حدثنا اسماعيل بن عبد الله

قال: حدثني مالك عن صفوان بن سليم يرفعه إلى النبي «صلى الله عليه وسلم»
قال: الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم
النهار ويقوم الليل^(١).

عن فقه الرضا (عليه السلام). رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ «صلى الله عليه وآله وسلم»
أَنَّهُ قَالَ: مَنْ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ تَرَحُّمًا لَهُ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهِ
يَدُهُ حَسَنَةً. وَإِنْ وَجَدْتَهُ بَاكِيًا فَسَكَّنْتُهُ بِلُطْفٍ وَرَفَقٍ فَإِنَّهُ أَزْوِي عَنِ الْعَالَمِ (عليه
السلام) أَنَّهُ قَالَ: إِذَا بَكَى الْيَتِيمُ اهْتَزَّتْ لَهُ الْعَرْشُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ هَذَا
الَّذِي أَبْكَى عَبْدِي الَّذِي سَلَبْتُهُ أَبْوَيْهِ فِي صِغَرِهِ وَعَزَّرْتِي وَجَلَالِي وَازْتَفَاعِي فِي
مَكَانِي لَا أُسْكِنُهُ عَبْدًا مُؤْمِنًا إِلَّا أَوْجَبْتُ لَهُ الْجَنَّةَ^(٢).

محمد بن علي بن الحسين في «معاني الأخبار» باسناده عن أبي خالد
الكابلي قال: سمعت زين العابدين علي بن الحسين (ع) يقول: ... وَالذُّنُوبُ الَّتِي
تَحْبِسُ غَيْثَ السَّمَاءِ: جَوْرُ الْحُكَّامِ فِي الْقَضَاءِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ وَكَيْفَانُ الشَّهَادَةِ وَمَنْعُ
الزَّكَاةِ وَالْقَرْضِ وَالْمَاعُونَ وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ عَلَى أَهْلِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ وَظُلْمُ الْيَتِيمِ
وَالْأَرْمَلَةِ وَانْتِهَارُ السَّائِلِ وَرَدُّهُ بِاللَّيْلِ^(٣).

من كتاب لعلي (عليه السلام) إلى زياد: أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ أَجْرَ
الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَتَتَطَمَعُ وَأَنْتَ مَمْرَعٌ فِي النَّعِيمِ أَنْ تَمْنَعَهُ
الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ وَأَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؛ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْرِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ

١ - الجامع الصحيح ٤ / ٩٣ ح ٦٠٦.

٢ - مستدرک الوسائل، ٢ / ٤٧٢ الباب ٧٨ - باب استحباب مسح رأس اليتيم .. /

٢٤٩٣ - عن فقه الرضا (عليه السلام).

٣ - وسائل الشيعة، ١٦ / ٢٨١، ٤١ - باب تحريم التظاهر بالمنكرات .. / ٢١٥٥٦.

١٧٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وَقَادِمٌ عَلَيَّ مَا قَدَّمَ (١).

روي أن إبراهيم (عليه السلام) سأل ربه قال: ما جزاء من يصبر الحزين

ابتغاء وجهك؟

قال: أكسوه ثوباً من الإيمان يتبوا بها في الجنة، ويتقي بها من النار.

قال: فما جزاء من سدّد الأرملة ابتغاء وجهك؟

قال: أقيمه في ظلي، وأدخله جنتي (٢).

«إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَعَّفُ لَهُمْ وَلَهُمْ

أَجْرٌ كَرِيمٌ» (٣).

مَنْ يَحْمِلُ وَزْرِي عَنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ

عظفاً علي ما مرّ من ذكر الدافع الأول في البذل والجود عند الإمام علي (عليه السلام) وهو الدافع الأخروي والتزلف إلى رضوان الله تعالى، من المستحسن أن نورد هذه القصة التي تعبّر عن الإحساس التام بالمسؤولية، وعن ضرورة الرعاية القصوى للطبقة المسحوقة في المجتمع فضلاً عن غيرها، كما تعبّر عن الشخصية العملاقة لذلك الجواد المنهال الترابي المتواضع.

نظر علي إلى امرأة علي كتفها قربة ماء، فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها، وسألها عن حالها فقالت: بعث علي بن أبي طالب صاحبي إلى بعض

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥ / ١٣٩.

٢ - الحديد، الآية / ١٨.

٣ - مسكن الفؤاد / ١١٤.

الشغور فقتل، وترك عليّ صبيانا يتامى وليس عندي شيء، فقد الجأتني الضرورة إلى خدمة الناس.

فانصرف الإمام وبات ليله قلقاً. فلما أصبح حمل زنبيلاً فيه طعام، فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك.

فقال: مَنْ يحمل وزري عني يوم القيامة؟

فأتى وقرع الباب. فقالت: من هذا؟

قال: أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة، فافتحي فإن معي شيئاً للصبيان.

فقالت: رضي الله عنك وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب.

فدخل، وقال: إني أحببت اكتساب الثواب، فاختر بين أن تعجني وتخزي، وبين أن تعللي الصبيان لأخبر أنا.

فقالت: أنا بالخبز أبصر، وعليه أقدر، ولكن شأنك والصبيان فعللهم حتى أفرغ من الخبز.

فعمدت إلى الدقيق فعجنته، وعمد عليّ إلى اللحم فطبخه وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره، فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له: يا بني اجعل عليّ بن أبي طالب في حِلِّ مما مرّ في أمرك.

فلما اختمر العجين قالت: يا عبد الله سجّر التنور.

فبادر لسجّره، فلما اشعله ولفح في وجهه جعل يقول: ذُقْ يا عليّ، هذا جزء من ضيِّع الأراامل واليتامى.

فراته امرأة تعرفه فقالت: ويحك هذا أمير المؤمنين.

١٨٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

فبادرت المرأة وهي تقول: واحيائي منك يا أمير المؤمنين.

فقال: بل واحيائي منك يا أمة الله فيما قصرت في أمرك^(١).

روضة فوق رابية

هذا هو جود وفضل علي بن أبي طالب يمين فياض لا يعرفها البخل
والامسك، وأريحية مشهودة لا تعرف المن والأذى.

هذا هو جود وفضل علي بن أبي طالب إحسان يترفع عن الرثق والكدر،
وتواضع يتكبر على التكبر والخيلاء.

هذا هو جود وفضل علي بن أبي طالب ذلك الإمام الشحيح والبخيل حق
الشح والبخل بأموال الناس، والجواد والكريم حق الجود والكرم بأمواله
الخاصة.

وهذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يرعى القريب والبعيد ويتفقد
الصادر والوارد ويكرم الأرامل واليتامى، حتى إذا ما شدد عن ميادين تفقده شاد
عن غير قصد ولا قلة مبالاة في يوم من الأيام تحرقت أضلاعه وتسعرت
أشجانه، واستقبل أجيج التنور وهو يلفح في وجهه قائلاً: ذق يا علي هذا جزاء
من ضيع الأرامل واليتامى.

ولا أدري أيهز أوتار قلوب الناس ما يهز أوتار قلبي وأنا أستمع لهذا الجواد
الكريم رئيس الفضلاء وسيد أحرار العالم، والذي داف جودة وفضله بالتواضع
والسكينة فاذا به يقول لواحدة من رعاياه: أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة.

١ - ابن شهر آشوب السروي، مناقب آل أبي طالب، ٢ / ١١٦، والشيخ محمد باقر

المجلسي، بحار الأنوار ٤١ / ٥٢.

وليس لي إلا أن أقول وملء الفكر والأحاسيس إعجاب وإكبار ما قاله
حبر الأمة عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما): لقد كان أمير المؤمنين يشبهه
القمر الزاهر، والأسد الخادر، والفرات الزاخر، والربيع الباكر؛ فأشبهه من القمر
ضوؤه وبهاؤه، ومن الأسد شجاعته ومضاهؤه، ومن الفرات جودته وسخاؤه، ومن
الربيع خصبه وحيأؤه.

وليس لي إلا أن أقول وملء الفكر والأحاسيس إعجاب وإكبار ما قاله أو
نقله أبو نعيم الفضل بن دكين: كان (عليه السلام) بشره دائم، وثغره باسِم،
غيث لمن رغب، وغيث لمن ذهب، مأل الآمل، وثمال الأرامل، يتعطف على
رعيته، ويكفيها بمهجته.

وليس لي إلا أن أقول أيضاً في آخر المطاف وملء الفكر والمشاعر
والأحاسيس، إعجاب وإكبار وتقديس: أجمل من روضة فوق رايته ذلك الذي
يكلل أمجاده بالتواضع.

جبرئيل عرّفني

حدّث أبو هريرة (١٩ ق هـ - ٥٩ هـ) قائلاً: كان في المدينة مجاعة، ومري بي
يومٌ وليلة لم أذق شيئاً، وسألت أبا بكر آيةً كنتُ أعرف بتأويلها منه، ومضيتُ معه
إلى بابهِ وودعني، وانصرفتُ جائعاً يومي، وأصبحتُ وسألتُ عمر آيةً كنتُ أعرف
منه بها، فصنع كما صنع أبو بكر، فجنّت اليوم الثالث إلى عليٍّ وسألته ما يعلمه فقط.
فلما أردتُ أن أنصرف دعاني إلى بيته فأطعمني رغيفين وسمناً. فلما شبعت
انصرفت إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فلما بصر بي ضحك في وجهي
وقال: أنتَ تحدّثني أو أحدثك؟ ثم قصّ عليّ ما جرى وقال لي: جبرئيل

ذروة إخلاص علي في إنفاقه وإطعامه

إن إطعام الجائع رغيفين وسمناً أيام المجاعة شيء مستحسن ومحمود، لا سيّما مع الإخلاص التام في النفقة، والابتعاد عن التصنع، ولقد عرف عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أنه سئل أي الصدقة أفضل؟ فقال: جهْدٌ من مُقِلِّ.

ولقد قال «صلى الله عليه وآله وسلم» لعمران بن الحصين^(٢): يا عمران إن الله يحب الإنفاق، ويبغض الإقتار، فاسقٍ وأطعم، واعلم أن الله يحبُّ النظر الناقد عند مجيء الشبهات، ويحب السماحة ولو على تمرات ويحب الشجاعة ولو على قتل حيّة^(٣).

وجاء في السورة الحادية والسبعين من الزبور: حُسْنُ الْعَمَلِ يُقَرِّبُ مِنِّي، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَحْضَرَ سَيْفًا لَا نَصْلَ لَهُ أَوْ قَوْسًا لَا سَهْمَ لَهُ أَكَانَ يَرْدَعُ عَدُوَّهُ؟ وكذلك التوحيد لا يتم إلا بالعمل وإطعام الطعام لِرِضَاي، سُبْحَانَ خَالِقِ الثُّورِ^(٤).

وكيف لا يكون أبو الحسن مُقِلًّا آنذاك مع وجود المجاعة بين أهل المدينة، وأنه لا يلقى أو يذر شيئاً مما يمتلك، إنفاقاً على المحتاجين، وإكراماً للضيوف.

إن كون جبرئيل (عليه السلام) هو الذي عرّف النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بالقصة السريّة للإطعام، دليل آخر من الأدلة الكثيرة على ذروة إخلاص

١ - السروي، مناقب آل أبي طالب ٢ / ٧٣، والمجلسي، بحار الأنوار ٤١ / ٢٧، وعيدروس بن أحمد الاندوني، المقنتطات ٢ / ١٦٩.

٢ - عمران بن الحصين الخزاعي: من فقهاء الصحابة المعدودين، ومن أخلص الناس للإمام علي (عليه السلام) وهو من المكثرين من الحديث.

٣ - تزهة الناظر / ٢١. ٤ - ابن طاووس، سعد السعود / ٥٢.

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في إنفاقه وإطعامه، وفي ابتغائه مرضاة الله تبارك وتعالى. إذ لولا ما أخبر به جبرئيل من القصة لبقيت في طيِّ أضيابير المكتوم المجهول.

إِنَّ الْقَلِيلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَزِيلٌ، وَالكَثِيرَ مَقْبُولٌ وَجَلِيلٌ.

ولقد كان الإمام علي بن أبي طالب شديد العناية والاندفاع نحو الاتفاق كثيرًا كان نظير عدد من الأمثلة التي جاء بها هذا البحث، أم قليلاً نظير الأربعة دراهم التي ذكرها القرآن الكريم، وكما في قصة الرغيفين والزيت. وإنه كما أطعم رغيفين وزيتاً في المثال، كان يطعم عسلاً كما في حديث أبي الطفيل الكناني: رأيت علياً كرم الله وجهه يدعو اليتامى فيطعمهم العسل، حتى قال بعض أصحابه: لوددت إنني كنت يتيماً^(١).

« وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ».

يا عليُّ أعطِ الأعرابي حاجته

عن الحسين بن علي (عليه السلام) بما مختصره: دخل أعرابي على رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» ومعه ضبٌّ قد اصطاده فقال: لا أو من بك يا محمد أو يؤمن بك هذا الضبُّ.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: يا ضبُّ من أنا؟

١ - أبو جعفر الاسكافي المعتزلي، المعيار والموازنة / ٢٥١، والزمخشري، ربيع الأبرار،

٢ / ٣٠٥، وابن شهر آشوب، المناقب ٢ / ٧٥، والمجلسي، بحار الأنوار ٤١ / ٣٠.

قال: أنت محمد بن عبد الله.

قال: يا ضبُّ من تعبد؟

قال: أعبد الذي خلق الحبة، وبرأ النسمة، واتخذ إبراهيم خليلاً، وناجى موسى كليماً، واصطفاك يا محمد.

فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله حقاً.

فأخبرني يا رسول الله هل يكون بعدك نبي؟

قال: لا أنا خاتم النبيين، ولكن يكون بعدي أئمة من ذريتي قوامون بالقسط، كعدد نقباء بني إسرائيل، أولهم علي بن أبي طالب، فهو الإمام والخليفة بعدي، وتسعة من الأئمة من صلب هذا، ووضع يده على صدري، والقائم تاسعهم يقوم بالدين في آخر الزمان. فأنشأ الأعرابي يقول:

ألا يا رسول الله إنك صادقٌ فبوركت مهدياً وبوركت هادياً
شرعت لنا الدين الحنيفي بعدما عبدنا كأمثال الحمير الطواغيا

فقال رسول الله «ص»: يا أخا بني سليم هل لك مال؟

فقال: والذي أكرمك بالنبوة: إن أربعة آلاف بيت في بني سليم ما فيهم أفقر مني. فحملة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» على ناقه. فنام في الصفة^(١) لم يأكل شيئاً، فلما كان من الغد تقدم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»

١ - الصفة: لما كثر الغرباء والمساكين في عاصمة رسول الله «ص» أمر ببناء سقيفة كبيرة

لهم يأوون إليها ويسكنون في ظلها. فسكنها أربعمائة رجل فكانوا ضيوف رسول الله «ص» فكان يتعهدهم بمختلف المواد الغذائية التي تحصل عنده ويعطف عليهم كثيراً، وكان من المسلمين من يتعاهدونهم أيضاً حتى أغناهم الله بكرمه ورحمته.

فقال :

يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي لَا نَعِدُهُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا نَعَلْتَهُ
وَدِينُكَ الْإِسْلَامُ دِينَ نُعْظِمُهُ نَبِيَّ مَعَ الْإِسْلَامِ شَيْئًا نَقَضْتَهُ

فتبسم النبي «صلى الله عليه وآله وسلم». وقال: يَا عَلِيَّ أَعْطِ الْأَعْرَابِيَّ حَاجَتَهُ. فَحَمَلَهُ عَلِيٌّ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَطْعَمَهُ، وَأَشْبَعَهُ، وَأَعْطَاهُ نَاقَةً، وَجَلَسَتْ تَمْرًا^(١).

دار الضيافة والترحيب

لقد كانت الحاجة الآتية للأعرابي الغريب (اسمه سعد بن معاذ السلمي) آنذاك أن يحصل على وجبة من الطعام، لأنه قد نام في الصُّفَّة لم يأكل شيئاً، وقد عبّر عن حاجته الآتية الملحة بقوله الصريح: نبغي مع الإسلام شيئاً نقضمه. ولما كانت دار علي بن أبي طالب دار الضيافة والترحيب والتكريم للحاضر والباد، وللمحتاج والضعيف والمسكين واليتيم والأسير؛ لهذا رشحه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» لاستضافة الأعرابي الغريب وقد وخزه سنان الجوع وأطلق لسانه بالسؤال، وبالفعل فقد تمَّ ما أراد رسول الله «ص» ، إذ حمّله عليٌّ إلى منزله فأطعمه وأشبعه.

بيد أنه هل ينبغي لدار علي بن أبي طالب أن تكتفي بإسقاط التكليف، والامتثال للحدّ الأدنى من إرادة رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، فتطعم الأعرابي وتشبعه فحسب؟ أم عليها - كما هو المعتاد منها - أن تحلّق في الأفق الأعلى من الخير والشمم وجمالية الأخلاق؟ وجرياً على الخطئ المعتادة فقد

١٨٦..... فلسفة الجرد والابتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

جادت في تكريم الضيف - بما تسمح لها الفرصة ويقدر لها الظرف الراهن - بأن منحت الضيف ناقة، والناقة التي هي سفينة الصحراء لها شأنها العظيم في ذلك الوقت، لا سيما لدى الأعراب، كما زوّدتها الدار أيضاً - وهو يستعدُّ للرحيل - بجلّة تماً، ينفعه في الغربة عن الموطن، وفي قطع الطريق الطويل.

«مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»^(١).

قضاء دين الرسول

عن صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» حبشي بن جنادة السلولي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أنه قال: «علي مني وأنا منه، ولا يقضي عني ديني إلا أنا أو علي».

قال قاضي القضاة النعمان بن محمد التميمي المغربي^(٢). (وفاته عام ٣٦٣ هجرية): وهذا أيضاً خبر مأثور مشهور، وقد قضى علي عليه السلام دين رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وأنجز عدياته بعد وفاته كما أمره بذلك، بعد أن أمر بأن ينادى في الناس: ألا من كان له علي رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» دين، أو وعده بشيء، فليأت علياً، فقضى ذلك من أتاه فيه، وهذا لا يفعله إلا مستخلف.

وكذلك لما هاجر رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» إلى المدينة استخلف علياً على أهله، وأمر بأن يقضى عنه دينه، ويؤدي ما كان عنده من وديعة

١ - البقرة، الآية / ٢٤٥.

٢ - شرح الأخبار في فضائل الأئمة الاطهار ١ / ١١٣ - ١١٤.

وأمانه التي من كان له ذلك، وكان بذلك خليفة في حياته وبعد وفاته، ووصيّه، كما ذكر ذلك «صلى الله عليه وآله وسلم». ومما قضى عنه من الدين، وفي الله عزّ وجل الذي هو أعظم الديون، وذلك ما كان افترضه عليه، فقبض «صلى الله عليه وآله وسلم» قبل أن يقضيه، وأوصى علياً «صلى الله عليه وآله وسلم» بقضائه عنه، وذلك قول الله عزّ وجل: «يا أيها النبيّ جاهد الكفار والمنافقين»^(١). فجاهد الكفار في حياته، وأمر علياً (عليه السلام) أن يجاهد المنافقين بعد وفاته، فجاهدهم وقضى بذلك دين رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» الذي هو أعظم ما كان عليه لربه تعالى.

وعن الطبري باسناد له عن عباد عن علي (عليه السلام) انه قال: قال رسول الله «ص»: «مَنْ يُوَدِّي دِينِي وَيَقْضِي عِدَاتِي، وَيَكُونُ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ.

وذكر الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه ت (٤١٠ هـ) في كتابه «مناقب علي بن أبي طالب» عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله «ص»: «إِنَّ خَلِيلِي، وَوَزِيرِي، وَخَلِيفَتِي، وَخَيْرَ مَنْ أَتْرَكَ بَعْدِي، يَقْضِي دِينِي، وَيَنْجِزُ مَوْعِدِي، عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»^(٢).

عن أبي الطفيل: قال علي (عليه السلام) لعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن، وعبد الله بن عمر: أنا شذكم الله هل تعلمون أن لرسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وصياً غيري. قالوا: اللهم لا.

وعن سلمان الفارسي: قلت لرسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: إنه لم يكن نبيّاً إلا وله وصي، فمن وصيِّك؟ قال: وصيِّي، وخليلي، وخليفتي في أهلي،

١ - التوبة الآية / ٧٣.

٢ - مناقب علي بن أبي طالب، الحديث / ١٠٩.

وخير من أترك بعدي، ومؤدّي ديني، ومنجز عداتي، علي بن أبي طالب^(١).

قال المؤلف: ومما يجري مجرى هذا السياق من قضاء دين رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، ونحوه من ضمان إنجاز عداته التي يعدها جماعة من مختلف الناس، ما جاء في الخبر التالي:

أجود من الريح المرسلة

عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: كنت عند رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في مرضه الذي قبض فيه، فكان رأسه في حجري، والعباس يذبّ عن وجهه، فأغمي عليه ثم فتح عينه فقال: يا عباس يا عمّ رسول الله اقبل وصيتي، وضمن ديني وعداتي.

فقال العباس: يا رسول الله أنت أجود من الريح المرسلة، وليس في مالي وفاء لدينك وعداتك. فقال ذلك ثلاثاً والعباس يجيب بما قال أولاً. فقال (عليه السلام): لأقولنّها لمن يقبلها ولا يقول مثل مقالتك يا عباس. وقال: يا علي اقبل وصيتي، وضمن ديني وعداتي... فخنقتني العبرة وارتعج جسدي، ونظرت إلى رأسه يذهب ويجيء في حجري، فقطرت دموعي على وجهه ولم أقدر أن أجيبه. ثم ثنّى فقال: يا علي اقبل وصيتي، وضمن ديني وعداتي. فقلت: نعم بأبي أنت وأمي. قال: أجلسني فأجلسته، فكان ظهره في صدري فقال: يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة، ووصيي وخليفتي في أهلي. ثم قال: يا بلال هلّمّ سيفي ودرعي وبغلتني وسرجها ولجامها ومنطقتي التي أشدّها على درعي. فجاء بلال

١ - شرح الأخبار ١ / ١١٧، وانظر يوسف بن حاتم الشامي في كتابه الدرّ النظيم / فصل

في مناشداته (عليه السلام)، وكذلك مناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه الحديث / ١١٥.

بهذه الأشياء، فقال: يا علي قم فاقبض، فقام العباس فجلس في مكاني وقبضت ذلك. قال: فانطلق به الي منزلك، فانطلقت به، ثم جئت فقممت بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قائماً، فنظر إليّ ثم عمد الي خاتمه فنزعه ثم دفعه إليّ فقال: هاك يا علي هذا لك في الدنيا والآخرة. والبيتُ غاصٌّ من بني هاشم والمسلمين^(١).

كما قد أشار الإمام علي (عليه السلام) الي هذه المنقبة السنية مرّة أخرى قائلاً إِبَّانَ تَعْدَادِهِ لِمَوَارِدِ غَزِيرَةٍ مِنْ مَقَامَاتِهِ وَفَضَائِلِهِ: وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ وَالْعَشْرُونَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» أَعْطَانِي خَاتَمَهُ فِي حَيَاتِهِ، وَدَرَعَهُ وَمَنْطِقَتَهُ، وَقَلْدَنِي سَيْفَهُ، وَأَصْحَابَهُ كُلَّهُمْ حُضُورًا، وَعَمِي الْعَبَّاسُ حَاضِرًا، فَخَصَّنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ بِذَلِكَ دُونَهُمْ^(٢).

ويبدو لنا أن هذا السيف النبوي والدرع والبغلة بسرجها ولجامها والمنطقة التي كان يشدّها الرسول على الدرع - إضافة الي الخلافة التي كانت هذه الأشياء مقدمة رمزية لها - هو المقصودة بإرث علي بن أبي طالب من رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في الخبر الذي رواه ابن عساكر قائلاً: سأل عبد الرحمن بن خالد قثم بن العباس بأيّ شيء ورث علي رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» دونكم؟ قال: إنه أولنا به لحوقاً، وأشدُّنا به لزوقاً^(٣). ولو قد ابتعدنا عن هذا الفهم لإرث علي من رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» إذأ لصعب ادراك المعنى الارثي، إذ لا ريب أن العباس أقرب الي الرسول نسباً فلو كان الارث هو المعهود

١ - علي بن عيسى الإربلي / كشف الغمة ١ / ٣٠٩ - ٣١٠.

٢ - الشيخ محمد بن علي الصدوق - كتاب الخصال - أبواب السبعين وما فوقه / الحديث /

١، لأمير المؤمنين (عليه السلام) سبعون منقبة لم يشركه فيها أحد من الأئمة.

٣ - تاريخ مدينة دمشق، ٤٢ / ٣٩٣.

بين الناس في مواريت القربات كان العباس أولئ به من ابن أخيه علي. مع أن الذي عمل به رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في هذا الأمر على خلاف المعهود بين الناس من المواريت، فتأمل جيداً لمعنى الارث في هذا المورد.

لون رفيع من ألوان الجود

إن قضاء دَين رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» لون رفيع من ألوان الجود، لا سيما إن قام به شخص لم يمتلك في تلك الفترة الأموال الطائلة، وكلما وردت له أموال قام بتفريقها ومنحها للآخرين - كما إنَّ لانجاز عِدات رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» لوناً ثانياً رفيع المستوى، بل قد يكون أرفع شأنًا من الأوَّل؛ إذ أننا في تقديرنا لديون الرسول أنها كانت في الأعم الأغلب لسدِّ بعض حاجاته الشخصية وحاجات نساءه ومن يعيلهم، وهي محدودة نوعاً ما، لا سيما مع العلم بزهد الرسول وقناعته، بيثد أن انجاز عِداته شيء صعب، بل صعب جداً لأنه يكلف المال الكثير والنفقة العظيمة، فاذا كان الرسول زاهداً قانعاً فيما ينفق على نفسه وعياله ونحو ذلك، فإنه لم يكن زاهداً، أو مكتفياً بالحدِّ الأدنى فيما يخصُّ إكرام الآخرين، وحلِّ مشكلاتهم المادية، أو الاستجابة الطيبة المعطاء لما يأملون من كفه الكريمة، أو إثابتهم على ما يستحسن من بعض تصرفاتهم وأعمالهم التي تستحق الثمين المادي، فضلاً عن الثمين المعنوي.

ولما كان التصدِّي لقضاء دين الرسول، وانجاز عِدات كِعِدات البحر الخِصَمِّ تكلف أموالاً باهظة لذا فقد اعتذر العباس بن عبد المطلب عم الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» كما رأينا في الخير عن اقتحام هذا الميدان المُجهِد، على الرغم مما كان يتصف به العباس من الامكانية المادية العالية، وانه من تجار قريش المعدودين، وعلى الرغم كذلك من كونه من الأجواد وذوي السماح، بل قد روى ابن حبان في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص عن النبي «صلى الله عليه وسلم»:

العباس عَمَّ نَبِيِّكُمْ أَجودُ قريش كَفًّا وأوصلها. ولكنه لا يخفى أَنَّ للوجود سلاله متفاوتة لم يكن العباس (رضي الله عنه) قد ارتقى فيها إلى ما ارتقى ابن أخيه سيد الأجداد والمساميح، وعظيم المؤثرين على أنفسهم بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم».

ولقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى منقبته في قضاء دين رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فقال وهو يعدد مناقبه الوافرة - لما تصدى كثير من الناس إلى محاربتة بالسلاح المشهور، والأموال الطائلة، وأساليب التغطية والكتمان، وفنون الإعلام المزور الكاذب: وأما السابعة والأربعون فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أمرني في وصيته بقضاء ديونه، وعداته. فقلت: يا رسول الله قد علمت أنه ليس عندي مال؟ فقال: سيعينك الله. فما أردت أمراً من قضاء ديونه، وعداته، إلا يسره الله لي، حتى قضيت ديونه، وعداته، وأحصيت ذلك فبلغ ثمانين ألفاً^(١).

كما ذكر الإمام أمير المؤمنين اتصافه الفريد بقضاء دين رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، وهو يعدّه امتيازاً خاصاً له دون سواه، إلى جانب امتيازاته القدسية والسياسية الأخرى، وهو ما قد ورد في رسالة وجهها إلى معاوية بن أبي سفيان ومما جاء فيها: من عبد الله وابن عبده علي بن أبي طالب أخي رسول الله، وابن عمّه، ووصيّّه، ومُغسّله، ومُكفّنّه، وقاضي دينه...^{(٢)(٣)}.

١ - الشيخ محمد بن علي الصدوق - كتاب الخصال - أبواب السبعين وما فوقه /
لأمير المؤمنين (عليه السلام) سبعون منقبة لم يشركه فيها أحد من الأئمة.

٢ - نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة للعلامة محمد باقر المحمودي، ٤ / ٨٢.

٣ - قد كتبنا هذه القصيدة تعليقاً وتفصيلاً للموضوع:

وَعَدُّ الْكَرِيمِ عَيْشُ كَرِيمٍ

مَنْ يُؤَدِّي دَيْنِي وَيَقْضِي عِدَاتِي فِي مَهَبِّ الصَّوَابِ الْمُغْضَبَاتِ

كَمْ طَلُوبٍ وَعَدْتُهُ وَعَدَّ صِدْقٌ
يَسْتَأْهِئُ إِلَى السَّمَاءِ فَخَاراً
إِنَّ وَعْدَ الْكَرِيمِ عَيْشٌ كَرِيمٌ
أَنْتَ يَا سَاقِيَ الْحَجِيجِ تُؤَدِّي
قَالَ مَنْ ذَا يَطِيقُ جَرِيماً مَعَ الرِّيحِ
أَنَا أَهْوَى سَبَاحَةَ النَّهْرِ لَكِنْ
فَادَارَ النَّسِيبُ قَلْباً وَطَرْفَاً
أَيْهَا الْمَانِحِي فَوَاداً مُحِبّاً
يَا جِهَادِي فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ يَهُودِي
يَا شِمَالِي حِينَ الْأَسَى وَيَمِينِي
أَنْتَ تَقْضِي دِينِي وَتَنْجِزُ عَنِي
شُدُّ أُرِّي حَقّاً بَعْدَ مَنَافٍ
ذَاكَ ذَاكَ الْهَمَامِ وَالسَّيِّدِ الْفَمْرُ
شَدَّهَا فِي قَوَائِمِ الْعَرْشِ عَرْشِ اللَّهِ
لَمْ تَزَلْ فِي مِشَاعِرِي وَفَوَادِي
حِينَمَا قَالَ فِي دُجَى الشَّعْبِ
اصْبِرْ يَا بَنِيَّ فَالصَّبْرُ أَحْسَنُ
قَدْ بَدَلْنَاكَ وَالْبَلَاءُ شَدِيدٌ
فَسْتَجَارِيهِ وَالْفَسَادُ كَنُوزٌ
فَلْتَنْ سَاقَهُ الْجِمَامُ فَأَنْتَ الْمَدُّ
فَيَقُولُ الْوَصِيُّ أَبْشِرْ فَإِنِّي
فَارِحٌ مَنِي الَّذِي رَجَوْتُ مِنَ الْهَطَالِ
لَكَ عَمْرِي وَمَا تَضُمُّ يَمِينِي
غَايَةُ الْجُودِ أَنْ يَجُودَ كَرِيمٌ
لَا أَرَانِي وَنُورِ عَيْنِيكَ يَوْمَاً
أَتُرَانِي عَلَيْكَ أَبْخُلُ يَا أَسْمَى
فَتَطَّلُ السَّمَاءَ هَيَّأَ أَبَا الْإِحْسَانِ

وَضَعِيفٍ أَثَلْتَهُ بِسَهْبَانِي
مَانِعُ الْجَزْلِ كَاشِفُ الْكُزْبَاتِ
لَقَطْلُوبٍ وَأَكْبِدُ لَاهِيفَاتِ
يَا مِثَالِ الْأَمْوَالِ وَالثَّرَوَاتِ
فَأَنْتَ الْبِرُّ الْكَرِيمُ الْمَوَاتِي
لَا أَطِيقُ الْبِحَارَ مُسَلِّطَاتِ
ثَاقِباً وَانْتَهَى لِخَيْرِ التَّفَاتِ
خَالِصاً مِنْ رِيَانِقِ الشَّهَوَاتِ
كَالشَّهَابِ الْمَنْقُضِ بَيْنَ الطَّفَاةِ
وَإِسْطَاقِي فِي غَمْرَةِ اللَّزْبَاتِ
تَقْلَأُ مِنْ كِرَائِمِ الْأَعْطِيَاتِ
فَارِسِ التَّضْحِيَاتِ مُخْتَدِمَاتِ
الْمُرْجَسِي لِعَالَمِ الْأَمْنِيَاتِ
ذَكَرِي مِنْ أَجْمَلِ الذِّكْرِيَاتِ
وَضَمِيرِي كَأَنَّهَا أُسُّ ذَاتِي
وَالْأَرْصَادُ حَوْلِي كَالْأَسْهُمِ النَّافِذَاتِ
كُلُّ حَسْبِي مَسْصِيرُهُ لِفَوَاتِ
لِفِدَاءِ الْحَبِيبِ نُورِ الْهُدَاةِ
مَنْ تَرَاثِ الْأَبْسَاءِ وَالْأَمَّهَاتِ
يَسْبِقُنِي وَأَنْتَ أَنْتَ حَسْبَاتِي
لَكَ عَوْنٌ فِي الْأَبْحَرِ الْغَامِرَاتِ
يَسْقِي الْحَدَائِقَ الذَّوَابِتِ
يَا رَسُولَ الْمَلِكِ وَالنَّصْرُ آتِ
لِكَرِيمٍ فِي سَاعَةِ مُخْجَمَاتِ
بِخَيْلِ عَلِيٍّ الْفَلَاحِ الْجَفَاةِ
الْبَرَايَا وَأَكْثَرَمَ السَّادَاتِ
هَيَّأَ لِسَامِقِ الْمَكْرَمَاتِ

اختصاص علي بقضاء دَيْنِ الرسول وتنجيز عاداته

مَنْ ذَا الَّذِي لَا يَعْتَرُ كَثِيرًا وَيَتَشَرَّفُ مُنْتَهَى التَّشْرِيفِ بِقِضَاءِ دِينِ أَنْبَلِ مَخْلُوقٍ وَأَفْضَلِ إِنْسَانٍ عَلِيٍّ وَجَهِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » وَتَنْجِيزِ عِدَاتِهِ عَلِيٍّ يَدِيهِ وَإِنْ كَثُرَتْ وَتَطَلَبَتْ نَفَقَاتِ بَاهِظَةِ الثَّمَنِ !

وَإِذَا مَا كَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْمِضْيَ بِذَلِكَ لِعَدَمِ سَعَةِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَإِذَا مَا كَانَ آخَرُونَ مِنْ أَصْحَابِ السَّعَةِ وَالثَّرَاءِ يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا وَلَكِنِ الشَّحُّ وَالْبَخْلُ أَوْ مَا هُوَ شَبِيهَهُمَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ، فَمَا بَالُ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَتَصَفَّوْنَ بِالْغِنَى وَالثَّرَاءِ كَمَا يَتَصَفَّوْنَ بِالْجُودِ وَالكَرَمِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ وَذَلِكَ مِثْلُ فِرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو

فَخِذْ الدَّرْعَ وَالْحَسَامَ وَخِذْهُ بِسِمَةِ الْمَلِكِ خَاتَمَ الْجَنَاتِ
لَيْسَ غَيْرِ الْفِتَى عَلِيٌّ تَسَامَى بِعُلَاهَا سَلِيمَةَ الْخَطَوَاتِ

إيضاحات

١ - ساقى الحجيج هو عم الرسول «ص» العباس بن عبد المطلب إذ كان يسقي حجاج بيت الله الحرام الماء العذب.

٢ - عبد مناف في البيت شدُّ أزرِي حقاً بعبد منافٍ..: هو اسم أبي طالب بن عبد المطلب عم رسول الله «ص» والمدافع الأكبر عن ساحته المقدَّسة.

٣ - تعرف قصة البيت الشعري (قد بذلتك والبلاء شديد) من خلال ما طلبه أبو طالب بن عبد المطلب من ولده علي (عليه السلام) أن يبني في فراش رسول الله «ص» فداءً له من الأخطار المحيطة به، وذلك في يوم من الأيام الشديدة المهالك في الشَّعب المعروف بشعب أبي طالب قائلاً له:

اصبرنْ يَا بِنِيَّ فَالصَبْرُ أَحَجِي كُلُّ حَيٍّ مَصِيرُهُ لِشَعْبِ
قَدْ بَذَلْنَاكَ وَالْبَلَاءُ شَدِيدٌ لِفِدَاءِ الْحَبِيبِ وَابْنِ الْحَبِيبِ

فاستجاب الإمام علي (عليه السلام) للطلب ويات علي فراش النبي «ص» ليقية من المخاطر والمهالك المحدقة.

٤ - وصف الخاتم بخاتم الجنات لقول الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» وهو يهب علياً الخاتم: هاك يا علي هذا لك في الدنيا والآخرة.

١٩٤..... فلسفة الجُرد والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الأنصاري، وسعد بن عبادة، وابنه قيس بن سعد، وعدي بن حاتم الطائي،
وغيرهم، لا يقومون أو يقوم بعضهم بأداء وإنجاز هذه المسؤولية من
المسؤوليات الرسالية والأخلاقية والتربوية الخطيرة الأهمية، والعظيمة القيمة
شكلاً ومضموناً في منطلق الدين والدنيا والآخرة وفي موازين السناء الاجتماعي
والشرف والسؤدد؟

أحسب أنا سوف نحصل على الجواب الصحيح والنتيجة المثمرة إذا دققنا في
الحديث المروي عن حبشي بن جنادة عن رسول الله «ص»، فقد جاء في صدره
أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: «علي مني وأنا منه». فإن من كانت منزلته
بهذه الكيفية العليا من رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فلا ريب أنه هو ذلك
المؤهل القُدُّ الوحيد الذي يُشار إليه من بين الناس أجمعين للنهوض الواعي
والمسؤول بأعباء هذا الواجب الإلهي والأخلاقي المقدس.

ومن الممكن جداً أن نضيف إلى هذا الدليل دليلاً آخر وهو أنه إنما يتحقق
العمل بالمسؤولية المذكورة عن طريق التعيين من قبل الله ورسوله «صلى الله
عليه وآله وسلم»، وليس عن طريق الاختيار والتطوع والرغبة في القيام بها.
فحالها كحال تبليغ آيات من سورة براءة مثلاً، فإن أبا بكر وإن وافق علي تبليغها
وقد سافر بالفعل قاصداً أهالي مكة المكرمة لتنفيذ المهمة، ولكن رسول الله «صلى
الله عليه وآله وسلم» أمره أن يترك العمل بالتبليغ وأرسل بديلاً عنه علي بن أبي
طالب، باعتبار أن جبرئيل (عليه السلام) نزل عليه قائلاً له: «لا يُبَلِّغها إلا أنت
أو رجل منك»، كما هو معروف بين المؤرخين وأعلام المحدثين، وهكذا
بالنسبة إلى قضاء دين رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وإنجاز عاداته، لا
يقوم بذلك إلا هو أو رَجُلٌ منه كالعباس بن عبد المطلب أو علي بن أبي طالب
على التخصيص، والأعلام المذكورون من الأثرياء السُّمحاء بالأموال ليسوا من
آل رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم».

وقد رُوي بأن أبا بكر إبان خلافته قد أنجز عدةً من عادات الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» لما طلب إنجازها منه أحد الرجال ممن ذكروا أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» وَعَدَّهم بشيء من الأشياء، ولكن قيامه بها ليس أكثر من تطوع ورغبة في الأمر، إذ من الواضح للمؤرخين والمحققين أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، لم يكلفه بإنجاز أية عدة من عاداته أو قضاء دين من ديونه.

«الذين يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أذى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(١).

أنزل الناس منازلهم

يذكر ابن عساكر في كتابه «تاريخ مدينة دمشق»، والشيخ محمد بن علي الصدوق باسناده عن أحمد بن أبي المقدم العجلي أن رجلاً جاء إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال له: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة. فقال: اكتبها في الأرض فإني أرى الضرَّ فيك بيِّناً. فكتب في الأرض: أنا فقير محتاج. فقال علي (عليه السلام): يا قنبر اكسِه حلتين. فأنشأ الرجل يقول:

كسوتني حلةً تبلني محاسنها	فسوف أكسوك من حسن الثنا حلالاً
إن نلت حسنَ ثنائي نلت مكرمةً	ولست تبغي بما قد نلته بدلاً
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه	كالغيث يحيي نداء السهل والجبل
لا تزهد الدهر في عرفٍ بدأت به	فكل عبيد سيُجزى بالذي فعلا

١٩٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
فقال علي (عليه السلام): أعطوه مائة دينار. فقيل له: يا أمير المؤمنين لقد
أغنيتك. فقال: إني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يقول: أنزل
الناس منازلهم. ثم قال (عليه السلام): إني لأعجب من أقوام يشترون المماليك
بأموالهم، كيف لا يشترون الأحرار بمعروفهم^(١).

سنة كريمة

قول الإمام علي (عليه السلام) للسائل الذي جاء يسترفده في قضاء
حاجة: اكتبها في الأرض فإني أرى الضرّ فيك بيّنا. فكتب في الأرض: أنا فقير
محتاج. سنة كريمة وخطبة نبيلة تصون وجه المحتاج ما أمكن، وتبقي عليه بقية
من كرامته وعزته وحيائه. وقد اقتفى أثرها الطيب جماعة من الجوداء والأكارم
في مختلف العصور، وعلى سبيل المثال ما ورد من القصة التي نقلها البيهقي في
«المحاسن والمساوىء» عن الحسن بن علي إذ أتاه رجل في حاجة فقال: اذهب
فاكتب حاجتك في رقعة وارفعها إلينا نقضها لك. فرفع إليه حاجته فأضعفها له،
فقال بعض جلسائه: ما كان أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله! فقال: بركتها
علينا أعظم حيث جعلنا للمعروف أهلاً، أما علمت أن المعروف ما كان ابتداءً من
غير مسألة، فأما ما أعطيته بعد مسألة فإنما أعطيته بعدما بذل لك من وجهه^(٢).

وما ورد من قصة سعيد بن العاص حيث كان يسمر معه سمّاره إلى أن ينقضي
حين من الليل، فانصرف القوم عنه ليلة ورجل قاعد لم يقم، فأمر سعيد باطفاء
الشمعة وقال: حاجتك يا فتى؟ فذكر أن عليه ديناً أربعة آلاف درهم، فأمر له بها،

١ - انظر علي المامطيري، نزهة الأبصار / ١٧٤ - ١٧٥، ابن عساكر، تاريخ مدينة
دمشق، ٤٢ / ٥٢١ - ٥٢٢، المجلسي، بحار الأنوار / ٤١ / ٣٥، وأحمد الهاشمي، المفرد العلم
في رسم القلم / ٤٠. ٢ - المحاسن والمساوىء / ٥٥.

وكان اطفاءؤه للشمعة أكثر من عطائه^(١).

وما ورد من القصة التي رواها خزيمة العبدى قائلاً: أتى جعفر الأحمر يحيى بن سلمة بن كهيل يستقرض منه ثلاثين ديناراً، فقال: يا أخي لِمَ أردت أن تذل نفسك بمجيئك إليّ؟ ألا كتبت لي برقعة حتى أبعث بها إليك. فلما حضر جعفر، قيل ليحيى: حلّله منها. قال: وما دفعتها إليه وأنا أريد أخذها منه.

وقد تقدم حديث الرجل الأنصاري الذي جاء إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يريد أن يسأله حاجة، فقال (عليه السلام): يا أخا الأنصار صُنْ وجهك عن بذلة المسألة، وارفع حاجتك في رقعة، فإني آتٍ فيها ما سرّك إن شاء الله. فكتب: يا أبا عبد الله إن فلان عليّ خمسمائة دينار، وقد ألحّ بي فكلّمه ينظرني إلى ميسرة. فلما قرأ الحسين (عليه السلام) الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرّة فيها ألف دينار..

ونحو هذه القصص من صيانة وجه المحتاج والحفاظ على قدسيّة كرامته: ما كان من قصة عامر بن عبد الله بن الزبير^(٢)؛ فإنه كان يتحنّن العباد وهم سجدوا فيأتيهم بالصرر فيها الدنانير والدرهم فيضعها عند نعالهم حيث يحسّون بها ولا يشعرون بمكانه، فيقال: ما يمنعك أن ترسل بها إليهم؟ فيقول: أكره أن يتمرّ وجه أحدهم إذا نظر إلى رسولي أو إذا لقيني^(٣).

١ - ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١ / ٢٤٣.

٢ - عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام ١٣١ هـ زعم الزبير بن بكار أنه كانت عنده وصية عبد الله بن مسعود للزبير بن العوام. وكان لعامر بن عبد الله ابن راجح العقل بعيد النظر قد قال لولده: لا تذكر يا بني علياً إلا بخير؛ فإن بني أمية لعنوه على منابرهم ثمانين سنة، فلم يزد الله بذلك إلا رفعةً، إن الدنيا لم تبني شيئاً قط إلا رجعت على ما بنت فهدمته، وإن الدين لم يبني شيئاً قط وهدمه.

٣ - الاخوان / ٢١٠.

جانبٌ من فلسفة التعامل

يبين ما ينقله الإمام علي (عليه السلام) من كلام رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم »: أنزل الناس منازلهم، وبين ما يقوله الإمام نفسه من كلامه المشهور عنه: قيمة كل امرئ ما يحسن، صلة وثقى تبرز جانباً عميقاً من فلسفة التعامل الايجابي السليم ما بين البشرية، أي جانباً مما ينبغي أن يقوم عليه التعامل ما بينها أفراداً وجماعاتٍ وشعوباً ودولاً.

فلما كانت قيمة كل إنسان بمقدار ما يحسن من الأقوال بشتى صورها وأنحائها، وبمقدار ما يحسن من الأعمال بمختلف أصولها وجهاتها، أي أن هذا هو الميزان الصحيح الذي تقاس به مكانة الإنسان ومنزلته من الوجود، فعلى هذا الأساس يأمر النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » في تعليمه الفريد العادل؛ أن يتنزّل كل واحد من هؤلاء بحسب منزلته - ضمن الاطار الواقعي القاسط - فلا يعطى دون حقه الطبيعي لئلا يُظلم، ولا يعطى فوق حقه خشية أن يكون ذلك ظلماً للآخرين وعلى حساب حقوقهم، أو لأن في ذلك مبالغة تخرج الأمور عن حدها المتوازن، والمبالغة ممقوتة على كل حال، أو ان ذلك يؤدي الى غرور مثل هذا الفرد واستعلائه، والغرور والاستعلاء بغيضان الى الله تعالى وإلى كل إنسان سويٍّ معتدل. فما يحسن الإنسان من قول أو عمل من جهة، وإنزاله وفق منزلته الواقعية من جهة ثانية، هما طرفا المعادلة العادلة في هذا الجانب من فلسفة التعامل البناء والهادف.

في الحقيقة ان ما يحسنه كل انسان من البشرية طوع إرادته وحسب مقدرته هو الذي يملئ على الطرف المقابل من المعادلة درجة معينة من درجات التقييم، فكلما كان أدنى إحساناً في القول والعمل، كان أدنى تقييماً، وكلما كان أسمى احساناً كان أسمى تقييماً، أي أن الطرف الأول في المعادلة بمثابة عامل من العمال الفنيين مثلاً - يعمل بمستوى معين، وبكيفية خاصة، وضمن نشاط محدد قد

أعطي الخيار في مضاعفة عمله أو التقليل منه ، فبمقدار هذا المستوى من الكيفية والنشاط ، على مدير الشركة أن يدفع إليه أجوراً معينة قَلَّتْ أم كَثُرَتْ ، ما كان مدير الشركة منصفاً ، عادلاً ، لا يظلم ولا يغمط الناس حقوقهم .

وإذا ما كانت كلمة الرسول « صلى الله عليه وآله وسلم » : أنزل الناس منازلهم ، عامَّةً شاملةً لا تعني من يحسنون منهم دون غيرهم ، بل تشملهم وتشم كل مسيء بحجم من الأحجام الخفيفة أو الشديدة ، فهؤلاء أيضاً ترقم درجة تقييمهم السيء أو الأسوء ، فهكذا كلمة الإمام عامة شاملة لا تخص المحسنين دون غيرهم ، وإن أتى بكلمة - ما يُحسن - إذ أن معنى الحكمة أن درجة كل إنسان من التقييم والاعتبار تكون بحسب درجة ما يحسن فقط ، لا بحسب درجة ما يسيء ؛ وذلك لأن من طبيعته الإساءة لا قيمة له ولا اعتبار ، وهكذا فإن مقياس أنزل الناس منازلهم (أي من الخير والشر والنفع والضرر) تنطبق على المسيء أيضاً من حط وضعه ، كما تنطبق على المحسن من رفع شأنه سواء بسواء .

لقد أكد الإمام على كلمة الرسول « صلى الله عليه وآله وسلم » وانطلق في أبعادها نظرياً وعملياً ، ويكفينا للتدليل على المنحى النظري قوله (عليه السلام) في عهده للقائد العظيم مالك بن الحارث الأشتر (رض) : ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء .

ويكفينا للتدليل على الجانب العملي موقفه من ذلك الفقير المحتاج الذي كساه حلتين لحاجته ، ومنحه مائة دينار من أمواله الشخصية - وهي تساوي الآن نحو (٧٥) مثقالاً من الذهب - جزاءً على كلامه الجميل وحكمته ، فلما قيل له : يا أمير المؤمنين لقد أغنيته ، قال : إني سمعت رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » يقول : أنزل الناس منازلهم ، ومنزلة ذلك الفقير كانت عالية باعتبارها قد تكلم بالحكمة ، ومن تكلم بالحكمة ينبغي أن يوهب كثيراً - إذا كان محتاجاً - بحسب قدرة المكرم له وسعة ذات يده ، ولولا الحكمة التي تلالأت أنوارها على لسان

٢٠٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

الفقير المحتاج لم يستحق من المال أكثر مما يعطيه كرام الناس للفقراء في الحالات الاعتيادية لا سيما مع كثرة أعدادهم .

« الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ »^(١).

هي لهذا الأعرابي

تقدم في بحث (الحكمة العلوية في ايقاعاتها الموسيقية) في موضوع / أتاك عاجل البر أنه بينما كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) أيام خلافته جالسا في ضواحي المدينة إذ وفد عليه أعرابي يسأله حاجته والحياء يمنعه أن يذكرها له فخط بعصاه على الرمل هذين البيتين :

لم يبقَ عندي ما يُباعُ بدرهمٍ
يكفيك ظاهرٌ مظهري عن مخبري
إلا بقية ماءٍ وجهٍ صنتهُ
من أن يُباعَ وقد أبحثك فاشتر

فما قرأهما حتى وافاه رسوله يخبره أن نصيب أمير المؤمنين في الغنيمة من القضة محمول على أربعة جمالٍ بباب المدينة فقال : هي لهذا الأعرابي... الخ .

حافز الحب

جاء في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، وكذا في مسند أحمد بن حنبل وغيرهما عن عكرمة عن ابن عباس: أصاب نبيَّ الله خاصة، فبلغ ذلك علياً، فخرج يلتمس عملاً يصيب منه شيئاً ليغيث به النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فأتى بستاناً لرجلٍ من اليهود، فاستقى له سبعة عشر دلواً، كل دلو بتمرة. فخبره اليهوديُّ على تمره، فاختر سبع عشرة عجوة كل دلو بتمرة. فجاء بها النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فقال: من أين لك هذا يا أبا الحسن؟

قال: بلغني ما بك من الخاصة يا نبي الله، فخرجت التمس عملاً لأصيب لك طعاماً.

قال: حملك على هذا حب الله ورسوله؟

قال: نعم يا نبيَّ الله.

قال: مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلْيَعِدَّ لِلْبَلَاءِ تَجْفَافاً، وَإِنَّمَا يَعْنِي الصَّبْرُ^(١).

١ - وروى القصة السروي في المناقب عن صاحب الحلية وأحمد في الفضائل عن مجاهد، وصاحب مسند العشرة وجماعة عن محمد بن الكعب القرظي: إنه رأى أمير المؤمنين أثر الجوع في وجه النبي فأخذ إهاباً فحوى وسطه وأدخله في عنقه وشد وسطه بخوص نخل وهو شديد الجوع، فاطلع على رجل يستقي بيكرة فقال: هل لك في كل دلو بتمرة؟ فقال: نعم. فنزح له حتى امتلأ كفه ثم أرسل الدلو فجاء بها إلى النبي «ص».

قال الشاعر العباسي السيد اسماعيل الجعفي:

حدثنا وهب وكان امرؤ	يصدق بالمنطق عن جابر
أن علياً عابن المصطفى	ذا الوحي من مقتدر قادر
عابنه من جوعه مطرقاً	صلى عليه الله من صابر
وظل كالوالد مما رأى	بصهره ذي النسب الفاخر
يجول إذ مر بذي حائط	يسقي بدلو غير مستاجر
قال له ما أنت لي جاعل	بكل دلو منزع ظاهر
فقال ما عندي سوى تمرة	بكل دلو غير ما غادر

من مراحل الجود

أولاً: أن يعطي الجواد لمن تعرّض لمعروفه والتمس منه قضاء حاجة من الحوائج.

ثانياً: أن يعطي الجواد لمن رأى فيه علامة من علامات الضرّ والفاقة من دون طلب أو التماس.

ثالثاً: أن يبلغ الجواد عن أحد من الناس خصاصة أو حاجة فيسعى إلى قضائها.

رابعاً: أن يدفع الجواد شبح الفقر والاعواز ويقضي حاجة الآخرين، على حساب حالته الاقتصادية والحياتية.

إن العمل ببعض هذه المراحل في يوم ما لا يعني بالضرورة عدم العمل بالمراحل الأخرى في يوم آخر، فقد يعمل السميع المفضل ببعضها في ساعة ويعمل ببعضها الآخر في ساعة ثانية سواء كان العمل الآخر من مرحلة متقدمة أم لا.

وقد عمل الإمام علي (عليه السلام) بكل هذه المراحل بصورة وافرة، ومنها المرحلة الثالثة التي بلغه فيها خصاصة الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» وسمع بفورة جوعه وسغبه، فأسرع صاحب المروءة الكبرى إلى استئجار نفسه

يسقي به الماء من الخاسر
عشر بقول العالم الخابر
إلى أخيه غير مستأثر
به هداك الله من زائر
في عاجل الأمر وفي الآخر
له بسخير دائم مطر

فانتزع الدلو إمام الهدى
حتى استقى عشرين دلواً على
ثم أتى بالتمر يسعى به
فقال ما هذا الذي جئنا
فأقضى ما قد كان من أمره
فرضه ثم دعا ربه

وحلّ مشكلة الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم». وقد يدخل العمل الطيب المذكور في المرحلة الرابعة وهي مرحلة الإيثار، باعتبار ان علياً لو كان يمتلك شيئاً من النقود أو الطعام ساعتئذٍ لعجّل بتقديمه للرسول «صلى الله عليه وآله وسلم».

إنها لروح إنسانية عميقة المحتوى أن يتحسّس الإنسان بمشاعر الآخرين كلّ التحسس، وأن يبادر إلى حلّ معضلاتهم ورفع مشكلاتهم بمجرد الاطلاع عليها، وان لم يلتمسوه ويرفعوا الطلب إليه. سواء يرجو بذلك الإحساس والمبادرة ثواب الله تبارك وتعالى وما أعظمه من ثواب - كما صنع الإمام الأكبر - أو مجرد الإندفاع الحُرِّ الكريم؛ فان التكافل الإنسانيّ دليلٌ وجود الانسان. كما ان التكافل الإنسانيّ مدّرجة السعادة الأبدية، وعنصر الكمال الخلاق.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن الله عزّ وجلّ خلق خلقاً لحوائج الناس، يفرعون إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون غداً من عذاب الله عزّ وجلّ»^(١).

حديث الناقة

١ - زهة الناظر، ٣٩ - ٤٠، والطبرسي في مشكاة الأنوار، ٣١٧، ونحوه ما عن الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» أيضاً: «إن الله تبارك وتعالى عبداً تستريح الناس إليهم في حوائجهم وادخال السرور عليهم، أولئك آمنون يوم القيامة».

٢٠٤..... فلسفة الجرد والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
 عن الصحابي الكبير جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: خرج علي (عليه
 السلام) ومعه ازار فباعه بستة دراهم في سوق المدينة، وأقبل ليبْتَاعَ بها طعاماً
 لعيال رسول الله فلقية سائل، فقال: يَا أبا الحسن عادتكَ الجميلة. فدفع له الستة
 دراهم، وأقبل بلا شيء، فلما أن صار ببعض الطريق لقي أعرابياً ومعه ناقة، فقال
 له الأعرابي هل تشتري مني هذه الناقة؟ قال له: ليس معي ثمنها. قال: أنا أصبر
 عليك. قال: بِكُمْ هِيَ؟ قال: بمائة درهم. قال: أَخَذْتَهَا. فدفعها إليه، فأخذها علي
 (عليه السلام) منه، ثم وقف عليهما أعرابي آخر فقال لعلي: أتبِعِ الناقة؟ قال:
 نعم. قال: بِكُمْ هِيَ؟ قال: أَخَذْتَهَا مِنْ هَذَا بِمِائَةِ دَرَاهِمٍ بِنَظْرَةٍ فَأَعْطِ مَا شِئْتَ. قال:
 أعطيك مائة وستين درهماً نقداً. قال: هِيَ لَكَ. فوزن الدرهم فاستوفى البائع الناقة
 وأتى (عليه السلام) بستين درهماً فوضعها بين يدي النبي «صلى الله عليه وآله
 وسلم». فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وقال: نِعَمَ الْبَائِعُ وَنِعَمَ
 الْمُشْتَرِي، يَا عَلِيُّ أَمَا الْبَائِعُ مِنْكَ فَجَبْرَيْلُ، وَأَمَا الْمُشْتَرِي مِنْكَ فَمِيكَائِيلُ؛
 أعطيت ستة، فأعطيت ستين، ولو زدت لزدك، ولو دقت لدقق عليك، أَلَا إِنَّ
 اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْتَجِبُكَ فَهَذَاكَ^(١).

١ - القاضي أبو حنيفة النعمان، شرح الأخبار ٢ / ٤١٠ - ٤١١. هذا وقد وردت قصة

الناقة ضمن الملحمة الألفية المعروفة بالمحيرة بالصورة التالية:

تطعم حليلته ولا الحسنان	أمن طوى يومين لم يطعم ولم
ليبيعه في السوق كالعجلان	فمضى لزوجه ببيع ثيابها
من بين ساغبة ومن سغبان	يهوي ابتاع جرادق لعياله
مذ لم يذق أكلا له يومان	إذ جاءه مقداد يخبر أنه
من كف أبيض في يدي غرثان	فهوى إلى ثمن المثال فصبه
حسنا تاجرة له معان	فطراً من الأعراب سائق ناقة
بشرا البعير وما معي فلسان	نادى إلا اشترها فقال وكيف لي
فيما به الكفان تصطفقان	قال القتي ابتعها فإنك مُنْظَرُ
مني بعيرك أنت يا رباني	فبدل له رجل فقال أبايع

يَا لَهَا مِنْ سُرْعَةٍ فِي التَّعْوِيزِ

سؤال لا بدَّ له من الإجابة ألا وهو: مَا الذي يبتغيه أكارم الصالحين والصدّيقين من الجود والانفاق؟

لا شكَّ أنهم يبتغون وجه الله سبحانه وتعالى، وأن يزيدهم الله من فضله وإكرامه يوم العرض الأكبر والمشهد الأعظم. فليس لهم ثمَّ جود وانفاق لغرض دنيوي منقطع المضمون أو منبتر التوجه والهدف عن اليوم الآخر، وليس لهم ثمَّ جود وانفاق لغرض المبادلة عنه، أو لهدف التعويض المنقطع أو المنبتر عن اليوم الآخر، لا سيما إن كان المنفق والمكرم في الدرجات العلى من التمسك بالعقيدة الإلهية والالتزام بالايمان الخالص، وذلك مثل الرسول الأمين محمد بن عبد الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، أو مثل آل بيت محمد (ص)، أو مثل المنتهجين سلوكهم والمقتدين بهم والمتأسين حَقَّ الاقتداء والتأسي.

بيد أن الله تبارك وتعالى قد شاء بلطفه الواسع وإحسانه الفائق أن يجعل في أحايين كثيرة، بل كثيرة جداً تعويضاتٍ زاخرةً للأجواد، سواء يتحسسون بها، كما في بعض المواقف والمواطن، أو لا يتحسسون بها كما في مواقف ومواطن أكثر وأوفر.

مائة فـقال فـها كـها مائتان
وإليه قبل قد انتهت الخبران
أقبلت تنبئني أم تبداني
إنني اتجرت فتاح لي ربحان
وكلاهما لي يا أخي فخران
تدري فـداك أحبتي من ذان
تـيـكال طـبـت وأنجح السعيان
تـرعـى بـدار الخلد في بطنان

اخبر شراك أهن ربك قال ها
وأتى النبي معجبا فأهابه
نادى أبا حسن أبدا بالذي
قال الوصي له فأنبئني به
ربح لآخرتي وربح عاجل
فأبته ما في الضمير وقال هل
جبريل صاحب بيعها والمشتري
والناقة الكوماء كانت ناقة

٢٠٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

ومن المواطن التي يتحسس الأجواد بها ويرون التعويضات بشكل جليّ سافرٍ ما رواه سُحَيْمُ بن حفص قائلًا: علق موسى شهوات جارية بالمدينة، فطلب إليهم أن يبيعوها إياه، فباعوها إياه بأربعة آلاف وأجلّوه فيها أجلاً، فخرج إلى الشام وكان صديقه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، فأتاه فحدّثه بقصة الجارية فقال: إنما خرجت إلى الشام ثقةً بالله ثم بك. فقال: يرزقنا الله وإياك. فانطلق وقد انقطع ظهره، فأتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فأخبره، فقال: ثمنها عليّ، وما يصلحك من النفقة والمؤونة في السفر عليّ. فقال موسى:

فدئٌ للكريم الغنمِيّ بن خالدٍ

بنيّ ومالي طارفي وتليدي

أبا خالد أعني سعيد بن خالدٍ

أخا العُرفِ لا أعني ابنَ بنتِ سعيدٍ^(١)

عقيد النُدَى ما عاش يرضى به النُدَى

فإن مات لم يرضَ النُدَى بعقيد

عن الحارث بن سليم قال: حججت فمررت بالمدينة فوافقت فيها سليمان بن عبد الملك، فجاء سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان حتى جلس بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين أعطني موسى شهوات هجاني. فقام سعيد بن خالد بن عبد الله حتى جلس معه مجلس الخصم فقال: إنه لم يهجه ولكنه مدحني. فقال سليمان: أنشدوني ما قال. فأنشدوه، فقال: ما أسمع هجاك. ثم قال لسعيد بن

(١) بنت سعيد أبي بنت سعيد بن العاص بن سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، وأما بالنسبة إلى أم سعيد بن خالد بن عبد الله فهي عائشة بنت عبد الله بن خلف

الخراعي وهي أخت الجواد طلحة الطلحات.

خالد بن عبد الله: ارفع حوائجك. فرفع اليه فيها ألف ألف. فأمر له بها^(١).

أليس هذا من الربح الكبير والتعويض الملموس المشهود، ألف ألف درهم مقابل أربعة آلاف درهم، علاوة على تكريم اجتماعي، وحقاوة تاريخية، ومدح جليل في شعر جميل، ولو كان المانع لموسى شهوات - من الجود عليه - عالماً بما سيؤول اليه الأمر من الاقتطاف السمع للأموال والمديح، فهل من الممكن أن يكون مانعاً، أم يكون ممن يهب ويجود بأضعاف ما جاد به سعيد بن خالد بن عبد الله: شَوْقاً إِلَى الثَّمَنِ الرَّبِيحِ، وَتَوْقاً إِلَى حُسْنِ الْمَدِيحِ؟

ولقد أتت القصة الذي بين يدينا عن الإمام علي (عليه السلام) في سياقٍ منهمرٍ من سياقات التعويضات الزاخرة للأجواد، فنعم المنفق الكريم، ونعم النفقة المعطاء، ونعم البائع المحسن الوهاب، ونعم المشتري الغني والرابح في المعاملة «أعطيت ستة فأعطيت ستين».

من كلام علمي بارع للفقير المجدد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر في كتابه «اقتصادنا» يقول فيه: قد قاوم الإسلام النظرة الغائية إلى الملكية، لا بالتعديل من مفهومها وتجريدها من امتيازاتها في مجالها الأصيل فحسب، بل قام إلى صف ذلك بعمل إيجابي لمقاومة تلك النظرة، ففتح بين يدي الفرد المسلم أفقاً أرحب من المجال المحدود والمنطلق المادي العاجل، وخطاً أطول من الشوط القصير للملكية الخاصة التي تنتهي بالموت، وبشر المسلم بمكاسب من نوع آخر أكثر بقاءً وأقوى اغراءً وأعظم نفعاً لمن آمن بها، وعلى أساس تلك المكاسب الأخروية الباقية، قد تصبح الملكية الخاصة أحياناً حرماناً وخسارة إذا حالت دون الظفر بتلك المكاسب، كما قد يصبح التنازل عن الملكية عملية رابحة

١ - رسائل ابن أبي الدنيا - كتاب العقل ومكارم الأخلاق، الرقم / ٤٤٦ - ٤٤٧، وانظر

إذا أدت إلى تعويض أضخم من مكاسب الحياة الآخرة، وواضح أن الإيمان بهذا التعويض وبالمدى الأوسع والمدى الأرحب للمكاسب والأرباح يقوم بدور إيجابي كبير في إطفاء البواعث الأنانية للملكية وتطوير النظرة الغائية إلى نظرة طريقية. قال الله تعالى: « مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ »^(١). « وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ »^(٢). « وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ »^(٣). « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا »^(٤). « وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ »^(٥).

وقد قارن القرآن الكريم بين النظرة المفتحة للأرباح والخسائر التي لا تقيسها بمقاييس الحس العاجل فحسب، وبين النظرة الرأسالية الضيقة التي لا تملك سوى هذه المقاييس فيتهدها شبح الفقر دائماً، وتفزع بمجرد التفكير في تسخير الملكية الخاصة لأغراض أعم وأوسع من دوافع الشره والأنانية؛ لأن شبح الفقر المرعب والخسارة يبدو لها من خلال هذا اللون من التفكير^(٦).

حديث الدينار

الدغشي باسناده عن عبد الله بن علي بن الحسين يرفعه: أن رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » أتى مع جماعة من أصحابه إلى علي مفتقداً له، فنظر علي فلم يجد عنده شيئاً يقرّبه اليهم. فخرج يبتغي سلف دينار؛ ليشتري لهم ما يتحفهم، فمرّ غير بعيد، فإذا هو بدينار على الأرض، فتناوله، وعرف به، فلم يجد

٢ - البقرة، الآية / ٢٧٢.

١ - سبأ، الآية / ٣٩.

٤ - آل عمران، الآية / ٣٠.

٣ - البقرة، الآية / ١١٠.

٦ - اقتصادنا / ٥٣٩.

٥ - آل عمران، الآية / ١١٥.

له طالباً . فقال في نفسه : أشترى به بما أقربه إليهم ، فإن جاء له طالب أديته إليه . ففعل ذلك واشترى بالدينار طعاماً ، وأتى به رسول الله « صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ » وأصحابه ، فأطعموا ، وانصرفوا ، وجعل ينشد الدينار فلم يجد له طالباً ، فأتى به رسول الله « صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » وأخبره بالخبر . فقال : يَا عَلِيُّ أَعْطَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا أَطْلَعَ عَلِيَّ قَلْبِكَ ، وَمَا أَرَدْتَهُ ، وَلَيْسَ هُوَ شَيْءٌ لِلنَّاسِ ، وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ « صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » بِخَيْرٍ^(١) .

تحليلٌ وتعليقٌ

كيف أنزل الله سبحانه الدينار رزقاً هنيئاً لعلي بن أبي طالب وللصديقة الزهراء (عليها السلام) في تلك الساعة العنود الحرجة ؟

تنزل الأرزاق بشكل عام (سواء منها الرزق الذي تطلبه أو الرزق الذي يطلبك) وفق سنن العلل الظاهرة والأسباب المحسنة، إلا أن نوعاً خاصاً من الرزق ينزل في إطار من العلل الخفية الاستثنائية، التي لا ندرك وجودها إلا من خلال الإيمان بالغيب الذي يشير إليها ويبرزها واضحة للعيان أمام الذين يعتقدون به .

والقرآن الكريم يؤكد على أصل هذا المبدأ الاستثنائي بقوله عزَّ من قائل : «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْمَرِيْمُ أَنِّي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(٢) . وما وقع من حديث الدينار لا يعدو عن هذا السبيل ، وذلك لما أطلع الله على قلب علي ونبيته الخالصة الطهور . وفي النيّة الصادقة الصافية ينال الانسان شوارق العجائب المدهشة ، وغرائب الكرائم المستقطبة للأنظار إن عاينتها .

١ - القاضي النعمان، شرح الأخبار ٢ / ١٨٣، وانظر كتاب اللقطة من سنن أبي داود ٢ /

٢ - آل عمران الآية / ٣٧ .

٢١٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وقد تحدث مثل هذه القصة لعدد من خواص أولياء الله ولكن معرفة ذلك واكتشافه صعب مستصعب، ولولا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» كشف عن واقع الحال، وأبان عن الكرامة العلوية، لظلل الأمر مجهولاً إذ طالما عثر الناس على دنائير أو غيرها، ولم يهتدوا إلى أصحابها حتى بعد التعريف، وما يدريك فقد يكون من بينها ما ليس له مالك معين بين الناس جميعاً.

ولما كانت النيّة الخالصة عماد الإيمان وأساس الأعمال الصالحة، كما أعتقد، فلهذا نرى لزاماً علينا في هذا التعليق أن نوكّدها ونُبْرِزُ أهميّتها الجليلة، ضمن شذور من السياقات الروائيّة الرائعة:

١ - عن جعفر الصادق عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: لا قولٍ إلا بعمل، ولا قولٌ إلا بِنِيَّةٍ، ولا قولٌ وعملٌ ونِيَّةٌ إلا بإصابة السنّة^(١).

٢ - عن أبي ذر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في وصيّة له: يا أبا ذر ليكن لك في كلِّ شيءٍ نِيَّةٌ حتى في النوم والأكل^(٢).

٣ - وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: يا أبا ذر همّ بالحسنة وإن لم تعملها؛ لكي لا تكتب من الغافلين^(٣).

٤ - وقال «صلى الله عليه وآله وسلم»: إنما الأعمال بالنيّات، ولكل امرئ ما نوى^(٤).

٥ - وقال «صلى الله عليه وآله وسلم»: نِيَّةُ المؤمن خير من عمله، ونِيَّةُ

١ - الخُرُّ العاملي، وسائل الشيعة، ١ / ٣٣.

٢ - المصدر نفسه، ١ / ٣٤. ٣ - المصدر نفسه، ١ / ٤٠.

٤ - الترغيب والترهيب، الحديث / ١٥، والوسائل، ١ / ٣٥.

الكافر شرٌّ من عمله، وكلُّ عاملٍ يعمل على نيّته^(١).

٦ - عن زيد الشحام أنه سأل جعفر الصادق عن (نيّة المؤمن خير من عمله) فقال: لأنّ العملَ ربما كان رياءً للمخلوقين، والنيّة خالصة لربِّ العالمين؛ فيعطي الله عزَّ وجلَّ على النيّة ما لا يعطي على العمل^(٢).

٧ - عن أبي هريرة أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال: يقول الله تعالى: إذا أراد عبي أن يعمل سيّئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنةً فلم يعملها اكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة^(٣).
وقريب منه ما رواه الشيخ الصدوق في كتاب «التوحيد» عن حمزة بن حرمان عن جعفر الصادق (عليه السلام).

٨ - عن عبد العظيم الحسني، بإسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام): إن الله بكرمه وفضله، يدخل العبد بصدق النيّة والسريرة الصالحة الجنّة^(٤).

٩ - محمد بن مسلم والحسن بن زياد الصيقل عن الصادق (عليه السلام): مَنْ صدق لسانه زكى عمله، ومن حسنت نيّته زاد الله في رزقه^(٥).

التي غير ذلك من الأحاديث والأخبار^(٦).

١ - وسائل الشيعة، ١ / ٣٥. ٢ - المصدر نفسه، ١ / ٣٨.

٣ - صحيح البخاري (٧٥٠١٢)، والترغيب والترهيب، الحديث / ٢٢.

٤ - وسائل الشيعة، ١ / ٤١. ٥ - المصدر نفسه، ١ / ٣٩ و ٤٠.

٦ - قال السيد الحميري في قصة الدينار المتقدمة:

وحدثنا عن حارث الأعور الذي	نصده في القول منه وما يروي
بأن رسول الله نفسي فداؤه	وأهلي ومالي بات طاوي الحشى يطوي
لجوع أصاب المصطفى فاغتندى إلى	كريمته والناس لاهون في سهو

٢١٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

«رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(١).

ملائكة الرحمة

مرض الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني فعاده أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال له: إن عندي جارية لطيفة لخدمة لمرضك، فأعطاها إياه، فسماها لطيفة، فولدت له يزيد بن الحارث فكان يقال له ابن لطيفة^(٢).

يبدو أن المرض قد آذى الحارث بن يزيد كثيراً من حيث درجة شدته وفداحته أو من حيث طول الزمن أو من حيث الأمرين كليهما؛ ولهذا فهو بمسئس الحاجة إلى الخدمة الخاصة والرفق التام والرعاية الكاملة كما هو المعهود ممن يكون بمثل هذا الحال.

ومن هذا المنطلق فمن هو القادر على القيام بهذا الأداء الحنون والعناية

وقد أطفوا من شدة الجوع كالتضو
ولم يك فيما قال ينطق بالهزو
فقامت إلى ما قال تسرع بالخطو
مكومة باللحم جزوا على جزو
فبخ يخ لهم نفسي الفداء وما أحوي
من الله جبريل أتاني به يهوي
وغير وصي خصه الله بالصفو

فصادفها وابني علي وبعلاها
فقال لها يا فطم قومي تناولي
هدية ربي إنه مترحم
فجاءت عليها الله صلي بجفنة
فسموا وظلوا يطعمون جميعهم
فقال لها ذاك الطعام هدية
ولم يك منه طاعماً غير مرسل

١- النور، الآية / ٣٧ - ٣٨.

٢- راجع محمد طاهر السماوي، إحصار العين / ١٥.

الرقية هل هم الرجال الأقوياء الأشداء أصحاب الأيدي الخشناء، أم ملائكة الرحمة كما يسميها الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان في قصيدته الجميلة والتي يشبه فيها ملائكة الرحمة بالحمائم الوديعه رمز السلامة منذ بدء الخلق:

بِيضُ الحَمَائِمِ حَسْبُهُنَّ	أَنْبِي أُرْدُدُ لِحَنَّهُنَّ
رَمَزُ السَّلَامَةِ وَالوَدَاعَةِ	مِنذُ بَدءِ الخَلْقِ هُنَّ
فِي كُلِّ رَوْضٍ فَوْقَ دَانِيَةِ	القَطُوفِ لِهِنَّ أُنَّة
المَحْسَنَاتِ إِلَى المَرِيضِ	غَدُونِ أَشْبَاهاً لِهِنَّ
مَرُّ الدَوَاءِ بِفِيكَ حَلُوٌ	مِن عَذُوبَةِ نَطَقِهِنَّ ^(١)

لقد اختار الإمام علي (عليه السلام) لصاحبه ما اختارته بعض المستشفيات الحديثة في كثير من الأحيان للرفق بالمرضى لا سيما الذين أرهقهم المرض منهم عن طريق الممرضات ذوات الأحاسيس اللطيفة والمشاعر الإنسانية الجياشة النبيلة، بالطبع مع الفارق الكبير بين الاختيارين فلا وجود للحرص الشرعي في أسلوب الإمام وتعامله.

والحارث بن يزيد الشيباني جدير بالاحكام والتقدير باعتبار ما له من حق صحبة الإمام وما لقومه الشيبانيين من المواقف الجليلة والشريفة وهم يخوضون اللجج الغامرات من المعارك الضارية التي جانيه المقدس، حتى أنه (عليه السلام) لما سئل عن أكثر الأقسام بأساً وبطشاً في سبيل نصرته قال: الشعر الأذرع من همدان والزرق من شيبان.

ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون

روى الأصمغ بن نباتة وأبو مسعدة والباقر (عليه السلام) أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) أتى البزازين فقال لرجل: بعني ثوبين. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين عندي حاجتك. فلما عرفه مضى عنه فوقف على غلام فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين فقال: يا قنبر خذ الذي بثلاثة. فقال: أنت أولى به تصعد المنبر وتخطب الناس. فقال: وأنت شابٌ ولك شرة الشباب وأنا أستحيي من ربي أن أتفضل عليك، سمعت رسول الله «ص» يقول: ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون. فلما لبس القميص مدَّ كمَّ القميص فأمر بقطعه واتخذه قلانس للفقراء، فقال الغلام: هلُمَّ أكفه. قال: دعه كما هو فإن الأمر أسرع من ذلك. فجاء أبو الغلام فقال: إن ابني لم يعرفك وهذان درهما ربحهما. فقال: ما كنت لأفعل قد ما كست وما كسني، واتفقنا على رضئ. رواه أحمد في الفضائل^(١).

١ - حينما يراقب الانسان ربه تبارك وتعالى حقيقة المراقبة فإنه يرى لعباده عليه سيلاً منهمراً من الحقوق واللوازم التي ينبغي أن يؤديها لهم أفضل الأداء، وحينما يستحي الانسان من ربه حقيقة الحياء، فإنه يزهد في الحياة. فإذا فتح الانسان عينيه على مراقبة ربه فإنه لا يغلق يديه على ما ينفع خليقته، وإذا زهد بالدنيا جاد بها على من احتاج إليها. نستنتج من هذا أن مراقبة الله تبارك وتعالى والحياء منه يدفعان المرء كثيراً إلى التمسك بعروة الفضل والإيثار والنفع لخلق الله.

٢ - إنه لا يحسراً أبداً على من راقب نفسه واستحي من الله أن يؤثر عبده على شخصه العظيم وإن كان أمير المؤمنين. إن من أسنى معايير الفضائل الأخلاقية

والقيم الإنسانية على طول الأحقاب التاريخية أن يقول الرئيس لعبد من عبيده أنت شاب وأنا لست شاباً إذاً لك حقّ التقدم والألوية في كل ما يمتُّ إلى نضارة الشببية وجمالها الخارجي من الملابس الفاخرة والثياب الحسنة .

٣ - (أبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون) بهذه التفوق الممتاز في التربية والتعامل الأسمى أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» للمماليك أن يرتفع مستوى أوضاعهم المعاشية، وللسادات أن يتواضعوا لله سبحانه ويساووا عبيدهم في المآكل والملابس، وبهذا التفوق الممتاز في التوازن المادي الكريم يرتفع بناء المتواضعين المحسنين عند الله، ويسعد الضعفاء المساكين بنعم الله . ولكن منهج علي بن أبي طالب في تطبيقاته المثالية لتعاليم رسول الله «ص» قد أخذ بأشدّ وأفضل ما تدعو إليه، فلا مساواة بين الرئيس الشيخ أو الكهل وبين المولى الشاب في الملابس، بل يصطفي له الأجود والأحسن منها حتى مع طلب المولى للأقل والأدنى من النوعين وقوله للإمام: أنت أولى به تصعد المنبر وتخطب الناس .

٤ - أيا عجباً للحبّ النبيل العميق للفضل والإحسان الذي يكتنه قلب علي بن أبي طالب !! ويا عجباً لتدقق الينابيع الزاخرة لحنانه الانسانيّ الفريد !! إن كان لابن أبي طالب قميصان فلعبده خيرهما وأحسنهما، وإن لبس القميص مدّ كمه فأمر بقطعه واتخاذه قلانس للفقراء .

«لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ» (١).

إِنَّمَا يَتَمُّ الْكِرْمُ بِنِظَافَةِ الْمُعْطِي وَنِظَافَةِ الْعَطَاءِ

مما جاء في كتاب «كنز العمال» عن أنس بن مالك قال: كنا جلوساً عند النبي «صلى الله عليه وسلم» إذ أقبل علي بن أبي طالب ومعه شيء مغطى دفعه إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فإذا هو لبن، فخرج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ثم أداره علينا، ثم أقبل علي بن أبي طالب فقال: جزاك الله خيراً، أما إن العبد إذا قال لأخيه المسلم: جزاك الله خيراً، فقد بالغ في الدعاء^(١).

لم يظهر من الخبر أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قد طلب من علي بن أبي طالب أن يسقيه لبناً أو غير لبن، وإنما هو شيء قد تبرع به وقدمه ابتداءً من غير سؤال وطلب، لما في سقي اللبن من الأجر العظيم فعن البراء بن عازب عن رسول الله «ص» أنه قال: مَنْ مَنَحَ مِئْزَةً وَرِيقًا، أَوْ أَهْدَى زَقَاقًا، أَوْ سَقَى لَبْنًا، كَانَ لَهُ كَعْدَلُ نَسْمِهِ. وَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ لَهُ كَعْدَلُ نَسْمِهِ^(٢). فتلخص من ذلك أن من سقى لبناً كان له كعدل نسمة. وهو نظير من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات، فإن له أيضاً عدل نسمة.

كما ان التبرع باللبن ابتداءً من غير سؤال وطلب لونه من الفضل والإحسان، والإحسان خصلة فاتنة جميلة، من أزوع خصال الكرم والفضيلة، وقد اشتهر عن علي (عليه السلام) القول: السخاء ما كان ابتداءً، فإذا كان عن مسألة فحياً وتدمم^(٣).

١ - علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال (٧١٦٣).

٢ - شعب الإيمان، ٣ / ٢٢٠ - ٢٢١ / الحديث (٣٣٧٤).

٣ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨ / ١٨٤، الحكمة / ٥١، وريبع الأبرار، ٤ /

إن أعظم وأجَلُّ ما يبتغي العبد الصالح من جزاء أعماله وأفعاله كلُّها بما في ذلك الإحسان للناس هو أن يكتسب مزيداً من الأجر والثواب، وقد اكتسب علي بن أبي طالب فضلاً وأجرأً وتقرباً من الله تبارك وتعالى وهو يسقي سيد البشر «صلى الله عليه وآله وسلم» لبناً ويسقي معه جماعة من أصحابه.

إنها النعمة الكبرى من نعم الله سبحانه أن يحصل الإنسان على أبلغ دعاء يتحفه به الطرف الآخر مقابل كمية من اللبن يبرد بها الأكباد ويروي بها الظماء، فقد جزاه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» خيراً، مبيئاً أهمية كبيرة لمن قال لأخيه المسلم: جزاك الله خيراً، وأنه قد بالغ في الدعاء. وأحسب أن كَبِدَ عليٍّ - وقد حصل على بركة أبلغ الدعاء من أكرم داعٍ - لأَبْرَدُ بكثير من أكباد الذين سقاهم اللبن وشفى غليلهم.

أَحْسَنُ الْكِرْمِ مَا يُعْبَرُ عَنْ طِيبِ النَّفْسِ وَجَمَالِ الذُّوقِ، فَقَدْ يَعُدُّ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْكِرْمَاءِ مَنْ لَا يَمْتَلِكُ الذُّوقَ الرَّفِيعَ، مَكْتَفِينَ بِمَا يَقْدَمُ مِنَ الْخَيْرِ وَيَتَبَرَّعُ مِنَ الْإِحْسَانِ، إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلْكَرِيمِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِالنَّظَافَتَيْنِ نَظَافَةِ اللِّسَانِ مِنَ الْمَنِّ وَالْأَذَى، وَنَظَافَةِ الْمَادَّةِ مِنَ الدَّنَسِ وَالْقَذَى. إِنَّمَا يَتَمُّ الْكِرْمُ بِنَظَافَةِ الْمُعْطِي وَنَظَافَةِ الْعَطَاءِ.

لقد جاد ابن أبي طالب بفضله مُراعياً فيه الذوق والنظافة، لقد جاء باللبن في وعاء مُعْطَى رعايةً للذوق السليم وحفظاً للصحة البدنية، لتلا يكدره الغبار أو تقع فيه الهوام.

«الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ»

٢١٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

دَرَجَةٌ عِنْدَ اللَّهِ وَأَوْلَيْكَ هُمْ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ
وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (١).

مَرْحَبًا بِالْحَامِلِ وَالْمَحْمُولِ مَرْحَبًا بِأَبِي تُرَابٍ

روى الحافظ محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي شيبة في «المصنف في الحديث والآثار»: بينما النبي «صلى الله عليه وسلم» عنده نفر من أصحابه فأرسل إلى نسائه فلم يجد عند امرأة منهن شيئاً، فبينما هم كذلك إذ هم بعليّ قد أقبل أشعث مغبراً على عاتقه قريب من صاع من تمر قد عمل بيده فقال النبي «صلى الله عليه وسلم»: «مَرْحَبًا بِالْحَامِلِ وَالْمَحْمُولِ». ثم أجلسه فنفض عن رأسه التراب ثم قال: مَرْحَبًا بِأَبِي تُرَابٍ. فَقَرَّبَهُ فَأَكَلُوا حَتَّى صَدَرُوا، ثم أرسل إلى نسائه إلى كل واحدة منهن طائفة (٢).

١ - التوبة، الآية / ٢٠ - ٢٢.

٢ - المصنف في الحديث والآثار، ٧ / ٥٠٠.

ما أروع وأجمل ما يصطفيه رسول الله «ص» لأخيه ووزيره وحببيه علي بن أبي طالب من الكنى البارة فيكنيه أبا الحسن باسم ولده الإمام الزكي الحسن بن علي الذي سماه رسول الله «ص» حسناً بتعليم الله تعالى له هذه التسمية الجليلة بما تشتمل عليه من المعاني السامية، كما اصطفى له رسول الله «ص» كنية أبي تراب تمييزاً لجهده في قطف الثمر بعناء لا طعام رسول الله «ص» وضيوفه في ساعة حرجة كما قرأنا القصة التي يرويها الحافظ ابن أبي شيبة، وتكريماً لزهده وتواضعه ونفسيته الترابية حيث لا يرقد على الفراش الوثير، بل كثيراً ما يستطيب الرقاد على التراب فيؤثر في جسمه ولباسه، ويزيده رسول الله «ص» تكريماً ومحبة بأن ينفض التراب بيده المباركة عن جسد الحبيب العزيز.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة ١ / ١١ - ١٢: كناه رسول الله «ص» أبا تراب وجده نائماً في تراب قد سقط عنه رداؤه وأصاب التراب جسده فجاء حتى جلس عند رأسه وأيقظه وجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول له: اجلس إنما أنت أبو تراب. فكانت من

تقع هذه القصة في سياق الحالات التي أكرم الإمام علي (عليه السلام) فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أو رسول الله وجماعة من أصحابه ابتداء من دون طلب من النبي «ص» أو أحد منهم.

لقد تزَّج الإمام علي (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) نفسه الشريفة ورضي أن يكون أشعث الرأس مغبراً في سبيل إهداء آية من آيات الكرم والإحسان إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وإلى أصحابه الكرام.

لقد كان جود الإمام جوداً موفقاً مُسَدِّداً مثلهما كما نلاحظه في جميع الأحوال ومن بينها الحالة هذه، فقد جاء بالتمر إبان حاجة رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» إليه ليكرم أصحابه ولم يكن عند أمهات المؤمنين من شيء يقدِّمه للضيوف. بينما ينبغي الالتفات إلى الجَمِّ الغفير من مفردات الجود - بشكل عام - في شتى الأصقاع والأزمان من عدم إصابة المواقع المفيدة والحساسة، بل قد يشكل ضرراً بالغاً بالمُكرمين والمهدى إليهم أو بالآخرين في صورة من الصور.

وإذا لم تكن لصاع من التمر قيمة سوقية باهظة فإن قيمة ذلك الصاع من التمر العلوي له أهمية خاصة وقيمة عالية جداً لأنه أدى إلى قضاء حاجة من حاجات رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في ساعة حرجة حيث لا يرى ما يقدمه للضيوف، كما تتأتى الأهمية الخاصة والقيمة العالية من جهة ما يضيء عليها المُكْرَم من الاعتبار (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجماعة من الصحابة) كما تتأتى من جهة المباركة والترحيب النبوي الصادق والمتكرَّر (مَرْحَباً بالحامل والمحمول. مَرْحَباً بأبي ثراب)، كما كانت الهدية العلوية شيئاً محبباً

أحب كناه إليه «ص» وكان يفرح إذا دعي بها، وكانت ترغَّب بنو أمية خطباءها أن يسبوه بها على المنابر وجعلوها نقيصة له ووصمة عليه، فكانما كسوه بها الحلبي والحلبي كما قال الحسن البصري رحمه الله.

٢٢٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
لرسول «ص» الذي كانت خَلْوَؤُهُ التمر حيثُ لم ينته الترحيب النبوي عند أبي
تراب (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) بل شمل ما احتملت يمينه .

يدعو اليتامى فيطعمهم العسل

قال أبو الطفيل (الصحابي التقي الزاهد عامر بن وائلة الكناني الليثي):
رأيت علياً (كرم الله وجهه) يدعو اليتامى فيطعمهم العسل حتى قال بعض
أصحابه: لوددت أني كنت يتيماً^(١).

رعاية اليتيم في القران والسنة

حقاً إنَّها لمأساةٌ كبرى أن يرعى الأطفال غير الآباءِ والأُمَّهاتِ، بيِّدَ أنها
مأساةٌ لا تُحَدُّ ولا توصفُ أنْ لا يجدَ الأطفالُ من يرعاهم من الناسِ .

وقد وَجَّهَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الأنظار في الكتاب والسنة إلى قضية إنسانية كبرى،
لا يجوز التفريط فيها بحال من الأحوال، ألا وهي ضرورة رعاية اليتيم وإكرامه
واللطف به والرفق بنشأته وتربيته، ما كان إلى ذلك سبيل .

إذا كان الصغير بمسيس الحاجة إلى مزيد من الرعاية والرفق والإحسان مع
وجود أبويه معاً وقيامهما بشؤونه، إذاً فما أشدَّ حاجة من يفقد أحد أبويه، أو
يفقدهما معاً؟

قال الله تبارك وتعالى في محكم الذكر المجيد: «وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ..»^(٢).

١- الزمخشري، ربيع الأبرار، ٢ / ٣٠٥، والسروي، المناقب، ٢ / ٧٥.

٢- الإسراء، الآية / ٣٤.

وقال الله تبارك وتعالى: «كَأَلَّا بَلًّا لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَيَّ طَعَامَ الْمِسْكِينِ»^(١).

وقال الله تبارك وتعالى: «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ»^(٢).

وقال الله تبارك وتعالى: «أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحْضُ عَلَيَّ طَعَامَ الْمِسْكِينِ»^(٣).

وورد في مشكاة الأنوار / الفصل السادس عشر في ذكر الأيتام عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «أَلَا مَنْ كَانَ فِي مَنْزِلِهِ يَتِيمٌ؛ فَأَشْبَعَهُ أَوْ كَسَاهُ وَلَمْ يُؤْذِهِ وَلَمْ يَضْرِبْهُ يَقْبَلْ مِنْهُ عَمَلَهُ.

وقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبْوَيْنِ مُسْلِمِينَ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ، فَقَدْ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَيْتَةُ.

وقال أيضاً: إذا بكى اليتيم في الأرض، قال الله عز وجل: من أبكى عبدي هذا اليتيم الذي غيبت أبويه أو أباه في الأرض فتقول الملائكة: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا. فيقول الله عز وجل: أشهدكم ملائكتي أن من أسكته برضاه، فأنا ضامن لرضاه من الجنة.

كما قال: خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت فيه يتيم يساء إليه، ثم قال: أنا وكافل اليتيم في الجنة. وهو يشير بإصبعه. وروي أن رجلاً شكى إلى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قساوة قلبه، فقال: إذا أردت أن يلين قلبك؛ فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم.

٢٢٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وفي الكافي باب الأطفال / باب النوادر باسناده عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الثؤفلي عن السكوني عن أبي عبد الله (عليه السلام): أن أمير المؤمنين (عليه السلام) اشتكى عيئته؛ فعادته النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»، فإذا هو يصيح، فقال النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: «أجزعاً أم وجعاً؟ فقال: يا رسول الله ما وجعتُ وجعاً قطُّ أشدَّ منه. فقال: يا علي إن ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر نزل معه سقودٌ من نارٍ فينزع روحه به فتصيح جهنم. فاستوى علي (عليه السلام) جالساً فقال: يا رسول الله أعذ علي حديثك فلقد أنساني وجعي ما قلت. ثم قال: هل يصيب ذلك أحداً من أمته؟ قال: نعم حاكمٌ جائرٌ وآكل مال اليتيم ظلماً وشاهدٌ زور. وفي «الأمالى» للمفيد: أوصى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» معاذ بن جبل إلى أن قال: شر المائم أكل مال اليتيم.

وفيه: محمد بن الحسن بن الوليد قال: حدثني أبي عن محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن أبي أيوب الخزاز عن أبي حمزة الثمالي رحمه الله عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي (عليه السلام) قال سمعته يقول: .. أربعٌ من كُن فيه من المؤمنين أسكنه الله في أعلى عليين، في غرف فوق غرف، في محل الشرف كل الشرف: من آوى اليتيم ونظر له؛ فكان له أباً رحيماً، ومن رحم الضعيف وأعانه وكفاه، ومن أنفق على والديه ورفق بهما وبرَّهما ولم يحزنهما، ومن لم يخرق بمملوكه وأعانه على ما يكلفه ولم يستسعه فيما لا يطيق.

وجاء في غرر الحكم عن علي (عليه السلام) / الفصل السادس في اليتيم:

- كافل اليتيم والمسكين عند الله من المكرمين .

- كافل اليتيم أثيرٌ عند الله .

- مَنْ رعى الأيتام رعي في بنيه .

- مَنْ أَفْضَلَ الْبِرِّ يُرَى الْإِيْتَامَ .

— مَنْ ظَلَمَ يَتِيمًا عَقَّ أَوْلَادَهُ .

— ظَلَمُ الْيَتَامَى وَالْأَيَامَى يَنْزِلُ النَّقْمَ وَيَسْلُبُ النِّعَمَ أَهْلِهَا .

« فَلَا أَقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقِيبَةً * أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ

ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ » (١) .

علي أول من قام بعملية إحصاء اليتامى

قال أحمد بن يحيى البلاذري: حدثني عمر بن شبة، حدثنا مؤمل بن اسماعيل، حدثنا سفيان، عن سعيد، عن عبيد، عن رجل من قومه يقال له الحكم قال: شهدت علياً وأُتِيَ بزقاق من عسل، فدعا اليتامى وقال: ذوقوا والعقوا، حتى تمنيتُ أني يتيم. فقسمه بين الناس، وبقي منه زق، فأمر أن يسقاه أهل المسجد (٢) ...

وفي رواية الكافي: جاء إلى أمير المؤمنين عسلٌ وتينٌ من همدان وحلوان، فأمر العرفاء أن يأتوا باليتامى؛ فأمكنهم من رؤوس الأزقاق يلحقونها، وهو يقسم للناس قديحاً قديحاً. فقبل له: يا أمير المؤمنين ما لهم يلحقونها؟ فقال: إنَّ الإمامَ أبو اليتامى وأنا ألعقُهُمُ هذا بِرِعايَةِ الآباءِ (٣) .

١ - كثير من اليتامى لا يجدون الطعام السائغ الطيب وإن كان عادياً؛ إذ أنهم غالباً إما أن يفتقدوا الطعام، وإما أن يجدوه عادياً جداً مما زهد به الآخرون، أو فضل عن موضع حاجاتهم. أما الأب الكبير علي بن أبي طالب فإنه لا يكتفي أن يغذيهم بالزاد العادي السائغ، بل يطعمهم العسل وهو أرقى أنواع الأطعمة وأنفعها

١ - البلد، الآية / ١١ - ١٦ .

٢ - أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف / ٤٦ .

٣ - الكليني، الكافي ١ / ٤٠٦ .

للأبدان ومن أغلاها ثمناً .

٢ - وإذا كان اليتامى ممن تحدد لهم كمية الطعام غالباً ولا يتناولون كما يشاؤون، خصوصاً إذا كان من الأطعمة الباهظة الثمن، فإن الأب الكبير علي بن أبي طالب يمكنهم من رؤوس الأزقاق يلعقونها.

٣ - إن للآباء والأمهات مشاعر رقيقة وخاصّة جداً إزاء أطفالهم، وتتسم عادة بالرقّة والعطف والحنان، وتنعكس هذه المشاعر والأحاسيس على تصرفاتهم مع أطفالهم. وبفقد الآباء والأمهات يفتقد الأطفال توهج الحنان الغريزي والطبيعي، وهذا الافتقاد لا يكاد يُعَوِّضُ أبداً، حتى وإن وجد اليتامى من يحسنون الرعاية والاحتفاء بهم، إنه يبقى شيء ما فوق الإطعام والإكرام والممارسات التربوية، إنه ذلك الأمر الذي عبرنا عنه (بتوهج الحنان الغريزي والطبيعي). وهذا ما دعى الأب الكبير علي بن أبي طالب إلى تلافيه بأن يلعقهم العسل، لا بالطريقة التي تشبع الرغبة أو تملأ البطن، بل يلعقون أزقاق العسل كم يحبون، أو كما يسمح لهم الأبوان - لو كانا حيين - وكما يتصرفون في بيوت أهلهم، من دون تحديد أو تقييد صارم. فإن من أكبر ما يكدر حياة الأطفال أن يشعروا بفولاذية التعامل، لا سيما إن يستظلوا بغير أرائك الأبوين، فإنه حتى الأخ الكبير والأخت الرؤوم، لا يستطيعان تعويضهم عن تلك الأرائك الخضراء الجميلة. والإمام علي بقوله الجليل: إِنَّ الإِمَامَ أَبُو الِيتَامَى وَأَنَا أَلْعِقُهُمْ هَذَا بِرِعَايَةِ الآبَاءِ، إنما يؤكد على ما أشرنا إليه من توهج الحنان الغريزي والطبيعي في الأبوين، فتأمل.

٤ - قد يكرم أو يطعم عدد كبير من اليتامى الذين يقعون تحت النظر، ولكن يبقى عدد منهم ممن زاغت عنهم الأبصار، لا سيما إن اليتيم في سنه الصغير كثيراً ما لا يطلع أو يسمع بمورد من موارد الإكرام والإطعام، فتفوته الفرصة وتتخطاه لمحات العيون. ولذا فإن الأب الكبير علي بن أبي طالب لم يكتفِ بأن يلعق العسل

مَنْ حَضَرَ مِنَ الْيَتَامَى مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَإِرَادَةٍ وَإِنَّمَا مِنْ بَابِ الْمَصَادِفَةِ وَالِاتِّفَاقِ، أَوْ حَضَرَ لِعَلْمِهِ بِدَعْوَةِ الطَّعَامِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ. بَلْ يَأْمُرُ الْعُرَفَاءُ وَهُمْ الْمَسْئُولُونَ عَنْ مُخْتَلَفِ أَفْرَادِ الْقَبَائِلِ وَعَنْ أَوْضَاعِهِمْ أَنْ يَأْتُوا بِالْيَتَامَى. إِذْ كُلُّ عَرِيفٍ مِنْهُمْ أَعْرَفَ بِعَدَدِ الْيَتَامَى فِي مَنْطِقَتِهِ وَحَوْزَتِهِ. وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَارِفًا مِنْهُمْ بِعَدَدِهِمْ، فَإِنَّهُ يَضْطَرُّ إِلَى الْإِسْتِفْسَارِ عَنْهُمْ، لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ مِنْ قَبْلِ أَعْلَى سُلْطَةِ فِي الدَّوْلَةِ أَنْ يَأْتِيَ بِهِمْ. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْأَبَّ الْكَبِيرَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَوَّلُ مَنْ قَامَ بِعَمَلِيَّةِ إِحْصَاءِ الْيَتَامَى وَتَشْخِصِ أَعْدَادِهِمْ فِي تَارِيخِ الْإِنْسَانِيَّةِ الطَّوِيلِ.

إِكْرَامُ الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ

جاء أبو هريرة إلى أمير المؤمنين وكان يتكلم فيه، وأسمعه في اليوم الماضي، وسأله حوائجه فقضاها فعاتبه أصحابه على ذلك فقال: إني لأستحي أن يغلب جهلُ علمي، وذنبُ عفوي، ومسألتهُ جودي^(١).

الْجُودُ مَفْرَدَةٌ عَامِرَةٌ

الجودُ مفردةٌ عامرةٌ من مفردات الأخلاق السامية، ولما كان التعامل وفق السمو الأخلاقي لا يقتصر على المحبين والأصدقاء والأهلين فحسب بل يشمل المجانبيين والمحايدين وحتى الأعداء الألداء، سواء كان العداء على الصعيد الشخصي، أو الفكري والعقائدي والسياسي، وإن لم يكن الأمر كذلك فإن الركائز الأخلاقية سوف تتهاوى الواحدة تلو الأخرى لأن الأخلاق ملكات نفسية،

١ - ابن شهر آشوب السروي، المناقب ٢ / ١١٤ (فصل في حلمه ونفقته). وفي غرر الحكم للآمدي عن علي (عليه السلام) ما نصه: إني لأرفع نفسي أن تكون حاجة لا يسعها جودي، أو جهل لا يسعه حلمي، أو ذنب لا يسعه عفوي، أو أن يكون زمان أطول من زمانني. غرر الحكم، الحكمة / ٢٠٧٥.

وليست رؤية طارئة، أو موقفاً مرتجلاً، والملكات تتميز بالاستقرار والثبات.

لقد كان الإمام علي بن أبي طالب يتعامل مع الصديق الحميم والعدو الخصيم من منطلق الملكات الأخلاقية الايجابية، فالانصاف والعدل هما الانصاف والعدل على كل صعيد، والاستيعاب وسعة الصدر هما الاستيعاب وسعة الصدر على كل حال، والصدق والوفاء بالعهود هما الصدق والوفاء، والجود والإيثار هما الجود والإيثار. إذاً ما صنعه الإمام الأكبر مع أبي هريرة من الإحسان وقضاء الحاجة لم يكن شاذاً عن مجمل ملكاته الأخلاقية وسلوكه الأشم القويم. بل لم يكن شاذاً عن مجمل الملكات الأخلاقية والسلوكية لأهل بيته والمقتدين به من أصحابه وأتباعه.

قصة ممتعة

ما صنعه إمام الصديقين والأولياء من التعامل الرائع الجميل، غير مألوف لدى غالبية الرؤساء والملوك والأمراء، وإنما يقايضون الجميل بجميل - على أحسن الفرضيات - وهم يتعاملون مع الآخرين؛ وفقاً للموازين المحدودة للربح والخسران.

وفي هذه القصة الممتعة وجه واضح من تعامل الرؤساء والملوك والأمراء تذكرها للمقارنة ما بينها وبين صنيع الإمام الأكبر مع أبي هريرة:

روى الشعبي قال: دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجة وقد كان بلغ معاوية عنه ماكره فكره قضاءها وتشاغل فقال عمرو: يا معاوية إن السخاء فطنة، واللؤم تغافل^(١)، والجفاء ليس من أخلاق المؤمنين.

١- ورد في تحف العقول / ٢١٤: وزوي عنه (عليه السلام) (أي الإمام علي في قصار

هذه المعاني): النظر إلى البخيل يقسي القلب، النظر إلى الأحمق يسخن العين. السخاء فطنة،

فقال معاوية: يا عمرو بماذا تستحق مناقضاء الحوائج العظام؟

فغضب عمرو وقال: بأعظم حق وأوجبه؛ إذ كنت في بحر عجاج، فلولا عمرو لغرقت في أقل مائه وأرقه، ولكنني دفعتك فيه دفعة فصرت في وسطه، ثم دفعتك فيه أخرى فصرت في أعلى المواضع منه، فمضى حكمك ونفذ أمرك وانطلق لسانك بعد تلجلجه، وأضاء وجهك بعد ظلمته وطمست لك الشمس بالعهن المنفوش، وأظلمت لك القمر بالليله المدلهمة.

فتناوم معاوية وأطبق جفنيه ملياً؛ فخرج عمرو فاستوى معاوية جالساً وقال لجلسائه: أرأيتم ما خرج من فم ذلك الرجل ما عليه لو عرضت في التعريض ما يكفي، ولكنه جبهنني بكلامه ورماني بسموم سهامه.

فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين إن الحوائج لتقضى على ثلاث خصال: إما أن يكون السائل لقضاء الحاجة مستحقاً فتقضى له بحقه، وإما أن يكون السائل لثيماً فيصون الشريف نفسه عن لسانه فيقضي حاجته، وإما أن يكون المسؤول كريماً فيقضيها لكرمه صغرت أو كبرت.

فقال معاوية: لله أبوك ما أحسن ما نطقت. وبعث إلى عمرو فأخبره وقضى حاجته ووصله بصلة جليلة. فلما أخذها ولي منصرفاً، فقال معاوية: «فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ»^(١). فسمعها عمرو فالتفت إليه مغضباً وقال: والله يا معاوية لا أزال آخذ منك قهراً، ولا أطيع لك أمراً، وأحقر لك بئراً عميقاً، إذا وقعت فيه لم تُدرِك إلا زميماً. فضحك معاوية فقال: ما أريدك يا أبا عبد الله بالكلمة، وإنما كانت آية تلوّتها من كتاب الله، عرضت بقلبي

واللوم تغافل. وكان عمرو بن العاص قد استشهد بالحكمة العلوية.

فاصنع ما شئت^(١).

عَوْدُ عَلِيٍّ بَدء

إن أبا هريرة وان كان مناوئاً للإمام وناصرراً للأعداء، إلا أنه كان يشهد الشهادتين ويعترف بالاسلام، أما لو أخذنا شخصاً آخر كعمرو بن عبد ودة العامري فارس مشركي الجزيرة العربية مثلاً، فإنه لم يكن يشهد الشهادتين ويعترف بالاسلام مطلقاً، إلا أن الإمام علياً لبني طلبته، وأحسن اليه في مال كثير كان بمسيس الحاجة اليه؛ وذلك لإن الإمام لما نازله ورماه أرضاً، كان عمرو يرتدي درعاً ثمينة جداً فطلب من الإمام ان لا يسلب ما عليه. فقال (عليه السلام): ذلك أهونُ عليّ، وترك الدرع منصرفاً عنها وعن صاحبها، فقال له عمر بن الخطاب: هلا سلبت درعه فإن قيمتها ثلاثة آلاف وليس للعرب مثلها!؟.. ولكنها الهمة الهاشمية العليا والكرم العلوي المضيء. لقد ترك الإمام الدرع علي صاحبها عالماً أن الأمر لو وقع بخلاف ما وقع عليه، بأن كان عمرو بن عبد ودة هو القاتل، لما تنزه عن سلب درع الإمام، وفي ذلك يقول (عليه السلام) من أبيات معروفة مشهورة له في الكتب الأدبية منها البيت التالي:

وَعَقَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ الْمَقْتَرُ بِرَئِي أَثْوَابِي

ولقد نطق القران الكريم صريحاً واضحاً معلناً بهذه الصفة الأخلاقية المعطاء من كرم إمام المتقين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وجوده الفذ، حتى مع العدو المقاتل المشرك فضلاً عن غيره قائلاً: «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلِيٌّ حُبُّهُ مَسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً» فهل كان الأسير إلا ضالاً مشركاً مقاتلاً قد جرّد السلاح بوجه علي، وبوجه نبيّ علي، ودين علي.

فيما يصنع الإمام القدوة المثلني علي بن أبي طالب (عليه السلام)،
وفيما يتعامل مع الأصدقاء والأعداء، درس تروبي عظيم وحكمة بالغة
للناس كافة، لا سيّما للحكومات وقادة الأمم، أن لا يتعاملوا بصدر ضيق
حرج كأنما يصعد في السماء، بل بصدر سميح رحيب، وقلب متفتح
كريم، لئلا تفتقد السياسة والحكم مستنداً أخلاقياً رفيعاً لمن أراد لأمة
النفع والخير، وللإنسانية العزة والكرامة، وللسياسة القوة والأصالة.

إن من الأناية والإنغلاق الشحيح أن لا يمدد الحكم والسياسة ذراع
الاستيعاب والاحتضان إلى الصديق والعدو... وإن من لا يحسن أن
يُداري الأعداء، لا يحسن أن يحتفظ بمعاشرة الأصدقاء.

إنفاق الذهب والفضة

سأل أعرابي أمير المؤمنين علياً شيئاً فأمر له بألف، فقال الوكيل: من ذهب
أوفضة؟

فقال: كلاهما عندي حجران^(١)، فأعطى الأعرابي أنفعهما له^(٢).

١ - سأل معاوية بن أبي سفيان صعصعة بن صوحان العبدي عن أفضل المال. فوصف له
النخل والأنعام، فكان معاوية خطأً بعدم ذكر الذهب والفضة، فقال صعصعة: هما حجران إن
أقبلت عليهما فدا، وإن تركتهما لم يزد.

٢ - السروي، المناقب ٢ / ١١٨، والمجلسي، بحار الأنوار ٤١ / ٣٢، والنوري،
مستدرک وسائل الشيعة، ٧ / ٢٦٨.

مقارنة بين الذهب والفضة

ألف درهم من الفضة لرجل واحد مما ينفعه نفعاً كبيراً؛ فإن ثمنها يساوي في زمن صدر الاسلام ثمن ما يعادل مائة من الشياه، إلا أن قيمتها المادية والجمالية دون قيمة الذهب بفارق بعيد، لهذا أمر الإمام أن يمنح الأعرابي من ماله الشخصي أنفعهما له، ولا ريب أن الذهب هو الأنفع والأعلى قيمة في شتى الأحقاب التاريخية المتوالية.

كلاهما من العقلاء

الكريم والبخيل كلاهما من العقلاء، ولكن الأول حاول استخدام العقل لنفع الناس، والآخر حاول استخدامه لنفع الذات. وإن لم يكن الأمر على ما صوّرناه فهل يكون من المنطقي أو المعقول أن الكريم لا يعرف قيمة الأموال وأهميتها في الحياة الدنيا، فأين ذهبت عنه الخبرة الاجتماعية سواء طالت أم قصرت، وبالتالي أين ولى عنه شعاع ضوء التفكير في شؤون الحياة، سواء كان عميقاً أو سطحياً.

إن ذلك الرجل العظيم سيد العقلاء والكرماء معاً حينما يصف الذهب والفضة بالحجّرين، فإنه في المضمار نفسه يأمر بإعطاء الأعرابي أنفعهما له، وفي هذا تأكيد بليغ على أهمية المال وقدرته على نفع الناس، ولكنهما الحجران ليس بالنسبة إلى الموهوب له، بل بالنسبة إلى الواهب المفضل السميح، من حيث الجود السامق، والتقشف العجيب، والزهد البارع الأصيل، الذي امتاز به (صلوات الله عليه). ومن القضايا المحقّقة: أنّ الزهد لا يعني في حالة من الحالات عدم المعرفة باللذائذ، أو ضعف الحاسة الذوقية للمشتهيّات، ولكنه قد تبيّن لنا بوضوح

ودقة: أَنَّ الزُّهْدَ نَظْرَةٌ بَعِيدَةٌ المَرْمَى، تَبَحُّثٌ عَمَّا وَرَاءَ الحَاضِرِ الزُّهَيْدِ^(١).

إِنَّ العَبْدَ الصَّالِحَ يَزْهَدُ فِي شَيْءٍ، لِيَمْنَحَهُ اللهُ أَشْيَاءَ، وَاللهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ.

إنه بقدر ما ينتفع الأعرابي بدنياه من جرّاء الألف الحجري، ينتفع به الإمام أمير المؤمنين بأخراه، بل بما هو أوفى وأصفى من ذلك وأعظم أجراً، إضافة إلى حسن الذكر والثناء الطيب العاطر بين الناس، وهو ثواب معجّل.

أقبلت الدنيا على ما يعطي البخيل فأفتته، وأقبلت الآخرة على ما يعطي الكريم فأبقتة.. فيا لسعادة الكرماء.

من هنا نعرف وندرك جيداً أن الكريم أعقل من البخيل وأبعد تفكيراً ونظراً.. فيالتعاسة البخلاء.

وقد نظمنا هذه الأكرومة السنّيّة لإمام الصديقين والأولياء ضمن قصيدة أرباب السخاء المذكورة في هذا الكتاب ومن جملتها:

مُؤَمَّلٌ بِعَضِّ النِّوَالِ أَفَادَهُ أَلْسِنًا وَلَمْ يَرَمَ مَا أَفَادَ كَثِيرًا

ذَهَابًا يُصَبُّ لِرَاغِبٍ أَمْ نِصَّةً فَكِلَاهُمَا الحَجْرَانِ حَيْثُ أَثِيرًا

«وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»^(٢).

١ - مناقب آل أبي طالب: ٢ / ١١٨ (فصل في المسابقة بالهبة والهمة) وبحار الأنوار

٢ - النور، الآية / ٥٦.

صور خلاقة من الإيثار

رُوي عن حَبَّة بن جُوَيْن العُرَني صاحب الإمام علي (عليه السلام) القول: قسم علي (عليه السلام) بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة، خمسمائة، وأخذ خمسمائة درهم كواحد منهم، فجاءه إنسان لم يحضر الواقعة فقال: يَا أمير المؤمنين كنت شاهداً معك بقلبي، وإن غاب عنك جسمي، فأعطني من الفيء شيئاً. فدفع إليه الذي أخذه لنفسه وهو خمسمائة درهم، ولم يُصِبْ مِنَ الْفِيءِ شيئاً^(١)(٢).

لم يأخذ ابن أبي طالب المربع والصفايا

لله أنت وللتاريخ الناصع وللضمير الانساني الأكبر يا ابن أبي طالب، ما أسمى شخصيتك، وأرفع نفسيّتك، وأسنى نُبلِك. إنّ لك السيرة البيضاء الساطعة المتألقة غاية التألق، والتي ما إن تُذكر وتُنشر وتَتَجَسَّد للعيان، إلا تتضاءل وتتصاغر أمامها ألف سيرة وسيرة لأعظم القادة وأكارم الملوك وسادات الخلفاء الصالحين فضلاً عن غيرهم.

لم تأخذ يا ابن أبي طالب المربع والصفايا ولا النشيطة والفضول من

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١ / ٢٥٠.

٢ - وفي رواية أخرى: أنه لما انتصر الإمام أمير المؤمنين في معركة الجمل، ودانت له البصرة، استدعى جماعة من أصحابه، فمشوا معه حتى دخل بيت المال، وأرسل إلى القراء فدعاهم، ودعا الخزّان، وأمرهم بفتح الأبواب التي داخلها المال، فلما رأى كثرة المال قال: هذا جنائي وخياره فيه. ثم قسّم المال بين أصحابه، فأصاب كلّ رجل منهم ستة آلاف درهم، وأخذ هو كأخذهم، فبينما هم على تلك الحالة إذ أتاه آتٍ فقال: يا أمير المؤمنين، إن اسمي سقط من كتابك، وقد رأيت من الهلاك ما رأيت. فدفع سهمه الخاص به إلى ذلك الرجل.

الغنائم، التي كان يأخذها الزعماء في الجاهلية. ولم تأخذ صفايا الغنائم التي أجازها التشريع الإسلامي، وعمل بها مختلف القادة والزعماء، بما في ذلك القادة الصالحون والرساليون الظافرون في المعارك.

واكتفيت بأن يكون نصيبك من غنيمة الحرب نصيب أقل جندي. وأدنى مقاتل، مساواة كبرى بين الراعي والرعية، والقائد والمقود، مع أنك الذي ضربت بذي الفقار - وهو هو - حتى انحنى فقومه بركبتك، وتقحمت الساحة الأرجوانية تشق الصفوف، وتطير الجماجم، وتجدل الأبطال الأشداء، بما لم يصنعه أحد من أكابر فرسان وعظماء جيشك الباسل المقدام. حتى إذا حصلت على نصيب مادي أقل من أن يطمع فيه قائد من القادة الفاتحين، وهبته لمن سألك متعريضاً، ولم تأخذ شيئاً أبداً، وانتيت صفر اليدين، خالي الوفاض.

هكذا الأمر كان يا سيدي. ولكنك إذ لم تأخذ شيئاً... أخذت كل شيء من قلوب المحبين وأكباد العاشقين والأكارم، الذين يهتزون للأريحية والندى والشمائل السامية الكريمة الحسنة.

واشهد أنك إذ انتيت صفر اليدين... إنما ملأت اليدين معاً من حمد الله عز وجل وثنائه.. وكفى بحمد الله وثنائه عطاءً لا ينضب، وغنائاً لا ينفد «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ»^(١).

وأنبأك يا سيدي عن المربع فقد تربعت عليه حفريات الدهور ودكته معاولها الحداد، فلم تبق منه شيئاً يذكر. وأما عن الصفايا فقد اصطفتها أيدي الفناء اصطفاءً عجيباً.

وقد نشطت يا سيدي فضول الليالي والأيام فلم تبق للنشيطه والفضول من

٢٣٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
ناقة ولا جمل ولا عقال، بل ولم تبق خيطاً من عقال. وبقيت أنت يا عليّ عليّاً
باذخاً مقدساً (ينحدرُ عنك السيلُ ولا يرقى إليك الطيرُ...) (١).

ولقد أحسن أبوك العظيم غاية الحسن، وأصاب منتهى الإصابة إذ سماك
عليّاً وهو مطمئن إلى صحة التسمية، ورونق سداها، وسلامة لحمتها وسداها،
فوافق الاسمُ المسمّى، واللفظُ المعنى.

« وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ » (٢).

الكريم يجود والله يعوض

روى العلامة سبط ابن الجوزي (٣). (وهو من أكابر علماء السنة والجماعة
وخيارهم) بإسناده عن أبي أراكة (رض) قال: جاء سائل إلى عليّ، فقال لبعض
ولده: اذهب إلى أمك وقل لها: هاتِ ذاك الدرهم الذي عندك. فمضى، ثم عاد
وقال: قد قالت: خبأته للدقيق. فقال: اذهب وأتني به. فذهب وعاد وهو معه،
ودفعه إلى السائل، وقال: لا يصدقُ إيمانُ عبدٍ حتى يكونَ بما في يدِ الله، أوثقَ
منه بما في يديه. فبينما هو يتحدث إذ مرَّ به رجلٌ يبيعُ جملاً فاشتراه منه بمائة
درهم، ثم باعه بمائتين، فرفع المائة إلى ولده وقال: اذهب بها إلى أمك وقل لها:
هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه «صلى الله عليه وآله وسلم» إخباراً عن ربِّه
سبحانه: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» (٤) (٥).

١ - من خطابٍ لإمام الأولياء والمنتقين علي بن أبي طالب: (ينحدرُ عني السيلُ ولا يرقى
إليّ الطيرُ).

٢ - البينة، الآية / ٥.

٣ - تذكرة الخواص / ١١٢. ٤ - الأنعام، الآية / ١٦٠.

٥ - وفي رواية أخرى: وقف سائل عند علي (رضي الله عنه) فقال لأحد ولديه: هاتِ

في المفهوم الفلسفي الرشيد للإيثار، لا ينبغي التفريق الكثير بين التضحية بالمقتنيات الثمينة، والتضحية بالمقتنيات الزهيدة، ما دامت هذه المقتنيات أو تلك محل حاجة ضرورية لصاحب الإيثار، إذاً التقييم المادي لها غير مطلوب، بل المطلوب تقييم نوعية الافتقار والاحتياج لها الذي قد يكون شديداً جداً.

قد علمنا أن علياً أثر ذلك الأعرابي العارف وجماعة من الفقراء بتلك الحديقة التي قيمتها اثنا عشر ألف درهم، وفي هذا الخبر يؤثر السائل بدرهم واحد، وفي الحالتين معاً كان بمسيس الحاجة إليهما معاً، وبالرغم من كل هذا فلا نكاد نتلمس بوناً شاسعاً ما بين الإشارين.

لقد كانت ثمَّ ضرورة لهذا الدرهم الذي ادخرته المرأة لتشتري به دقيقاً للعيال لا أكثر. إن هذا يعني أن الضرورة المعاشية أو المادية تقتضي الابتعاد عن بذله للسائل، بيد أن الضرورة الأخلاقية أو الروحية تقتضي البذل والعطاء، وهل مثل علي بن أبي طالب من يؤثر على الأخلاق أو المنطلق الروحي شيئاً من الأشياء أبداً؟

إنَّ الجواب القاطع والواضح كلَّ الوضوح والصريح كل الصراحة: كلا وألف كلا.

قد يقال: انه اشترى في تلك الساعة جملاً بقيمة مائة درهم، ألا يعني شراؤه الاستغناء عن الدرهم الذي منحه للسائل؟

الجواب: انه (سلام الله عليه) لم يكن مالكاً بالفعل لثمن شراء الجمل، ولو

درهماً من ستة دراهم. فقالت: هو للدقيق فقال: لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يد الله، أوثق منه بما في يده، فنصدق بالسته: ثم مر به رجل يبيع جملاً فاشتراه بمائة وأربعين وباعه بمائتين: فجاء بالستين إلى فاطمة فقالت: ما هذا؟ قال: هذا ما وعدنا الله على لسان أبيك: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا». الزمخشري، ربيع الأبرار، ٢ / ٥.

٢٣٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
كان مالكا له لم يرسل الولد الى المرأة مرتين لاستلام الدرهم، ولكنه يملك الثمن
بالقوة فحسب، فيكون عقد البيع والشراء من باب بيع النسب الذي كان ولا يزال
متعارفاً بين الناس.

لقد جاد إمام الكرماء والمحسنين علي بن أبي طالب بالدرهم الأبيض في
ساعة الفقر الأسود؛ إيماناً مطلقاً لا شوب فيه بالواحد الأحد، وثقةً عليا لا غبار
عليها بما في يده تبارك وتعالى، ويكون ما يقوله وهو يدفع المبلغ للسائل: لا
يصدق إيمان عبدي حتى يكون بما في يد الله، أوثق منه بما في يده -سواء كان من
قول رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أو من قوله (عليه السلام) -
منسجماً تمام الانسجام مع قوله الحكيم والشهير: (مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلْفِ جَادَ
بِالْعَطِيَّةِ) (١). وكذلك مع قوله الحكيم وغير الشهير: (مَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ إِذَا
وَجَدَهُ، أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ مَا أَنْفَقَ، وَيَضَاعَفُ لَهُ الْأَجْرَ فِي الْآخِرَةِ، فَلَا يَزِدُّ أَحَدَكُمْ
فِي أَخِيهِ زَهْدًا، وَلَا مِنْهُ بَعْدًا، إِذَا لَمْ يَرَمْ مِنْهُ مَرُوءَةً تَسْرَهُ، وَإِنْ كَانَ مَعُوزًا فِي
الْمَالِ ..) (٢).

لقد أيقن إمام الصديقين والأولياء علي بن أبي طالب بالخلف، واطمأن كل
الاطمئنان الى صدق موعود الله عز وجل. وبالفعل لقد كان الخلف سريعاً، بل
سريعاً جداً، وأتى لا يكون كذلك وقد علمنا جيداً وأدركنا بوضوح أنه درهم
واحد فقط مقابل مائة درهم. ومثل هذا الأمر قلما يتحقق لأحد من التجار
المحوظين في التجارة واحد بمائة، ولا سيما أنه خلال ساعة واحدة.
فواربحاه، ثم واربحاه..

وهنيئاً مريئاً ثم هنيئاً مريئاً لسيد الأولياء والمتقين علي بن أبي طالب علي

١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨ / ٣٣٦، الحكمة / ١٣٤.

٢- رسائل ابن أبي الدنيا، رسالة اصطناع المعروف / ٦٤.

الصفقة الوافرة الظافرة والنفع الكبير، في ساحات دنيا المجد السامق والذكر الخالد والثناء الجميل، وفي ساحات يوم الجزاء العادل والأجر الزاخر والجنان الحسان الفاتنة.

«وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا»^(١).

صاحبُ الضَّمانِ بمكَّة

روى الشيخ الجليل محمد الصدوق باسناده عن خالد بن ربيعي، كما روى محمد بن علي ابن شهر آشوب السروي في المناقب من دون اسناد: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل مكة في بعض حوائجه، فوجد أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: يَا صَاحِبَ الْبَيْتِ، الْبَيْتُ بَيْتِكَ، وَالضَيْفُ ضَيْفُكَ، وَلِكُلِّ ضَيْفٍ قِرَى، فَاجْعَلْ قِرَايَ مِنْكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمَغْفِرَةَ.

فقال أمير المؤمنين لأصحابه: أما تسمعون كلام الأعرابي؟

قالوا: نعم.

فقال: الله أكرم من أن يردَّ ضيفه.

فلما كانت الليلة الثانية وجده متعلقاً بذلك الركن وهو يقول: يَا عَزِيزاً فِى عَزِّكَ فَلَا أَعَزَّ مِنْكَ، أَعَزَّنِي بِعَزِّكَ، فِى عَزِّ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ، أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ، وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْكَ، أَعْطِنِي مَا لَا يَعْطِينِي أَحَدٌ غَيْرُكَ، وَاصْرَفْ عَنِّي مَا لَا يَصْرَفُهُ أَحَدٌ غَيْرُكَ.

فقال أمير المؤمنين لأصحابه: هذا والله الاسم الأعظم بالسريانية، أخبرني

به حبيبي رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» سأله الجنة وأعطاه، وسأله

٢٢٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

صرف النار وقد صرفها عنه .

فلما كانت الليلة الثالثة وجدته وهو متعلق بذلك الركن وهو يقول : يَا مَنْ لَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ ، وَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ ، بِلَاكِيْفِيَّةٍ كَانَتْ ، ارْزُقِ الْأَعْرَابِيَّ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : يَا أَعْرَابِيَّ سَأَلْتُ رَبَّكَ الْقِرَى فَقَرَاكَ ، وَسَأَلْتُهِ الْجَنَّةَ فَأَعْطَاكَ ، وَسَأَلْتُهِ أَنْ يَصْرِفَ عَنْكَ النَّارَ وَقَدْ صَرَفَهَا عَنْكَ ، وَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ تَسْأَلُهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : أَنْتَ وَاللَّهِ بَغِيْتِي .

قال : سل يا أعرابي .

قال : أريد ألف درهم للصدّاق ، وألف درهم أقضي بها ديني ، وألف درهم أشتري بها داراً ، وألف درهم التمس بها المعاش .

قال : أنصفت يا أعرابي ، فإذا خرجت من مكة فاسأل عن داري بمدينة الرسول .

فلما أتى الأعرابي المدينة قال للحسين : قل لأبيك إن الأعرابي صاحب الضمان بمكة على الباب .

فدخل الحسين بن علي (عليه السلام) فقال : يَا أَبَتَ الْأَعْرَابِيِّ بِالْبَابِ يَزْعَمُ أَنَّهُ صَاحِبُ الضَّمَانِ بِمَكَّةَ .

فقال : يَا فَاطِمَةُ عِنْدَكَ شَيْءٌ يَأْكُلُهُ الْأَعْرَابِيُّ ؟

قالت : اللَّهُمَّ لَا .

فتلبّب أمير المؤمنين وخرج وقال : يَا حُسَيْنُ ابْتِنِي بِسُلْمَانَ .

فلما أتاه قال : يَا سُلْمَانُ اجْمَعْ لِي التَّجَارَ .

فلما اجتمعوا قال لهم : اشترُوا مِنِّي الحَائِطَ الَّذِي غَرَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بِيَدِهِ .

فباعه منهم يا ثني عشر ألف درهم ، فدفع للأعرابي أربعة آلاف درهم فقال :

يَا أَعْرَابِيَّ كَمْ أَنْفَقْتَ فِي طَرِيقِكَ ؟

قال: ثلاثة عشرة درهماً.

قال: ادفعوا له ستاً وعشرين درهماً، حتى يصرف الأربعة آلاف حيث

سأل.

ووقع الخبر إلى سُؤال المدينة فاجتمعوا فجلس علي (عليه السلام) والدراهم مصبوبة بين يديه حتى اجتمع إليه أصحابه فقبض قبضة قبضة، وجعل يعطي رجلاً رجلاً^(١).

لقد كان لهذا الأعرابي الحظ الوافر من الذكاء والبلاغة المرموقة وحسن الخطاب وجودة الدعاء، وأعطاه الإمام (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) المبلغ الكبير المذكور لما استجاب الله الدعاء على يديه، طبقاً لما رواه (عليه السلام) عن الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم»: «أنزل الناس منازلهم»، ولقد كانت منزلة الأعرابي منزلة عالية سامية، تستحق الحفاوة والتكريم والمبادرة لانجاز ما أراد.

«وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٢).

سَبَاقٌ لِلْخَيْرِ

ومن صور الإيثار عند إمام الأولياء والملتقين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، في نحو ما ذكرنا من الإيثار بحصته الخاصة ما رواه جابر بن يزيد عن

١ - الصدوق، الأمالي / ٢٨٠ - ٢٨٢، والسروي، مناقب آل أبي طالب ٢ / ٧٨ - ٧٩.

والبحراني، حلية الأبرار ١ / ٣٧٥ - ٣٧٦، والمجلسي، بحار الأنوار ٤١ / ٤٤ - ٤٥.

وعيدروس بن أحمد الاندوني، المقطعات ٢ / ١٧٥ - ١٧٦.

٢ - المزمل، الآية / ٢٠.

٢٤٠..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
 أبي جعفر محمد الباقر (عليه السلام) قال: أوتي رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» بمالٍ وحلل وأصحابه حوله جلوس، فقسمه عليهم حتى لم يَبْقَ منه حلة ولا دينار، فلما فرغ منه جاء رجل من فقراء المهاجرين وكان غائباً. فلما رآه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: أيُّكم يعطي هذا نصيبه ويؤثره على نفسه؟ فسمعه عليٌّ فقال: نصيبي. وأعطاه إياه، فأخذه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فأعطاه الرجل. ثم قال: يَا عَلِيَّ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ سَبَاقاً لِلْخَيْرِ، سَخَاءً بِنَفْسِكَ مِنَ الْمَالِ، أَنْتَ يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الظَّالِمَةَ، وَالظُّلْمَةُ هُمْ يَحْسُدُونَكَ، وَيَبْغُونَ عَلَيْكَ، وَيَمْنَعُونَكَ حَقَّكَ بَعْدِي (١).

لا ينبغي الشك أو الارتياب في أَنَّ السَّبَاقَ غير السابق؛ فبينهما مرحلة واحدة من مراحل التفوق أو مرحلتان كما قد يتجسّد التفوق بمراحل كثيرة، ويتمثّل السابقون في عدد قَلٍّ أو كَثْرٍ من المتميّزين بأمر من الأمور، أما ذياك السَّبَاقَ فهو الوحيد المنفرد من بين جميع السابقين الذي لا يوازيه ويحاكيه أحد منهم اطلاقاً وإلا لما كان سَبَاقاً (بصيغة المبالغة).

وربُّكَ خَيْرٌ عَلَيِّمْ كَمَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ الْجُلُوسِ حَوْلِ النَّبِيِّ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» مَنْ هُوَ مِنَ السَّابِقِينَ لِلْبِرِّ وَالْخَيْرِ وَالْمِيَادِرِينَ لِلْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَلَكِنْ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ بِالذَّاتِ هُوَ الْحَائِزُ الْأَوْحَدُ مِنْ بَيْنِهِمْ عَلَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ حَتَّى اسْتَحَقَّ بِكُلِّ أَهْلِيَّةٍ وَجِدَارَةٍ أَنْ يَكْسُوهُ النَّبِيُّ الْأَقْدَسُ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» رِيَاظَ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَالتَّقْدِيرِ وَأَنْ يُثَمَّنَ مَوْقِفَهُ أَيُّ تَثْمِينٍ «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ سَبَاقاً لِلْخَيْرِ، سَخَاءً بِنَفْسِكَ مِنَ الْمَالِ، أَنْتَ يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ...».

ومن يسبر أغوار التاريخ الاسلامي يلف أمامه ابن أبي طالب قائماً مُشَمَّراً في كل ميدان من ميادين الفضل والخير والعطاء، فإذا قال رسول الله «صلى الله

عليه وآله وسلم» في أوائل انطلاقة شعلة الدعوة الاسلامية «أيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتي فيكم؟» يسرع اليه علي قائلاً: أنا يا رسول الله . فيقول الرسول الأمين: إن هذا أخى ووصيى وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.

وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ^(١) حيث تفاقمت العضلات وفار تنور النوائب أيام تكالبت الأحزاب على المسلمين وتقمم من أنيطت به آمال الطغاة داعياً الى المنازلة والمجاوله فترى من ذا الذي دفع الزّيغان عن الأبصار وَرَدَّ الْقُلُوبَ الى أماكنها الطبيعية غير ابن أبي طالب باقتطاعه هامة الفارس القرشيّ المرّيد حتى قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «لَضَرْبَةُ عَلِيٍّ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الثَّقَلَيْنِ»... الخ.

توزيع ألف مثقال ذهب على فقراء الصحابة

ومن جملة هذا الطراز الأرفع عن الجود البارع، والإيثار المعهود من الإمام علي بن أبي طالب (لا في مدة معينة من حياته بل في حياته كلها؛ اذ ليس الجود والإيثار الحقيقيان مرحلة من المراحل الزمنية بل هما الحالة الأخلاقية المثلى المستقرة في مكان النفس الفاضلة والتي تبرز باستمرارية واضحة) ما روي عن حذيفة بن اليمان (رضوان الله عليه) أنه قال: لما خرج جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة الى النبي «ص»، قدم (رحمه الله) إلى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بأرض خيبر، فأناه بالقدح من الغالية والقطيفة.

١ - قال عز وجل: «إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلِ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ

الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَنْظُرُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا». الأحزاب، الآية / ١٠.

٢٤٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

فقال النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: «لأدفعنَّ هذه القطيفة إلى رجلٍ يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله... فَمَدَّ أصحاب النبي أعناقهم إليها. فقال النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: «أين علي؟ فوثب عمار بن ياسر (رضي الله عنه) فدعا علياً (عليه السلام). فلما جاءه قال النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: «يا علي خذْ هذه القطيفة إليك. فأخذها علي وأمهل حتى قدم المدينة.. وانطلق إلى البقيع وهو سوق المدينة، فأمر صائغاً ففصل القطيفة سلكاً سلكاً، فباع الذهب وكان ألف مثقال.. ففرَّقه عليٌّ في فقراء المهاجرين والأنصار، ثم رحل إلى منزله ولم يترك له من الذهب قليلاً ولا كثيراً.

فلقيه النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» من غدٍ في نفر من أصحابه فقال: يا علي إنك أخذت بالأمس ألف مثقال، فاجعل غدائي اليوم وأصحابي هؤلاء عندك، ولم يكن علي يرجع يومئذٍ إلى شيء من العروض ذهب أو فضة.. فقال حياءً منه وتكرماً: نعم يا رسول الله، وفي الرحب والسعة، ادخل أنت يا نبي الله ومن معك. فدخل النبي، ثم قال لنا: ادخلوا.

قال حذيفة: وكنا خمسة نفر أنا وعمار وسلمان وأبو ذر والمقداد (رض) فدخلنا.. ودخل علي علي فاطمة (عليها السلام) يبتغي عندها شيئاً من زاد، فوجد في وسط البيت جفنة من ثريد تفور، وعليها عراق كثير، كأن رائجتها المسك، فحملها علي حتى وضعها بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» ومن حضر معه؛ فأكلنا وقام النبي وقال: أنى لك هذا الطعام يا فاطمة؟ فقالت: هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب.

فخرج النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» إلينا مستعبراً وهو يقول: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيت لا بنتي ما رأى زكريا لمريم، كان إذا دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً فيقول: يا مريم أنى لك هذا؟

فتقول: إنه من عند الله إنَّ الله يرزق مَنْ يشاءُ بغيرِ حسابٍ^(١).

لئن كان من الشمائل الأساسية للقائد الأفضَل أن يكونَ أولَ مَنْ يضحى
وآخرَ مَنْ يستفيد، فإن إمامَ الأولياءِ والمتقين طالما كان أولَ مَنْ يضحى من دون
أن يستفيد.

غنيٌّ في قميصٍ مخرَّق

حدَّث الشيخ الجليل محمد الكليني بالاسناد عن عبد الأعلى مولى آل سامٍ
قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إن الناس يرون أن لك ما لا كثيراً؟ فقال:
ما يسؤوني ذلك.. إن أمير المؤمنين (صلواتُ الله عليه)، مرَّ ذات يومٍ على ناسٍ
شتمت من قريش وعليه قميصٌ مُخرَّق، فقالوا: أصبح عليٌّ لا مال له. فسمعها أمير
المؤمنين (عليه السلام) فأمر الذي يلي صدقته أن يجمع تمره ولا يبعث إلى
إنسان شيئاً، وأن يوفِّره.. ثم قال له: بعةُ الأول فالأول واجعلها دراهم، ثم اجعلها
حيث تجعل التمر فاكبسه معه حيث لا يُرى. وقال للذي يقوم عليه: إذا دعوت
بالتمر فاصعد، وانظر المال فاضربه برجلك كأنك لا تعتمد الدراهم حتى تنثرها.

ثم بعث إلى رجلٍ من رجلٍ منهم يدعوهم، ثم دعا بالتمر، فلما صعد ينزل بالتمر
ضرب برجله فانتشرت الدراهم. فقالوا: ما هذا يا أبا الحسن؟ فقال: هذا مال من
لا مال له. ثم أمر بذلك المال، فقال: انظروا أهل كل بيت كنت أبعثه إليهم ماله

١ - نقلنا القصة باختصار من أمالي الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، والدر النظيم، وحلية
الأبرار، وبحار الأنوار ٣٧ / ١٠٦ - ١٠٧. وذيل كلام الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم»
حكاية عن قوله تبارك وتعالى في سورة آل عمران: فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً
وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ مِنْدُهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا فَأَلَّتْ
هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

وابعثوا إليه (١).

إظهار الأموال الكثيرة حمايةً للكرامة من المساس

التكاثر بالأموال وشدة الاعتزاز بوفرة الأملاك وسعة الأرزاق ظاهرة من ظواهر النفس الانسانية بشكل عام فلا يمكن جحودها والتنكر لها، وما ذلك الذي أطغته نعم الله تبارك وتعالى «فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ لَمَّا وَاعَزُّ نَفْرًا» (٢). إلا مثلاً واحداً من مئات الأمثلة بل قل ألوف الأمثلة لما عليها طبائع غالبية البشرية ما أتاحت لهم الفرص في الغنى والثراء الكبير.

وإذا كانت الناس بشكل عام تعتز بوفرة الأملاك وسعة الأرزاق وتتفاخر بالأموال، فإن الغالبية من قريش بشكل خاص أكثر إعجاباً واكباراً للأموال وتبجلاً لمن يمتلكها غنياً بها، وما ذلك القرشي «الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ» * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ» (٣). إلا مثلاً واحداً من مئات الأمثلة لما عليها طبائع الغالبية من قريش. لقد كانت قريش قبيلة التجارة والأموال في الجاهلية إلى ما بعد الهجرة النبوية، وكان تفكيرها تفكيراً مادياً فلا تبتعد عن الماديات شيئاً يسيراً إلا عادت إليها شيئاً كثيراً. ولهذا - تبني فيما تبني في تقسيمها للأشخاص وفي الركن الأساس منه - مقدار ما لديهم من الأموال، فكلما كان الإنسان أكثر مالاً كان أكثر جاهاً واعتباراً وأعلى منزلةً وكرامةً عندهم والعكس صحيح. ولقد هبطت وتائر التفكير المادي عندها شيئاً ما، بعد دخول البقية الكبرى منها ممن لم يسلم - قبلاً - في الإسلام بعد فتح مكة عنوة في شهر رمضان المبارك عام (٨) هجرية، ولكن عدداً كبيراً من شخصياتهم الاجتماعية والسياسية لم يؤثر فيه كثر الليالي والأيام، وقيام الحضارة الإسلامية العظمى، بل قد ظل في إيمانه الضعيف

١ - فروع الكافي: ٦ / ٤٣٩، والبحار ٤١ / ١٢٥.

٣ - الهمزة، الآية / ٢ - ٣.

٢ - الكهف، الآية / ٣٤.

يترصد الفرص المادية السانحة التي لم يعهد لها مثيلاً من ذي قبل، ويأمل في أجواء الفتوحات الإسلامية المتصاعدة والقوة الاقتصادية المتنامية للدولة ما لم يكن يخطر له على بال.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت لقريش مكانة خاصة عند الناس عامة. يكبرون أفرادها صالحين أو طالحين، ويستمعون كلامها ويصغون لإعلامها القوي النافذ حقاً كان أو باطلاً. فهي قبيلة رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» (وإن لقي منها من الاضطهاد والعذاب والحرب ما لم يلق من أية قبيلة أخرى) وهي أيضاً قبيلة الخلفاء وكثير من الوزراء وقادة الفتوح والعمال على بلدان العالم الإسلامي.

ولهذين الأمرين معاً (التقييم المادي الخالص لقريش، والقوة في تأثير كلامها وإعلامها) استنكر الإمام علي ما قاله أناس شتى من قريش، وعمل طريقة ذكية للكشف عن مستوى أمواله الكثيرة، حمايةً لكرامته من المساس غير العادل، وتقويتاً لكيد الكائدين، أو لضرار المترفين والعاطلين. وإلا فإن علياً في شغلٍ شاغلٍ بعبادته، وهمومه الكبيرة، وجراحه العميقة، وباصلاح المجتمع، وتعليم الإنسانية، عن أن يقال فيه غني أو فقير، وصاحب حلة يمانية، أو صاحب ثوب خلق، فلقد ذهبت به روحيته الشفافة وأخلاقه السامية بمنأىٍ سحيقٍ عن التقييم للناس على أساس الأموال والزخارف المادية الفانية قلَّت أم كثرت.

ولو كان مقياس الإمام كمقياس أولئك القرشيين لم يرتض لنفسه الفقر المتعمد في كثير من الأحيان؛ إذ طالما كانت تصله الأموال الطائلة وغير الطائلة؛ فيسرع بانفاقها في سبيل الله على الفقراء والمحتاجين مواساةً لهم، بل ايثاراً وتقديماً لهم على نفسه الشريفة، ولو كان يأنف من الفقر أو الفقراء لسبب مادي لم يرتض لنفسه ولعياله أن يعيش وإياهم كعيش الطبقات المسحوقة، سواء في ذلك أن تمكن من الأموال واغتنى بها، أم افتقر، أم أفقر نفسه لأجل غيره.

ومن ناحية ثالثة فإن الأكثرية من قريش طالما كانت تترصد الفرص وتترقب الظروف المختلفة للايقاع المجحف الظلوم بالرحمة المهداة محمد وآل محمد (سلام الله عليهم) فقد تجعل من الفضيلة عيباً ومن كل شبهة يمكن أن تنطلي على العوام وأشباه العوام متلبة ونقصاً ، لقد قالوا عن الرسول ما قالوا من الرمي بالسحر والجنون وغير ذلك ، وقالوا عن الإمام أمير المؤمنين بما يصف قسطاً منه قائلاً : وَأَفْسَدْتُمْ عَلِيَّ رَأْيِي بِالْعِضْيَانِ وَالْخِذْلَانِ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَهَذَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السُّتَيْنِ وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعَ . فكما قام الإمام بتفنيد زعمهم حول عدم العلم بالحرب كذلك تصدى لتفنيد زعمهم بما يخص الجانب المادي ؛ فإذا ما تركهم وشأنهم يحوكون من التقييمات الأخطبوطية ما يحوكون ، ويحكمون على الأمور بما يحكمون ، فسوف يتلعبون كل التلعاب بعقول وأفكار عامة الجماهير بصورة أكثر وأمكر ؛ لذلك رد عليهم مقاصدهم ومزاعمهم الباطلة وسفه أحلامهم وأمانتهم العابثة كما رأينا بعض الأمثلة .

ينبغي التنبيه إلى أن من المعلوم أنه كانت للإمام الأراضي الزراعية الكثيرة الانتاج والمعروفة بين الناس ، كما كانت له الموارد المالية الجيدة أو العالية ، فكيف يتهمه هؤلاء القرشيون بالفقر ، مع أنهم من أقربائه ومن العارفين بحاله معرفة وافية أو شبه وافية ، باعتبار أن الجميع من قريش ؟

والجواب : أننا نعتقد أن مراد ذلك إلى أحد الأمرين التاليين :

الأمر الأول : ان مثل هؤلاء المتهمين مثل كثير من عوام الناس وجهلائهم قد رُكِّبت عقولهم في عيونهم . إنه مجرد أن رأوا الإمام في قميص مخرَّق اعتبروا ذلك دليلاً على الفقر والحاجة ؛ فغاب عنهم كل دليل آخر يعارضه وينافيه . وانصرفت عن أذهانهم كل معرفة عن الامكانية المادية له (سلام الله عليه) .

الأمر الثاني: إنهم لم يخف عليهم غنى الإمام وتصاعد موارده المادية، وإنما حكموا بغير ما يعلمون، كَلَوْنٍ من ألوان الدعاية المغرضة الكاذبة؛ من أجل الحط من شخصيته ومكائنه الكبرى في قريش وبين الناس، لأن مقاييسهم المادية الطاغية والمُجحفة - كما تقدم - تُوحى لهم بهذا المعنى.

لقد دلَّ مجملُ هذا الخبر على أن علياً كان في غاية الزهد والتقشف، فهو مع هذه الأموال الطائلة يرتدي قميصاً مخزقاً (يخشع له القلب ويقتدي به المؤمنون) كما دلَّ على الإيثارة والتضحية في سلوكه وطريقة حياته من أجل توفير أكبر قدر من لقمة العيش وسدِّ الحاجة للفقراء والمستضعفين الذين طالما فُكِّرَ فيهم واعتنى بأمرهم، وأرْفَدَهُم بالمال قليلاً أو كثيراً، وأعانهم على نكبات الدهر، وعلى سلطان الفقر الذي كاد أن يكون كفراً على حدِّ تعبيره صلوات الله عليه.

(ومخزَّق عنه القميصُ تخاله بين البيوت من) السخاء فقيراً

حتى إذا نَشَرَ الدراهمَ خلتها رضوى تعانق يذبلًا وثبيراً^(١)

مال عليّ مال يبير جبأه كرمٌ عليّ كرمٍ وكان مبيراً^(٢)

١ - رضوى، يذبل، ثبير: من الجبال المعروفة.

٢ - من قصيدة تشرف بها مؤلف الكتاب في الإشادة بسخاء أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب وذكر عظمة إيثاره وجوده والقصيدة هي:

ألف السخاء وكان فيه بصيرا	فحبا وأكرم لا يخاف مصيرا
إن السخاء هداية من ربنا	(وكفى برّبك هادياً ونصيراً)
وحديقة شهد الثراء بقدرها	أعطى ليحرز جنةً وحريراً
ومؤمّلٍ بعض النوالِ أفاده	ألفاً ولم يرَ ما أفاد كثيراً
ذهباً يصبُّ لراغبٍ أم فضةً	فهما هما الحَجْرانِ حيث أثرا



(ومخزَّق عنه القميصُ تخاله بين البيوت من) السخاء فقيراً

حتى إذا نشر الدراهم خلقتها
مأل عليّ مالٍ يسير جبالة

رضوى تعانق يذبلأ وثبيرا
كرم عليّ كرم وكان مبيرا

ورأى دراهم فضة لم يملك
أعطى وقد هبط الدجي بظله
ومضى يستم نواله وجماله
ليس الذي يأتي الندى متفائلاً
فتنزل القرآن مدحاً زاهراً

أبدأ سواها في الحياة نقيرا
وحبا براتعة النهار كسيرا
سراً وجهراً هائناً محجورا
مثل الذي يأتي الندى مقمورا
يطري الوصي وكان فيه جديرا

ولقد رأيت بأّم عينك قبلها
صاموا ثلاثاً مخلصين لربهم
وتعجلوا من بعد ذلك بزادهم
فوقى المهيم شرّ يوم عابس
ويطوف ولدان الخلود بأكؤس

في دار فاطمة الندى معمورا
يوقون بالصوم البهيج نذروا
يغني يتيماً ساعباً وأسيرا
وأتى الأكارم نضرةً وسرورا
يسقون أرباب السخاء طهورا

الجود في الدارين نورٌ ساطع
وإذا أكابر أمة لم ينهضوا
وإذا الرجال تقهقرت عن مشهده
وإذا تكاثرت اللئام بدولته
وإذا تهافت حاكمون بمعرك
وإذا صغى المفضال أو أصغى إلى
ليس الذي يأتي الندى متافلاً
والعيش عيش الأنسجاء وداؤهم
يهوى الجواد نظيرةً ويؤده
وإذا الجواد تكاثرت أمواله
وإذا اللئيم تكاثرت أمواله
طبع اللئيم على الخيانة والأذى

فدع الظلام وخذ إليك النورا
بالمكرمات دعوا هناك ثجورا
يطربهم كانوا جميعاً بُورا
ألفيت سامق مجدها معقورا
لم يبق إلا خيرهم مذكورا
متبخل هبط الوهاد حقيرا
مثل الذي يأتي الندى شميّرا
داؤ السعادة أولاً وأخيرا
وابن الدراهم لا يؤد نظيرا
يعلو ويهبط منفقاً مأجورا
طلب المزيد وصدّ عنك نفورا
حتى وإن صلي وصام جهيرا

الرأس في آية الإيثار

روي عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» جالسا ذات يوم وأصحابه جلوس حوله فجاء علي (عليه السلام) وعليه سمل ثوب منخرق عن بعض جسده فجلس قريبا من رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فنظر إليه ساعة ثم قرأ: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»^(١). ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: لعلي (عليه السلام): أما إنك رأس الذين نزلت فيهم هذه الآية وسيدهم وإمامهم. ثم قال رسول الله «ص»: «أين حلتك التي كسوتكها يا علي؟ فقال: يا رسول الله إن بعض أصحابك أتاني يشكو عراه وعري أهل بيته فرحمته فأثرته بها على نفسي وعرفت أن الله سيكسوني خيرا منها. فقال رسول الله «ص»: صدقت أما إن جبرئيل قد أتاني يحدثني أن الله اتخذ لك مكانها في الجنة حلة خضراء من استبرق وصنفتها من ياقوت وزبرجد فنعم الجواز

حي الأكارم همة خلاقه قمرأ بعلياء السماء منيرا

١ - «وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا» الفرقان، الآية / ٣١.

٢ - من أجل إيضاح الفكرة عن (ومؤمل بعض النوال أفاده) انظر موضوع إنفاق الذهب والفضة من هذا الكتاب.

٣ - في سبيل شرح وإيضاح (وحديقة شهد الثراء بقدرها) راجع موضوع صاحب الضمان بمكة من الكتاب.

٤ - (ومخرق عنه القميص تخاله بين البيوت من) قالت ليلى الأخيلية - العصر الاموي :

ومخرق عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء سقيما

حتى إذا رفع اللواء رأته تحت اللواء على الخميس زعيما

انظر موضوع غني في قميص مخرق من الكتاب.

١ - الحشر، الآية / ٩.

٢٥٠..... فلسفة الجود والإيفار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

جواز ربك بسخاوة نفسك وصبرك علي سملتك هذه المنخرقة فأبشر يا علي .
فانصرف علي (عليه السلام) فرحاً مُستبشراً بما أخبره به رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» .

بيان : قال الفيروزآبادي: سمل الثوب أخلق فهو ثوب أسمال وسملة
وسمل محركتين وككتف وأمير وصبور وقال صنفة الثوب كفرحة وصنفه وصنفته
بكسرهما حاشيته أي جانب كان أو جانبه الذي لا هذب له أو الذي فيه الهدب^(١).

تعليقات

١- قال الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» للإمام علي: إنك رأس الدين
نزلت فيهم هذه الآية، ولم يقل له: إن الآية نزلت فيك^(٢)، وذلك لأنها - علي

١ - بحار الأنوار، ٣٦ / ٦٠ - ٦١.

٢ - وقد روي أيضا عن أحمد بن إدريس عن ابن عيسى عن الحسين بن سعيد عن فضالة
عن كليب بن معاوية عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى «وَيُؤَيِّرُونَ عَلِيَّ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ
كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» قال: بينما علي (عليه السلام) عند فاطمة (ع) إذ قالت له: يا علي اذهب
إلى أبي فابغنا منه شيئا فقال: نعم فأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فأعطاه دينارا
وقال له: يا علي اذهب فابتع به لأهلك طعاما. فخرج من عنده فلقى المقداد بن الأسود فقاما ما
شاء الله أن يقوما وذكر له حاجته فأعطاه الدينار وانطلق إلى المسجد فوضع رأسه فنام فانتظره
رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فلم يأت ثم انتظره فلم يأت فخرج يدور في المسجد
فإذا هو بعلي (عليه السلام) نائم في المسجد فحركه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»
فقعد فقال: يا علي ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله خرجت من عندك فلقيت المقداد بن الأسود
فذكر لي ما شاء الله أن يذكر فأعطيته الدينار. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: أما
إن جبرئيل قد أنبأني بذلك وقد أنزل الله فيك كتابا «وَيُؤَيِّرُونَ عَلِيَّ أَنْفُسِهِمْ...» الآية. بحار
الأنوار ٣٦ / ٥٩ - ٦٠. وفي تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان وعلي بن حرب الطائي
ومجاهد بأسانيدهم عن ابن عباس وأبي هريرة وروى جماعة عن عاصم بن كليب عن أبيه
واللفظ له عن أبي هريرة أنه جاء رجل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فشكا إليه

الأرجح - قد نزلت في الأنصار، كما يظهر من سياق قوله تعالى: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(١).

ولكن الأنصار الذين كانوا مؤثرين على أنفسهم لم يكن فيهم أحد قط إلا وعليّ أعظم إيثاراً منه بالمال وبالنفس، كما هو ناصح واضح في كتب تفسير القرآن والأحاديث والتأريخ.

٢ - ما الذي يستهدفه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» من قوله للإمام علي (عليه السلام): «أين حلّتك التي كسوتك يا علي؟ لا سيما أنه كان عارفاً بقصة انفاق الحلة قائلاً لعلّي بعد أن اطّلع علي حقيقة الحال: صدقت أما

الجوع، فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» إلى أزواجه قتلن: ما عندنا إلا الماء فقال «صلى الله عليه وآله وسلم»: من لهذا الرجل الليلة؟ فقال أمير المؤمنين: أنا يا رسول الله. فأتى فاطمة وسألها ما عندك يا بنت رسول الله؟ فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية لكننا نؤثر ضيفنا به. فقال علي: يا بنت محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» نومي الصبية وأطفئي المصباح. وجعلا يمضغان بألستهما فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة بسراج فوجد الجفنة مملوءة من فضل الله فلما أصبح صلى مع النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فلما سلّم النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين وبكى بكاءً شديداً وقال: يا أمير المؤمنين لقد عجب الرب من فعلكم البارحة اقرأ: وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ «أي مجاعة» وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ» يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

كما جاء في عدد من تفاسير القرآن الكريم أن رجلاً من الأنصار هو الذي قال لامرأته: نومي الصبية وأطفئي المصباح. وجعلا يمضغان بألستهما فنزلت فيهم آية الايثار.

٢٥٢..... فلسفة الجُرد والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
إن جبرئيل قد أتاني يحدثني أن الله اتخذ لك مكانها في الجنة حلّة خضراء من
استبرق... لأن فضيلة الإيثار من أعظم الفضائل، ومن معالم المنهجية التربوية
لرسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أن يعطي لكل ذي حق حقه؛ فقد أبان بهذا
التساؤل الذي أردفه بالخبر عن جبرئيل (عليه السلام) شيئاً مما يستحقه ابن أبي
طالب من التقدير والتبجيل والشمين.

وبما أن فضيلة الإيثار من أعظم الفضائل، وأن من معالم المنهجية التربوية
لرسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أن ينشر الفضائل ويحث عليها ويجعلها
الأسس القويمة التي يُبنى عليها الصرح الاجتماعي الكبير؛ لذا بادر إلى أن تبرز
فضيلة الإيثار في بلورة متكاملة من السؤال والجواب والشمين والتكريم.

وبهذا يتضح أن الأمر كما قال الشاعر المفلح ابن هانئ الأندلسي: كم عالم
بالشيء وهو يسائل.

ولكن لماذا هذا التساؤل؟ وهو ما قد حاولنا الإجابة عليه وبيان هدف
رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم».

٣- بما أننا نجد من نظم هذه المنقبة شعراً؛ لذلك نذكر ما قلناه حولها؛ علماً
أنه لا ينبغي أن تمرّ منقبة من المناقب السامية والفضائل الأخلاقية إلا ويكون
الشعر فيها إلى جانب النثر؛ لتعلق الناس بهما معاً، ولسهولة انسيابه على الألسنة
التي تستذوق الجمال، وعلى الشفاه التي تستطلع إلى استرشاف نمير الحقيقة:

الرأس في آية الإيثار

الرأس في آية الإيثار نحمده وكيف نلقى كريماً غير محمود

أطل كالفقر الزاهي بطلعته ذاكم علي إذا ما فاضل تودي

لم يخش بؤساً ولا بأساً بمعترك بذلاً مييناً وعزماً غير مردود

إن الشجاع جوادٌ سائرٌ قُدماً في ساحة الحربِ أو في ساحة الجودِ

يعطي ويكرمُ لا خوفاً ولا وجلأً من قادم يصطلي أو عارضٍ يُودي

إن الجوادَ الذي يُعطيك مبتدراً وليس من يتمطئ في المواعيدِ

« يسئلونك ماذا يُنقونَ قل ما أنفقتم من خيرٍ فقلوا لِدِينِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ »^(١).

يا ابن أبي طالب هبني سيفك

جاء في كتاب المناقب لابن شهر آشوب السروي: أبو السعادات في فضائل
العشرة: روي أن علياً كان يحارب رجلاً من المشركين فقال المشرك: يا ابن أبي
طالب هبني سيفك، فرماه إليه. فقال المشرك: عجباً يا ابن أبي طالب في مثل هذا
الوقت تدفع إليّ سيفك!

فقال: يا هذا إنك مددت يد المسألة إليّ وليس من الكرم أن يُردَّ السائل.
فرمى الكافر نفسه إلى الأرض وقال: هذه سيرة أهل الدين؛ فباس قدمه وأسلم^(٢).

ومن هذا المنطلق يُعرف كيف يحتلُّ الخلق السامي والجود الفياض منزلة
رفيعة من قلوب الناس، ويؤثر فيهم تأثيراً ايجابياً بليغاً جداً؛ ليجلبهم إلى
رياض العقيدة والإيمان الصحيح، وصدق رسول الله «صلى الله عليه وآله

١ - البقرة، الآية / ٢١٥.

٢ - المناقب / ٢ / ٨٧. وقد أورد النص العلامة المجلسي في بحار الأنوار وجاء ذيل

الخبر بهذه الصورة: فرمى الكافر نفسه إلى الأرض وقال: هذه سيرة أهل الدين. فقبل قدمه

وأسلم. بحار الأنوار / ٤١ / ٧٠.

٢٥٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وسلم» حيث يقول ناطقاً عن الله تبارك وتعالى حول الدين: « لا يُصلحه إلا
السخاء وحسن الخلق».

وقد أومأت ملحمة لامية الموحدين الى هذه القصة الجميلة مع غرابتها
وعدم استحسانها فيما لو وقعت مع غير ابن أبي طالب. ولهذا السبب فإن عدي بن
حاتم الطائي (وفاته عام ٦٧ هجرية) وهو نظير أبيه جوداً وكرماً يستثني من
أدوات كرمه أن يهب السلاح الذي يقاتل به الى أحد قائله:

إني لأبذل طارفي وتلادي إلا الأفلَّ وشكَّتي والجرولا^(١)

ولكنها وقعت مع المتمكن من هذا العدو والمسيطر عليه ، ولو لم يكن معه
سلاح ، ففي هيبة كهيبة الجبل الأشم ، إضافة لما يتوقع من التأثير القوي جداً عليه
بسبب هذه الخلقية العليا ؛ فيغير موقفه من الإمام أمير المؤمنين . فجاء في الملحمة :

وقصت أحاديث الصبابة والهوى

وما لئن العشاق منها وكبُّوا

لنعدل عن حُبِّ مبييرٍ ومَـعشقي

وهيهاب عن روح الرسالة نعدلُ

وهاو هوى محضَ البطولة لم يجدُ

مـثيـلك يجتاح الجموع تكبُّوا

ونعشق من قد جاد بالسيف والرغى

عصوفٌ وقد غشى الكتاب قسطل^(٢)

١ - الأفل اسم سيف عدي . وقد ورد البيت منسوباً اليه (رضوان الله عليه) في نشر الدر

٢ - القسطل: غبار الحرب.

للأبي، ٦، القسم ٢ / ص ٤٥٦.

فَأَكْرَمَ بِالسَّيْفِ الْمَهْتَدِ خَصْمَهُ

سَجِيَّةً طَبِيعٌ لَيْسَ فِيهَا تَعْتَلُ

حُسْنُ الضِّيَافَةِ

عن أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) أنه قال: أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدُّهم قضاءً لها أعظمهم عند الله شأنًا، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين، ومن شيعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) حقًا. ولقد ورد علي أمير المؤمنين (عليه السلام) أخوان له مؤمنان أب وابن، فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه، وجلس بين أيديهما، ثم أمر بطعام فأحضر، فأكلا منه، ثم جاء قنبر بطست وابريق خشب ومنديل، وجاء ليصب علي يد الرجل ماءً، فوثب أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخذ الابريق ليصب علي يد الرجل، فتمرغ الرجل في التراب وقال: يا أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصب علي يدي؟! قال: اقعد واغسل يدك فإن الله عز وجل يراك، وأخوك الذي لا يتميز منك ولا ينفصل عنك يخدمك. فقعد الرجل.. فقال له علي (عليه السلام): أقسمت بعظيم حقي الذي عرفته، لما غسلت مطمئنًا كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبرًا، ففعل الرجل ذلك، فلما فرغ ناول الابريق محمد بن الحنفية وقال: يا بني لو كان هذا الابن حضرنى دون أبيه لصببت علي يده، لكن قد صبَّ الأب علي الأب فليصبَّ الابن علي الابن. فصبَّ محمد بن الحنفية علي الابن. ثم قال الحسن بن علي العسكري (عليه السلام): فمن اتبع علياً علي ذلك فهو الشيعي حقاً^(١).

١ - المجلسي، بحار الأنوار، ٤١ / ٥٥ - ٥٦، والطبرسي، الاحتجاج ٢ / ٢٦٧ - ٢٦٨،

والبحراني، حلية الأبرار، ١ / ٣٦٧.

الضيف حبيب الله

من هذا الخبر وغيره من الأخبار الكثيرة نعرف أن للضيافة في الاسلام آداباً مرعيةً وفقهاً معهوداً لا يجدر التفريط فيه . وأن ما كان للعرب قبل الاسلام من سنن كريمة في الضيافة قد زادها الاسلام خيراً وقُدسيَّةً وجمالاً . . وأن ما قاله الرسول « صلى الله عليه وآله » : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمِ ضَيْفَهُ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ عَنْهُ « ص » : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمِ ضَيْفَهُ . قَالَهَا ثَلَاثًا . قَالَ رَجُلٌ : وَمَا كَرَامَةُ الضَّيْفِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : ثَلَاثَةٌ أَيَّامٌ ، فَمَا زَادَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ »^(١) . كان بشكل عام تتويجاً وتنويراً لقانون اجتماعي كريم يعمل به شتى الناس منذ القدم بنحو من الأنحاء ، وينطبق بفحواه حتى على الذين ما كانوا يؤمنون باليوم الآخر ، فأضفى رسول الله « صلى الله عليه وآله » على السخاء وتكريم الضيف طابعاً روحياً منشداً بعمق الى التعلق بالايمان بالله سبحانه وباليوم الآخر .

وإذا كان الضيف حبيب الله ، فإن على المضيف أن يتقرب الى الله بخدمة وتبجيل وإكرام حبيبه . « وفي ذلك فليتنافس المتنافسون »^(٢) .

الأهلية لقضاء الحوائج

نقل ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني باسناده عن الحارث الهمداني انه قال : ساءرتُ أمير المؤمنين (عليه السلام) فقلت : يا أمير المؤمنين عرضت لي

١ - عبد العظيم بن عبد القوي المنذري / الترغيب والترهيب ، ٣ / ٣٤٩ ، وانظر ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأبي العباس شهاب الدين القسطلاني ، ١٣ / ١٩٠ ، الحديث (٦١٣٦) و ١٣ / ١٧٠ ، الحديث (٦١٣٨) . ٢ - المطفون ، الآية / ٢٦ .

حاجة. قال: فرأيتني لها أهلاً؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: جزاك الله عني خيراً. ثم قام إلى السراج فاغشاها وجلس، ثم قال: إنما أغشيت السراج لثلاث أرى ذلَّ حاجتك في وجهك، فتكلم فإني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يقول: الحوائج أمانة من الله في صدور العباد، فمن كتّمها كتبت له عبادة، ومن أفشاها كان حقاً على من سمعها أن يعينه^(١). (يعنيه)^(٢).

سبحان الله ما أكرم هذا الرجل

سُبْحَانَ اللَّهِ... ما أَكْرَمَ هذا الرجل، وأشدَّ حَبَّةً للخير والإحسان وإسداء المعروف، إنّه يشجع الناس على أن يقصدوه، ويطلبوا سخاءه. ويلتمسوا فضله وجوده وإيثاره، كما تلتمس مواقع الغيث، أي انه لا يكتفي أن يقضي حوائج الوافدين عليه رغبة منهم اليه، بل يحتّم على ذلك، ويعتبر أن من يعرض عليه حاجة انه رآه أهلاً لها، ويسأل الله أن يجزيه عنه خيراً. فكأن لشتى الناس عليه ديوناً ثابتة في ذمته فلا بدّ له من قضائها لهم وإبراء ذمته، فإن صحَّ القانون الأخلاقي الذي ارتأيناه: للناس ديونٌ على الأجواد يتقاضونها عاجلاً أو آجلاً. فإن علي بن أبي طالب من أسرع البشرية إلى الوفاء بالديون. وإن صحَّ كذلك القانون الأخلاقي الذي ارتأيناه: البخلاء يفرّون من ديونٍ ثابتةٍ بشهادة الشهود، والكرماء يُثبتون عليهم للناس ديوناً ما لها شهداء. فإن علي بن أبي طالب من أثبت البشرية لديون الناس عليه بلا انتظارٍ لشهادة الشهود.

فأين عن هذا الخلق الأبرّ، والنفس الكريمة المعطاء، أكثر الملوك والرؤساء والأغنياء الذين يحتجبون عن ذوي الحاجات وطلاب النوال، لغير عذر مشروع أو مُبرّر نجيب، فضلاً عن أن يستحثّوهم على قصدهم، قضاءً للحوائج وتزوّداً من

١ - فروع الكافي ٤ / ٢٢ - ٢٣، وبحار الأنوار ٤١ / ٣٦.

٢ - في الكافي يعنيه وهي اما تصحيف واما بمعنى يعنيه أمره فيسمى في حاجته.

٢٥٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

بعض الإمكانيات، ناسين أو متناسين أنّ (من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه...) على حدّ تعبير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

لكن منهج أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يختلف عن المناهج الوضعية وعن قواعد السلوكيات الذاتية الحجرية المنغلقة، فإمام المتقين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول للسائل؛ رأيتني أهلاً؟ ويجزيه خيراً، والإمام الشهيد الحسين بن علي (عليه السلام) يقول ناصحاً ومرشداً لمعاوية بن أبي سفيان (بسؤال وجهه له): مَنْ قَبِلَ عَطَاءَكَ فَقَدْ أَعَانَكَ عَلَى الْكَرَمِ، ويقول أيضاً: مِنْ نَعِمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْكُمْ، ويقول الإمام الأمين الحسن بن علي العسكري (عليه السلام): نَائِلُ الْكَرِيمِ يُحَبِّبُكَ إِلَيْهِ وَيُقَرِّبُكَ مِنْهُ. إلى غير ذلك من لَمَسَاتٍ منهجهم الزكي القويم. فهل من مقتدين مخلصين يرجون الله تبارك وتعالى فيسلكون ذات الطريق المشرق المنير، أو يبتغون بذلك الشرف الرفيع.. والكرامة السنيّة.. وحسن الحديث.. وعاطر الذكرى^(١).

١ - ذكر ابن فهد الحلبي في كتاب «عدة الداعي»: عن إسماعيل بن عمار قال: قلت لأبي

عبد الله (عليه السلام): المؤمن رحمة؟

قال: نعم، وأيما مؤمن أتاه أخوه في حاجته؛ فإنما ذلك رحمة ساقها الله إليه وسببها له، فإن قضاها كان قد قبل الرحمة بقبولها، وإن ردّه وهو يقدر على قضائها، فإنما رد عن نفسه الرحمة التي ساقها الله إليه، وسببها له، وذخرت الرحمة للمردود عن حاجته، ومن مشى في حاجة أخيه ولم يناصره بكل جهده فقد خان الله ورسوله والمؤمنين. وأيما رجل من شيعتنا أتاه رجل من إخوانه واستعان به في حاجته فلم يعنه وهو يقدر، ابتلاه الله تعالى بقضاء حوائج أعدائنا ليعذبه بها، ومن حقر مؤمناً فقيراً واستخفّ به واحتقره لقلّة ذات يده وفقره؛ شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، وحقره، ولا يزال ماقتاً له، ومن اغتیب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه نصره الله في الدنيا والآخرة، ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر، خذله الله وحقره في الدنيا والآخرة.

انظر بحار الأنوار ٧٢ - تنعة كتاب العشرة باب / ٥٩.

اسْتَشْهَدَ عَلِيٌّ وَعَلِيهِ دِينَ ثَمَانِمِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ

قال السيد بن طاووس في كشف المحجة: رأيت في كتاب إبراهيم بن محمد الأشعري الثقة بإسناده عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قُبِضَ عَلِيٌّ (عليه السلام) وعليه دين ثمانمائة ألف درهم، فباع الحسن (عليه السلام) ضيعةً له بخمسمائة ألف وقضاها عنه، وباع له ضيعة أخرى بثلاثمائة ألف درهم فقضاها عنه. وذلك أنه لم يكن يَزُزُّهُ مِنَ الْخَمْسِ شَيْئًا، وكانت تتوبه نواب (١) (٢).

معنى النواب

النواب بحسب معناها المتعارف والمشهور هي المصائب والفجائع وقد ورد في المناجاة التي رواها النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» عن جبرئيل (عليه السلام): اللهم لك الحمد على مَرَدِّ نَوَازِلِ الْبَلَاءِ، وملماتِ الضراء، وكشفِ نَوَابِ

١- وسائل الشيعة ج ١٨ / ٣٢٢ ٢ - باب جواز الاستدانة مع الحاجة وبحار الأنوار ٤٠ / ٣٣٨ باب ٩٨ - زهده وتقواه وورعه (عليه السلام)، وبحار الأنوار ١٠٠ / ١٤٥ باب ٢ - ما ورد في الاستدانة.. واللفظ في البحار وذلك أنه لم يكن يذر بدل يَزُزُّهُ.

٢- ومما يؤكد أن علياً كان عليه دين لما استشهد ما جاء في كتاب العلل من المحاسن وفي من لا يحضره الفقيه الحديث / ٣٦٨٣ - وَرَوَى عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهَبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): إِنَّهُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنَانِ دَيْنًا فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ «صلى الله عليه وآله وسلم» وَقَالَ: صَلُّوا عَلَيَّ أَخِيكُمْ حَتَّى ضَمِنْتُمَا عَنْهُ بَعْضَ قَرَابَاتِهِ. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): ذَلِكَ الْحَقُّ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله وسلم» إِنَّمَا قَتَلَ ذَلِكَ لِئَنَّهُمْ لِيَتَّعِظُوا وَلِيُرَدَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلِتَلَّا يَسْتَخْفُوا بِالَّذِينَ، وَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله وسلم» وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، وَقَتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، وَمَاتَ الْحَسَنُ (عليه السلام) وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، وَقَتِلَ الْحُسَيْنُ (عليه السلام) وَعَلَيْهِ دَيْنٌ. وذكرت الرواية في علل الشرائع عن ابن الوليد عن الصفار عن ابن هاشم عن ابن مزار عن يونس عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله (عليه السلام).

٢٦٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

اللأواء. وقال أبو عبد الله الصادق: ادفعوا نوائب البلايا بالاستغفار.

ولكن ما هو معنى النوائب في الخبر التاريخي الذي روي عن أبي جعفر (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ): (وكانت تنوبه نوائب). والذي يعني أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد استدان ثمانمائة ألف درهم لصرفها على النوائب، وهو مبلغ كبير جداً آنذاك اذ كان يعادل نحو ثمانين ألف مثقال ذهب بحسب الوزن القديم؟

لا ريب أن صرف مثل هذا المبلغ ليس عائداً إلى المصالح الخاصة بالدولة الإسلامية والذي هو من صميم أنشطتها وأعمالها مثل الصرف على المجهود الحربي، وعلى رواتب الموظفين، وهلم جرا، لأن الصرفيات المذكورة ليست من الأموال الشخصية التي لا يمكن أن تتسع لذلك بحال من الأحوال، بل من الميزانية العامة للدولة.

كما لا ريب أنه ليس صرفاً على الأمور الشخصية البحتة والعائدة بالذات إلى معاش الإمام (عليه السلام) وإلى معاش عياله وحاجاتهم اليومية، إذ لم يكن يرضى لنفسه وعياله أبداً حياة الترف والتبذير والاسراف، وفي تقشّفه الواضح وزهده المعروف بين الأصدقاء والأعداء ما يغني عن الإطالة في الاستدلال على ذلك.. هذا ونحن إلى الآن لم نخرج عن فرضية السؤال وميدانية الاستيضاح والاستفهام. ففي أي الأشياء الرئيسية قد تمّ صرف هذا المبلغ المرتفع؟

والجواب يتضح من خلال حديث مروي عن النبي الخاتم «صلى الله عليه وآله وسلم» في كتاب «من لا يحضره الفقيه» للشيخ محمد بن علي الصدوق: ليس البخيل من أدى الزكاة المفروضة من ماله، وأعطى النائبة في قومه. كما يتضح الجواب من خلال تعبيرات السياقات التاريخية والحكمية المضاهية لما نحن فيه، وهي ليست قليلة ولكن نكتفي بشيء يسير منها:

— يُذَكَّرُ أَنْ أَوَّلَ مَا بَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» مَنْ

الوحي الرؤيا الصادقة، وكان يرى الرؤيا فتأتيه مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاً فكان يخلو بغار حراء فسمع نداء يا محمد، فغشي عليه، فلما كان اليوم الثاني سمع مثله نداء، فرجع إلى خديجة وقال:

زملوني زملوني، فوالله لقد خشيت على عقلي فقالت: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق^(١).

ونحن وإن كنا في شك من صحة هذا الخبر طبق هذه التفصيلات، من حيث أنه «صلى الله عليه وآله وسلم» غشي عليه، ومن حيث القول المنسوب إليه «صلى الله عليه وآله وسلم» فوالله لقد خشيت على عقلي لأن حالته النفسية والعقلية قبل البعثة وبعدها في طمأنينة واستقرار لا يوصف، ومع هذا فإننا نستفيد من الخبر من جهة قول السيدة خديجة له: .. تقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. وحتى مع الفرض أن أم المؤمنين لم تنطق بالكلمات المذكورة، فإننا نستفيد من الكلمات المنسوبة إليها - خطأً أو تزويراً - من جهة قدم التعبير بالنوائب أو بنوائب الحق، وأنه من الأقوال المصطلح عليها في البيان العربي سابقاً.

- وأورد الشعلبي في تفسيره، والواحدي في أسباب النزول، والرازي في مفاتيح الغيب، وغيرهم من علماء التفسيرين، عن أم المؤمنين أم سلمة، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وأبي هريرة: أن الأنصار قالت للنبي الخاتم «ص»: أموالنا وأنفسنا بيد الله، وقد هدانا الله على يديك، وتنوبك نوائب وحقوق، وليست عندك لها سعة، وهذا تنفقه، وأتوا إليه بثمان مائة دينار فنزلت: «قُلْ لَا لِسْئَلِكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»^(٢). أي لا أسألكم على الإيمان والقرآن

١ - بحار الأنوار ١٨ / ١٩٤ باب ١ - المبعث وإظهار الدعوة.

٢ - من الآية ٢٣/ من سورة الشورى.

٢٦٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
جعلاً ولا رزقاً، إلا المودة في القربى، إلا أن تحبوني وتحبوا أهل بيتي وأقربائي.
وفي رواية إلا أن تودوا قرابتي وتحفظوني فيهم.

وأحسب أن معنى قول الأتصار: تنوبك نواب وحقوق، وليست عندك لها
سعة. أنه يطلب بعض الناس منك تحمل المغارم، وتقديم المساعدة المالية لتحرير
الرقيق، وإعانة ابن السبيل، والمساهمة في دفع الديات، ونحو ذلك.

— وفي شرح نهج البلاغة أنه لما قال أمير المؤمنين لغالب بن صعصعة: ما
فعلت إيلك؟ قال: دعدعتها الحقوق وأذهبتها الحملات والنواب^(١). وقالوا في
شرح ودعدعتها الحقوق: أي فرقتها المصارف الضرورية من الزكاة والجهاد
ونواب القبيلة وأمثالها.

— وقال الإمام علي: فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ
الضِّيَافَةَ، وَلْيُنْفِكْ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِي، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ، وَلْيُضِرْ نَفْسَهُ عَلَى
الْحُقُوقِ وَالنَّوَابِ، ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ.

فما معنى ليضرب نفسه على الحقوق والنواب الواقعة في سياق جهة بذل
الأموال التي يرشد لها الإمام (عليه السلام) كما أن جميع المواطن التي أمر
الإمام بصرف الأموال في وجوهها هي مواطن ليست لحل مشكلات شخصية أو
الانفاق في أمور ذاتية، بل هي جميعاً من حيث الانفاق على الآخرين ابتداءً من
عبارة فليصل به القرابة وانتهاءً بعبارة وليضرب نفسه على الحقوق والنواب.

— وقد تلخص مما مرَّ أن النواب في رواية دين الإمام علي ثمان مائة ألف
درهم، لما كانت تنوبه من نواب أنها النواب التي تنوب القبيلة فتحتاج إلى من
يعينها وينفق عليها، وأنها نواب كثير من الناس الذين يرفدهم الإمام الأكرم بوابل

من جوده وإحسانه .

تعزير وتأکید المعنى

وإلى الذين يرغبون الإطمئنان بشكل أكثر من كون الدين البليغ على الإمام علي (عليه السلام)، كان بسبب المصروفات المالية الكبرى لشؤون الإكراميات والمساعدات، فعليه بمطالعة هذه الرواية التي نقلها ابن أبي الدنيا في رسائله، عن عطاء عن أبي جعفر قال: ما مات علي بن أبي طالب، حتى بلغت غلته مائة ألف، ولقد مات يوم مات وعليه سبعون ألف ديناراً. فقلت: من أين كان هذا الدين! قال: كانت تأتيه حامته من أصحابه ومعارفه، ممن لا يرى لهم في الفقه نصيباً فيعطيه. فلما قام الحسن بن علي باع وأخذ من حواشي ماله حتى قضى عنه، ثم كان يعتق عنه كل عام خمسين نسمة حتى هلك، ثم كان الحسين (رضي الله عنه) يعتق عنه خمسين نسمة حتى قتل. ثم لم يفعله أحد بعدهما^(١).

الاستدانة للإنفاق على الآخرين

لقد عرفنا أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قد استدان ذلك المبلغ الكبير الباهظ من أجل الإنفاق السخي على بعض الناس، ومثل هذا العمل ليس يدعاً من أعمال الكرماء والمحسنين في شتى الأزمنة والأحقاب، فمن سجية المفضل الكريم البذل مما ملكت يده -بالفعل- كثيراً كان أو قليلاً، ولكن المشكلة الأساسية للكريم تكمن في خلوه يده أحياناً وضعف حالته المادية، وعدم قدرته على القيام بما يناسب أريحته، أو يفي بالغرض. فتحمله الضرورة الأخلاقية التي قد اختطها أو ارتضاها لنفسه إلى الاستدانة والاستقراض؛ من أجل الإدامة السنية لعمليات الجود والبر، أو مواصلة ما قد طبعت عليه نفسه من الخير

وأمثلة الاستدانة والاستلاف من أجل إكرام الآخرين ، وإعانة المحرومين والمضطهدين ، أو كشف الضرر والبلاء عنهم كثيرة جداً ، وكثير مناشهد ذلك أو سمع به أو عاشه ومارسه بنفسه^(١) .

١ - وقد تكون الاستدانة جماعية لا فردية كما في هذا المثال التاريخي الرائع الذي نقله باختصار وتصرف حيث استدانت جماعة كبيرة جداً من بيت المال إلى حين حصولها على أعطياتها، في سبيل إكرام أحد الأعلام؛ دخل الوليد بن جابر الطائي على معاوية فقال له: أنت صاحب ليلة الهرير؟ قال: نعم. قال: والله ما تخلو مسامعي من رجرك تلك الليلة وقد علا صوتك أصوات الناس وأنت تقول:

شدوا فداء لكم أمي وأب	فإنما الأمر غدا لمن غلب
هذا ابن عم المصطفى والمنتجب	تسنيه للعلية سادات العرب
ليس بموصوم إذا نص النسب	أول من صلي وصام واقترب

قال: نعم أنا قائلها. قال: فلما ذا قتلها؟ قال: لأننا كنا مع رجل لا نعلم خصلة توجب الخلافة، ولا فضيلة تصير إلى التقدمة، إلا وهي مجموعة له كان أول الناس سلماً، وأكثرهم علماً، وأرجحهم حلماً، فات الجياد فلا يشق غباره، واستولى على الأمد فلا يخاف عثاره، وأوضح منهج الهدى فلا يبید مناره، وسلك القصد فلا تدرس آثاره. فلما ابتلانا الله تعالى بافتقاده، وحول الأمر إلى من يشاء من عباده، دخلنا في جملة المسلمين، فلم نتزع بدا عن طاعة، ولم نصدع صفاة جماعة. فاقبل صفونا، ولا تُثِرْ كَوَامِنَ الْأَحْقَادِ، فإن النار تقدح بالزناد.

قال معاوية: وإني لتهددني يا أخا طيئ بأوباش العراق، أهل النفاق، ومعدن الشقاق!

فقال: يا معاوية هم الذين أشرقوك بالريق، وحبسوك في المضيق، وذادوك عن سنن الطريق، حتى لذت منهم بالمصاحف. فغضب معاوية وقال: أيها الشقي الخائن إني لإخال أن هذا آخر كلام تقوه به. وكان عفير بن سيف بن ذي يزن بباب معاوية حينئذ، فعرف موقف الطائي ومراد معاوية؛ فخافه عليه؛ فهجم عليهم الدار، ثم التفت إلى معاوية قائلاً: أنت الآن مجمع على قتل هذا زعمت استصغاراً لجماعتنا، ولعمري لو وكلتكم أبناء قحطان إلى قومك، لكان جدك العائر، وذكرك الدائر، وحدك المفلول، وعرشك المشلول. فقال معاوية: إنا لم نأت إلى صاحبك مكروهاً، فدونك فإنه لم يضق عنه حلمنا. فأخذ عفير بيد الوليد، وخرج به إلى منزله وقال له: والله

وللكرماء أسوة حسنة برسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم »، حيث كان يستلف أحياناً ليعطي السائل، وقد روى ابن أبي الدنيا في رسائله / رسالة مكارم الأخلاق عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه؛ أن سائلاً أتى رسول الله « ص »، فقال: يا رسول الله أعطني. فقال رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم »: مَنْ عنده سلف؟ قال رجل من الأنصار: عندي. قال: أعطه أربعة أوسق.

« وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْلِئاً فَخُوراً »^(١).

أعطي أنا وتبخل أنت

روى مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام): ان أمير المؤمنين (عليه السلام) بعث إلى رجل بخمسة أوساق^(٢). من تمر البغيغة^(٣)، وكان الرجل ممن يرجو نوافله، ويؤمل نائله ورقده، وكان لا يسأل علياً ولا غيره شيئاً. فقال رجل لأمير المؤمنين: والله ما سألك فلان، ولقد كان يجزيه من الخمسة أوساق وشق واحد. فقال له أمير المؤمنين: لا أكثر الله في المؤمنين ضربك، أعطي أنا وتبخل أنت!! اذا لم أعط الذي يرجوني إلا من بعد

لثوبين بأكثر مما آب به معدّي من معاوية. وجمع من بدمشق من اليمانية وفرض على كل رجل دينارين في عطائه، فبلغت أربعين ألفاً فتعجلها من بيت المال ودفعها إلى الوليد ورده إلى العراق. شرح نهج البلاغة، ١٦ / ١٣٠ - ١٣٢. ١ - النساء، الآية / ٣٦.

٢ - أوساق: جمع وسق وهو ستون صاعاً والصاع خمسة أرتال وثلاث، ويجمع وسق (بفتح الواو وسكون السين) أيضاً على وسق وأوسق.

٣ - البغيغة: من الأراضي الخصبة الكثيرة العوائد والتي كانت من أملاك الإمام علي وقد أوقفها في سبيل الله تبارك وتعالى.

٢٦٦..... فلسفة الجود والايثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
المسألة ثم أعطيه، فلم أعطه ثم ما أخذت منه، وذلك لأنني عوضته أن يبذل لي
وجهه الذي يعفره في التراب لربي ورَّبه عند تعبه له وطلب حوائجه إليه. فمن
فعل هذا بأخيه المسلم وقد عرف أنه موضع لصلته ومعروفه، فلم يصدق الله في
دعائه له، حيث يتمنى له الجنة بلسانه، ويبخل عليه بالخطام من ماله؛ وذلك أن
العبد قد يقول في دعائه: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، فاذا دعا لهم بالمغفرة
فقد طلب لهم الجنة، فما أنصف من فعل هذا بالقول ولم يحققه بالعمل^(١).

١- قد ألمَّ الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز بمضمون كلام إمام الأئمة (ع)
فقال: إني أستحي من الله عزَّ وجلَّ إن سألت الله لأخ من اخواني، وأبخل عليه
بالدنيا، وإذا كان يوم القيامة قيل لي: لو كانت الدنيا بيدك كنت أبخل^(٢).

٢- يَا لَهُ من واهبٍ حيٍّ كريمٍ محسنٍ مفضلٍ يعطي بلا سؤال ويمنح بلا
استرفاد، فكان مثلاً سامياً ورائعاً لأسمى الجود وأحلى النوال أو كما قال ذات
مرّة ناصحاً مرشداً: أحلى النوالِ بَدُلْ بغير السؤال^(٣). وَيَا لَهُ من موهوبٍ له حَيٍّ
أبيٍّ كريمٍ عفيفٍ كان لا يسأل علياً ولا غيره شيئاً فكان مثلاً طيباً وبارعاً لقوم
محاويج فقراء «يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ
النَّاسَ الْخَافِأَ»^(٤).

٣- أُعْطِي أَنَا وَتَبَخُلُ أَنْتَ!! إِنَّهُ لَدَاءُ عِيَاءٍ يَعْبُرُ بِجَلَاءٍ عَنِ حَقَارَةِ النَّفْسِ وَلَوْمِ
العنصر وخساسة الطبع ودناءة الاقتراح أن يبخل المرء بما لا يملك ويصدُّ
الكرماء عن كرمهم ويقف كالأحجار المترصّة دون العطاء السمع والرغد الجميل.

١ - الكافي: ٤ / ٢٢ - ٢٣، ونزهة الأبصار ومحاسن الآثار / ٣٥٦، وبحار الأنوار ٤١ /

٣٥ - ٣٦. ٢ - الاخوان / ٢٠٢.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٥٠٦. ٤ - البقرة الآية / ٢٧٣.

ولقد قيل: البخل على ثلاثة أضرب: بخل الإنسان بماله على نفسه وبخله بماله على غيره وبخله بمال غيره، وأفحشها بخله بمال غيره على نفسه وأهونها وإن كان لا هيِّنَ فيها بخله بماله على غيره.

إذا كان الجواد يندهش ممن لا ينعم ويتفضّل من ماله الخاص فماذا يكون موقفه إذا واجهه من لا ينعم ويتفضّل من ماله الخاص ولا يترك المحسنين وشأنهم يكرمون ويُتعمون؟ إنه - وإن كان وسيع الصدر - سوف يتشجج من هذا الناصح الأثيم، وسوف تثور ثائرتة وإن كان معروفاً بالحلم والتأني ليقول بلهجة المغضب المتحرّق: (لا أكثر الله في المؤمنين ضربك). (من بخل بما لا يملكه فقد بالغ في الرذيلة)^(١).

«ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِن مِّنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِن مِّنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِن مِّنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ»^(٢) (٣).

عليّ يعتق ألف مملوك

١ - من كلمات الإمام أمير المؤمنين، عيون الحكيم والمواعظ، الحكمة / ٧٥٢٣.

٢ - البقرة الآية / ٧٤.

٣ - ينقل عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) القول في تفسير قوله تعالى «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ»: «فهي كالحجارة اليابسة لا ترشح برطوبة، ولا ينتفض منها ما ينتفع به، أي أنكم لا حق الله تعالى تؤدون، ولا [من] أموالكم ولا من مواشيها تصدّقون، ولا بالمعروف تكرمون وتجدون، ولا الضيف تقرون، ولا مكروباً تغيثون، ولا بشيء من الإنشائية تعاشرن وتعاملن. التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري / ٢٨٣.

روى الشيخ المفيد في كتابه «الإرشاد» بأسناده المتصل عن سعيد بن كَثُوم قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد (ع)، فذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)؛ فأطراه ومدحه بما هو أهله ثم قال: والله ما أكل علي بن أبي طالب (عليه السلام) من الدنيا حراماً قط حتى مضى لسبيله، وما عرض له أمران قط هما لله رضا إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه، وما نزلت برسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» نازلة قط إلا دعاه ثقة به، وما أطاق عمل رسول الله «ص» من هذه الأمة غيره، وإن كان ليعمل عمل رجل كأنَّ وجهه بين الجنة والنار، يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه، ولقد أعتق من ماله ألف مملوكٍ في طلب وجهه الله، والنجاة من النار، مما كدَّ يديته، ورشَّح منه جبينه^(١)..

١ - انظر بحار الأنوار ٤١ / ٣٧. وهو من الأخبار المشهورة، وما أكثر المصادر التي نقلته أو أشارت إليه، فمن جملة ذلك: ما رواه البرقي في المحاسن عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أبي عميرة وسلمة صاحب السابري عن زيد الشحام عن أبي عبد الله (ع) قال: إن عليا (ع) أعتق ألف مملوك من كد يده.

وما رواه الكليني في الكافي بأسناده عن العدة عن البرقي عن الثقليني عن السمندي عن أبي عبد الله (ع) قال: كان أمير المؤمنين (ع) يضرب بالمر ويستخرج الأرضين، وأنه أعتق ألف مملوك من كد يده.

وما رواه الصدوق في الأمالي بالاسناد عن أبيه عن علي عن أبيه عن ابن أبي نجران عن ابن حميد عن ابن قيس عن أبي جعفر (ع) أنه قال: والله أن كان علي ليأكل أكل العبد ويجلس جلسة العبد وأن كان ليشتري القميصين السنبليين فيخير غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر فإذا جاز أصابعه قطعه وإذا جاز كعبه حذفه، ولقد ولي خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا أقطع قطعاً ولا أورث بيضاء ولا حمراء، وإن كان ليطعم الناس خبز البُرِّ واللحم، ويتصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل، وما ورد عليه أمران كلاهما لله رضا إلا أخذ بأشدهما على بدنه، ولقد أعتق ألف مملوك من كد يده تربت فيه يدها وعرق فيه وجهه...

وما رواه السروي في المناقب عن الصادق (عليه السلام): أنه (عليه السلام) أعتق ألف نسمة من كد يده جماعة لا يُحصون كثرة،

فِي طَلَبِ وَجْهِ اللَّهِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ قَضَى عَلَيَّ كُلَّ أَدْوَارِ حَيَاتِهِ الْخَالِدَةِ،
وَفِي طَلَبِ وَجْهِ اللَّهِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ أَرَسَى عَلَيَّ دَعَائِمَ الْعَدَالَةِ وَالْخَيْرِ وَالنَّبْلِ
الْإِنْسَانِيِّ الْفَرِيدِ، وَفِي طَلَبِ وَجْهِ اللَّهِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ أَعْتَقَ عَلَيَّ مِنْ مَالِهِ
أَلْفَ مَمْلُوكٍ، مِمَّا كَدَّ بِيَدَيْهِ، وَرَشَّحَ مِنْهُ جَبِينَهُ. وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْهُجٌ مَنْ وَحَّدَ اللَّهُ
عِزًّا وَجَلًّا حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ، وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْهُجٌ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَعْرِفَةً
كَبْرَى بَلْ أَدْرِكُ غَايَةَ الْعِرْفَانِ، وَعَمِلَ بِأَقْصَى جُهُودِهِ وَمُنْتَهَى طَاقَاتِهِ وَإِمْكَانِيَاتِهِ
طَبَقًا لِمَا عَرَفَ؟

فَيَا مَنْ يَتَبَجَّحُونَ بِالنَّظْمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَعَلَاقَاتِ الْأُسْرَةِ الدَّوْلِيَّةِ وَيَعْلَقُونَ فِي
أَعْلَى الْبَاذَخَاتِ الرَّوَاسِي الشَّعَارَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْبَرَاقَةِ هَذِهِ هِيَ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي
وَجْهِهَا الْحَقِيقِيِّ الْمَشْرِقِ وَظَوَاهِرِهَا وَبِوَاطِنِهَا الرَّشِيدَةِ الْمَعْطَاءِ فَانْتَهَجُوهَا مَا كَانَ
إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، أَوْ اقْتَدُوا بِهَا اقْتِدَاءَ الْمُخْلِصِينَ، أَوْ رَاعَوْهَا وَلَوْ بَعْضَ الرَّعَايَةِ، إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

وَفِي الْمَنَاقِبِ أَيْضًا: وَكَانَ لَهُ أَلْفُ نَسَمَةٍ مِنْهُمْ: قَبْرٌ وَمِشْمٌ قَتَلَهُمَا الْحِجَااجُ، وَسَعْدٌ وَنَصْرٌ قَتَلَا مَعَ
الْحُسَيْنِ (ع)، وَأَحْمَرٌ قَتَلَ فِي صَفِينٍ، وَمِنْهُمْ غَزْوَانٌ وَثَيْبٌ وَمَيْمُونٌ وَخَادِمَتُهُ فَضَّةٌ وَزَيْرَا
وَسَلَافَةٌ.

وَفِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٤ / ١١٠ عَنْ زُرَّارَةَ: قِيلَ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (ع): إِنْ
قَوْمًا هَاهُنَا يَنْتَقِصُونَ عَلَيًّا (عَلَيْهِ السَّلَامُ)!

قَالَ: بِمَ يَنْتَقِصُونَهُ لَا أَبَا لَهُمْ وَهَلْ فِيهِ مَوْضِعٌ نَقِيسَةٌ! وَاللَّهِ مَا عَرَضَ لِعَلِيِّ أَمْرَانِ قَطُّ كِلَاهُمَا لِلَّهِ
طَاعَةٌ إِلَّا عَمِلَ بِأَشَدِّهِمَا وَأَشَقَّهُمَا عَلَيْهِ؟ وَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ كَأَنَّهُ قَائِمٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يَنْظُرُ إِلَى
ثَوَابِ هُوَلَاءَ فَيَعْمَلُ لَهُ وَيَنْظُرُ إِلَى عِقَابِ هُوَلَاءَ فَيَعْمَلُ لَهُ، وَإِنْ كَانَ لِيَقُومَ إِلَى الصَّلَاةِ فَيَاذًا قَالَ
وَجْهَتُ وَجْهِي تَغْيِيرَ لَوْنِهِ حَتَّى يَعْرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَلَقَدْ أَعْتَقَ أَلْفَ عَبْدٍ مِنْ كَدِّ يَدَيْهِ كُلِّ مَنْهُمْ
يَعْرِقُ فِيهِ جَبِينَهُ وَتَحْفَى فِيهِ كَفَّهُ.. وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ.

أَقُولُ: مَا ذَكَرَهُ فِي الْمَنَاقِبِ مِنْ قَتْلِ مِشْمِ عَلِيِّ يَدِي الْحِجَااجِ غَيْرَ صَحِيحٍ إِذَا لَا رَيْبَ أَنَّ زِيَادَ بْنَ
أَبِيهِ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ، اللَّهُمَّ إِلَّا يَكُونُ هُنَاكَ مِشْمٌ آخَرَ مِنْ مَوَالِي الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ مِشْمِ
الْتِمَارِ قَتَلَهُ الْحِجَااجُ.

مقارنة ولا سواء

لم يكن اعتاق ألف مملوك بالشيء اليسير الهين أو الأمر الذي يكثر تكراره والعمل به في مرور الليالي والأيام؛ وذلك لأنه يتطلب توجهاً خاصاً جداً إلى ضرورة معرفة قيمة هذه المسألة وإدراك أهميتها البالغة، كما أنه يستدعي انفاق الأموال الطائلة في هذا المضمار، فما أغلى ثمن ألف مملوك على اختلاف أجناسهم. ولهذا لم تحدثنا صفحات التاريخ الانساني على الرغم من طولها واتساعها عن الذين أعتقوا ألف مملوك، أو ما يقرب من هذا العدد، أو نحو نصفه، إلا في حالات شاذة الوجود. ومن الذين أعتقوا أو أمروا باعتاق ألف مملوك الخليفة العباسي هرون الرشيد على ما ينسب القول في ذلك إلى الأصمعي، كما في الخبر التالي:

قال شبيب: كنا سنة في طريق مكة، فجاء أعرابي في يوم صائف شديد الحر، ومعه جارية سوداء وصحيفة فقال: أفيكم كاتب؟ قلنا: نعم، وحضر غداؤنا فقلنا له: لو دخلت فأصبت من طعامنا. قال: إني صائم. قلنا: الحر وشدته وجفاء البادية!

فقال: إن الدنيا كانت ولم أكن فيها، وستكون ولا أكون فيها، وما أحب أن أغبن أمامي. ثم نبذ إلينا الصحيفة فقال للكاتب: اكتب ولا تزد علي ما أمليه عليك: هذا ما أعتق عبد الله بن عقيل الكلبي أعتق جارية له سوداء اسمها لؤلؤة؛ ابتغاء وجه الله وجواز العقبة وإنه لا سبيل له عليها إلا سبيل الولاء والمنة لله علينا وعليها واحدة.

قال الأصمعي: فحدث بذلك الرشيد؛ فأمر أن يعتق عنه ألف نسمة، ويكتب لهم هذا الكتاب^(١).

بيد أننا لو حاولنا المقارنة لوجدنا أن البون بعيد للغاية بين ما يعتقه الإمام

علي وما يعتقه هرون الرشيد كما يتضح مما يلي :
 أولاً : لقد استفاضت الروايات والأخبار في صنيع أمير المؤمنين علي ،
 وأكدت عليّ تحريره ألفاً من العبيد ، وممن ذكر ذلك الإمام محمد الباقر والإمام
 جعفر الصادق (عليه السلام) . أما خبر هرون الرشيد فهو غير مستفيض في
 الرواية ، بل هو منقطع السند ، هذا إضافة إلى أنه من أخبار الأصمعي ، الذي لا يهمه
 كثيراً أن لا يكذب في أخباره وقصصه وحكاياته .

ثانياً : لقد أعتق الإمام من ماله ألف مملوك ، مما كدّ بيديه ، ورشّح منه
 جبينه . وهرون الرشيد أعتق من أموال المسلمين وخزائن الشعب مما لا سلطة له
 عليه ؛ فيكون انفاقه غير مشروع له ، ومما يناسب هذا المعنى ويؤكدّه ما روي عن
 رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » أنه قال : لا تتم الصلاة إلا بزكاة ، ولا
 تقبل صدقة من غلول ، ولا صلاة لمن لا زكاة له ، ولا زكاة لمن لا ورع له ^(١) .
 وروى الحافظ نور الدين الهيثمي في كتابه « مجمع البحرين في زوائد المجمعين »
 بإسناده عن أبي برزة عن رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » أنه قال : لا
 تزولُ قدما عبد حتى يُسأل عن أربعة : عن جسده فيما أبلاه ، وعمره فيما أفناه ،
 وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن حبّنا أهل البيت . قيل يا رسول الله فما
 علامة حبّكم ؟ فضرب بيده عليّ منكب علي ^(٢) . وكذا ما روي عن الإمام الشهيد
 الحسين بن علي (عليه السلام) أنه ذكّر له رجل من بني أمية تصدّق بصدقة كثيرة
 فقال : مثله مثل الذي سرق الحاجّ وتصدّق بما سرق . إنما الصدقة صدقة من عرق
 فيها جبينه ، واغبرّ فيها وجهه ، مثل علي (عليه السلام) ، ومن تصدق بمثل ما
 تصدق به ^(٣) .

١ - القاضي أبو حنيفة النعمان ، دعائم الاسلام / ذكر التعليل في منع الزكاة أهلها .

٢ - مجمع البحرين في زوائد المجمعين ٨ / ١٠٠ ، الحديث / ٤٧٨٣ .

٣ - القاضي أبو حنيفة النعمان ، دعائم الاسلام / ذكر التعليل في منع الزكاة أهلها . وفي

٢٧٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

ولو افترضنا جدلاً أن لهرون الرشيد سلطاناً شرعياً وولاية إلهية على الناس وأموالهم، فإنه يكون قد أنفق أموالاً لم تكلفه ولا شيئاً يسيراً من كسب اليمين ورشح الجبين، بما في ذلك من شدة المتاعب والمصاعب، واستغراق الوقت العزيز والطويل من العمر في النشاط العملي.

لقد وقعت للإمام جعفر بن محمد الصادق قصة جميلة مع رجل كبير المنزلة الدينية والاجتماعية لدى العوام، صغير ضئيل في ميزان الحقيقة، قد جعل المال الحرام وسيلة إلى الحلال، والرذيلة طريقاً إلى الفضل والاحسان وطلب الأجر والثواب من الله تعالى، فينقل الصادق (عليه السلام) لنا القصة في سبيل أن نعتبر ونذكر ولا نتخذع بالمظاهر الروحية الخلافة إذا لم تعرب في جوهرها عن البواطن السليمة. يقول الصادق (عليه السلام) عن الرجل المذكور: فأحببت لقاءه من حيث لا يعرفني؛ لأنظر مقداره ومحلّه، فرأيت في موضع قد أحدق به خلق من غشاء العامة، فوقفت منتبذاً عنهم، متغشياً بلثام أنظر إليه وإليهم، فما زال يراوغيهم حتى خالف طريقهم ففارقهم ولم يعد، ففرقت العامة عنه لحوائجهم. وتبعته أقتفي أثره، فلم يلبث أن مرّ بخباز فتغفله، فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة، فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي لعله معاملة. ثم مرّ بعده بصاحب رمان، فما زال به حتى تغفله فأخذ من عنده رمانتين مسارقة فتعجبت منه، ثم قلت لعله معاملة، ثم أقول وما حاجته إلى المسارقة، ثم لم أزل أتبعه حتى مرّ بمريض، فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه ومضى، وتبعته حتى استقرّ في بقعة من صحراء فقلت له: يا

رواية قريبة الشبه بها تحدّد ذلك المتصدق فعن الحسين بن علي (عليه السلام) أنه قيل له: إن عبد الله بن عامر تصدّق اليوم بكذا وكذا، وأعتق اليوم كذا وكذا. فقال: إنما مثل عبد الله بن عامر كمثل الذي يسرق الحاج ثم يتصدّق بما سرق، وإنما الصدقة الطيبة صدقة الذي عرق فيها جبينه واغبرّ فيها وجهه. قيل لأبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام): من عنى بذلك؟ قال: عنى به علياً (ص). انظر دعائم الاسلام / ١٢٤٤.

عبد الله لقد سمعت بك وأحبيت لقاءك، فلقيتك، لكنني رأيت منك ما شغل قلبي، وإني سأثلك عنه، ليزول به شغل قلبي. قال: ما هو؟ قلت: رأيتك مررت بخباز فسرقت منه رغيفين، ثم مررت بصاحب الرمان فسرقت منه رمانتين. قال: فقال لي قبل كل شيء: حدثني من أنت؟ قلت له: رجل من ولد آدم من أمة محمد «صلى الله عليه وآله وسلم». قال: حدثني ممن أنت؟ قلت: رجل من أهل بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم». قال: أين بلدك؟ قلت: المدينة. قال: لعلك جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب؟ قلت: بلى. قال: لي فما ينفحك شرف أصلك مع جهلك بما شرفت به، وتركك علم جدك وأبيك لئلا تنكر ما يجب أن تحمد وتمدح فاعله؟ قلت: وما هو؟ قال: القرآن كتاب الله. قلت: وما الذي جهلت منه؟ قال: قول الله عَزَّ وَجَلَّ «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا». وإني لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين، فهذه أربع سيئات، فلما تصدقت بكل واحدة منها كانت أربعين حسنة، فانتقص من أربعين حسنة أربع (حسنة بأربع سيئات) بقي لي ست وثلاثون حسنة. قلت: ثكلتك أمك أنت الجاهل بكتاب الله تعالى، أما سمعت قول الله تعالى: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»^(١)؟ إنك لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين، ولما دفعتهما إلى غير صاحبهما، بغير أمر صاحبهما، كنت إنما أضفت أربع سيئات إلى أربع سيئات، ولم تضيف أربعين حسنة إلى أربع سيئات. فجعل يلاحظني، فتركته وانصرفت. قال الصادق (عليه السلام): بمثل هذا التأويل القبيح المستنكر يضلون ويضلون^(٢).

ثالثاً: لقد كان اعتاق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للعبيد في طلب

١ - المائدة، الآية / ٢٧.

٢ - التفسير المنسوب للإمام العسكري / ٤٤ - ٤٦.

٢٧٤..... فلسفة الجود والإنثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وَجْهِ اللَّهِ، وَالتَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ الْمَوْكُودُ مِنْ دَيْدَنِهِ وَشَوْوَنِهِ الْعَامَّةِ
وَالْخَاصَّةِ . أَمَّا الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ فَإِنَّا وَإِنْ لَمْ نَكُنْ مُحِيطِينَ بِنَوَايَاهُ أَوْ عَالَمِينَ
بِأَسْرَارِهِ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الْعَالَمُ بِمَسْتَكِنِّ قَلْبِهِ وَضَمِيرِهِ، إِلَّا أَنَّ النَّاسَ
يَعْرِفُونَ عَنْهُ مَعْرِفَةً وَاقِيَةً ذَلِكَ الْبَذْخُ الْعَجِيبُ، وَتَبْذِيرُ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْإِنْفَاقُ
الطَّائِلُ الْكَثِيرُ عَلَيَّ مَا يَحِبُّ وَيَشْتَهِي، وَمَا يَدْرِينَا أَنْ لَا يَكُونَ عَتَقَهُ لِهَؤُلَاءِ
الْمَمَالِكِ يَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنْ إِنْفَاقِهِ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ الْكَبِيرَةِ عَلَيَّ ذَلِكَ الْفَقِيهِ الْخَائِنِ
الَّذِي أَجَازَ لَهُ أَنْ يَغْدِرَ بِالْإِتْفَاقِيَةِ الْمَوْقُوعَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الثَّائِرِ الْهَاشِمِيِّ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بَعْدَ التَّوْثِيقِ لَهُ وَتَأْكِيدِ الْإِيمَانِ وَالْعَهْدِ، أَوْ يَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنْ إِنْفَاقِهِ
رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ الْكَبِيرَةِ عَلَيَّ مَا لَدَّ وَطَابَ، وَعَلَى السَّيِّدَةِ زَبِيدَةَ وَأَمْثَالَ السَّيِّدَةِ
زَبِيدَةَ، وَعَلَى تِلْكَ الْغَوَانِي الْفَاتِنَاتِ، وَالْمَغْنِيَّاتِ الْمَطْرَبَاتِ، وَاللَّيَالِي الْحَمْرَاءِ الَّتِي
شَهِدَتْهَا قُصُورُهُ وَمُنْتَزَهَاتُهُ وَنَوَادِيهِ الْفِيحَاءِ، فِي الْعَاصِمَةِ بَغْدَادَ إِسَانِ فِتْرَةِ حُكْمِهِ
الْمَدِيدِ وَتَوَلَّيَهُ الْمَطْلُوقَ عَلَيْهَا.

محتاجٌ يمنح الدرع الثمينة

جلس عليُّ عليُّ الفرات فأتاه أعرابي من بني أسد فقال : يا أمير المؤمنين
والله ما تركت في بيتي سبداً ولا لبدأ، ولا تاغيةً ولا راغيةً، وقد أتيتك فأعطني .

فقال له : أليس قد أعطيناك عطاك ؟

قال : بلى ولكنه قد نفذ .

قال : لا يجوز أن نعطيك حتى نعطي الناس .

قال : أعطني من مالك .

قال : والله ما أصبح في بيتي فضل عن قوتي .

فولئ الأعرابي وهو يقول : ليسألك الله عن موقفي بين يديك .

فبكى ثم قال: يا قنبر أئتني بدرعي الفلاس^(١). فأتاه بها فقال: ادفعها إلى الأعرابي، فطالما كشفت بها الكرب عن وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم».

فقال له قنبر: كان يجزي بها عشرون درهماً أو أقل^(٢).

قال: يا قنبر والله ما يسرني أن لي أودية الدنيا ذهباً وفضة، فتصدقت به وقبله الله مني، وأنه سألني عن موقف هذا بين يدي^(٣).

مِنْ رَمُوزِ الذِّكْرِيَّاتِ التَّارِيخِيَّةِ السَّامِيَةِ

١ - يدلُّ هذا الخبر التاريخي أن القصة الممتعة قد وقعت - بلا ريب - في أثناء خلافة علي (سلام الله عليه)، كما يؤكِّد على ذلك قول الأعرابي: يا أمير المؤمنين. وكذا قول الإمام (عليه السلام): أليس قد أعطيناك عطاك؟ فمن العجيب المدهش في نقاء ونزاهة ابن أبي طالب، ومن العجيب المدهش في عدالة حكمه واستقامة سياسته الإلهية أن يقول وهو الرئيس الأكبر للمجتمع وصاحب خزائن الدولة كلها: والله ما أصبح في بيتي فضلٌ عن قوتي. وهو الأمر الذي لا يرتضيه لنفسه أو لعياله أو لندياه أو أقل حاشية أو أصغر مسؤول من حواشي الملوك والرؤساء والمسؤولين في حكوماتهم، ولكن الإمام ابن أبي طالب (سلام الله عليه) قد ارتضاه عن رغبة ملحة وطواعية وبشاشة منهاجاً عملياً قيماً وأصيلاً لنفسه وعياله وندياه ودينه وآخرته، كما قد ارتضاه عن رغبة ملحة

١ - قد يكون أصل العبارة بدرعي الفلاس، والفلاس اسم لدرعه (عليه السلام)، وقد

يكون درعي الفلاني فتكون لفظة الفلاس تصحيف للفلاني.

٢ - هكذا جاء في النسخة المطبوعة من المصدر ولعل الصحيح كان يجزيه عشرون درهماً

أو أقل أي إن ذلك الأعرابي السائل يكفي هذا المبلغ اليسير لاعطائه دون الدرع ذات الثمن الباهظ والذكريات المجيدة.

٣ - محمد بن سليمان الكوفي القاضي / القرن الثالث الهجري / مناقب الإمام أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب ٢ / ٧٥ - ٧٦.

٢٧٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وطواعية وبشاشة منهاجاً قيماً وقويماً لكل « مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً »^(١).

٢ - يعيش الانسان الحر الكريم باعتزاز وحبور ومسرة مع الرموز المعنوية
والمادية الدالة على الذكريات التاريخية الطيبة ، بما فيها من مشاهد رائعة ،
ومواقف بطولية خالدة ، ويعزُّ عليه كثيراً ويحزُّ في نفسه حزاً مبرحاً أن يكدر عليه
الزمن الخؤون أمنياته وأحلامه ومآنسه بأن يفتقدها أو يفتقد بعضها لأي سبب من
الأسباب . وكانت تلك الدرع المذكورة التي ما زال الإمام أمير المؤمنين (عليه
السلام) يحتفظ فيها ، من بقايا تلك الرموز المعنوية والمادية الدالة على
الذكريات التاريخية الشماء ، وقد عبّر عنها الإمام بقوله : طالما كشفت بها الكرب
عن وجه رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » . بيد أن حاجة المسكين وكلماته
المنبئة عن سوء أحواله وتردي أوضاعه المعاشية ، وقوله المثير لإحسان المحسن
وكرم الكريم ، والمذكر بشدّة وحساسية وعنفوان بيوم الحساب الأكبر والعتاب
الأعظم والوقوف على الصراط ، إن كل هذه الأمور قد حالت دون الاحتفاظ برمز
شاخصٍ عزيز المنال من رموز الذكريات التاريخية السامية .

ولكن ابن أبي طالب الذي أراد الله تبارك وتعالى في كل شيء ، ووهب الله
كل شيء ، وابن أبي طالب الذي أحب عباد الله من الأعماق ، والذي كانت تؤرق
عينيه وتقرح قلبه الأشجان البشرية والمآزق الإنسانية ، كما كشف بدرعه الكرب
عن وجه رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » ، فقد كشف بتلك الدرع المباركة
بالذات الكرب عن وجه أعرابي محتاج ضعيف ، قد سلبته مشكلة الفقر الحادّ ما
ترأى من بقايا آثار البهجة والفرحة والبشريات ، وغلبه تجهم الأيام وسطواتها
الشداد على ساحة حركاته وسكناته ويقظته وهجوده . وأنقذ بها المضطر اللهفان

آخذاً بما قال الرسول « صلى الله عليه وآله وسلم ». كلُّ معروفٍ صدقة، والدال على الخير كفاعله، والله يحب إغاثة اللهفان^(١).

« فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »^(٢).

كِبْدُ مَشْوِيَّةٍ فِي خُبْزَةِ لَيْتَةٍ

إن أمير المؤمنين اشتهى كبداً مشويةً على خبزةٍ لينةٍ فأقام حولاً يشتهيها ثم ذكر ذلك للحسن (عليه السلام) وهو صائمٌ يومٍ من الأيام، فصنعها له، فلما أراد أن يفطر قرَّبها إليه فوقف سائلٌ بالباب، فقال: يَا بَنِيَّ احْمِلْهَا إِلَيْهِ^(٣). نَفْسٌ قُدْسِيَّةٌ طَاهِرَةٌ كَأَنَّهَا خُلِقَتْ مُصْطَفَاةً لِلطُّهْرِ وَالْقُدْسِ أَوْ خُلِقَ الطُّهْرُ وَالْقُدْسُ مِنْهَا، وَقَلْبٌ زَكِيٌّ نَقِيٌّ كَأَنَّهُ قَدْ خُلِقَ مِنْ قَلْبِ السَّمَاءِ أَوْ كَأَنَّ قَلْبَ السَّمَاءِ قَدْ خُلِقَ مِنْهُ، وَرُوحٌ إِنْسَانِيَّةٌ شَفَافَةٌ لَا أُدْرِي عَلَىٰ وَجْهِ الدَّقَّةِ وَالتَّحْدِيدِ هَلْ أَنَّهَا خُلِقَتْ لِتَسَامِيَ بِهَا الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَوْ أَنَّ سُمُوَّ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ قَدْ خُلِقَ مِنْهَا، وَخُلِقَ رَائِعُ الْجَمَالِ مَشْرِقُ الْقِسْمَاتِ بِهَيِّ الطَّلَعَةِ قَدْ مَنَحَ الْكَوَاكِبَ وَالنُّجُومَ كُلَّ تَدَفُّقَاتِ أَنْوَارِهَا وَأَضْوَائِهَا أَوْ قُلْ إِنَّ الْكَوَاكِبَ وَالنُّجُومَ قَدْ مَنَحَتْهُ كُلَّ تَدَفُّقَاتِ أَنْوَارِهِ وَأَضْوَائِهِ.

لقد اشتهى الإمام أمير المؤمنين الكبدة المشوية في خبزة لينة بعد كد طويل ومقاساة بدنية شديدة وحاجة جسمية جسيمة ما يشتهي الصائم الزاهد في الدنيا والذي طالما ظلف نفسه عن مطالبها ورغائبها وتطلعاتها، حتى إذا أذن لها ساعة

١ - نزهة الناظر / ١٦، ومن لا يحضره الفقيه، ٢ / ٥٥، وكل معروف صدقة في بهجة

المجالس لأبي عمر القرطبي، ١ / ٣٠٢. ٢ - الروم، الآية / ٣٨.

٣ - الحاج الشيخ علي نمازي الشاهرودي، مستدرک سفینه البحار، ٩ / ٤.

٢٧٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
واحدة بما لا بد منه، لم يتم لها ما أرادت وإن كان ضرورياً، فما عليها إلا أن تؤثر
بما عندها وتتقدم بما لديها، وأن تصطر على وخزات الجوع أو الحاح الاشتهاء
وأن تنتظر نعيم الجنة وحياتها الرغيدة الكريمة.

لقد اشتهى الإمام أمير المؤمنين الكبد المشوية في خبزة لينة في اليوم الذي
ليس بالقرب منه من يشتهي ذلك أو يكون ميسر الاحتياج إليه، أما وقد اقترب
من له الحاجة إليه أو من يُظن به الحاجة، فهو أولى به في اطار المفاهيم الأخلاقية
عنده، حتى وإن كان الإمام نفسه أشد حاجة إلى ذلك.

(ولو صدر هذا الإيثار من غير علي لتعجبنا، وبحثنا عن سببه، أما وقد
صدر عن الذي يرجح إيمانه على السموات السبع، والأرضين السبع، فلا عجب،
وإنما العجب أن لا يصدر منه ذلك وأمثال ذلك)^(١).

وأخيراً قد يتناول الإمام أمير المؤمنين الكبد المشوية في خبزة لينة في يوم
ما من أيام حياته المباركة بشرط أن لا يرى لأحد من الناس كبداً مشوية تستطلع
إلى طيب الزاد أو قلباً محترقاً يهفو إلى لذيذ الطعام.

تكريم رمزي

مضى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في حكومة إلى شريح القاضي^(٢)

١ - محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي / ٤١. وقال العلامة مغنية: جاء في كتاب
«الرياض النضرة» ٢ / ٣٠٠، طبعة ١٩٥٣، عن عمر بن الخطاب أنه قال: أشهد على رسول الله
لسمعته يقول: لو أن السنوات السبع والأرضين السبع وضعت في كفة، ووضع إيمان علي في
كفة لرجح إيمان علي.

٢ - شريح القاضي: أبو أمية شريح بن الحارث بن معاوية الكندي، استعمله عمر بن

مع يهودي كما يقول بعض المؤرخين، أو مع مسيحي كما يقول عدد منهم فقال: يا يهودي الدرع درعي، ولم أبع ولم أهب. فقال اليهودي: الدرع لي، وفي يدي. فسأله شريح البيهقي فقال: هذا قبر والحسين يشهدان لي بذلك. فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز لأبيه، وشهادة العبد لا تجوز لسيده، وإنهما يجزان إليك. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): وَتِلْكَ يَا شَرِيحَ أَخْطَأْتُ مِنْ وَجْوه: أما واحدة فأنا إمامك تدين الله بطاعتي وتعلم أنني لا أقول باطلاً، فرددت قولي وأبطلت دعواي، ثم سألتني البيهقي فشهد عبد، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، فرددت شهادتهما، ثم ادّعت عليهما أنهما يجزان إلى أنفسهما. أما إنني لا أرى عقوبتك إلا أن تقضي بين اليهود ثلاثة أيام، فأخرجه إلى قبا (بانتقيا) فقضى بين اليهود ثلاثاً، ثم انصرف. فلما سمع اليهودي ذلك قال: هذا أمير المؤمنين جاء إلى الحاكم والحاكم حكم عليه، فأسلم، ثم قال: الدرع درعك

الخطاب على القضاء بالكوفة فلم يزل قاضياً ستين سنة، لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير امتنع من القضاء، ثم استعفى الحجاج من العمل فأعفاه، فلزم منزله إلى أن مات، وعمر عمراً طويلاً قيل: إنه عاش مائة وثمان سنين، وقيل مائة سنة، وتوفي سنة سبع وثمانين، وكان خفيف الروح مزاحاً فقدم إليه رجلان فأقر أحدهما بما ادعى به خصمه وهو لا يعلم، فقضى عليه. فقال لشريح: من شهد عندك بهذا؟ قال: ابن أخت خالك. وقيل: إنه جاءته امرأة تبكي وتتظلم على خصمها، فما رق لها حتى قال له إنسان كان بحضرته: ألا تنظر أيها القاضي إلى بكائها! فقال: إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون. وأقر علي (عليه السلام) شريحاً على القضاء مع مخالفته له في مسائل كثيرة من الفقه المذكورة في كتب الفقهاء وسخط علي (عليه السلام) مرة عليه فطرده عن الكوفة، ولم يعزله عن القضاء وأمره بالمقام ببانتقيا، وكانت قرية قريبة من الكوفة أكثر ساكنيها اليهود، فأقام بها مدة حتى رضي عنه وأعادته إلى الكوفة. وقد طرده المختار الثقفي إلى بانتقيا شهراً كاملاً. وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب: أدرك شريح الجاهلية ولا يعد من الصحابة بل من التابعين، وكان شاعراً محسناً وكان سناطاً لا شعر في وجهه.

٢٨٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
سقطت يوم صفين من جمل أورك^(١) فأخذتها^(٢). فمنح الإمام أمير المؤمنين
الدرع للكتابي المدعى عليه.

وجاء في كتاب «المختصر في أخبار البشر» لعقاد الدين اسماعيل أبي
الفدا: وكان قد ضاع لعلي درع فوجده مع نصراني فأقبل به إلى شريح القاضي
وجلس إلى جانبه وقال: هذه درعي. فقال النصراني: ما هي إلا درعي. فقال
شريح لعلي: ألك بينة؟ فقال علي: لا، وهو يضحك. فأخذ النصراني الدرع ومشى
يسيراً ثم عاد وقال: أشهد أن هذه أحكام الأنبياء. ثم أسلم واعترف أن الدرع
سقطت من علي عند مسيره إلى صفين. ففرح علي باسلامه ووهبه الدرع وفرساً
وشهد مع علي قتال الخوارج فقتل رحمه الله تعالى^(٣).

عدلٌ وجود

لقد كانت هذه القصة البديعة ولا تزال مثاراً للإكبار والإعجاب، من قبل
المؤرخين والمفكرين والكتاب، أمير للمؤمنين وسيد للمسلمين وأعلم الناس
بالحكم والقضاء والشريعة، يجلس مع خصمه سواء بسواء عن رغبة وطواعية بين
يدي أحد القضاة الذين لم يتم تعيينهم أو نصبهم لولا إصداره شخصياً قراراً
بالنصب والتعيين! لا ريب أن القصة تستدعي الكثير من التعليق والتحليل المعبر
عن الاجلال والتثمين، ولكن الذي يهمنا منها بما يرتبط بموضوع الكتاب أن

١ - جمل أورك: أي أن لونه بياض إلى سواد، ومنه الحديث المستفيض أن رسول الله
«صلى الله عليه وآله وسلم» بعث بديل بن ورقاء الخزاعي على جمل أورك فأمره أن يتخلل
الفساطيط، وينادي في الناس أيام منى أن لا يصوموا فإنها أيام أكل وشرب.

٢ - المجلسي، بحار الأنوار ٤١ / ٥٧، و ١٠١ / ٢٩٦، وابن شهر آشوب، مناقب آل

أبي طالب ٢ / ١٠٤.

٣ - المختصر في أخبار البشر، ١ / ١٨٢.

الإمام أمير المؤمنين بعد إثباته المتين لصحة دعواه وبطلان قول المدعى عليه، وسكون القاضي إلى كلامه وحجته البليغة في نهاية المطاف، والاعتراف الصريح الذي أدان به اليهودي أو المسيحي نفسه ومدّعا مصدقاً لحجة أمير المؤمنين، قد وهبه الإمام عن كرم نفس وطيب خاطر ما كان يتنازع فيه مُضيفاً إلى ذلك فرساً؛ جزاءً وتقديراً على حسن اعترافه واخبارته للحق والعدل الإلهي، وتكريماً رمزياً متألقاً على صدق اعتناقه للدين الاسلامي الحنيف عن فهمٍ وادراكٍ وسلامةٍ تجريبيةٍ واختبار.

تَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِهِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ

قال العلامة الحلي في وصف جود أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): لا خلاف في أنه كان أسخى الناس... وتَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِهِ فِي عِدَّةِ مَرَّاتٍ، وَجَادَ بِقُوَّتِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ^(١).

يجود الأكابر والأماثل من الأسخياء والكرماء ثم يلتفتون عن أيمانهم وشمائلهم فلا يجدون في أصحابهم وندمائهم من سائر الناس ومن الرؤساء والملوك لهم شبيهاً في الجود أو نظيراً في الكرم، حتى يظنوا أنهم أسخى البشر وأكرمهم، وبالفعل يكاد ظنهم أن يصدق ويتحقق عملياً لولا أنهم قد اشرابت أعناقهم نحو السماء وامتدت أنظارهم في الآفاق العليا فإذا بهم يبصرون من لا يُعَدُّ جُودُهُمْ وإِحْسَانُهُمْ بالقياس إلى جود وإحسان أولئك بشيء ذي بال، فسألوا - سؤال التحقيق والتحري - أضواء النجوم السواطع وأنوار الكواكب الزواهر عن أولئك من هم؟ فأوحوا إليهم إيحاءً عميقاً مُعَبِّراً أن أولئك هم الذين نقتبس

٢٨٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
أضواءنا وأنوارنا ووجودنا من فيض وجودهم وجودهم، إنهم مُحَمَّدٌ وَآلُ
بَيْتِ مُحَمَّدٍ «ص».

أليس من أولئك الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب والذي قد روى الشيخ
محمد الصدوق في «الأمالى» وفي «عيون أخبار الرضا عليه السلام» باسناده
عن أبي الحسن الرضا عن آبائه (عليهم السلام) أنه قيل للحسن بن علي بن أبي
طالب (عليه السلام) لما حضرته الوفاة: وقد قاسمت ربك مالك ثلاث مرّات
حتى النعل والنعل^(١)؟. أليس من أولئك علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي
(تصدّق بجميع ماله في عدّة مرات)؟ أليس من أولئك فاطمة الزهراء بنت محمد
«صلى الله عليه وآله وسلم»؟... الخ.

ما أكثر المرّات التي تصدّق فيها ابن أبي طالب بجميع ماله قليلاً كان أو
وافراً، ومن بينها أنه كان يعمل بيده حديقة ويتصدق بها، ومن بينها الحديقة التي
ذكرناها في موضوع صاحب الضمان بمكة، والتي باعها الإمام ياشي عشر ألف
درهم وتصدّق بها جميعاً، ومن بينها الأقراص من الشعير التي أعدها ليفطر
عليها مع أسرته الصائمة ثم لم يتصدّق بجميع ماله فحسب وإنما بجميع ماله ومال
عِياله، بما أعجب ملائكة السماء، حتى أوحى الجليل تبارك وتعالى: «يُوقُونَ
بِالنُّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَيَّ حُبِّهِ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا»^(٢).

إنه لم يتصدّق علي بن أبي طالب (عليه السلام) بجميع ماله ومال عِياله
ليقال عنهم ما أجودهم وأسخاهم وأندى أكفهم، ولا ليباهوا جود الأكاير والأمائل
من الأسخياء والكرماء، بل جادوا وتصدّقوا بما أفصح الباري سبحانه عن زكاة

نواياهم في كتابه المجيد: «إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا»^(١).

الكَرْمُ الْمِثَالِيُّ الْمُتَأَلَّقُ فِي سَمَاءِ السَّمَاءِ

قال العلامة الحلبي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): لا خلاف في أنه كان أسخى الناس... وكان يعمل بيده حديقةً ويتصدق بها^(٢).

١ - الحديقة من الرياض ما أحدق بها حاجز أو أرض مرتفعة قال عنترة:
فتركن كلَّ حديقةٍ كالدرهم. يعني في بياضه واستدارته^(٣). وفي «لسان العرب»:
كلُّ بستان كان عليه حائط فهو حديقة، وما لم يكن عليه حائط لم يقل له حديقة.

٢ - يبدو أن هذه الحديقة التي يعمل الإمام أمير المؤمنين بيده فيها ويتصدق بها مغايرة لتلك الحديقة التي ذكرناها في موضوع صاحب الضمان بمكة، والتي باعها الإمام يائتي عشر ألف درهم وتصدق بها جميعاً، إذ أن هذه لم يبعها لأحد بل كان يعمل بها ويحصد منتوجاتها لصالح الآخرين.

٣ - إذا كانت هذه الأرض الزراعية مما تصبُّ ثمراتها وعائداتها لصالح الآخرين فلماذا تُحاط بحاجز أو نحوه، فهلا تُترك بدون حاجز حتى يقبل على منافعها الناس متى أرادوا وكيف شاءوا؟ الحقيقة أن الإمام أمير المؤمنين أراد

١ - الانسان أو الدهر، الآية / ٩ - ١٢.

٢ - العلامة الحسن بن يوسف الحلبي، نهج الحق وكشف الصدق / ٢٤٦.

٣ - علي ما ورد في كتاب «العين» للفراهيدي.

٢٨٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
خصوص منتوجات هذه الحديقة ليتصدق بها والصدقة تعني أنه جعلها للفقراء
والمساكين والسائلين والمحرومين وأمثالهم، وليست عامة لكل الناس بما فيهم
من أغنياء ومترفين ومتخمين، إذ أن الإمام أمير المؤمنين قد جعل نفقاته على
قسمين قسم عام لسائر الناس، وقسم لخصوص الذين أشرنا اليهم من الفقراء
والمساكين والسائلين والمحرومين وأمثالهم، والحديقة مبذولة للقسم الأخير
دون سواه، فإذا لم يحطها الإمام بسورٍ ونحوه فقد عرّضها لكل ذاهب وآيب
وصادر ووارد بما في ذلك بعض الأثرياء والأغنياء، وبالطبع يكون ذلك على
حساب الطبقة الاجتماعية المسحوقة، بل إن من الناس من لا يدع الثمرات
وشأنها حتى تنمو وتنضج وإنما يقتطفها قبل أوانها، كما أن من المحتمل أن الإمام
قد ورث الحديقة أو اشتراها أو مُنحت له وهي بهذا الصورة.

٤ - لم يعمل الإمام في رعاية أرضه الزراعية ولم يتعهد ثمرات الحديقة
ليتصدق بقسط كبير منها، أو ليتحف المحتاجين والمسحوقين بحصّة الأسد،
وإنما جعل المحاصيل الطيبة كلها لهم دون غيرهم. وهذا ما توحى به عبارة
العلامة الحلي: وكان يعمل بيده حديقةً ويتصدق بها. وما يصنعه الإمام ليس كرمًا
رفيع المستوى لا غير، بل هو الكرم المثلّي المتألق في سماء السماء بما
يُضفي على القيم الإنسانية طابعاً تروبوياً وزوجياً جديداً يسمو بها إلى الآفاق
العليا من الحركة التاريخية الصاعدة.

٥ - يتعاهد الناس حدائقهم بالحرث والسقي والتنمية ثم ينتظرون زمان
الاقطف آملين ما سيحصلون عليه من الانتاج الزراعي والأثمار اليانعة بما
أجهدوا فيه النفوس وبما أسهروا لأجله العيون، لينتفعوا بذلك شخصياً ويرتفع
رصيدهم من الأموال حتى وإن كان مرتفعاً في الأساس، ويتعاهد ابن أبي طالب
حديقته بالحرث والسقي والتنمية ثم ينتظر زمان الاقطف آملاً ما سيحصل

عليه الفقراء والضعفاء من الانتاج الزراعي والأثمار اليانعة بما أجهد فيه النفس
وبما أسهر لأجله العينين. لقد أرهق ابن أبي طالب يديه القويتين والمفتولتين في
سبيل الأيدي الضعيفة والهزيلة، وبذل شتى طاقاته المتنامية والفائقة في سبيل
الطاقات الواهنة والمتآكلة. وقد يكون من الصواب أن نعلق على هذا الموضوع
بالكلمات التالية:

— مَا أَقْرَبَ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، مِمَّنْ أَعَانَ فِي الْمِحْنَةِ.

— مَا أَبْعَدَ عَذَابِ النَّارِ، عَنِ السَّالِكِينَ دَرْبَ الْإِثَارِ.

— آيَةُ الْإِثَارِ أَنْ تَجُوعَ بَطْنٌ فِي سَبِيلِ بَطُونِ،

— وَمَنَارُ الْإِحْسَانِ أَنْ تَسْهَرَ عَيْنٌ مِنْ أَجْلِ عُيُونِ.

مديح أبي أسماء العبدى

امتدح أبو أسماء العبدى علياً بصفين فقال:

وَجَدْنَا عَلِيًّا إِنْ بَلَوْنَا فَعَالَهُ

صَبِيراً عَلَى الْأَوَاءِ صُلْبَ الْمَكَاسِرِ

هُوَ اللَّيْثُ إِنْ حَارَبْتَهُ وَنَسَبْتَهُ

مَشَى حَاسِراً لِلْمَوْتِ أَوْ غَيْرِ حَاسِرٍ

إِذَا هَلَلَ الْحَبِيرَ الْجَبَانَ وَارْعَدَتْ

يَدَاہُ مَشَى قَدَمًا بِأَبْيَضٍ بَاتِرٍ

يـجـود بـنـفس لـلمـنـايـا كـرـيـمـة

عـلـيـنا إذا ما جـاد كل مـغـاورٍ

يـسـزـينه فـي النـاس حـسن فـعـالـه

وإقـدامـه فـي الجـحـفل المـتـواتـرٍ

إذا حـضـر الـهـيـجـا عـلـيُّ تـصـاغـرت

نـفـوس رـجـالٍ فـوق بـيـض البـواتـرٍ

بـصـول عـلـيُّ حـين تـشـتـجـر القـنـا

ويـضـرب رـأس الأـشـسـوس المـتـخـازـرٍ

قلما أنشدتها أبو أسماء قال: رحمك الله يا أبا أسماء وأسمعك خيراً، إني وإن أكن كذلك، فأنتك من قومٍ أهل حُبٍّ ووفاء. ووهب له مملوكاً كان لعلي (١).

تحليلٌ وتعليلٌ

قد يقال: ما قيمة مملوك يهبه الممدوح وهو من الرؤساء الكبار بل سيدهم وأميرهم إلى شاعر قد أحسن في شعره، فإن الرؤساء والخلفاء يهبون في مثل هذه المواقع الكثير من الممالك، أو ما يعادلهم من الأموال الطائلة والهدايا الفاخرة؟

الجواب: إن ثم أكثر من فارق جوهرى ما بين هذه الواقعة وأمثالها مما مدح به إمام المتقين والأولياء علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وما مدح غيره من الخلفاء والرؤساء والأمراء، وذلك بالنظر الدقيق المنصف إلى الأمور التالية:

أولاً - إن أولئك يهبون من أموال الدولة وحقوق المواطنين لا من أموالهم الخاصة؛ فيجودون بأموال الناس كما يشاؤون، حتى لقد اشتهر بين الناس المثل

القائل: وهب الأمير بما لا يملك. وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد وهب للشاعر المذكور من أمواله الشخصية التي يفرقها دائماً على الفقراء والمحتاجين وغيرهم. وعبارة هذا الخبر واضحة في ذلك (وهب له مملوكاً كان لعلي).

ثانياً - تختلف أسعار المماليك اختلافاً كبيراً، فربّ مملوكٍ يقيّم بثلاثين، وربّ مملوكٍ يقيّم بمائة مملوكٍ من المماليك. ومملوكٌ عَلِيٌّ له امتيازُه الخاص إذ أنه يغذيه من فنون العلم والأدب والمعرفة، ويلقنه دروساً عالية من التربية والتوجيه الصحيح. وفي تاريخ العلوم والفلسفة نجد طائفة من أعلام الفلسفة والعلم أحرار النفوس والعقول إلا أنهم عبيد بأيدي الناس وذلك مثل لافن (لاقن) الذي لما بيع سأله المشتري: أي شيء تعلم؟ قال: أعلم أنني حُر. ومثل انقطيوس عبد الفيلسوف اليوناني سقراط. وكان وردان مملوك عمرو بن العاص حادّ الذكاء سريع البديهة حاضر الجواب داهية حتى قيل أنه أدهى من سيده، وكان فارساً مغواراً.

إذاً ما أغلَى مملوك ابن أبي طالب وأبهظّ ثمنه. ولنضرب مثلاً تاريخياً جميلاً على ارتفاع ثمن العبد وغلاء قيمته إذا تلقى العلم وفسح له المجال في استسقاء المعرفة، وقد رأينا المثال في الطبقات الكبرى في ترجمة عكرمة، وكان عكرمة البربري قد أخذ علماً غزيراً ومعرفة جمّة عن سيده عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)، قال ابن سعد مؤلف الطبقات: أخبرنا عامر بن سعيد أبو حفص قال: حدثنا هشام بن يوسف قاضي أهل صنعاء، عن محمد بن راشد قال: مات ابن عباس وعكرمة عبد، فاشتراه خالد بن يزيد بن معاوية من علي بن عبد الله بن عباس بأربعة آلاف دينار، فبلغ عكرمة فأتى علياً فقال: بعثني بأربعة آلاف دينار! قال: نعم. قال: أما إنه ما خير لك، بعث علم أبك بأربعة آلاف دينار! فراح عليّ إلى خالد فاستقاله فأقاله، فأعتقه^(١).

٢٨٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

ولست أشك بعدم المبالغة أبداً إذا ما قلت صراحةً وجهاراً: إن ممالك الإمام علي بن أبي طالب أغلى وأثمن من أكثر الملوك والأسياذ والأمراء.

ثالثاً - ما أكثر الخلفاء والملوك والرؤساء الذين ينفقون أغلى الأثمان في استجلاب المديح الكاذب والثناء الباطل أو المصحق في بعض الأحيان، وإمام المتقين علي بن أبي طالب لا يحتاج إلى مثل ذلك، وقد أغناه الله تبارك وتعالى ورسوله بأفضل المدح وأجوده وأتقن الإشادة وأسدّها، في آيات قرآنية كثيرة شهيرة عند مفسري القرآن الكريم في كل العصور، وفي أحاديث نبوية وافرة جداً ماثلة وشاخصة تلقاء وجوه من يكثرون من سبر الأحاديث الشريفة ومدارستها ومطالعتها من أجل الاستقاء من نعيمها العذب الرقراق.

مديح كعب بن زهير

مدح الشاعر الكبير المخضرم كعب بن زهير علياً فأعطاه دراهم كثيرة، وكساه، ووهب له فرساً؛ فقال كعب «رض»:

إن علياً لميمونٌ نقيتهُ

بالصالحات من الأنفال محبوبٌ^(١)

صهر النبي وخير الناس كلهم

فكل من رامه بالفخر مفخورٌ

صلى الصلاة مع الأمي أولهم

قبل العباد ورب الناس مكفورٌ^(٢)

١ - وردت لفظة مشهور بدل محبوب في ديوان كعب بن زهير، وكذا في الاستيعاب لأبي

٢ - المصدر ذاته، ٢ / ٨٦.

عمر القرطبي.

يظهر من هذا الخبر أن لكعب بن زهير بن أبي سلمى مديحين في حق الامام علي (عليه السلام): أحدهما الذي أعطاه إكراماً له مالاً، وكساه، ووهب له فرساً، والثاني هو الشعر الذي تقدم ذكره. وهذا الشعر من قصيدة رائعة من الشعر الاسلامي لكعب، من جملتها:

هل حبل رملة قبل البين مبتور
أم أنت بالحلم بعد الجهل معذور

ما يجمع الشوق إن دار بنا شحطت
ومثلها في تداني الدار مهجور

ما أنس لا أنسها والدمع منسرب
كأنه لؤلؤ في الخد محدود

هل تُبَلِّغني عليّ الخير ذعلبة
حرفاً تزلزل عن أصلابه الكور

وقال كعب بعد الأبيات الأولى التي ذكرناها:

مقاومٌ لطغاة الشرك يضربهم
حتى استقاموا ودين الله منصور

جاء في ديوان كعب بن زهير رواية أبي سعيد السكري، قال كعب يمدح أمير المؤمنين علياً - وكانت بنو أمية تنهى عن روايتها وإضافتها إلى شعره - (ديوان كعب بن زهير ص ١٨٣، طبعة دار الفكر للجميع، بيروت / ١٩٦٨).

كما جاء في كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب^(١). لمحمد بن المبارك بن

٢٩٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
ميمون البغدادي في القصيدة الخامسة من أشعار كعب بن زهير: كانت بنو أمية
تنهى عن روايتها وإضافتها إلى شعره، أنشدنيها ابن خطاب، وذكر القصيدة .

مما يؤسف له أن محمد بن سليمان الكوفي وغيره ذكر بعد الأبيات التي نقلنا
عنه أبياتاً أخرى، من غير المناسب أدبياً وفنياً أن تنسب إلى شاعر عملاق
متمرس مثل كعب بن زهير، بل نعتقد أنها من إضافة بعض الرواة الذين ما طفق
شأنهم وديدهم أن يضيفوا إلى كثيرٍ من النصوص الرائعة الرائقة أشياء وأشياء من
حقائب عندياتهم وأقاويلهم، «لَيْشْتَرُوا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ
وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ»^(١).

ولسنا نوجه سهام التهمة صوب محمد بن سليمان القاضي الكوفي الرجل
المعتمد الرشيد، بل إلى من تعمد اختلاق بعض الأبيات الشعرية، وأضافها إلى
رائعة كعب بن زهير (رض).

« لا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ
النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً »^(٢).

الكريم يعيش للآخرين لا لنفسه

محمد بن سليمان القاضي الكوفي بإسناده عن عبد الله بن محمد بن الحنفية

البغدادي من أعلام أدباء القرن السادس الهجري، وقد جمع في كتابه أكثر من ألف قصيدة من
روائع الشعر الفاخر الجميل، مع العلم أن كثيراً من القصائد غير موجودة في مصادر أخرى حتى
الدواوين المنشورة لأصحابها ويكون المؤلف رضوان الله عليه قد أسدى بذلك للأجيال نعمة
كبيرة من تراث عبقرية زاهر.

١ - البقرة، الآية / ٧٩.

٢ - النساء، الآية / ١١٤.

عن أبيه قال: كان أبي (رضي الله عنه) إذا جاءت غلته من ضياعه أخذ قوته لنفسه وقوت عياله وأمهات أولاده وأعطى الحسن والحسين قوتهما، وأعطاني قوتي، وأعطى من بلغ من ولده، وأعطى عقيل وولده، وولد جعفر، وأم هانيء وولدها، وأعطى جميع ولد عبد المطلب من كان منهم يحتاج إلى أن يعطيه، وإلى سائر بني هاشم، وإلى ولد المطلب بن عبد مناف وولد نوفل بن عبد مناف، وإلى جماعة من قريش من كان منهم يحتاج إلى الصلة، وإلى أهل بيوت من الأنصار وغيرهم، حتى لا يبقى منه شيئاً. رضوان الله عليه ومغفرته، ولم يسأله أحد شيئاً فرده إلا بما يرضيه^(١).

الأندَر في الكرام

إن توزيع الثروة الشخصية على أولي الأرحام المناوئين والمحبين بهذا التوزيع المثالي البارع لما لا ينهض به من الكرماء والأجواد إلا القليلون. (وأعطى جميع ولد عبد المطلب من كان منهم يحتاج إلى أن يعطيه، وإلى سائر بني هاشم، وإلى ولد المطلب بن عبد مناف).

وأما أن تكون الصلة المالية لولد نوفل بن عبد مناف، وهم أعداء الهاشميين في الجاهلية والاسلام، وحلفاء الأمويين في الجاهلية والاسلام، فهذا مما لا ينهض به من الكرماء والأجواد إلا الأقل والأندر. مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْأَنْدَرَ فِي الْكِرَامِ، فَلْيَصِلِ الْمَنَاوِينَ مِنْ أَوْلِي الْأَرْحَامِ.

الاکرامُ بما يُرضي

هل مُعْتَفٍ سَأَلَ الْإِمَامَ عَطِيَّةً

إِلَّا وَأَكْرَمَهُ بِمَا يُرْضِيهِ

٢٩٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

طبيع عليه ماضي حبيب محمد

وبذاك أوصى رهطه وذويه

والجود ما ورث الفتى عن آله

حسناً وأورث صـحبه وبنيه

الطيب حاد وابن آدم ركب

فليعرف الإنسان من حاديه

من يرتج كرم الإله وفضله

فليبرد الأنفاس من راجيه

« وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ
وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۗ وَيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا
عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا »^(١).

صَدَقَةُ السَّرِّ

وبالإسناد المتقدم عن عبد الله بن محمد بن الحنفية عن أبيه كان (علي بي
أبي طالب) يدعو قنبراً بالليل فيحمل دقيماً وتمراً فيمضي به إلى أبيات قد عرفها،
فيصلهم ولا يطلع عليه أحد. فقال محمد: يا أبة ما يمنعك أن تدفعه اليهم نهاراً؟

فقال: يا بني إن صدقة السرّ تطفىء غضب الرب عز وجل.

إذا ما كان الإنسان مخلصاً زكياً صادق التعامل مع الله وبعيداً عن رثاء

الناس، فإن صدقاته مقبولة مرضية سواء دفعها سرًا أم علنا، فلكل حال منهما مبرراته ومسوغاته المشروعة، ولكل واحدة من الصدقتين امتيازها الخاص، فصدقة السرّ تطفأ غضب الربّ تبارك وتعالى، وصدقة العلانية تدفع ميتة السوء، ومصارع الهوان، وقد تظافرت الروايات حول ذلك، كما صحّح القرآن الحكيم أصل الإنفاق سرًا وعلناً حيث يقول تبارك وتعالى: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا* فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا* وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا^(١). وفي آية أخرى «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.»^(٢).

بيد أنه - بصورة عامة - صدقة السرّ أفضل الصدقتين، وقد روى أبو بكر البيهقي بإسناده عن أبي هريرة عن النبي «ص»: «سَبْعَةٌ يَظْلُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ»^(٣). كما روى أبو بكر البيهقي بإسناده عن أنس بن مالك عنه «ص»: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدًا، فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ، فَعَجِبَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ فَقَالَتْ: يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدَّ مِنَ الْجِبَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ الْحَدِيدُ.»

قالت: يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد؟

قال: نعم النار.

قالت: يارب هل من خلقك شيء أشد من النار؟

قال: نعم الماء.

قالت: يارب هل من خلقك شيء أشد من الماء؟

١ - الانسان أو الدهر، الآية / ٩ - ١٢.

٣ - شعب الأيمان الحديث (٣٤٣٩)

٢ - البقرة / الآية / ٢٧٤.

قال : نعم الريح .

قالت يا رب هل من خلقك شيء أشد من الريح ؟

قال : نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله^(١) .

والحكمة في كون صدقة السر أفضل الصدقتين لما تتضمنه من مزيد إخلاص النيّة والتقرب إلى الله تعالى ، ولما فيها من رعاية وافية لاحتفاظ المعطى بماء وجهه وكرامته ، وقد يخفى عليه الذي أعطاه ، كما في أكثر صدقات الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) الذي طالما كان يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره وفيه الصرر من الدراهم والدنانير ، وربّما حمل على ظهره الطعام أو الحطب حتى يأتي باباً باباً فيقرع ثم يناول من يخرج إليه ، وكان يغطي وجهه اذا ناول فقيراً لئلا يعرفه ، فلمّا توفي فقدوا ذلك فعلموا أنّه كان علي بن الحسين .

ولمّا كانت الصدقة في اصطلاح الأحاديث والأخبار تطلق على معنيين : الأول الصدقة الواجبة كالزكاة ، والثاني الصدقة المستحبة كالتي تعطى إلى السائل مثلاً . اذاً فما هو المراد من الصدقتين السريّة والعلنيّة ؟

قد يكون المراد من الأولى الصدقة المستحبة ، ومن الثانية الصدقة الواجبة ، وقد يكون المراد من الصدقة السريّة والعلنيّة معاً ما يخص المستحبة دون سواها ، وهو الأرجح . ولننقل بعون الله جملة من الأحاديث عن صدقة السرّ (وما أدراك ما صدقة السرّ) :

١ - روى الإمامان الهمامان محمد الباقر وجعفر الصادق (عليهما السلام) أن رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » قال : صدقة السرّ تطفأ غضب الرب .

٢- عن عمار الساباطي: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) يا عمار الصدقة والله في السر أفضل من الصدقة في العلانية.

٣- عن الباقر (عليه السلام) البر وصدقة السر ينفيان الفقر.

٤- الفضل بن الحسن الطبرسي في مجمع البيان قال: وقال (عليه السلام): صدقة السر تطفي غضب الرب وتطفي الخطيئة كما يطفى الماء النار، وتدفع سبعين باباً من البلاء.

«قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»^(١).

توزيع الذهب والفضة

روي أنه وفد وفد من بلاد الروم إلى المدينة على عهد أبي بكر وفيهم راهب من رهبان النصرى فأتى مسجد رسول الله «ص» ومعه بختي موقر ذهباً وفضةً وكان أبو بكر حاضراً وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار فدخل عليهم وحياهم ورحب بهم وتصفح وجوههم ثم قال: أيكم خليفة رسول الله نبيكم وأمين دينكم؟

فأوماً إلى أبي بكر. فأقبل عليه بوجهه ثم قال: أيها الشيخ ما اسمك؟ قال: اسمي عتيق. قال: ثم ما ذا قال؟ صديق. قال: ثم ما ذا قال: ما أعرف لنفسي اسماً

٢٩٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

غيره . قال : لست بصاحبي . فقال له : وما حاجتك ؟ قال : أنا من بلاد الروم جئت منها ببختي موقراً ذهباً وفضةً لأسأل أمين هذه الأمة عن مسألة إن أجابني عنها أسلمت وبما أمرني أطعت وهذا المال بينكم فرفت وإن عجز عنها رجعت إلى الوراء بما معي ولم أسلم . فقال له أبو بكر : سل عما بدا لك . فقال الراهب : والله لا أفتح الكلام ما لم تؤمني من سطوتك وسطوة أصحابك .

فقال أبو بكر : أنت آمن وليس عليك بأس قل ما شئت .

فقال الراهب : أخبرني عن شيء ليس لله ، ولا من عند الله ، ولا يعلمه الله . فارتعش أبو بكر ولم يحجر جواباً ، فلما كان بعد هنيئة قال لبعض أصحابه : انتني بأبي حفص .

فجاء به فجلس عنده ثم قال : أيها الراهب اسأله . فأقبل الراهب بوجهه إلى عمر وقال له مثل ما قال لأبي بكر . فلم يحجر جواباً . فنهض الراهب ليخرج فقال أبو بكر : يا عدو الله لولا العهد لخضبت الأرض بدمك .

فقام سلمان الفارسي (رضي الله عنه) وأتى علي بن أبي طالب وهو جالس في صحن داره مع الحسن والحسين فقص عليه القصة . فقام علي (عليه السلام) فخرج ومعه الحسن والحسين (عليهما السلام) حتى أتى المسجد فلما رأى القوم علياً (عليه السلام) كبروا الله وحمدوا الله وقاموا إليه بأجمعهم .

فدخل علي (عليه السلام) وجلس فقال أبو بكر : أيها الراهب سائله فإنه صاحبك وبغيتك . فأقبل الراهب بوجهه إلى علي ثم قال : يا فتى ما اسمك ؟ فقال : اسمي عند اليهود إلبا وعند النصارى إيليا وعند والدي علي وعند أمي حيدرة . فقال : ما محلك من نبيكم ؟ قال : أخي وصهري وابن عمي .

قال الراهب : أنت صاحبي ورب عيسى أخبرني عن شيء ليس لله ، ولا من

عند الله ، ولا يعلمه الله ؟ قال علي (ع) : علي الخبير سقطت ، أما قولك ما ليس لله فإن الله تعالى أحد ليس له صاحبة ولا ولد ، وأما قولك ولا من عند الله فليس من عند الله ظلم لأحد ، وأما قولك لا يعلمه الله لا يعلم له شريكاً في الملك .

فقام الراهب وقطع زناره وأخذ رأسه وقيل ما بين عينيه وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأشهد أنك الخليفة وأمين هذه الأمة ومعدن الدين والحكمة ومنبع عين الحجة . لقد قرأت اسمك في التوراة إيليا وفي الإنجيل إيليا وفي الكتب السالفة حيدرة ووجدتك بعد النبي «ص» وصيا وللإمارة وليا وأنت أحق بهذا المجلس من غيرك ؛ فأخبرني ما شأنك وشأن القوم فأجابه بشيء فقام الراهب وسلم المال إليه بأجمعه . فما برح علي (ع) من مكانه حتى فرقه في مساكين أهل المدينة ومحاوليهم . وانصرف الراهب إلى قومه مسلماً^(١) .

رِضَا اللَّهِ أَفْضَلُ اكْتِسَابِ

١ - كأن ما ذكر من القصة هنا مختصر من قصة أطول وفيها مسائل أكثر قد تعرضت لها بعض المصادر من قبيل رسالة مخطوطة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق ينسب تأليفها إلى محمد بن اسحاق ، طبعت بعنوان ألف راهب وراهب وقصتهم مع الإمام علي بن أبي طالب . ومن جملتها السؤال عن الأربعة عشر الذين كلموا الله عز وجل ، وعن شيء قليله حلال وكثيره حرام ، وكم بين السماء والأرض ، وكم بين المشرق والمغرب .

٢ - بختي موقر ذهباً وفضة جائزة سنوية هنيئة لمن يجيب عن الأسئلة المحرجة إجابة صحيحة واضحة وافية . إنه لشيء عجيب عظيم الثمن يغري الصادر والوارد ، ولكن من ذا الذي تصدر منه الأجوبة السديدة في هذا الأمر

٢٩٨..... فلسفة الجرد والإينار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وأمثاله إلا ابن بجدتها وبحر معارفها ومن خصه الله سبحانه بعلوم الدين والدنيا حتى قال فيه الرسول الأمين «ص»: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

٣ - لم يغتر إمام الأئمة بهذه الأموال ولم تكن الدافع الحقيقي للأجوبة فلم يتأكد من المعدّ لها عن صحة ما يقول وصدق ما يدّعي. إذ يري (سلام الله عليه) جائزته الحقيقية في الانتصار للحق وإسلام الراهب الكبير. فما أسعد الإمام وأثلج قلبه وهو ينظر إلى الانتصار بأم عينيه ويعاين الراهب وقد شهد الشهادتين وانصاع للدين السماوي الجديد.

٤ - ما ذا يصنع العباقرة والنوابغ وهم يحصلون على جائزة باهضة الثمن؟ لا ريب أنهم جميعاً - إلا المستثنى منهم - يجعلونها وسيلة إلى الأمجاد الشخصية وباباً وسيعاً يطلون منه على العيش الرغيد والحياة المادية الناعمة بأبهج صورها وأمتع ألوانها الزاهية وأشكالها الجميلة الطروب. ولكن ابن أبي طالب جعلها معبراً حدودياً خاصاً إلى المساكين والمحاويج ليرفع من المستوى المعيشي لهم ويحلّ كثيراً من المشاكل المادية، ولم يجعل لنفسه وعياله منها نصيباً أبداً، بل جعل لنفسه النصيب كل النصيب في اكتساب رضا الله واكتساء حلة عفوه ورحمته. فيأله من نصيب عظيم لا يُجاري وخط كبير لا يُبارى! ويحقّ أقول: رضا الله أفضل اكتساب، وحلة عفوه أجمل اكتساء.

الكَرَمُ تَوْفِيقٌ فِي الدُّنْيَا وَنَجَاحٌ فِي الآخِرَةِ

رُوي عن مقاتل، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس (رض) أنه قال: إن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» أعطى علياً يوماً ثلاثمائة دينار أُهديت إليه، قال علي: فأخذتها وقلت: والله لأتصدقن الليلة من هذه الدنانير صدقة يقبلها الله مني، فلما صليت العشاء الآخرة مع رسول الله «ص»، أخذت مائة دينار

وخرجت من المسجد، فاستقبلتني امرأة، فأعطيتها الدنانير، فأصبح الناس بالغد يقولون: تصدَّق عليَّ الليلة بمائة دينار عليَّ امرأة فاجرة.

فاغتممت غمًّا شديداً، فلما صلَّيت القابلة صلاة العتمة، أخذت مائة دينار وخرجت من المسجد وقلت: والله لأتصدَّقنَّ الليلة بصدقة يقبلها ربي مني، فلقيت رجلاً، فتصدَّقت عليه بالدنانير، فأصبح أهل المدينة يقولون: تصدَّق عليَّ البارحة بمائة دينار عليَّ رجل سارق.

فاغتممت غمًّا شديداً، وقلت: والله لأتصدقن الليلة صدقة يقبلها الله مني، فصلَّيت العشاء الآخرة مع رسول الله «ص»، ثم خرجت من المسجد، ومعني مائة دينار، فلقيت رجلاً فأعطيته إياها، فلما أصبحت قال أهل المدينة: تصدق عليَّ البارحة بمائة دينار عليَّ رجل غني.

فاغتممت غمًّا شديداً، فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فخبرتة، فقال لي: يا علي هذا جبرئيل يقول لك: الله عزَّ وجلَّ قد قبل صدقاتك، وزكَّى عملك، إن المائة دينار التي تصدقت بها أول ليلة، وقعت في يدي امرأة فاسدة، فرجعت إلى منزلها وتابت إلى الله عز وجل من الفساد، وجعلت تلك الدنانير رأس مالها، وهي في طلب بعلٍ تتزوج به، وإن الصدقة الثانية وقعت في يدي سارق فرجع إلى منزله وتاب إلى الله من سرقة، وجعل الدنانير رأس ماله يتجر بها، وإن الصدقة الثالثة وقعت في يدي رجل غني، لم يزل ماله منذ سنين، فرجع إلى منزله ووبَّخ نفسه، وقال: شحاً عليك يا نفس، هذا علي بن أبي طالب تصدق عليَّ بمائة دينار، ولا مال له، وأنا فقد أوجب الله عليَّ مالي الزكاة، لأعوام كثيرة لم أركه. فحسب ماله وزكاه، وأخرج زكاة ماله، كذا وكذا ديناراً^(١)(٢).

علة العلة Cause of causes وسبيل الرشاد

امرأة فاسدة جنسياً ، وآخر ممارس للسرقة مستحل للمال الحرام ، وثالث من الرجال الأغنياء لم يترك ماله منذ سنين ، هؤلاء كلهم استقاموا على الطريقة ، وتوجهوا إلى الله سبحانه بنيات خالصة ، بسبب كرم وإحسان من لم يكن يعلم في البداية أن كرمه وإحسانه إليهم سيؤدي إلى إرشادهم وإصلاحهم ، وإن كان يعلم منذ البداية أن كرمه وإحسانه إليهم سيقربه إلى العزيز الحميد . ولكن علة العلة Cause of causes سبحانه وتعالى الذي مكّن الإمام علي بن أبي طالب من المال عن طريق الهدية الثمينة التي قدّمها النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » له ، هو تعالى الذي رزق علياً التوفيق الكبير إلى التصديق به جميعاً ، وهو سبحانه الذي جعل الإحسان العلوي المبارك علة في الاستقامة والهداية ، وسبباً متيناً إلى سبيل الرشاد . فسبحان الله ! ثم سبحان الله ! ما أكثر توفيق هذا العبد الصالح الشكور ، وما أعظم تسديد الله له وأسنى بركته ، من لدن كان جنيناً ، حتى لقي الربّ الأعلى في محراب الشهادة والعبادة .

« إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لِيُوجِبَ اللَّهُ لَكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا

والمجلسي ، بحار الأنوار ٤١ / ٣٨ ٣٩ ، وعيدروس بن أحمد السقاف الاندونيسي ، المقتطفات ١٧١ / ٢ - ١٧٢ . وقد ذكر كل من البخاري ومسلم قصة هذه الصدقة ، من دون أن يذكر اسم المتصدق وقد عبرا عنه بلفظ قال رجل . صحيح البخاري كتاب الزكاة ، باب اذا تصدق علي غني وهو لا يعلم ٢ / ١١٥ ، وصحيح مسلم كتاب الزكاة ، باب ثبوت أجر المتصدق الرقم / ١٠٢٢ . ٢ - يروى عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) : أنه في صنع الإمام أمير المؤمنين من التصدق بثلاثمائة درهم بالصورة المذكورة في المتن نزل قوله تبارك وتعالى : رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ . النور الآية / ٣٧ .

يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا *
وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا»^(١). «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»^(٢).

الإيثار أعظم السخاء وأعظم العبادة

قال المؤرخ العباسي عز الدين بن أبي الحديد المعتزلي: جاء في الأثر: أن
علياً (عليه السلام) عمل ليهودي في سقي نخل له في حياة رسول الله «ص»،
بمُدٍّ من شعير، فخبزه قرصاً، فلما همَّ أن يفطر عليه، أتاه سائل يستطعم، فدفعه
إليه وبات طاوياً، وتاجر الله تعالى بتلك الصدقة؛ فعَدَّ الناس هذه الفعلة من أعظم
السخاء، وعدَّوها أيضاً من أعظم العبادة.

وقال بعض شعراء الشيعة يذكر إعادة الشمس عليه، وأحسن فيما قال:

جَادَ بِالْقَرِصِ وَالطَّوْنِ مَلءَ جَنِيهِ وَعَافَ الطَّعَامَ وَهُوَ سَغُوبٌ

فَأَعَادَ الْقَرِصَ الْمَنِيرَ عَلَيْهِ الْقَرِصُ وَالْمَقْرَضُ الْكَرَامَ كَسُوبٌ^(٣)

إنها لواحدة من القصص المعهودة لابن أبي طالب في القيم الانسانية البناءة
والتضحية والايثار، وهي غير تلك القصة التي يذكرها القرآن الكريم في سورة
الدهر، إذ أن تلك قد جرت له مع ثلاثة هم المسكين واليتيم والأسير، أما هذه فلم
يكن الطرف المقابل فيها غير سائلٍ واحد، كما أن الصديقة فاطمة والحسن

١ - الانسان أو الدهر، الآية / ٩ - ١٢.

٢ - النور، الآية / ٥٦.

٣ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٩ / ١٠١.

٣٠٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
والحسين (ع) كانوا شركاءه في القصة الأولى، أما هذه فقد تفرّد بها ابن أبي طالب
وطار وحده بعنانها.

عطاء لم يتجاوز القرص الواحد من خبز الشعير، ولكنه عطاء من لم يمتلك
غيره، ولم يحتج إلا إليه، فإن هذا العبد الصالح الذي قطع النهار طاوياً جائعاً
منتظراً وقت الافطار، قد عزفت نفسه عن الطعام - وقد يكون أحوج إليه من
السائل - وأنتى يخطر على باله أو يمرّ بخلده أن يتناوله وقدّامه من يطلبه ويرغب
إليه، ومن أين تسمح له نفسه الكريمة أن يمدّ يده إليه، وبالقرب منه يد تمتدّ تسأله
وتسمنحه؟ فقال لبيده: حَظُّكَ الإِطْعَامِ وفيه سرورُك ولذَّتُك، وقال لبيدِ السائل:
حَظُّكَ الطَّعَامِ وفيه سرورُك ولذَّتُك، فما زال شعاري المتميّز الذي أرفعه في كل
حين: (لذّة الكرام في الإطعام، ولذّة اللثام في الطّعام^(١)).

لقد عدّ الناس هذه الفعلة من أعظم السخاء، ومن الحقّ وسداد التفكير أن
يعدّوها كذلك، فإذا كانت المنحة التي لا تزيد عن نصف الملكية أو ربعها تُعدّ من
مراتب السخاء، فإن منح كل ما في اليد وتحمل مشقة الجوع إلى الغد في سبيل
الطرف الآخر لمن أعظم السخاء. وسوف يأتي عن الإمام علي القول: (الإيثار
أشرف الكرم) (الإيثار أعلى مراتب الكرم وأفضل الشيم).

ولقد عدّ الناس هذه الفعلة أيضاً من أعظم العبادة، ومن الحقّ وسداد التفكير
أن يعدّوها كذلك، ومن ينكر إذا ما تدبّر وتأمل أن الإيثار جهاد والجهاد عبادة،
وأن الإيثار تثبّت واصطبار والتثبّت والاصطبار عبادة، بل من ينكر أن (الإيثار
أفضل عبادة، وأجل سيادة) كما يقول الامام علي (عليه السلام) أو أن (الإيثار
أحسن الإحسان وأعلى مراتب الإيمان).

لقد كان الامام علي (عليه السلام) عظيم التقرب الى الله تعالى بالعبادات الواحبة وبالنوافل الكثيرة جداً، فما أبهى وأجَلَّ عبادة من يصلي لله سبحانه في اليوم واللييلة مئات الركعات! وما أبهى وأجَلَّ عبادة من يكثر من الصيام المندوب في وَقْدان الحرِّ وشِدَّة الصيف! مع كلِّ هذا فقد أبى إلا أن يضمَّ الى هذا اللون من العبادات، عباداتٍ أخرى متعدّدة من أهمها وأروعها التقرب الى الله تبارك وتعالى بالجود غاية الجود وبالإيثار غاية الإيثار، فهيناً مريئاً لمن اقتدى.

« وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ » (١).

الشكر على طلب الحاجة

وَقَدَّ أعرابي على أمير المؤمنين - وهو يومئذ في الكوفة - على ناقة تزف زفيفاً، حتى وقف بإزاء أمير المؤمنين فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال: وعليك السلام يا أخا العرب من أين أقبلت فإني أرى السمائم قد أحرقت حماليق عينيك.

فقال: من بلد نجد وقوام زند من بلد عجعجت فيه الخيل، وقلَّ منه النِّيل، وجنا فيه الفقرُ بكلِّ كَلِه.

فقال له أمير المؤمنين: كُفيت يا أخا العرب فما حاجتك؟

فقال: ربيكة سَمْن، وبردان يمانيان، وأربع مائة درهم.

فنادى جاريته: يا فضة ناوليه صاعَ دقيقٍ واصطبيغيه ووسعيه في السمن

وقدميه الى الأعرابي. ففعلت.

فلما أن أكل قال : الحمد لله .

فقال : أشبعت يا أخا العرب ؟

فقال : نعم .

فقال : يا أعرابي أيما أحب إليك الفقر أم الغنى ؟

قال : بل الغنى .

قال : فهل قلت في الفقر ؟

فأنشده قوله :

وقفتُ بباب الشك حتى استبان لي وصحَّ بأن الفقرَ ضربٌ من الكفرِ

صبرتُ وكان الصبرُ مني سجيةً وحسبك أن الله أثنى على الصبرِ

ألم تَرَ أن البحرَ ينضبُ ماؤه وتأتي على حيتانه نُوبُ الدهرِ

سأصبرُ مَحزوناً وإن كنتُ مُوجعاً كما صَبَرَ العَطشانُ في البَلَدِ القَفْرِ

فقال له أمير المؤمنين : يا أعرابي أمسك فقد أبكيت العيون . ثم نادى بغلامه :

يا قنبر ائتني بالكيس الفلاني ، وبالبردتين اللتين أهديت لي من صنعاء .

فأتني به فناوله الأعرابي ثم قال له أمير المؤمنين : جَزَاكَ اللهُ عن نفسك

خيراً يا أخا العرب .

فقال له : يا أمير المؤمنين أتيتك جائعاً فأشبعتنني ، وعارياً فكسوتني ، وفقيراً

فأغنيتني ، وأنت تجزي عن نفسي خيراً !

فقال : نعم يا أخا العرب لأن الذي أخذناه من ماء وجهك أكثر من الذي

أَعْطَيْنَاكَ^(١).

تعاليق

١ - كان مقصد الأعرابي من مكان سحيق وأرض نائية فما بين نجد وهي منطلق رحلته وبين الكوفة وهي مَحَطُّ رحاله مسافة بعيدة جداً في حسابات الرحلات القديمة، ولكن الحاجة قد ألحَّت عليه ولم يجد منفذاً إلى الهواء الطلق إلا عبر المسافات البعيدة، لا سيما أن الكريمَ الْمُؤَمَّلَ يُقَرَّبُ البعيدَ وَيَخْتَصِرُ المسافات.

٢ - قال أمير المؤمنين للأعرابي الوافد: كُنَيْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَمَا حَاجَتِكَ؟ وذلك قبل أن يوضح مطلبه أو يكشف عن مقدار حاجته ولونها؛ وما ذلك إلا جوداً منه وكرماً وثقة بقدرته العالية على إنجاز المطلوب وتحقيق المرام فما يدريه ابتداءً أن يكون قضاء الحاجة باهظاً ومكلفاً كثيراً ولكنه (عليه السلام) هو بالتحديد القائل: إِنَّمَا طِبَائِعُ الْأَبْرَارِ طِبَائِعُ مُحْتَمَلَةٌ لِلْخَيْرِ، فَمَهْمَا حُمِّلَتْ مِنْهُ احْتَمَلَتْهُ^(٢).

٣ - كثيراً ما يمزج ابن أبي ظالبٍ وأولاده الأكارم ما بين صفة الكرم وقضائهم لحوائج الناس وما بين آيةٍ محكمةٍ أو حديثٍ معتبرٍ أو مسألةٍ علميةٍ أو حكمةٍ طريفةٍ أو أبياتٍ من الشعر الجميل يقوله أحدهم أو يقوله الْمُؤَمَّلُ فضلهم، وفي كتابنا هذا أمثلة كثيرة تدل على ما نقول بما في ذلك من الأبيات هذه التي أنشدها الأعرابي بتحريك من الإمام وبعثه إليها، لانعني أن الأعرابي قالها في الحال ولكنه أفصح عما كان قاله من قبل بدليل ما جاء فيها سَأَصْبِرُ مُحْزُوناً وَإِنْ كُنْتُ مُوجِعاً فَبَعْدَ أَنْ مَكَّنَهُ الْإِمَامُ الْأَكْرَمُ مِمَّا يَرِيدُ يَكُونُ الْمَوْقِفُ مَوْقِفَ حُجُورٍ

١ - الماطيري، نزهة الأبصار ومحاسن الآثار / ٢١٧ - ٢٢٠. نقلناه باختصار.

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ١٠٣٣٠.

٣٠٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وابتهاج لا موقفَ حزنٍ وصبر، كما صَبَرَ العَطْشانُ في البَلَدِ القَفْرِ.

٤ - وتتجلى الأخلاق السماوية بيضاء ساطعة كالشمس في ضحاها بقول علي بعد الإكرام: جزاك الله عن نفسك خيراً يا أبا العرب. فعلي هو الذي أطعم وكسى وأغنى، والمستفيد هو الذي يُشكّر ويُجِلُّ علي طلبه وسؤاله من الإمام وعلي قصده إليه من منطقة نائية، فذهل الأعرابي لهذه الأخلاق الرفيعة الكريمة الطارئة على المجتمع وإن كان جواداً كريماً بحد ذاته بيد أنه غير آلف لها، فاندفع قائلاً في استغرابٍ ودهشة: يا أمير المؤمنين أتيتك جائعاً فأشبعتني، وعارياً فكسوتني، وفقيراً فأغنيتني، وأنت تجزي عن نفسي خيراً!!

«الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» * أَوْلَيْكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ^(١).

الكريمُ والعالمُ والطبيب

جاء علياً (عليه السلام) أعرابيٌّ فقال: يا أمير المؤمنين إني مأخوذٌ بثلاث عِللٍ: عِلَّةُ النفس، وعِلَّةُ الفقر، وعِلَّةُ الجهل.

فأجاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: يا أبا العرب عِلَّةُ النفس تعرض على الطبيب، وعِلَّةُ الجهل تعرض على العالم، وعِلَّةُ الفقر تعرض على الكريم. فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين أنت الكريم، وأنت العالم وأنت الطبيب. فأمر أمير المؤمنين (عليه السلام) بأن يعطى له من بيت المال ثلاثة آلاف درهم وقال: تنفق ألفاً بعِلَّةِ النفس، وألفاً بعِلَّةِ الجهل، وألفاً بعِلَّةِ الفقر^(٢).

١ - الأنفال، الآية / ٣ - ٤.

٢ - جامع الأخبار ١٥٨ - ١٥٩ وبحار الأنوار: ٤١ / ٤٣.

تعليق غير مقصود

من العجيب أنني ما إن أردت ان أعلق على هذه المنقبة الجميلة من مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تعليقاً نثرياً - كما هو المعتاد والغالب على بحوثنا في الكتاب - حتى سبقتني موجة الشعر سبقاً شديداً متدفقة وماضية أمام يراعي وقلبي ولمحات ناظري، من دون شيء أبداً من حكم الإرادة والاختيار؛ فكانت هذه الأبيات التي حلت على دار ضيافتنا ومحلة قرانا بزيارة سريعة خاطفة ومفاجئة فأهلاً بها ومرحباً ثم أهلاً بها ومرحباً ولا خيرَ فيمن لا يكرم الضيف ويحتفُّ بالزائر:

ثغرٌ تبسم بين الهموم

أَجِبُّكَ وَالْحُبُّ لَا يَرْحَمُ	وَمَنْ ذَا يُجِبُّ وَلَا يُظْلَمُ
أَخَذتْ بِرُوحِي وَفَكْرِي مَعاً	وَمَا زِلْتُ أَهْوَاكَ لَا أَكْتَمُ
وَأَضْرَمْتُ قَلْبِي بِنَارِ الْهَوَى	وَهَلْ يُطْفِئُ الدَّهْرُ مَا تَضْرَمُ
مَشَيْتُ بِحَبِّكَ فَوْقَ الذَّرَى	جَهَاراً وَلَمْ أَخْشَ مَنْ يُجْرَمُ
إِذَا مَا احْتَضَنْتِ الْهَوَى وَالْجَمَالَ	فَمَنْ ذَا الْمَعَادُونَ مَنْ ذَا هُمُ
شَغَلْتُ بِذِكْرِكَ عَنْ ذِكْرِهِمْ	فَأَنْتِ الْحَيَاةُ وَأَنْتِ الدَّمُ
وَأَنْتِ الطَّبِيبُ وَأَنْتِ الْعَلِيمُ	وَإِنَّكَ أَنْتِ الْفَتَى الْأَكْرَمُ
شَفَاءُ السَّقِيمِ وَعَيْشُ الْجَهْلِ	بِعِلْمِكَ وَالْفَقْدُ مَنْ يَعْلَمُ
فَأَنْتِ الْمَنَاقِبُ مَا أَسْتَوْسَقْتُ	مَعَ الصَّيْحِ وَالنَّبَأِ الْأَعْظَمُ
وَنُورٌ أَطْلَعُ عَلَى الْعَالَمِينَ	يُجَلِّي بِهَ الْحَالِكَ الْمَظْلَمُ

٣٠٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وثرغز تبسم بين الهموم وقد يذهب الهم من يسم
فم الخير والفضل والمكرمات فم لا يحاكيه يوماً فم
وسيد بسيت الهدى والنجاة بهم يعصم الله من يعصم
« الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ »^(١).

جود ابن أبي طالب لا يعرف المغيب

روى عاصم بن أبي عامر البجلي عن يحيى بن عروة قال: كان أبي^(٢) إذا ذكر علياً نال منه. وقال لي مرة: يا بُنَيَّ واللَّهِ مَا أَحَجَمَ النَّاسُ عَنْهُ إِلَّا طَلِباً لِلدُّنْيَا، لَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ^(٣): أَنْ أبعثْ إِلَيَّ بِعَطَائِي فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّكَ لَوْ كُنْتَ فِي

١ - البقرة، الآية / ٣.

٢ - المقصود به عروة بن الزبير بن العوام، وكان يبغض آل محمد «ص»، وقد شهد معركة الجمل مع خالته أم المؤمنين عائشة، فغض إمام المسلمين عنه الطرف وعفا عنه وعن خالته، كما عفا عن أخيه عبد الله بن الزبير، فكان السب والقدح والضعينة التي لا تطفأ ولا تهدأ جزاءً وفياً للنفو الكبير والتسامح الكريم.

٣ - أسامة بن زيد بن حارثة ينتمي نسبه إلى قبيلة كلب القضاعية صاحب النبي «ص» والمقرب إليه وهو ابن شهيد معركة مؤتة زيد بن حارثة (رض) أوكل النبي «ص» في أيامه الأخيرة إلى أسامة قيادة جيش لغزو الروم فكان من أمر الجيش ما كان، ضح لنا أنه بايع الإمام علياً (ع) ولكنه لم يحارب معه يمين كانت عليه أن لا يقاتل من يشهد أن لا إله إلا الله. روى الكشي عن أبي جعفر الباقر (ع) القول: ألا أخبركم به أهل الوقوف؟ قلنا: بلى. قال: أسامة بن زيد وقد رجع فلا تقولوا إلا خيراً...

ولأسامة أحاديث في فضائل أهل البيت (عليهم السلام) منها: ما رواه عنه ابنه محمد (كما في العمدة لابن البطريق) أن رسول الله «ص» قال عن الإمام أمير المؤمنين: أنت مني وأنا منك. ومنها ما قاله ابن البطريق: من كتاب المصاييح تصنيف أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء في

فَمِ أَسَدٍ لَدْخَلْتُ مَعَكَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَنَّ هَذَا الْمَالَ لِمَنْ جَاهَدَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ لِي مَالاً بِالْمَدِينَةِ فَأَصِْبْ مِنْهُ مَا شِئْتَ . قَالَ يَحْيَى : فَكُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ وَصْفِهِ إِيَّاهُ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ وَمِنْ عَيْبِهِ لَهُ وَإِنْحِرَافِهِ عَنْهُ (١) .

اليمينُ التي امتدَّت من الكوفةِ إلى المدينةِ المنورةِ

١ - إنه لأمرٌ غريبٌ مُضادٌّ لمنطقِ الفكرِ الصحيحِ والفطرةِ الإنسانيةِ أن يكون الحاقِدونَ على الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ يعلمونَ علمَ اليقينِ ويحلفون باللهِ سبحانه أنه ما أَحَجَمَ النَّاسُ عَنْهُ إِلَّا طَلِباً لِلدُّنْيَا . ثم نعلمُ أنهم ممن يحجَمُ عَنْهُ (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) بل ممن يطلقُ لسانه بالكيدِ والعدوانِ بألفِ صورةٍ وصورةٍ ، هكذا هكذا الحال في كلِّ عصرٍ وجيلٍ وفي هذه البقعةِ أو تلكِ حتى يومَ التنادِ بِلا حاجزٍ مِن دِينٍ قويمٍ ، ولا حاجبٍ من ضميرٍ مستقيمٍ ، ولا حائلٍ مِن منطِقٍ حكيمٍ .

ماذا يقولون غداً يومَ العَرَضِ الأكبرِ بين يَدَيِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حيث يحاسبُ الإنسانَ حتى على غيبةِ أقلِّ المؤمنين فكيف بغيبةِ قَدوتهم وإمامهم الأعظمِ ! وحيث يحاسبُ المرءَ على ظلمِ البريء وإن لم يكن مسلماً فكيف بظلمِ أولِ المسلمين ونورِ المهتدين وسراجِ الصديقين وصالحِ المؤمنين !

عن صاحبِ رسولِ الله «ص» عمران بن حصين الخزاعي «رض» أن

آخرُ كراسٍ من الكتابِ قال صاحبُ الكتابِ بإسناده عن معلّى بن مرةٍ قال: قال رسولُ الله «ص»: «حسينُ مني وأنا من حسينٍ، أَحَبُّ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّ حَسِينًا، حسينٌ سَبَطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ . ومنها ما اشتهر عنه في المجاميعِ الحديثيةِ: طرقت النبي «ص» ذاتَ ليلةٍ في بعضِ الحاجاتِ فخرجَ النبي «ص» وهو مشتملٌ على شيءٍ ما أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي قلت: ما ذا الذي أنت مشتملٌ عليه؟ فكشفه فإذا الحسنُ والحسينُ عليٌّ وركبه فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي . اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما .

مات أسامة في حياة الإمام الحسن السبط فكفنه (ع) في بردٍ أحمر حبرة .

٣١٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

رسول الله «ص» قال لقوم انتقصوا علياً: ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي.

٢ - يَا اللَّهُ وَيَا لِلْعَجَبِ الْعُجَابِ إِنَّهُ حَتَّى أَوْلَيْتَكَ الْحَاقِدُونَ الْكَاشِحُونَ الَّذِينَ يَنَالُونَ مِنْ مَكَانَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْزِلَتِهِ الْعِظْمَى وَيَلْعَنُونَهُ سِرّاً وَجَهراً وَيَسْبُونَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَلَا انصَافٍ لَا يُمْكِنُهُمْ إِلَّا أَنْ يَصْفُوهُ بِالْعَدْلِ الْخَالِصِ الَّذِي لَا غِبَارَ عَلَيْهِ، وَيَنْعَتُوهُ بِفَيْضِ الْجُودِ الزَّخَارِ الَّذِي لَا تَشُوبُهُ شَائِبَةٌ مِنَ الشَّوَابِ أَبَداً. قَدْ تَشْرِقُ الشَّمْسُ وَقَدْ تَغْرِبُ وَلَكِنَّ عَدْلَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ لَا يَعْرِفُ الْغُرُوبَ، وَقَدْ يَطْلَعُ الْقَمَرُ وَقَدْ يَغِيبُ وَلَكِنَّ جُودَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ لَا يَعْرِفُ الْمَغِيبَ.

٣ - هَذَا الْمَالُ لِمَنْ جَاهَدَ عَلَيْهِ، إِذَا لَيْسَ مِنْ حَقِّ الْخَلِيفَةِ الشَّرْعِيِّ مَهْمَا كَانَ مَوْقِعَهُ مِنَ الدِّينِ أَنْ يَهَبَ مِنْهُ شَيْئاً كَثِيراً أَوْ قَلِيلاً لِغَيْرِ الْمَجَاهِدِينَ، وَلَكِنْ تَقَرَّبَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ إِلَى الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمَحَبَةِ الْمَخْلِصَةِ وَالتَّوَدُّدِ الصَّادِقِ، فَلَيْسَ ضَمَنَ مِنْهَا جِ الْإِمَامِ الْأَكْبَرِ أَنْ تَفْتَرِسَ الْمَحَبَةُ مَوَادَّ الْقَانُونِ، وَلَيْسَ ضَمَنَ مِنْهَا جِ أَنْ يَخْتَرَمَ التَّوَدُّدُ الْحَكْمَ بِالْعَدَالَةِ مَا بَيْنَ عِبَادِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى^(١).

١ - قال أبو عمرو الكشي في ترجمة أسامة بن زيد من رجاله:

حدثنا محمد بن مسعود، قال: حدثني علي بن محمد قال: حدثني محمد بن أحمد، عن سهل بن زاذويه، عن أيوب بن نوح، عن رواه، عن أبي مريم الأنصاري، عن أبي جعفر (ع) قال: إن الحسن بن علي (ع) كفن أسامة بن زيد في برد أحمر حبرة.

محمد بن مسعود، قال: حدثني أحمد بن منصور، عن أحمد بن الفضل، عن محمد بن زياد، عن سلمة بن محرز، عن أبي جعفر (ع) قال: ألا أخبركم بأهل الوقوف؟ قلنا: بلى. قال: أسامة بن زيد وقد رجع فلا تقولوا إلا خيراً...

قال أبو عمرو الكشي: وجدت في كتاب أبي عبد الله الشاذاني، قال: حدثني جعفر بن محمد المدايني، عن موسى بن القاسم البجلي عن صفوان عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبد الله، عن آباه (ع) قال: كتب علي (ع) إلى والي المدينة: لا تعطين سعداً ولا ابن عمر من الفيء شيئاً، فأما أسامة بن زيد فإني قد عذرت في اليمين التي كانت عليه.

٤ - إن الملكية التي أذن الإمام لأسامة بالاصابة منها ملكية ذات أهمية كبيرة كما يشير الى ذلك قول الإمام (عليه السلام) أَصِبْ مِنْهُ مَا شِئْتَ . فإن المشيئة في مثل هذه الموارد لا تتعلق بالشيء القليل من المال ، وإلا فإن من المنطق أن يتنكر أسامة لمثل هذا الكلام قائلاً : وما هو حجم ملكيتك حتى أقضي به حاجتي وأصيب منه ما أشاء . إن صاحب الحاجة صحابي بارز وقائد كبير قد أمر النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» شيوخ المهاجرين والأنصار بالانقياد لتعاليمه والانضمام تحت رايته وهو ينطلق لغزو الروم وفيهم الخلفاء الثلاثة وأُسيد بن حضير وبشير بن سعد وغيرهم ، فإن مثله لا يرتضي من خليفة جوده كجود السحائب أن يهب له الشيء اليسير ، خصوصاً إذا علمنا أن ما وهبه الإمام له قد تمَّ عبر مئات الأميال (ما بين الكوفة والمدينة المنورة) فهل من المتوقع أن يشبع الإمام رغبة القائد الكبير المتلهف لحلِّ مشكلته المادية والمنتظر للعطاء الجزيل باليسير من الأموال ! إِنَّ هَذَا مِمَّا يَأْبَاهُ الْإِمَامُ لِيَمِينِهِ الْمَعْطَاءِ الَّتِي امْتَدَّتْ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ لِنَيْلِ رَاجِيًا وَتَهَبَ مُؤْمَلًا ، كما إِنَّ هَذَا مِمَّا يَأْبَاهُ الْقَائِدُ الْكَبِيرُ وَابْنُ الْقَائِدِ الْكَبِيرِ لِيَمِينِهِ أَنْ تَأْخُذَ وَتَقْنَعُ ، وَلِنَفْسِهِ أَنْ تَكْتَفِيَ وَتَشْبِعَ .

٥ - لَكِنَّ لِي مَالًا بِالْمَدِينَةِ فَأَصِبْ مِنْهُ مَا شِئْتَ . هَكَذَا يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، فَيَتْرَكَ مَلَكَتَهُ الْخَاصَّةَ بِيَدِي صَاحِبِ الْحَاجَةِ يَقْتَنِصُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَيَتَزَوَّدُ مَا يَرُومُ طَبَقَ ارَادَتِهِ وَرَغْبَتِهِ وَأَمْنِيَتَهُ حَلَالًا مَشْرُوعًا حَتَّى يَقْتَنِعَ وَيَكْتَفِيَ ، إِنْ تَخَوَّلَ الْمَالِكُ لِصَاحِبِ الْحَاجَةِ تَخْوِيلًا مُطْلَقًا بِالْمَلَكَتِ الْخَاصَّةِ لِمَا لَا تَقُومُ بِهِ إِلَّا الْأَقْلِيَّةُ النَّادِرَةُ مِنَ الْأَكَارِمِ الْمُفْضِلِينَ .

٦ - قَدْ يُفْتَرَضُ وَجُودُ التَّعَارُضِ مَا بَيْنَ خَيْرِ عَرُورَةَ بْنِ الزَّبِيرِ الَّذِي يَنْصُ عَلِيٌّ أَنْ عَلِيًّا قَدْ مَنَعَ أُسَامَةَ مِنَ الْأَمْوَالِ الْخَاصَّةِ بِالْمَجَاهِدِينَ مَعَهُ ، وَبَيْنَ مَا رَوَاهُ أَبُو عَمْرٍو وَالْكَشِي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ آبَائِهِ (ع) : كَتَبَ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَيَّ وَالِي الْمَدِينَةَ : لَا تَعْطِينَ سَعْدًا وَلَا ابْنَ عَمْرٍو مِنَ الْفَيْءِ شَيْئًا ، فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَإِنِّي قَدْ

٣١٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

عذرتة في اليمين التي كانت عليه. الذي يبيح لأسمامة الأخذ من سهم المجاهدين.

ونحن نعتقد أن لا تعارض بين الخبرين؛ وذلك بأن يكون المنع قبل تقديم أسامة للاعتذار مما حدا بالإمام إلى اغنائه من أمواله الشخصية، وأما الرواية عن أبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام) فبعد تبين أسامة الوجه من عدم مشاركته الإمام في حربه وعذر الإمام له.

دَارُ الضِّيَافَةِ

قال الكليني في كتابه الكافي: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ عَنْ هَارُونَ بْنِ الْجَهْمِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (ع) قَالَ: أَنِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) بِقَوْمٍ لُصُوصٍ قَدْ سَرَقُوا فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ مِنْ نِصْفِ الْكَفِّ وَتَرَكَ الْإِهَامَ وَلَمْ يَقْطَعْهَا، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا دَارَ الضِّيَافَةِ وَأَمَرَ بِأَيْدِيهِمْ أَنْ تُعَالَجَ فَأَطَعَهُمُ السَّمْنُ وَالْعَسَلُ وَاللَّحْمَ حَتَّى بَرَّءُوا، فَدَعَاهُمْ وَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ إِنَّ أَيْدِيَكُمْ قَدْ سَبَقَتْ إِلَى النَّارِ فَإِنْ تُبْتُمْ وَعَلِمَ اللَّهُ مِنْكُمْ صِدْقَ النِّيَّةِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَجَرَزْتُمْ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنْ لَمْ تُقْلِعُوا وَلَمْ تَنْتَهُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ جَرَزْتُكُمْ أَيْدِيَكُمْ إِلَى النَّارِ^(١).

وفي رواية أخرى رواها الكليني أيضاً كما في الكافي: الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مِرْدَاسٍ عَنْ سَعْدَانَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ الْحَارِثِ بْنِ حَصِيرَةَ قَالَ: مَرَزْتُ بِحَبَشِيٍّ وَهُوَ يَسْتَسْقِي بِالْمَدِينَةِ وَإِذَا هُوَ أَقْطَعُ فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ قَطَعَكَ؟

فَقَالَ: قَطَعَنِي خَيْرُ النَّاسِ إِنَّا أَخَذْنَا فِي سَرِقَةٍ وَنَحْنُ ثَمَانِيَةٌ نَفَرٍ فَذَهَبَ بِنَا إِلَى

عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع) فَأَقْرَزَنَا بِالسَّرِقَةِ فَقَالَ لَنَا: تَعْرِفُونَ أَنَّهَا حَرَامٌ؟

قُلْنَا: نَعَمْ.

فَأَمَرَ بِنَا فَقَطَعَتْ أَصَابِعُنَا مِنَ الرَّاحَةِ وَخُلِّيتِ الْإِبْهَامُ، ثُمَّ أَمَرَ بِنَا فَحُسِنَا فِي بَيْتٍ يُطْعِمُنَا فِيهِ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ حَتَّى بَرَأَتْ أَيْدِينَا، ثُمَّ أَمَرَ بِنَا فَأَخْرَجَنَا وَكَسَانَا فَأَحْسَنَ كِسْوَتَنَا، ثُمَّ قَالَ لَنَا: إِنْ تَتُوبُوا وَتَصَلُّحُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ يُلْحِقُكُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ لَا تَفْعَلُوا يُلْحِقُكُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ فِي النَّارِ^(١).

تعليق وتحليل

١ - مَنْ ذَا الَّذِي يَتَمَعْنُ وَيَتَأَمَّلُ بِهَذَا التَّعَامَلِ النَّبِيلِ وَبِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعُلْيَا ثُمَّ لَا يَخْشَعُ لَجَلَالِ الْمَوْقِفِ أَوْ تَهْتَزُّ أَحَاسِيْسُهُ لِشَهَامَةِ الْخِلَالِ وَجَمَالِ السَّيْرَةِ... وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا دَارَ الضِّيَافَةِ وَأَمَرَ بِأَيْدِيهِمْ أَنْ تُعَالَجَ فَأَطْعَمَهُمُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ وَاللَّحْمَ حَتَّى بَرَأُوا.

٢ - وَمَنْ ذَا الَّذِي يَتَمَعْنُ وَيَتَأَمَّلُ بِهَذَا التَّعَامَلِ النَّبِيلِ وَبِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعُلْيَا ثُمَّ لَا يَخْشَعُ لَجَلَالِ الْمَوْقِفِ أَوْ تَهْتَزُّ أَحَاسِيْسُهُ لِشَهَامَةِ الْخِلَالِ وَجَمَالِ السَّيْرَةِ... يَا هُوَلَاءِ إِنْ أَيْدِيكُمْ قَدْ سَبَقَتْ إِلَى النَّارِ فَإِنْ تُبْتُمْ وَعَلِمَ اللَّهُ مِنْكُمْ صِدْقَ النَّبِيِّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَجَرَزْتُمْ أَيْدِيكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنْ لَمْ تَقْلَعُوا وَلَمْ تَنْتَهُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ جَرَزْتَكُمْ أَيْدِيكُمْ إِلَى النَّارِ.

٣ - وَمَنْ ذَا الَّذِي يَتَمَعْنُ وَيَتَأَمَّلُ بِهَذَا التَّعَامَلِ النَّبِيلِ وَبِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعُلْيَا ثُمَّ لَا يَخْشَعُ لَجَلَالِ الْمَوْقِفِ أَوْ تَهْتَزُّ أَحَاسِيْسُهُ لِشَهَامَةِ الْخِلَالِ وَجَمَالِ السَّيْرَةِ... ثُمَّ أَمَرَ بِنَا فَأَخْرَجَنَا وَكَسَانَا فَأَحْسَنَ كِسْوَتَنَا.

٣١٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

٤ - السجن والغلظة والتعامل الشديد ثم لا شيء ما بعد ذلك من رحمة أو لطف أو إحسان لمن سرق أو قام بجريمة معينة، هكذا مضى حكم السابقين واللاحقين من الإسلاميين والوضعيين إلا من ندرَ منهم، أليس كذلك؟

٥ - من الضروري أن تكون القوانين رَحْمَةً للعالمين فهي التي تحاسب وتعاقب وهي التي تُكْرَمُ وتُثَيَّبُ، وإذا لم يكن في القوانين إلا عقاب المجرمين استبدوا بالجرائم ولم يتلقوا تربية صحيحة تمنعهم من التكرار وتعيد لهم الاعتبار وتقلع ما في النفوس من حُب الجرائم ومعاودة الذنوب.

٦ - إن إطعام السمن والعسل شيء له أهميته وقيمته الغذائية العالية وكذا ثمنه الباهض حتى قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): «إِنْ مُحِبِّينَا لَوْ قَطَعْنَا هُمْ إِرْبَاءً إِرْبَاءً، مَا أزدَادُوا لَنَا إِلَّا حُبًّا، وَإِنْ فِي أَعْدَائِنَا مَنْ لَوْ أَلْعَقْنَا هُمُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ مَا أزدَادُوا لَنَا إِلَّا بُغْضًا»^(١). فإذا انضاف اللحم إلى هذين الطعامين فيكون ذلك من أفضل الوجبات الغذائية وأعلاها ثمناً مادياً ومعنوياً.

٧ - وتزداد الأهمية المعنوية لهذه الأطعمة الراقية إذا علمنا أنها تُقَدَّمُ إلى سراق - قد ثبتت إدانتهم وأُقيم عليهم الحد الشرعي - في محاولة جادة لتربيتهم والعودة بهم إلى الاندماج في المجتمع بصورة طيبة رائعة.

٨ - ورد في حديث أبي جعفر أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أمرهم أي السراق أن يَدْخُلُوا دَارَ الضِّيَافَةِ. فبذلك تكون تربيتهم وتوجيههم ليس في السجن أو نحوه وإنما في الدار المُعَدَّة للضيافة والاستقبال.

٩ - في حدود اطلاعي أنه لم يزودنا التاريخ الذي ظلم محمداً وآل محمد «ص» ظلماً كثيراً كثيراً عن هذه الدار الكريمة دار الضيافة التي كانت للإمام أمير

المؤمنين ما هي ومتى أسسها وهل كان ينفق عليها من أمواله الشخصية أو أنها الإنفاق عليها من أموال المسلمين باعتبارها مؤسسة رائدة من مؤسسات الدولة، وكلما نستطيع أن نعرفه من خلال حديث الإمام أبي جعفر الباقر (ع) أنها غير بيت الإمام أمير المؤمنين وإن كانت بيته داراً للضيافة، باعتبار أنها لو كانت داره الشخصية لأشار إليها ولم يعبر عنها بدار الضيافة.

١- إن علي بن أبي طالب أول من أسس داراً للضيافة في تاريخ الإسلام أو في التاريخ العام لإعادة تأهيل من أقيمت عليهم العقوبات القانونية وتحسين أحوالهم النفسية والاجتماعية.

١١- إن من جبل على الكرم والإحسان لم يبرح مستمراً لكل فرصة ومُناسبة للتفضل بعملٍ من الأعمال الإنسانية الفاضلة في شتى حالات الرخاء والشدة حتى وإن أمر بقطع الأيدي تنفيذاً لأمر الشريعة المقدسة فإن ما جبل عليه من الخير والفضيلة يبقى ساري المفعول، دائم الإشعاع، قُدوةً للشعوب والدول ما بقيت على وجه الأرض شعوب ودول.

«أَفْحَكُمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ»^(١).

المشاريحُ العامَّة

مَا الْمَشَارِيحُ الْعَامَّةُ الْمُنْفِيْدَةُ إِلَّا تَعْبِيْرًا عَنْ رُؤْيَا
انْفِتَاحِيَّةٍ وَرُوحِ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ وَتَوَجُّهِ نَحْوِ الْمَجْمُوعِ



المشاريحُ العامّة

مَا المشاريحُ العامّة المفيدة إلا تعبيراً عن رؤيةٍ انفتاحيّة، وروح اجتماعيّة وإنسانيّة، وتوجّهٍ نحو المجموع Collectivity Orientation . إنَّ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) القدح المُعلّى في البذل والجود والانفاق في سبيل الله، مما لا ينكره خبير بتفسير القرآن الكريم، ولا مضطلع بالأحاديث الشريفه، ولا ناظر متسع الاطلاع والمعرفة بصفحات التأريخ والسير. ولقد كانت نفقاته وعطاياه -بشكل عام- على النحوين التاليين :

النحوُ الأول : الانفاق والعطاء على المستوى الفردي، فيكرم الضيف ويحسن اليه ويعطي السائل ويؤثر المحتاج ويعين المنكوب ويحلُّ المشاكل الماديّة لكثير من الرجال والنساء والأطفال الذين تعترضهم الحاجة أو يغمرهم الفقر، ولقد قدّمنا أمثلة كثيرة عن ذلك في مختلف سنيّ حياته المباركة حتى لقاء الله سبحانه .

علماً أن الغالبية العظمى مما قدّمه الكرماء والأسخياء في جميع العصور التأريخية هو من هذا القبيل المتسم بالانفاق والعطاء على المستوى الفردي أو شبيه الفردي، ولا يتعداه إلى النحو الثاني الذي هو أهمُّ وأعظم وأجدى فائدة ونفعاً للناس وأكثر تكليفاً مادياً على صاحبه القائم به .

النحوُ الثاني : الانفاق والعطاء على المستوى الاجتماعي والمشاريع

٣٢٠..... فلسفة الجود والابتكار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

العامّة، وهي مشاريع كثيرة في المدينة المنورة، وأرض ينبع، ووادي القرى، وغير ذلك من بلاد وأرض شبه الجزيرة العربية، وكذا مشاريعه في بلاد الرافدين.

لقد قضى الإمام حياته في هاتين المنطقتين الاستراتيجيتين الكبيرتين، فبثّ مشاريعه الطيبة والمفيدة فوق أرجائهما، وهذا يعني أن علي بن أبي طالب جودٌ وبذلٌ وعطاءٌ حيثما يحلّ، ومنافع للناس أتى يمكث في الأرض.. فهو الرّبّيعُ الزّاهي الجميل للحياة الداوية البائسة، والنّمير العذب الجائش للثري المُقفر الجديب، ويظلّ مشروعهُ العايرُ في عبادان - التي ما حظيت ولا تبرّكت بترابِ قَدَميه - دليلاً على أن عَبيِرَ نواياه الخيرة المِعطاء، قد فاح وتأرّج حتى طالها وشمّلتها، فقله ذلك من عَبيِرِ ذكيّ طيّب! فَيَا أَيُّهَا الْعَبِيرُ السَّنِيُّ الْوَهوبُ.. يَا شَبِيهَ النسيمِ الطروبِ في جَنَاتِ الْمَأْوَى. لقد كانت أُمْنِيَّةً حَالِمَةً من أُمْنِيَّاتِ الْإِنْسَانِيَةِ الْمُضْطَهَدَةِ أَنْ تُتْرَكَ وَشَأْنُكَ؛ فَلَا تَعْتَاقُكَ الرِّيحُ الْهُوجِ، وَلَا تَحْجُزُكَ الْعَقَبَاتُ الْعَاتِيَةِ، وَلَا تَصُدُّكَ الْعُقُولُ الْمُتَحَجَّرَةُ.. وَلَكِنَّكَ مَا زِلْتَ مُعَذِّباً، مَحْرُوماً، مَظْلُوماً، وَكَأَنَّما قُدِّرَ كُلُّ ذَلِكَ لَكَ وَلصاحِبِكَ الْأَعْظَمِ منذ أن كُنْتما في ضَمِيرِ الْعُيُوبِ، وَقَبْلَ أَنْ تَلْمَسَا مَهْدَ الْوُجُودِ، فَيَا لِلْعَجَبِ الْعُجَابِ ثُمَّ يَا لِلْعَجَبِ الْعُجَابِ مِنَ الْجِرَابِ الْقَاسِيَةِ الْعَادَّةِ الْمَصْقُولَةِ لِمَرَكَزِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ.

لقد كان جماعة من أعيان المسلمين في صدر الاسلام يوقفون بعض ممتلكاتهم وعقاراتهم لصالح الناس من بنيتهم وذويهم أو من الغرباء البعيدين عنهم، وكان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في طبيعة هؤلاء من أصحاب الوقف وأكثرهم جميعاً تفانياً وتضحية في سبيل منافع الآخرين، بل إنه لم يكتفِ ببعض الممتلكات أو بنصفها مثلاً، وإنما أوقف على الناس أكثر ما

ملكته يدها من الأراضي الزراعية الواسعة والأموال الطائلة والينابيع المائية الكثيرة جداً والتي من بينها مائة عين ماء في منطقة ينبع كما سيأتي إن شاء الله .

من نصوص المشاريع

١ - في كتاب «الكامل» للمبرد و«تاريخ المدينة المنورة» لعمر بن شبة النميري وكتاب «فروع الكافي» لمحمد الكليني، وكتاب «الجوهرة في نسب الإمام علي وآله» لمحمد بن أبي بكر التلمساني المعروف بالبرقي، وكتاب «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» لعلي بن أحمد السمهودي، وكتاب «إبصار العين في أنصار الحسين» للشيخ محمد بن طاهر السماوي، قال أبو نيزر^(١): جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين (عين أبي نيزر والبغيعة) فقال: هل عندك من طعام؟ فقلت: طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين، قرع من قرع الضيعة صنعتها بإهالة^(٢) سيخة. فقال: عليّ به.

فقام إلى الربيع - وهو جدول - فغسل يده، ثم أصاب من ذلك شيئاً... ثم أخذ المعول وانحدر فجعل يضرب، وأبطأ عليه الماء، فخرج وقد تنضح جبينه عرقاً، فانتكف العرق عن جبينه، ثم أخذ المعول وعاد إلى العين، فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم، فانتالت كأنها عنق جزور، فخرج مسرعاً وقال: أشهد الله أنها

١ - أبو نيزر ابن النجاشي ملك الحبشة وقد أسلم في صغر سنه، فتولى تربيته رسول الله «ص»، وكان معه في بيوته، فلما توفي الرسول «ص» انتقل إلى تربية الامام علي فكان معه في بيت الصديقة فاطمة (ع)، وفي كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي أن علياً اشتراه وأعتقه مكافأة لأبيه. وذكروا أن الحبشة مرج أمرها بعد النجاشي وأرسلوا إلى أبي نيزر ليملكوه فأبى وقال: ما كنت أطلب الملك بعدما منّ الله علي بالاسلام، وكان من أطول الناس قامته وأحسنهم وجهاً. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٣ / ١٢٧٢. أقول: وكان ابنه نصر بن أبي نيزر من أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) وقد استشهد معه وكان فارساً مقداماً.

٢ - الاهالة، نوع من الزيوت، وكل ما يؤتدم به.

٣٢٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

صدقة ، عليّ بدواةٍ وصحيفة ، فعجلت بهما إليه فكتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما تصدّق به عبد الله علي أمير المؤمنين : تصدّق بالضعيتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيغة ، علي فقراء أهل المدينة ، وابن السبيل ؛ ليقى الله بهما وجهه حرّ النار يوم القيامة ... لا تُباعا ولا تُوهبا ، حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين .
أقول : كانت ضعيتا أبي نيزر والبغيغة لأمير المؤمنين من قبل خلافته ، وكان ثم جدول يقال له الربيع ، وأما العين التي انفجرت بعد أن عالجهما أمير المؤمنين بالمعول فهي في الأشهر الأولى من خلافته ، وحينئذ تصدّق بالضعيتين والجدول والعين الجديدة عليّ فقراء المدينة المنورة وابن السبيل .

٢ - في رواية صحيحة السند نقلها الشيخ محمد الكليني باسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج قال : بعث إليّ أبو الحسن موسى (عليه السلام) بوصية أمير المؤمنين (عليه السلام) وهي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما أوصى به وقضى به في ماله عبد الله علي ، ابتغاء وجهه الله ؛ ليولجني به الجنة ، ويصرفني به عن النار ، ويصرف النار عني يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه . إن ما كان لي من مال ينبع يعرف لي فيها ، وما حولها ، صدقة ورقيقها ، غير أن رياحاً وأبا نيزر وجبيراً عتقاء ، ليس لأحد عليهم سبيل ، فهم موالي يعملون في الأرض خمس حجج ، وفيه نفقتهم ورزقهم وأرزاق اهاليهم . ومع ذلك ما كان لي بوادي القرى كله من مال لبني فاطمة ورقيقها صدقة . وما كان لي بديمة وأهلها صدقة غير أن زريقاً له مثل ما كتبت لأصحابه ، وما كان لي باذينة وأهلها صدقة . والتفيرتين كما قد علمتم صدقة في سبيل الله .

وإن الذي كتبت من أموال هذه صدقة واجبة تيلة حياً أنا أو ميتاً، ينفق في كل صدقة بيتغى بها وجه الله في سبيل الله ووجهه وذوي الرحم من بني هاشم، وبني المطلب، والقريب، والبعيد، فإنه يقوم على ذلك الحسن بن علي، يأكل منه بالمعروف، ولينفقه حيث يراه الله عز وجل في حل محلل، لا حرج عليه فيه، وإن حدث بحسن حدث وحسين حَيٌّ، فإنه إلى الحسين بن علي، وإني إنما جعلت الذي جعلت لابني فاطمة ابتغاء وجه الله عز وجل، وتكريم حرمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتعظيمها وتشريفها ورضاها. وانه يشترط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله، وينفق ثمره حيث أمرته به في سبيل الله ووجهه، وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب، والقريب، والبعيد، لا يباع منه شيء، ولا يوهب، ولا يُورث. وإن رقيقى الذين في صحيفة صغيرة التي كتبت لي عتقاء. شهد أبو شمر بن أبرهة، وصعصعة بن صوحان، ويزيد بن قيس، وهياج بن أبي هياج، وكتب علي بن أبي طالب بيده، لعشر خلون من جمادى الأولى، سنة سبع وثلاثين^(١).

أقول: مما يدل على الأهمية الكبيرة لعين أبي نيزر والقيمة المادية المرتفعة لها (فضلاً عن البغيغة). ما روي من أن الحسين بن علي ركبته دين، فحمل إليه

١ - فروع الكافي، ٧ / ٤٩ - ٥١ - باب صدقات النبي وفاطمة والأنمة، وصية أمير المؤمنين، والجوهرية في نسب الإمام علي وآله / ٩٠ - ٩٢. والكامل للمبرد / ٩٣٩، وبحار الأنوار ٤١ / ٤٠ - ٤٢، ومعجم البلدان ١ / ٦٩٧، ٣ / ٧٥٧ - ٧٥٨. وأبو شمر بن أبرهة من أكابر أصحاب معاوية، وهو ممن التحق بالإمام علي (عليه السلام) أثناء حرب صفين فقتل في عضد معاوية، وكان أبو شمر قد قام خطيباً في أهل الشام ودعا علماً ومعاوية معاً إلى أن يتبارزا ويكون الجيشان مع القاتل، في سبيل أن تحل مشكلة النزاع القائم وسفك الدماء. فسّر علي كثيراً واستجاب للاقتراح، وامتنع معاوية من المبارزة، فلهذا تركه أبو شمر وانضم إلى علي في جماعة من أصحابه وبقي من الأوفياء المخلصين له.

٣٢٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار، فأبى أن يبيع^(١).

٣- عن جعفر الصادق (عليه السلام): ان علياً (عليه السلام): أعتق ألف مملوك من كدّ يده، جماعة لا يُحصون كثرة^(٢).

٤- وقال له رجل - ورأى عنده وسق نوى - ما هذا يا أبا الحسن؟ فقال: مائة ألف نخلة - إن شاء الله - فغرسه فلم يغادر منه نواة واحدة فهو من أوقافه^(٣).

٥- ووقف مالاً بخير^(٤).

٦- وبوادي القرى^(٥).

٧- ووقف أرباحاً.. وأرينة.. ورغداً.. وزيناً.. ورياحاً، على المؤمنين. وأمر بذلك أكثر^(٦) ولد فاطمة من ذوي الأمانة والصلاح^(٧).

٨- وأخرج مائة عين بينبع وجعلها للحجيج، وهو باقي إلى يومنا هذا^(٨).

٩- وبني مسجد الفتح في المدينة^(٩).

١٠- وبني (عليه السلام) مسجداً مقابل قبر حمزة^(١٠).

١١- وبني في الميقات^(١١).

١ - السهمودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ٣ / ١٢٧٢، الحافظ محمد بن سليمان الكوفي القاضي، مناقب الإمام أمير المؤمنين، ٢ / ٨٣.

٢ - بحار الأنوار، ٤١ / ٣٢ - ٣٣، وانظر مناقب آل أبي طالب، ٢ / ١٢٢ - ١٢٣.

٣ - مناقب آل أبي طالب، ٢ / ١٢٢ - ١٢٣.

٤ - المصدر، ٢ / ١٢٢ - ١٢٣. ٥ - المصدر.

٦ - ومعنى أكثر ولد فاطمة من ذوي الأمانة والصلاح أنه (عليه السلام) أمرهم بمراعاة شؤون الوقف وإدامة مساره. هكذا وردت في النسخة لفظة أكثر، ومن المحتمل أنها تصحيف للفظة أكبر، أي جعل القيم على الأوقاف أكبر ولد فاطمة (ع) الحسن ثم الحسين..

٧ - المصدر. ٨ - المصدر.

٩ - انظر بحار الأنوار، ٤١ / ٣٢ - ٣٣، ومناقب آل أبي طالب، ٢ / ١٢٢ - ١٢٣.

١٠ - المصدر. ١١ - المصدر.

- ١٢ - وبني مسجداً في الكوفة^(١).
- ١٣ - وبني جامع البصرة^(٢).
- ١٤ - وبني مسجداً في عبادان... وغير ذلك^(٣).
- ١٥ - وعمّر طريق مكة^(٤).
- ١٦ - وكانت له صدقات بالمدينة (الفقرين) بالعالية^(٥).
- ١٧ - وبئر الملك بقناة^(٦).
- ١٨ - وبئر الأدبية بالإضم^(٧).
- ١٩ - ولعليّ (رضي الله عنه) في صدقاته (عين ناقة) بوادي القرى^(٨).
- ٢٠ - وله أيضاً ساقى عليّ عين بالبيرة وهو في الصدقة^(٩).
- ٢١ - وله بحرّة الرجلاء^(١٠) من ناحية شعب زيد وادٍ يدعى الأحمر شطره في الصدقة، وشطره بأيدي آل مناع من بني عدي منحةً من علي^(١١).
- ٢٢ - وله أيضاً بحرّة الرجلاء وادٍ يقال له البيضاء فيه مزارع وعفا^(١٢) وهو في صدقته^(١٣).
- ٢٣ - وله أيضاً بحرّة الرجلاء أربع أبر يقال لها (ذات كمالات) و(وذوات

١ - المصدر.

٢ - المصدر.

٣ - المصدر.

٤ - انظر بحار الأنوار، ٤١ / ٣٢ - ٣٣، ومناقب آل أبي طالب، ٢ / ١٢٢ - ١٢٣.

٥ - ابن شبّه النميري، تأريخ المدينة المنورة، ١ / ٢٢٣.

٦ - المصدر.

٧ - المصدر.

٨ - المصدر.

٩ - المصدر.

١٠ - تقع حرّة الرجلئ في ديار بني القين بين المدينة المنورة والشام.

١١ - المصدر.

١٢ - لعل المقصود أن في هذا الوادي مزارع وأرضاً صالحة للزراعة وأن فيه أيضاً أرضاً

١٣ - المصدر.

عافية الأثر.

٣٢٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

العشراء).. فهذه الأبر في صدقته^(١).

٢٤ - وله بناحية فذك واد بين لابتى حرّة يدعى رعية فيه نخل ووشل فذلك في صدقته^(٢).

٢٥ - وله أيضاً بناحية فذك مال بأعلى حرّة الرجلاء يقال له القصيبة^(٣)(٤).

٢٦ - وروى الشيخ الطوسي باسناده عن الحسين بن سعيد عن محمد بن عاصم عن الأسود بن أبي الأسود الدؤلي عن ربيعي بن عبد الله عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: تصدق أمير المؤمنين (عليه السلام) بدار له في بني زريق بالمدينة فكتب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا تَصَدَّقَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ حَيٌّ سَوِيٌّ تَصَدَّقَ بِدَارِهِ الَّتِي فِي بَنِي زُرَيْقٍ^(٥) صَدَقَةً لَا تُبَاعُ وَلَا تُوهَبُ، حَتَّى يَرِثَهَا اللَّهُ الَّذِي يَرِثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. وَأَسْكَنَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ فَلَانًا مَا عَاشَ وَعَاشَ عَقِبُهُ^(٦)، فَإِذَا انْقَرَضُوا فَهِيَ

١ - المصدر. ٢ - تاريخ المدينة المنورة، ١ / ٢٢٤.

٣ - المصدر. وليس يعني صاحب تاريخ المدينة المنورة أن لعلي بن أبي طالب مالاً في المنطقة الكذائية بل يعني أنه قد جعل ذلك المال صدقة لأنه في صدد تعداد صدقاته.

٤ - تاريخ المدينة المنورة، ١ / ٢٢٥.

٥ - بنو زريق: قوم من الأنصار وعامتهم في المدينة المنورة، منهم: سلمة بن صخر، وحنظلة بن النعمان بن عمرو، ورفاعة بن رافع، وعتيق بن معاوية بن الصامت، والنعمان بن عجلان أمير البحرين وعمان من قبل الإمام علي (عليه السلام).

٦ - وقد ورد النص في الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، وتهذيب الأحكام، شبيه بما ورد هنا إلا أن فيه: وَأَسْكَنَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ خَالِيَهُ مَا عِشْنَ وَعَاشَ عَقِبُهُنَّ فَإِذَا انْقَرَضُوا فَهِيَ لِذَوِي الْحَاجَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

لذوي الحاجة من المسلمين^(١).

٢٧ - وكنت قد عثرت على وثيقة تاريخية نصّها أو مفادها: أن علياً (عليه السلام) بنى مسجداً في إقليم الأهواز، في طريق المارّة، أو أنه أمر بتصلّحه وترميمه من أمواله الشخصية، وكانت التكاليف الأولية للمسجد عشرين ديناراً ذهباً، وخمس أواق من الفضة. ونصّ الوثيقة المباركة التي أرسلها الإمام أمير المؤمنين إلى القاضي عليّ الأهواز من قبله الشهيد السعيد رفاعة بن شداد البجليّ الفثياني: (وقد وُجّهتُ إليك من مالي عشرين ديناراً، وخمس أواقٍ من الفضة؛ لبناء المسجد الذي في طريق المارّة، فإن عجزت فمُرّ ابن حكيم يتولاه).

مشايخُ الأموال الشخصية

فإن الظاهر أن هذه المشايخ العامة كلها قد أنفق عليها الإمام أو أسسها من أمواله الخاصة وجهوده الشخصية، لا من بيت مال الدولة الإسلامية، بل إن قسطاً منها واضح جداً في ذلك، ومنصوص على وجهته الشخصية، كما في عبارة أعتق ألف مملوك من كدّ يده، وكما في جملة مائة ألف نخلة التي غرسها بيده، وكذا في عبارة: ووقف مال أبي نيزر، والبغيغة؛ فإن أبا نيزر من مواليه، والبغيغة من أراضيه، وهكذا قل بالنسبة إلى النص: أخرج مائة عين بينبع وجعلها للحجيج إلى غير ذلك.

الأهمية الكبرى للأوقاف

إذا ما كان من النافع جداً لذوي الحاجات أن يعينهم بعض المحسنين أو

١ - الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، الإستبصار ٤ / ٩٨، ٦١ - باب أنه لا يجوز بيع

٣٢٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
يتصدقوا عليهم، فتحل مشكلاتهم مؤقتاً، فإن من الأنفع كثيراً أن يزودوهم من
الأموال التي تقضي على مشاكلهم المادية طوال أعمارهم فلا تعاد لهم مشكلة من
هذا القبيل فيما بعد. غير أنه من الأنفع من هذا كله بشكل عام - وأجدد بالرعاية
والاهتمام، أن يتسارع الأغنياء المحسنون إلى القيام الجاد بالأوقاف الشرعية
الخاصة والعامة، ويبدلوا على ذلك ما وسعهم بذله من الأموال والممتلكات،
قرباناً لوجه الله تبارك وتعالى، فينتقل الانتفاع بالموقوفات المختلفة من فرد إلى
فرد أو من جماعة إلى جماعة أو من جيل إلى جيل إلى يوم القيامة، طبقاً لما جاء
في التشريع الإسلامي الخالد. فحينما أوقف الإمام علي داره في بني زريق قد
وضع أساساً في الاستفادة من الدار حيث يقول عنها: صَدَقَةٌ لَا تُبَاعُ وَلَا تُوهَبُ،
حَتَّى يَرِثَهَا اللَّهُ الَّذِي يَرِثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. وحينما تصدق صلوات الله عليه
بالضعيفين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيغة، على فقراء أهل المدينة وابن
السييل، سنّ لهما القانون السالف الذكر والقائل: لا تُباعا ولا توهبا، حتى يرثهما
الله وهو خير الوارثين.

ويشير الكاتب المغربي محمد بن عبد العزيز بن عبد الله إلى جوانب من
عظمة الأوقاف وأهميتها في الفكر الإسلامي حيث يقول: لقد عاش الوقف أكثر
من أربعة عشر قرناً كان خلالها مصدراً للخير ومنبعاً ثراً غزيراً يفيض بالعرف
والبركات على جهات البر المختلفة ووجوه الخير المتعددة، وقد وقى كثيراً من
البيوتات العظيمة والأسر الكريمة طرائد الشقاء وفرائس الفاقة وألم الجوع
ومرارة الحرمان كما حمى أولئك المشردين الذين تغادبهم الفاقة ويرادوهم
الموت ويضطربون اضطراب المهيب في القفص^(١).

على أن منافع الأوقاف في التشريع الاسلامي لا تقتصر كلها على الفقراء والمساكين بل كثيراً ما تتعداهم الى شتى من تنطبق عليهم الأحكام المحددة للأوقاف حتى وإن كانوا من الأثرياء، فهناك من الأوقاف مثلاً ما يمكن الاستفادة منها لكل حجاج بيت الله الحرام، وهناك من الأوقاف ما تعود منافعها لكل المصلين كبيوت العبادة والتهجد، وهناك الجداول وينابيع الماء لكل الشارين ولكل من يسقون أراضيهم الزراعية، إضافة الى المكتبات العامة وكثير من المراكز العلمية والمؤسسات الثقافية، وغير ذلك.

«مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (١).

الطريقة المثلى

وبهذه الطريقة المثلى من الجمع بين الجود بالمال كأفضل ما يكون وبين الجود بالنفس كأقصى ما يمكن يكون علي بن أبي طالب قد أخذ الجود الكامل بطرفيه وذاب فيه ذوبان من لا يخشى فقراً مهما كان الإنفاق ولا مَنِيَّةً مَهْمَا كَانَتِ النَتِيجَةُ الْمُتَرْتَبَةُ عَلَى اقْتِحَامِ أَتُونِ سَاحَاتِ الْمُوَاجَهَةِ

الطريقة المثلى

الجود بالنفس

(لو لم يكن في جوده وسخائه إلا نومه على فراش رسول الله صلى الله عليه ، وتعرضه للقتل دونه ، لكان به غنية عن ذكر غيره ؛ إذ كان كل شيء دون النفس جلاً يسيراً وخطباً حقيراً). هذا ما يطالعنا به السفر الكبير الأهمية «نزهة الأبصار ومحاسن الآثار»^(١) للعلامة علي بن مهدي الطبري المامطيري من أكابر علماء الأشاعرة في القرن الرابع الهجري تمجيداً لكرم الإمام أمير المؤمنين وتتميناً لجوده بالمال والنفس ؛ باعتبار أن الجود بالمال والجود بالنفس صفتان رائعتان في غاية سموّ والجمال ، يحثُّ أحدهما على الآخر ويُتَمَّمُ بعضهما بعضاً. وإذا ما كان أجود الناس من جاد بنفسه وماله في سبيل الله كما قال النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»^(٢). فقد لا يكون من المستجاد أن يتطرَّق من يتطرَّق إلى تفصيلات في الحديث عن الجود المالي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، من دون التعرُّض إلى الحديث عن الجود النفسي عنده ، ولطالما ذكر القرآن الكريم الجود المالي مقترناً بالجود النفسي بمثل قوله تعالى :

« انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ

١ - نزهة الأبصار ومحاسن الآثار / ٦٠. وكان المرفق بالله الجرجاني ت / ٤٣٠ هـ

تقريباً قد قال ما يماثل هذا الكلام في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين / ٦٤٣.

٢ - بحار الأنوار ٧٣ / ١٢ ، باب / ٩٧.

٣٣٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (١).

وبمثل قوله عز من قائل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ» (٢).

وبمثل قوله تبارك وتعالى: «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَقَضَىٰ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» (٣).

فكما أنه لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. فذلك لا يمكن بحال من الأحوال أن يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم دون ممارسة الجهاد، أو البذل والتضحية بأنفسهم.

وبناءً على هذا الأساس تكون النتيجة المنطقية الحقة أن المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم معاً، هم أفضل المؤمنين في هذا المجال.

وقعة بدر الكبرى

هذا مختصر مفيد لما جاء عن وقعة بدر وأحد والأحزاب وخيبر في كتاب «أسباب النزول» للواحدي، و«مجمع البيان» لأبي علي الطبرسي، ولما جاء في الكتب التاريخية مثل كتاب «المغازي» للواقدي، و«السيرة النبوية» لابن هشام الأنصاري، و«السيرة النبوية» لابن كثير الدمشقي، و«تاريخ الأمم والملوك» لمحمد بن جرير الطبري، و«الارشاد» للشيخ محمد المفيد، و«المناقب» لابن شهر آشوب السروي... الخ.

لقد نزل قوله تبارك وتعالى: «هَذَا نِ حَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ تَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ.»^(١) في ستة نفرٍ من المؤمنين والكفار تبارزوا يوم بدر وهم: حمزة وعبيدة وعلي، والوليد وعتبة وشيبة. وكان أبو ذر الغفاري يقسم بالله انها نزلت فيهم، وبه قال عطاء وابن خثيم وقيس بن عباد وسفيان الثوري والأعمش وسعيد بن جبيرة وابن عباس. ثم قال ابن عباس: فالَّذِينَ كَفَرُوا يعني عتبة وشيبة والوليد. قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ تَارٍ. وأنزل في أمير المؤمنين (عليه السلام) وحمزة وعبيدة: إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ.. إلى قوله صِرَاطِ الْحَمِيدِ^(٢).

جاء في أسباب النزول: روى قيس بن سعد بن عباد عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: فينا نزلت هذه الآية وفي مبارزينا يوم بدر، إلى قوله: عَذَابَ الْحَرِيقِ.

وروى جماعة عن ابن عباس: نزل قوله: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا

٣٣٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ»^(١). يوم بدر في هؤلاء الستة.

شعبة وقتادة وابن عباس في قوله تعالى: «وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ
وَأَبْكَى.»^(٢). أضحك علياً وحمزة وعبيدة يوم بدر المسلمين، وأبكى كفار مكة
حتى قتلوا، ودخلوا النار.

تفسير أبي يوسف النسوي وقبيصة بن عقبة، عن الثوري عن منصور عن
مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ». نزلت في علي وحمزة وعبيدة. كالمُفْسِدِينَ فِي
الْأَرْضِ.»^(٣). عتبة وشيبة والوليد.

الكلبي: نزلت في بدر: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ». أورده التطنزي في الخصائص عن الحداد عن أبي نعيم.

عن جعفر الصادق ومحمد الباقر (عليهما السلام) نزلت في علي: «وَلَقَدْ
نَصَرَ كُمْ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ»^(٤).

٢ - النجم، الآية / ٤٣.

١ - الجاثية، الآية / ٢١.

٣ - سورة ص الآية / ٢٨.

٤ - من الطبيعي أن يتساءل المرء باستغراب عن قول الصادق والباقر (ع) أن الآية
المباركة: «وَلَقَدْ نَصَرَ كُمْ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ». نزلت في علي مع أن الذين شهدوا بدرأ من المسلمين
يزيدون عن ثلاثمائة رجل؟

والجواب فيما نعتقد أن مرجع ذلك إلى أن لعلي بن أبي طالب نحو نصف قتلى المشركين، ومن
كان كذلك فلا غرابة إذا أن تسب حرب بدر له؛ إذ كلُّ الصيد في جوف الفرا كما في المثل
المنسوب إلى رسول الله «ص». ويؤكد هذا المعنى ما رواه ابن أبي الحديد عن أستاذ عمر بن
عبد العزيز حيث نقل عن التلميذ في شرح نهج البلاغة ٤ / ٥٩ أنه قال: كنت غلاماً أقرأ القرآن
على بعض ولد عتبة بن مسعود، فمر بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان ونحن نلعن علياً. فكره ذلك،
ودخل المسجد، فتركت الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه وردي، فلما رأني قام فصلني، وأطال

الطبري وصاحب الأغاني ومحمد بن إسحاق صاحب السيرة النبوية: كان صاحب راية رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يوم بدر علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولما التقى الجمعان تقدم عتبة وشيبة والوليد قالوا: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش. فتناولت الأنصار لمبارزتهم، فدفعهم النبي وأمر علياً وحمزة وعبيدة بالمبارزة، فحمل عبيدة علي عتبة فضربه علي رأسه ضربة فلقت هامته، وضرب عتبة عبيدة علي ساقه فأطنها فسقطا جميعا. وحمل شيبة علي حمزة فتضاربا بالسيف حتى انثلما، وحمل علي الوليد فضربه علي حبل عاتقه وخرج السيف من إبطه.

وفي إيانة الفلكي أن الوليد كان إذا رفع ذراعه ستر وجهه من عظمها وغلظها. ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا علي ما ترى هذا الكلب بهر عمك فحمل علي عليه ثم قال: يا عم طأطئ رأسك. وكان حمزة أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه علي فطرح نصفه، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه^(١). وقال زيد بن وهب: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) وذكر حديث

في الصلاة شبه المعرض عني، حتى أحسست منه بذلك، فلما انفتل من صلاته كبح في وجهي، فقلت له: ما بال الشيخ؟ فقال لي: يا بني أنت اللاعن علياً منذ اليوم؟ قلت: نعم قال: فمتى علمت أن الله سخط علي أهل بدر بعد أن رضي عنهم! فقلت: يا أبت وهل كان علي من أهل بدر؟ فقال: ويحك، وهل كانت بدر كلها إلا له. فقلت: لا أعود. فقال: اللة أنك لا تعود. قلت: نعم، فلم ألعنه بعدها.

١ - وكان حسان قال في قتل عمرو بن عبد ود:

ولقد رأيت غداة بدر عصابة ضربوك ضربا غير ضرب المحضر
أصبحت لا تدري ليوم كرهية يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

فأجابه بعض بني عامر:

كذبتم وبيت الله لا تقتلوننا ولكن بسيف الهاشمين فافخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغى بكف علي نلتم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن ود ولا ابنه ولكن الكفو الهزبر الغضنفر

٢٣٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

بدر: وقتلنا من المشركين سبعين وأسرنا سبعين .

محمد بن إسحاق: أكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعلي (عليه السلام) .

المرزباني في كتاب أشعار الملوك والخلفاء: أن علياً أشجع العرب حمل يوم بدر وزعزع الكتيبة وهو يقول:

لن يأكلوا التمر بظهر مكة من بعدها حتى تكون الركبة

وقعة أحد

كان صاحب لواء قريش كبش الكتيبة طلحة بن أبي طلحة العبدري نادى:

معاشر أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة؛ فهل منكم من أحد يبارزني؟

قال قتادة: فخرج إليه علي فضربه فقطع رجله فبدت سواته . وهو قول ابن

عباس والكلبي . وفي روايات كثيرة أنه ضربه في مقدم رأسه فبدت عيناه قال:

أنشدك الله والرحم يا ابن عم . فانصرف عنه ومات في الحال . ثم بارزهم حتى

قتل منهم ثمانية ، ثم أخذ اللواء صواب - عبد حبشي لهم - فضرب علي يده

فأخذه باليسرى ، فضرب عليها فأخذ اللواء وجمع المقطوعتين على صدره ،

فضرب علي أم رأسه فسقط اللواء؛ فأخذته عمرة بنت الحارث بن علقمة بن

عبد الدار فصرعت وانهزموا . فانكبَّ المسلمون على الغنائم ، ورجع

فلا تكثروا الدعوى عليه فتفجروا

شيوخ قريش حسرة وتأخروا

وجاء علي بالمهند يخطر

إليهم سراعا إذ سفوا وتجبروا

فدمرهم لما عتوا وتكبروا

علي الذي في الفخر طال ثناؤه

ببدر خرجتم للبراز فردكم

فلما أتاهم حمزة وعبيدة

فقالوا نعم أكفاء صدق فأقبلوا

فجال علي جولة هاشمية

المشركون فهزموهم .

زيد بن وهب الجهني : قلت لابن مسعود : انهزم الناس إلا علي وأبو دجاجة وسهل بن حنيف ؟ قال : انهزموا إلا علي وحده ، وثاب إليهم أربعة عشر : عاصم بن ثابت وأبو دجاجة ومُضْعَب بن عُمَيْر وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان بن شريد والمقداد وطلحة وسعد والباقون من الأنصار^(١) .

قال المؤلف : إما أن أبا دجاجة الأنصاري (رض) لم ينهزم قط كما في أكثر من خبر وهو المشهور ، وإما أنه كان من المنهزمين إلا أنه أول من رجع من هؤلاء ، إذ أن هؤلاء لم يرجعوا دفعة واحدة .

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو يذكر فقدانه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» ساعة الوطيس وانهزام الناس عنه : لحقني من الجزع ما لم أملك نفسي وكنت أمامه أضرب بسيفي ، فرجعت أطلبه فلم أراه فقلت : ما كان رسول الله ليفرّ وما رأيته في القتلى . فكسرت جفن سيفي وقلت في نفسي : لأقاتلن به حتى أقتل . وحملت على القوم ، فأفرجوا فإذا أنا برسول الله «صلى الله عليه وآله» فنظر إليّ وقال : ما صنع الناس يا علي ؟ قلت : كفروا يا رسول الله وولوا الدبر من العدو وأسلموك .

تأريخ الطبري وأغاني الأصفهاني ومغازي ابن إسحاق وأخبار أبي رافع أنه أبصر رسول الله كتيبة فقال لعلي : احمل عليهم . فحمل عليهم وفَرَّقَ جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي ، ثم أبصر كتيبة أخرى فقال : رُدَّ عني . فحمل عليهم فَفَرَّقَ جماعتهم وقتل شيبه بن مالك العامري .

١ - عبارة والباقون من الأنصار لا تعني أن جميع المذكورين في قائمة الذين تابوا إلى المعركة من المهاجرين ، فمن المعلوم أن عاصم بن ثابت وأبا دجاجة من الأنصار ، ولكن تعني أن البقية التي لم يذكرها ابن مسعود من الأنصار فحسب .

٣٤٠..... فلسفة الجرد والإينار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وفي رواية أبي رافع ثم رأى كتيبة أخرى فقال: ما صنع الناس يا علي؟
أحمل عليهم. فحمل عليهم فهزمهم، وقتل هاشم بن أمية المخزومي فقال
جبرئيل: يا رسول الله إن هذِهِ لَهِيَ المُوَاسَاةُ! فقال رسول الله «ص»: إنه مني
وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما. فسمعوا صوتاً: لا سيف إلا ذو الفقار ولا
فتى إلا علي.

وكان المسلمون لما أصابهم من البلاء أثلاثاً: ثلث جريح، وثلث قتيل،
وثلث منهزم.

ولما علم أبو سفيان أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يزل في ساحة
المعركة حثّ المشركين عليه. فاستقبلهم علي بن أبي طالب وهزمهم، ونادى:
معاشر المسلمين ارجعوا إلى رسول الله. فكانوا يتوبون ويثنون على علي
ويدعون له. وكان قد انكسر سيف علي (عليه السلام) بُعَيْدَ ذلك فقال النبي
«ص»: خذ هذا السيف. فأخذ ذا الفقار وهزم القوم مرة أخرى.

وروي عن أبي رافع بطرق كثيرة أنه لما انصرف المشركون يوم أحد وبلغوا
الروحاء قالوا: لا الكواعب أردفتهم ولا محمداً قتلتم ارجعوا. فبلغ ذلك رسول الله
«صلى الله عليه وآله وسلم» فبعث في آثارهم علياً في نفر من الخزرج، فجعل لا
يرتحل المشركون من منزل إلا نزله علي؛ فأنزل الله تعالى: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ
وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ..»^(١). وفي خبر أبي رافع: أن النبي نفل على
جراحه ودعاه له وبعثه خلف المشركين فنزلت فيه الآية^(٢).

١ - آل عمران، الآية / ١٧٢.

٢ - قال الحجاج بن علاط السلمي أحد شعراء الصحابة:

لله أي مذبذب عن حزيه	أعني ابن فاطمة المِعَمَّ المخولا
جادت يداك له بعاجل طعنة	تركت طليحة للجبين مجندلا
وشددت شدة بأسل فكشفتهم	بالسيف إذ يهوون أحول أحولا

وَقَعَةُ الْأَحْزَابِ

لقد أوردت الحديث عن واقعة الأحزاب أو الخندق كتب تاريخية كثيرة كالسيرة النبوية لابن هشام الأنصاري والسيرة النبوية لابن كثير الدمشقي والسيرة النبوية لزيني دحلان وتاريخ الطبري وابن الأثير والإرشاد للشيخ المفيد والمغازي للواقدي وغيرها. وقصة الواقعة التي جرت في السنة الخامسة للهجرة: أن عدداً من الشخصيات اليهودية كسلام بن أبي الحقيق النضري وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع وهوذة بن قيس الوالبي في نفر من بني والبة، خرجوا حتى قدموا مكة فصاروا إلى أبي سفيان صخر بن حرب لعلمهم بعداوته لرسول الله «ص»، وتسرعوا إلى قتاله، فذكروا له ما نالهم منه، وسألوه المعونة لهم على قتاله. فقال لهم أبو سفيان: أنا لكم حيث تحبون فاخرجوا إلى قريش فادعوهم إلى حربهم وامنوا النصر لهم والشبوت معهم حتى تستأصلوه. فطافوا على وجوه قريش ودعوهم إلى حرب النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وقالوا لهم: أيدينا مع أيديكم ونحن معكم حتى تستأصلوه. فقالت قريش: يا معشر اليهود أأنتم أهل الكتاب الأول والعلم السابق وقد عرفتم الدين الذي جاء به محمد وما نحن عليه من الدين، فديننا خير من دينه، أم هو أولى بالحق منا؟ فقالوا لهم: بل دينكم خير من دينه؛ فنشطت قريش لما دعوهم إليه من حرب رسول الله «ص».

لترده حران حتى ينهلا

شج النبي وكلم الشفتان

من تطايرين تطاير الخيفان

قتل النبي فكان غير ممان

نلنا أماناً من أبي سفيان

بالروح أحمد منهما يقيان

وهما بحبل الله معصمان

وعللت سيفك بالدماء ولم يكن

ولاين علوية في ملحمة المعروفة بالمحبرة:

وله بأحد بعد ما في وجهه

وانقض منه المسلمون وأظهروا

ونداؤهم قتل النبي وربنا

ويقول قائلهم ألا يا ليتنا

وأبو دجانة والوصي وصيه

فسروا وما فرا هناك وأدبروا

٣٤٢..... فلسفة الجُودِ والإِثَارِ لَدُنِ الإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)
وجاءهم أبو سفيان فقال لهم: قد مكنكم الله من عدوكم وهذه يهود تقاتله
معكم، ولن تنفل عنكم حتى يؤتى علي جميعها، أو تستأصله ومن اتبعه؛ فقويت
عزائمهم إذ ذاك في حرب النبي «ص».

ثم خرج اليهود حتى أتوا غطفان وقيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول
الله «ص»، وضمنوا لهم النصر والمعونة، وأخبروهم باتباع قريش لهم علي
ذلك، واجتمعوا معهم. وخرجت قريش وقائدها إذ ذاك أبو سفيان صخر بن
حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة، والحارث بن
عوف في بني مُرَّة، ووبرة بن طريف في قومه من أشجع^(١)، واجتمعت قريش
معهم. فلما سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» باجتماع الأحزاب عليه
وقوة عزيمتهم في حربه استشار أصحابه؛ فأجمع رأيهم علي المقام بالمدينة
وحرب القوم إن جاءوا إليهم علي أنقابها. فأشار سلمان الفارسي رحمه الله علي
رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» بالخذق، فأمر بحفره، وعمل فيه بنفسه،
وعمل فيه المسلمون.

وأقبلت الأحزاب إلى رسول الله «ص»؛ فهال المسلمين أمرهم، وارتاعوا
من كثرتهم وجمعهم، فنزلوا ناحية من الخندق، وأقاموا بمكانهم بضعا وعشرين
ليلة، ثم لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار.

اقتحام الخندق

وانتدبت فوارس من قريش للبراز منهم عمرو بن عبد وُدّ من بني عامر بن
لوَي بن غالب، ومعه ابنه جِشَل بن عمرو، وعِكرِمَة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي
وهب المخزوميان، وضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري، فلبسوا للقتال، ثم

١- فزارة ومرة وأشجع من بطون غطفان، وغطفان من قبائل قيس بن عيلان بن مُضَر.

خرجوا على خيلهم ، حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهيئوا يا بني كنانة للحرب . ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق . فلما تأملوه قالوا : والله إن هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمموا مكاناً من الخندق فيه ضيق ، فضربوا خيلهم فاقتحمته وجالت بهم في السبخة بين الخندق و سلع . وخرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الشجرة التي اقتحموها . فتقدم عمرو بن عبد ود والجماعة الذين خرجوا معه وقد أَعْلَمَ لِيُرَى مكانه . فلما رأى المسلمين ، وقف هو والخيل التي معه وقال : هل من مبارز ؟ فبرز إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له عمرو : ارجع يا ابن أخ فما أحب أن أقتلك . فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : قد كنت يا عمرو عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خصلتين إلا اخترتها منه . قال : أجل فماذا . قال : فإني أدعوك إلى الله ورسوله والإسلام . قال : لا حاجة لي بذلك . قال : فإني أدعوك إلى النزال . فقال : ارجع فقد كان بيني وبين أبيك خُلة ، وما أحب أن أقتلك . فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : لكنني والله أحب أن أقتلك ما دمت آيياً للحق . فحمي عمرو عند ذلك وقال : أتقتلني ! ونزل عن فرسه فعفره وضرب وجهه حتى نفر ، وأقبل على علي (عليه السلام) مُضَلِّتاً سيفه ، وبدره بالسيف فنشب سيفه في ترس علي ، وضربه أمير المؤمنين ضربة فقتله ، وقتل معه ابنه جِسْلَ بن عمرو^(١) . فلما رأى عكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة ، وضرار ، عمراً وابنه صريعين ، ولوا بخيلهم منهزمين ، حتى اقتحمت الخندق لا تلوي على شيء .

وقد روى محمد بن عمر الواقدي قال : حدثني عبد الله بن جعفر عن ابن أبي

١ - وروى في صورة ثانية أن الإمام (عليه السلام) قال له : قد كنت يا عمرو عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى ثلاث إلا اخترتها منه . قال : أجل فماذا . قال : فإني أدعوك إلى الله ورسوله والإسلام . قال : لا حاجة لي بذلك . قال : فإني أدعوك أن ترجع بمن معك . فقال عمرو : إذا تتحدث العرب بفراري . قال : فإني أدعوك إلى النزال ...

٣٤٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
عون عن الزهري قال : جاء عمرو بن عبد ودّ وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي
وهب ونوفل بن عبد الله بن المغيرة وضرار بن الخطاب في يوم الأحزاب إلى
الخنندق ، فجعلوا يطوفون به يطلبون مضيقاته فيعبرون حتى انتهوا إلى مكان
أكرهوا خيولهم فيه فعبرت ، وجعلوا يجولون بخيلهم فيما بين الخندق وسلح ،
والمسلمون وقوف لا يقدم واحد منهم عليهم ، وجعل عمرو بن عبد ودّ يدعو إلى
البراز ، وفي كل ذلك يقوم علي بن أبي طالب (عليه السلام) من بينهم ليبارزه
فيأمره رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » بالجلوس انتظاراً منه ليستحرك
غيره ، والمسلمون كأنّ عليّ زؤوسهم الطير لِمَكَانِ عمرو بن عبد ودّ والخوف منه
وممن معه ووراءه . فلما طال نداء عمرو بالبراز وتتابع قيام أمير المؤمنين (عليه
السلام) قال له رسول الله «ص» : ادنُ مني يا علي . فدنا منه فنزع عمامته من
رأسه وعمّمه بها وأعطاه سيفه وقال له : امضِ لشأنك . ثم قال : اللهم أعنه . فسعى
نحو عمرو ومعه جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله لينظر ما يكون منه ومن
عمرو ، فلما انتهى أمير المؤمنين (عليه السلام) إليه قال له : يا عمرو إنك كنت في
الجاهلية تقول : لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلا قبلتها ، أو واحدة منها . قال أجل .
قال : فإني أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن تسلم
لرب العالمين . قال : يا ابن أخٍ أخر هذه عني . فقال له أمير المؤمنين : أما إنها خير
لك لو أخذتها . ثم قال : فيها هنا أخرى . قال : ما هي ؟ قال : ترجع من حيث جئت .
قال : لا تحدث نساء قريش بهذا أبداً . قال : فيها هنا أخرى . قال : ما هي ؟ قال :
تنزل فتقاتلني . فضحك عمرو وقال : إن هذه الخصلة ما كنت أظن أن أحداً من
العرب يرومني عليها ، وإني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك ، وقد كان أبوك لي
نديماً . قال علي (عليه السلام) : لكنني أحبُّ أن أقتلك فانزل إن شئت . فأسف^(١)

١ - أسف هنا بمعنى غضب ، قال تعالى : « قَلَمًا ءَاسْفُونًا أَنْتَقَمْنَا مِنَّهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ »

عمرو ونزل وضرب وجه فرسه حتى رجع .

فقال جابر بن عبد الله رحمه الله : وثارت بينهما فترّة فما رأيتهما وسمعت التكبير تحتها فعلمت أن علياً قد قتله ، وانكشف أصحابه حتى طفرت خيولهم الخندق وتبادر المسلمون حين سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم ، فوجدوا نوفل بن عبد الله في جوف الخندق لم ينهض به فرسه فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم : قتله أجمل من هذه ينزل بعضكم أقاتله . فنزل إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) فضربه حتى قتله ، ولحق هبيرة فأعجزه فضرب قربوس سرجه وسقطت درع كانت عليه ، وفر عكرمة ، وهرب ضرار بن الخطاب . فقال جابر : فما شبّهت قتل علي عمراً إلا بما قصّ الله تعالى من قصة داود وجالوت حيث يقول : « فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ »^(١) .

وقد روى قيس بن الربيع قال : حدثنا أبو هارون العبدي عن ربيعة السعدي قال : أتيت حذيفة بن اليمان فقلت له : يا أبا عبد الله إنا لنتحدث عن علي (عليه السلام) ومناقبه فيقول لنا أهل البصرة : إنكم تفرطون في علي . فهل أنت محدّثي بحديث فيه ؟ فقال حذيفة : يا ربيعة وما تسألني عن علي ؟ والذي نفسي بيده لو وضع جميع أعمال أصحاب محمد في كفة الميزان منذ بعث الله محمداً إلى يوم القيامة ، ووضع عمل علي في الكفة الأخرى ؛ لرجح عمل علي على جميع أعمالهم . فقال ربيعة : هذا الذي لا يقام له ولا يقعد . فقال حذيفة : يا الكع وكيف لا يحمل ، وأين كان أبو بكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب محمد يوم عمرو بن عبد ودّ وقد دعا إلى المبارزة ؛ فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً فإنه برز إليه فقتله الله على يديه . والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال

١ - قال تعالى « فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ » البقرة، الآية / ٢٥١ .

أصحاب محمد إلى يوم القيامة .

وروى يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال : لما قتل علي عمرا ، أقبل نحو رسول الله «ص» ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطاب : هلا سلبته يا علي درعه ! فإنه ليس تكون للعرب درع مثلها ؟ فقال (عليه السلام) : إنني استحييت أن أكشف عن سواة ابن عمي .

وروى عمرو بن الأزهر عن عمرو بن عبيد عن الحسن : أن علياً (عليه السلام) لما قتل عمرو بن عبد ودّ احتز رأسه وحمله ؛ فألقاه بين يدي رسول الله «ص» فقام أبو بكر وعمر فقَبَلَا رأس علي .

وفي الأحزاب أنزل الله عز وجل : «إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا» هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا . إلى قوله : وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا^(١) . فتوجه العتب إليهم والتوبيخ والتفريع والعتاب ، ولم ينج من ذلك أحد باتفاق إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؛ إذ كان الفتح على يديه ، وكان قتله عمراً ، ونوفل بن عبد الله ، سبب هزيمة المشركين . وقال رسول الله «ص» بعد قتله هؤلاء النفر : «الآن نغزوهم ولا يغزونا» .

وقد روى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا سليمان بن أيوب ، عن أبي الحسن المدائني قال : لما قتل علي بن أبي طالب عمرو بن عبد ود ، نُعي إلى أخته فقالت : مَنْ ذا الذي اجترأ عليه ! فقالوا : ابن أبي طالب . فقالت : لم يعد يومه على يد كفاء كريم ، لا رقات دمعتي إن هرقتها عليه ؛ قتل الأبطال وبارز الأقران ،

١ - قوله تبارك وتعالى : «إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ» إلى قوله تعالى : «وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا»

وكانت منيته على يد كُفءٍ كريمٍ قومه، ما سمعت أفخرَ من هذا يا بني عامر^(١).

وقعة خيبر

ذكر أبو كريب ومحمد بن يحيى الأزدي في أماليهما، ومحمد بن إسحاق والعمادي في مغازيها، والنظري والبلاذري في تأريخيهما، والثعلبي والواحدي في تفسيريهما، وأحمد بن حنبل وأبو يعلى الموصلي في مسنديهما، وأحمد والسمعاني وأبو السعادات في فضائلهم، وأبو نعيم في حليته، والأشعبي في اعتقاده، وأبو بكر البيهقي في دلائل النبوة، والترمذي في جامعه، وابن ماجه في سننه، وابن بطة في إبانته من سبع عشرة طريقاً عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وسهل بن سعد وسلمة بن الأكوع وبريدة الأسلمي وعمران بن الحصين وعبد الرحمن بن أبي ليلى (عن أبيه) وأبي سعيد الخدري وجابر الأنصاري وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة: أنه لما خرج مرحب برجله، بعث النبي أبا بكر برايته مع المهاجرين في راية بيضاء، فعاد، ثم بعث عمر من بعده، فرجع، فقال النبي «ص»: «لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار يأخذها عنوة، وفي رواية: يأخذها بحقها، وفي رواية: لا يرجع حتى يفتح الله على يده».

البخاري ومسلم أنه قال: لما قال النبي «صلى الله عليه وسلم» حديث الراية بات الناس يذكرون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الصبح غدوا على رسول الله كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يشتكي عينيه. فقال: فأرسلوا إليه. فأتي به، فقتل النبي في عينيه ودعاه، فبرأ

١ - واشتهرت في ذلك أبياتها الشعرية التي أولها:

أسدان في ضيق المكرِّ تصاولا وكلاهما كفء كريمٍ باسل

٣٤٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
فأعطاه الراية.

وفي رواية ابن جرير ومحمد بن إسحاق: فعدت قريش يقول بعضهم لبعض:
أما علي فقد كُفيتموه فإنه أرمدا لا يبصر موضع قدمه. فلما أصبح قال: ادعوا لي
علياً، فقالوا: به رمد. فقال: أرسلوا إليه وادعوه. فجاء علي بغلته وعينه معصوبة
بخرقة برد قطري، فأخذ سلمة بن الأكوع بيده وأتى به إلى النبي.. القصة.

وفي رواية الخدري: أنه بعث إليه سلمان وأبا ذر فجاءا به يقادا، فوضع النبي
رأسه على فخذه، وتفل في عينيه، فقام وكأنهما جزعان، فقال له: خذ الراية
وامض بها فجبرئيل معك والنصر أمامك، والرعب مثبت في صدور القوم، واعلم
يا علي أنهم يجدون في كتابهم أن الذي يُدمر عليهم اسمه إلیا، فإذا لقيتهم فقل: أنا
علي فإنهم يخذلون إن شاء الله تعالى.

فضائل السمعاتي إنه قال سلمة: فخرج أمير المؤمنين بها يهرول هرولة حتى
ركز رايته في رضح من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودي فقال: من أنت
فقال: أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي: غلبتم وما أنزل علي موسى.

كتاب ابن بطة عن سعد وجابر وسلمة: فخرج يهرول هرولة وسعد يقول: يا
أبا الحسن أربع يلحق بك الناس. فخرج إليه مرحب في عامة اليهود، وعليه مغفر
وحجر قد ثقبه مثل البيضة على أم رأسه فضربه علي على مقدمه ففقد الحجر
والمغفر ونزل في رأسه حتى وقع في الأضراس، وأخذ المدينة.

وذكر الطبري في التاريخ والمناقب وأحمد في الفضائل ومسند الأنصار أنه
سمع أهل العسكر صوت ضربته.

وفي مسلم: لما فلق علي رأس مرحب كان الفتح.

وذكر ابن ماجة في السنن: أن علياً لما قتل مرحب أتى برأسه إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم».

الواقدي: فوالله ما بلغ عسكر النبي أخيراً حتى دخل علي (عليه السلام) حصون اليهود كلها، وهي قموص وناعم وسلام ووطيخ وحصن المصعب بن معاذ، وغنم. وكانت الغنيمة نصفها لعلي، ونصفها لسائر الصحابة.

قال الصحابي الفقيه جابر بن عبد الله الأنصاري: لما قدم علي رسول الله «ص» بفتح خبير قال له رسول الله «ص»: لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) لقلت فيك قولاً لا تمرُّ بملاً إلا أخذوا التراب من تحت رجلك ومن فاضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وأنت تبرئ ذمتي وتقاتل علي ستي، وأنت غداً علي الحوض خليفتي، وأنت أول من يُكسى، وأنت أول داخل الجنة من أمتي، وأن شيعتك علي منابر من نور مبيضة وجوههم حولي أشفع لهم ويكونوا غداً في الجنة جيرانني، وأن حربك حربي وسلمك سلمني، وأن سرّك سرّي وعلانيتك علانيتي، وأن سريرة صدرك كسريرتي، وأن ولدك ولدي، وأنت تنجز عِداتي، وأن الحق معك وعلي لسانك وقلبك وبين عينيك، الإيمان مخالط بلحمك ودمك كما خالط بلحمي ودمي، وأنه لن يرد علي الحوض مبيض لك، ولن يغيب عنه محب لك حتى يرد علي الحوض معك.

قال: فخر علي ساجداً ثم قال: الحمد لله الذي أنعم علي بالإسلام، وعلمني القرآن، وحببني إلى خير البرية خاتم النبيين وسيد المرسلين؛ إحساناً منه وفضلاً علي. فقال النبي «ص»: لولا أنت لم يعرف المؤمنون بعدي.

الجود الكامل بطرقه

وهكذا يكون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عظيم الناس وذا جلالهم وسنائهم، والجواد الفذ المبين في مواقفه وبطولاته ومشاهدته الكبرى في ميادين القتال وساحات الجهاد الكبير.

وهكذا يكون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عظيم الناس وكريمهم والجواد الفذ المبين في بذله وفضله وعطائه ومشاهدته الكبرى في ميادين الإنفاق وحلبات الجهاد المالي الكبير، والتقرب إلى السميع العليم تبارك وتعالى بما ملكت يده، حتى أنه لم يكن في يوم من الأيام من « الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ..^(١)، كما أنه ليس من « الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ..^(٢) . على الرغم من توفر فرص الاكتناز والادخار لديه مراراً وتكراراً من حلال ومشروعية في حياة رسول الله « صلى الله عليه وآله»، وما بعد حياته، حتى وافاه الأجل، كما رأينا في موضوع الموارد المالية من هذا الكتاب.

ويؤكد المحقق النحرير في المعقول والمنقول العلامة الحسن بن يوسف الحلبي على التناسب والتناسب ما بين الجود بالنفس والجود بالمال في صيغة من الصيغ التكاملية قائلاً عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: لا خلاف في أنه كان أسخى الناس جاد بنفسه فأنزل الله في حقه « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ»، وتصدق بجميع ماله في عدة مرات. وجاد بقوته ثلاثة أيام. وكان يعمل بيده حديقة ويتصدق بها^(٣).

وبهذه الطريقة العلوية المثلى من الجمع بين الجود بالمال كأفضل ما يكون، وبين الجود بالنفس كأقصى ما يمكن، يكون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) قد أخذ الجود الكامل بطرفيه، وذاب فيه ذوبان من لا يخشى فقراً أبداً مهما كان البذل والانفاق، ولا مَيَّةً أبداً مهما كانت النتيجة الحاسمة المترتبة على اقتحام أتون ساحات المواجهة الحادة والكفاح الصعب المرير.

وهكذا تَجَسَّدَ البطولاتُ الخارقةُ في أسمى معانيها وأسنَى مقاصدها وأشمل مراميها ومواطنها في شَخِصِيَّةِ أَبِي السَّبْطِينِ، فمن فائده أن ينظر أي جانب رائع من جوانب البطولات العالمية الكبرى ويستلهم من روحه ويستشف جوهره فليشخص عينيه ويرمي بطرفه بعيداً إلى حيث يرى أبا السبطين فإنه سوف يمثل مُتَجَسِّمًا أَمَامَهُ في أبهى مضامينه وأعذب موارده، يقول الاستاذ الكبير ميخائيل نعيمة: بطولات الإمام ما اقتصرت يوماً على ميادين الحرب، فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته، وطهارة وجدانه، وسحر بيانه، وعمق إنسانيته، وحرارة إيمانه، وسُمُوِّ دعوته، ونصرته للمظلوم والمحروم من الحارم والظالم، وتعبده للحق أينما تجلَّى له الحق. وهذه البطولات، ومهما تقادم بها العهد، لا تزال مقلعاً غنياً تعود إليه اليوم وفي كل يوم، كلما اشتدَّ بنا الوجودُ إلى بناء حياةٍ صالحةٍ فاضلة^(١).

« لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا »^(٢).

١ - من مقدمة ميخائيل نعيمة لموسوعة المفكر المسيحي جورج جرداق المعروفة بـ

الإمام علي صوت العدالة الإنسانية / ٢٠.

٢ - النساء، الآية / ٩٥ - ٩٦.

انتظام الحكم التنظيمية

انتشار الدرر والنفائس

في الحقيقة أنه قد طال الحديث عن الإيثار والمؤثر والكرم والكرام والجود والجواد والإحسان والمحسن والبخل والبخل.. في نصوص حكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وكلماته التي أوردناها في هذا الكتاب؛ ونتيجة لكثرتها وانتشار دررها ولثالثها في أماكن متفرقة جداً ومتباعدة تباعداً بيئياً، رأينا أن نودعها في صفحات قليلة ينتظم بعضها مع الآخر من أجل أن تمثل جميعها أمام القراء الكرام في ساعة واحدة من دون حاجة إلى مراجعتها أو البحث عنها في تضاعيف الكتاب الذي استدعاها منهج البحث، كما قد ضمنا إليها حكماً أخرى للإمام علي في نفس الموضوع أيضاً، نقلناها من الكتب التي أكثرت من ذكر حكم الإمام، وذلك مثل: «رسائل ابن أبي الدنيا» تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي، و«المحاسن» تأليف أحمد بن محمد بن خالد البرقي، و«الكافي»، تأليف محمد الكليني، و«تحف العقول» تأليف ابن شعبة الحرّاني، و«الاعتبار وسلوة العارفين» تأليف الموفق بالله الحسن بن اسماعيل الجرجاني، ونزهة الأبصار ومحاسن الآثار لعلي المامطيري، و«نهج البلاغة» جمع الشريف الرضي الموسوي، و«العقد الفريد» تأليف أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي، و«شرح نهج البلاغة»، تأليف عزّ الدين بن أبي الحديد المعتزلي، و«غرر الحكم ودرر الكلم» تأليف عبد الواحد التميمي الآمدي، وفرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين تأليف إبراهيم بن محمد بن المؤيد الجويني، و«عيون الحكم والمواعظ» تأليف علي بن محمد الواسطي، و«بحار الأنوار» تأليف محمد باقر المجلسي (لا سيما من الجزء ٧١ إلى الجزء ٧٥) و«وسجع الحمام في حكم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»، تأليف علي الجندي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد يوسف المحجوب، و«نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة» تأليف محمد باقر المحمودي.

الإيثار والمؤثر

قال إمام الحكماء والفلاسفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب :

- عند الإيثار على النفس تتبين جواهر الكرماء .

- الإيثار أشرف الكرم .

- الإيثار أفضل عبادة ، وأجل سيادة .

- الإيثار فضيلة .

- من آثر على نفسه بالغ في المروءة .

- من آثر على نفسه استحق اسم الفضيلة .

- الإيثار غاية الإحسان .

- أفضل السخاء الإيثار .

- أحسن الكرم الإيثار .

- أفضل الناس السخي المؤثر .

- من شيم الأبرار : حمل النفوس على الإيثار .

- خير المكارم الإيثار .

- لا تكمل المكارم الا بالعفاف والإيثار .

- عامل سائر الناس بالانصاف ، وعامل المؤمنين بالإيثار .

- الإيثار أعلى مراتب الكرم وأفضل الشيم .

- الإيثار أحسن الإحسان ، وأعلى مراتب الإيمان .

- الإيثار سجية الأبرار ، وشيمة الأخيار .

- بالإيثار يُسترق الأحرار .

- بالإيثار يُستحق اسم الكرم .

- بالإيثار على نفسك تملك الرقاب .

- كفى بالإيثار مكرمة .

- من أفضل الاختيار التحلي بالإيثار .

- المؤثر على نفسه من أهل الجنة .

- الموقنون والمخلصون والمؤثرون من رجال الأعراف .

- كُنْ جَوَاداً مُؤَثِراً ، أَوْ مُقْتَصِداً مُقَدِّراً ، وَلَا تَكُنِ الثَّالِثَ فَتَهْلِكَ .

الاسْتِثْنَاءُ وَالْمُسْتَأْثِرُ

- إِيَّاكَ وَالِاسْتِثْنَاءَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أَسْوَةٌ ، وَالتَّغْيِيْبَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ ؛ فَإِنَّهُ مَا خُوذُ مِنْكَ لِغَيْرِكَ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَسِفُ عَنْكَ أَعْظِيَةَ الْأُمُورِ ، وَيُتَّصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ .

- إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمْ اسْتِثْنَاءٌ وَتَطَاوُلٌ وَقِلَّةٌ انْتِصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِمِ مَسْئَلَةَ أَوْلِيئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَخْوَالِ .

- لله سبحانه حُكْمٌ وَاقِعٌ ، فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ .

- الاسْتِثْنَاءُ يُوجِبُ الْحَسَدَ ، وَالْحَسَدُ يُوجِبُ الْبَغْضَةَ ، وَالْبَغْضَةُ تُوْجِبُ الْاِخْتِلَافَ ، وَالْاِخْتِلَافُ يُوجِبُ الْفِرْقَةَ ، وَالْفِرْقَةُ تُوجِبُ الضَّعْفَ ، وَالضَّعْفُ يُوجِبُ الدُّلَّ .

- إِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا قَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أَسْوَةٌ فَهَرَبُوا إِلَيْنَا الْأَثْرَةَ فَبَعْدًا لَهُمْ وَسُخْقًا ، إِنَّهُمْ وَاللَّهِ لَمْ يَفِرُّوا مِنْ جَوْرِ وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلِ .

- أفتطمع وأنت متمرغ في النعيم تستأثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والأرملة واليتيم أن يحسب لك أجر المتصدقين .

- مَنْ مَلَكَ اسْتِثْنَاءً .

الكَرْمُ وَالكَرِيمُ

- مَنْ بَدَّلَ النِّوَالَ قَبْلَ السُّؤَالِ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمَحْبُوبُ .
- مَنْ رُجِيَ الرِّزْقُ لَدَيْهِ ، صُرِفَتْ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ إِلَيْهِ .
- مَنْ لَمْ تَعْرِفِ الْكَرْمَ مِنْ طَبَعِهِ فَلَا تَرْجِهِ .
- حَلَلُ الْكَرَامِ الْمَدَائِحُ .
- بِالْكَرْمِ يُمَدَّحُ الْحَسِيبُ النَّسِيبُ .
- لَا يُكْرِمُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ حَتَّى يُهَيِّنَ مَالَهُ .
- أَكْرَمُ تَعَزَّرَ .
- الْإِفْضَالُ أَفْضَلُ الْكَرْمِ .
- كَثِيرٌ مِنَ الْحَاجَاتِ تُقْضَى بَرَمًا لَا كَرَمًا .
- الْكَرْمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحْمِ .
- مِنْ شِيَمِ الْكَرَامِ بَذَلُ النَّدَى .
- مِنْ كَرَمِ الْمَرْءِ : بَكَاءُهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ ، وَحَنِينُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَحِفْظُهُ قَدِيمِ إِخْوَانِهِ .
- مِنْ الْكَرْمِ لِينُ الشَّيْمِ ، مِنْ الْكَرْمِ صَلَةُ الرَّحْمِ ، مِنْ الْكَرْمِ مَنَعُ الْحَرَمِ .
- الْكَرْمُ حَسَنُ الْفِطْنَةِ ، وَاللُّؤْمُ سُوءُ التَّغَافُلِ .
- ذُو الْكَرْمِ جَمِيلُ الشَّيْمِ ، مُشَدِّ لِلنِّعَمِ ، وَصُورٌ لِلرَّحْمِ .
- الْكَرْمُ بَرِيءٌ مِنَ الْحَسَدِ .
- إِنَّ مَكْرَمَةً صَنَعْتَهَا إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، إِنَّمَا أَكْرَمْتَ بِهَا نَفْسَكَ ، وَزَيَّنْتَ بِهَا عَرْضَكَ ؛ فَلَا تَطْلُبْ مِنْ غَيْرِكَ شُكْرَ مَا صَنَعْتَ إِلَى نَفْسِكَ .
- خَيْرُ الْكَرْمِ جُودٌ بِلَا طَلْبِ مَكَافَاةٍ .
- أَصْلُ الْمَحَاسِنِ كُلُّهَا الْكَرْمُ ، وَأَصْلُ الْكَرَمِ نِزَاهَةُ النَّفْسِ عَنِ الْحَرَامِ ،

وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام .

- الوفاء سجية الكرام .

- الرغبة الى الكريم تحرّكه على البذل ، والى الخسيس تغريه بالمنع .

- إِذَا أَكْرَمَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ بِالْكَرَامَةِ فَلْيَقْبَلْهَا فَإِنْ كَانَ ذَا حَاجَةٍ صَرَفَهَا فِي

حَاجَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجًا وَضَعَهَا فِي مَوْضِعِ حَاجَةٍ حَتَّى يُؤَجَرَ فِيهَا صَاحِبُهَا .

- الكريم من بدأ بإحسانه .

- الكريم من بذل إحسانه .

- الكريم يرى أن مكارم أفعاله ديناً عليه يقضيه .

- الكريم يزدجر عمّا يفتخر به اللّثيم .

- الكريم اذا وعد وفى ، واذا قدر عفى .

- الكريم لا يلين على قسر ، ولا يقسو على يسر .

- الكريم اذا قدر صفح ، واذا ملك سمح ، واذا سئل أنجح .

- الكريم اذا احتاج إليك أعفاك ، واذا احتجت إليه كفاك .

- الكريم يعفو مع القدرة ، ويعدل مع الإمرة ، ويكف إساءته ، ويبذل

إحسانه .

- الكريم عند الله محبوب مثاب ، وعند الناس محبوب مهاب .

- الكريم من صان عرضه بماله ، واللّثيم من صان ماله بعرضه .

- الكريم يشكر القليل ، واللّثيم يكفر الجزيل .

- الكريم من سبق نواله سؤاله .

- الكريم من جاد بالموجود .

- احذر الكريم اذا أهنته ، والحليم اذا أخرجته ، والشجاع اذا أوجعته .

- منع الكريم أحسن من بذل اللّثيم .

- منزع الكريم أبداً الى شيم آبائه .

٣٦٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

- يُستدلُّ على الكريم بحُسن بشره، وبذل برّه.
- فاقه الكريم أحسن من غنى اللئيم.
- احذروا صولة الكريم اذا جاع، وصولة اللئيم اذا شبع.
- اذا غضب الكريمُ فالن له الكلام، واذا غضب اللئيم فخذ له العصا.
- أسوأ ما في الكريم أن يمنعك نداءه، وأحسن ما في اللئيم أن يكف عنك أذاه.

- الكريمُ يلين إذا استعطف، واللئيم يقسو إذا أطف.
- أقبح أفعال الكريم منع عطائه.
- لقد أتعبك من أكرمك إن كنت كريماً.
- أحقُّ الناس بالرحمة عالم يجري عليه حكم جاهل، وكريم استولى عليه لئيم، وبرّ تسلط عليه فاجر.

- الكريمُ يرفع نفسه في كل ما أسداه عن حسن المجازاة.
- دار الوفاء لا تخلو من كريم، ولا يستقر بها لئيم.
- من الكرام تكون الرحمة.
- من علامات الكرم تعجيل المثوبة.
- للكريم رباطان أحدهما الرعاية لصديقه وذوي الحرمة به، والآخر الوفاء لمن ألزمه الفضل ما يجب له عليه.
- لا تكرم من لا يكرمك.

- خالط الكرام، واهجر اللئام، تسلّم من الملام.
- أَكْرَمُوا كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَإِنْ خَالَفَكُمْ.

اللؤم واللئيم

- لا تتخذ لئيماً خليلاً، ما وجدت إليه سبيلاً.

- لا يصلح اللئيم لأحد ولا يستقيم إلا من فَرَقِيَ أو حاجة، فإذا استغنى أو ذهب خوفه عاد إليه جوهره.

- إياك أن تعتمد على اللئيم فإنه يخذل من اعتمد عليه.

- اللؤم قبح فلا تجعله لبسك.

- اللؤم إيشار المال على الرجال.

- سلاح اللؤم الحسد.

- اجتماع المال عند البخلاء أحد الجديين.

- المصطنع إلى اللئيم كمن طوق الخنزير تَبْرًا، وقرط الكلب دَرًّا، وأبس

الحمار وشياً، وأقم الأفعى شهداً.

- ينبغي للعاقل أن يمنع معروفه الجاهل واللئيم والسفيه أما الجاهل فلا

يعرف المعروف ولا يشكر عليه، وأما اللئيم فأرض سبخة لا تنبت، وأما السفيه

فيقول إنما أعطاني فرقا من لساني.

- يستدل على اللئيم بسوء الفعل وقبح الخلق وذميمة البخل.

- قرين السوء شر قرين، وداء اللؤم داء دفين.

- مصاحب اللؤم مذموم.

- لا تكثرن من صحبة اللئيم؛ فإنه إن صحبتك نعمة حسدك، وإن طرقتك

نائة قذفك.

- اللؤم أس الشر.

- اللئام أصبر أجسادا.

- اللؤم يوجب الغش.

- التكرم مع الامتنان لؤم.

- اللئيم لا مروءة له.

- اللئيم لا يستحيي.

- اللئيم إذا قدر أفحش، وإذا وعد أخلف.

- اللئيم إذا أعطى حقد، وإذا أعطي جحد.

- اللئيم يجفو إذا استعطف، ويلين إذا عنف.
- اللؤم إيثار حب المال على لذة الحمد والثناء.
- اللئيم لا يتبع إلا شكله، ولا يميل إلا إلى مثله.
- اللئيم لا يُرجى خيره، ولا يُسلم من شره، ولا يؤمن من غوائله.
- اللئيم يدرع العار، ويؤذي الأحرار.
- اللئيم يرى سوائف إحسانه ديناً له يقتضيه.
- اللؤم مضاد لسائر الفضائل، وجامع لجميع الرذائل والسوآت والدنايا.
- أعظم اللؤم حمد المذموم.
- إذا حلت بالنائم، فاعتل بالصيام.
- إذا بلغ اللئيم فوق مقداره تنكرت أحواله.
- إذا زادك اللئيم إجلالاً، فزده إذلالاً.
- سنة اللئام الجحود.
- ظفر اللئيم يردي.
- ظفر اللئام، تجبر وطغيان.
- ظل اللئام نكد وبيء.
- عادة اللئام المكافاة بالقبيح عن الإحسان.
- عز اللئيم مذلة، وضلال العقل أشد ضلّة.
- عقوبة الكرام، أحسن من عفو اللئام.
- فرواكل الفرار من اللئيم الأحمق.
- فقد اللئام، راحة الأنام.
- مَنْ كثر لؤمه، كثر عاره.
- مَنْ جُمع له مع الحرص على الدنيا البخل بها؛ فقد استمسك بعمودي اللؤم.
- كلما ارتفعت رتبة اللئيم نقص الناس عنده، والكريم ضد ذلك.

- مِنَ اللِّثَامِ تَكُونُ الْقِسْوَةُ .
- مِنْ أَقْبَحِ الْمَذَامِ ، مَدْحُ اللِّثَامِ .
- مِنَ اللُّؤْمِ أَنْ يَصُونَ الرَّجُلَ مَالَهُ ، وَيَبْذُلُ عَرْضَهُ .
- مَا أَقْبَحُ شَيْمِ اللِّثَامِ ! وَأَحْسَنُ سَجَايَا الْكِرَامِ !
- مَعَادَاةُ الْكَرِيمِ ، أَسْلَمٌ مِنْ مَصَادِقَةِ اللَّئِيمِ .
- مَسْرَةُ اللِّثَامِ فِي سُوءِ الْجَزَاءِ .
- لَا يَصْطَنَعُ اللِّثَامُ إِلَّا أَمْثَالَهُمْ .
- لَا يَنْتَصِفُ الْكَرِيمُ مِنَ اللَّئِيمِ .
- إِذَا مَنَعَكَ اللَّئِيمُ الْبِرَّ مَعَ إِعْظَامِهِ حَقِّكَ ، كَانَ أَحْسَنَ مِنْ بَذْلِ السَّخِيِّ لَكَ إِيَّاهُ مَعَ الْاسْتِخْفَافِ بِكَ .
- تُرَضَى الْكِرَامُ بِالْكَلامِ ، وَتُصَادُ اللِّثَامُ بِالْمَالِ ، وَتُصَلِّحُ السَّفَلَةُ بِالْهُوَانِ .

العهد والمتعهد

- الْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَّ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » (١) .
- أَفْضَلُ الصَّدَقِ الْوَفَاءُ بِالْعَهودِ .
- إِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ .
- حَطُّ عَهْدِكَ بِالْوَفَاءِ يَحْسُنُ لَكَ الْجَزَاءَ .
- سُنَّةُ الْكِرَامِ الْوَفَاءُ بِالْعَهودِ .
- مِنْ أَفْضَلِ الْإِسْلَامِ الْوَفَاءُ بِالذَّمَامِ .
- آفَةُ الْعَهودِ قِلَّةُ الرِّعَايَةِ .
- مَنْ وَفَى بِعَهْدِهِ أَعْرَبَ عَنْ كَرَمِهِ .
- إِنْ الْعَهودُ قَلَّ فِي الْأَعْنَاقِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ

٣٦٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

نقضها خذله الله ومن استخف بها خاصته إلى الذي أكدها وأخذ خلقه بحفظها.

- إن ملاك العقل ومكارم الأخلاق : صون العرض والجزاء بالفرض والأخذ بالفضل والوفاء بالعهد والإنجاز للوعد.

الوعد والواعد

- المعروف إنجاز الوعد.

- ملاك الوعد إنجازة.

- المنع الجميل أحسن من الوعد الطويل.

- وَعْدُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ وَتَعْجِيلٌ.

- الوعد وجهٌ والإنجاز محاسنه.

- من تمام المروءة إنجاز الوعد.

- أَشَدُّ الْمَشَاقِّ وَعْدٌ كَذَابٍ لِحَرِيصٍ.

- مَا بَاتَ لِرَجُلٍ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَطُّ فَبَاتَ يَتَمَلَّمُ عَلِيَّ فَرَاشَهُ؛ لِيَعْدُوَ بِالظَّفْرِ

بِحَاجَتِهِ، أَشَدُّ مِنْ تَمَلَّمِي عَلِيَّ فَرَاشِي؛ حِرْصاً عَلَيَّ الْخُرُوجِ إِلَيْهِ مِنْ دَيْنِ عِدَّتِهِ،

وْخَوْفاً مِنْ عَائِقٍ يُوجِبُ الْخُلْفَ، فَإِنْ خُلِفَ الْوَعْدُ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ.

المنع والمانع

- إِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَيَّ

الْحَقُّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا

أَمْرٌ وَسَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَدْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ احْتِجَابِكَ مِنْ وَاجِبِ حَقِّ تَعْطِيهِ، أَوْ فِعْلٌ

كَرِيمٌ تُشَدِّدُهُ، أَوْ مُبْتَلَى بِالْمَنَعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيْسُوا مِنْ

بَذَلِكَ. مَعَ أَنْ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مَا لَا مَثُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شِكَاةٍ مَظْلَمَةٍ، أَوْ

طَلَبِ انْتِصَافٍ فِي مَعَامَلَةٍ.

- أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَحَدِ الْأَخْسَرِينَ؟ رَجُلٌ جَمَعَ دَرَهْمًا إِلَى دَرَهْمٍ وَقِيرَاطًا إِلَى

قیراط فورثه عنه غیره فوضعه فی حقه وأمسک هو عن حقه .

- مَنْ منع برًا، منع شکرًا .

- مَنْ منع المال مَنْ یحمده، ورثه مَنْ لا یحمده .

- مَنْ أعطى فی الله، ومنع فی الله، وأحب فی الله، وأبغض فی الله فقد استکمل الإیمان .

- آفة القدرة منع الإحسان .

- مَا توسل أحد إلی بوسيلة أجل عندي من ید سبقت مني إلیه لأربیها عنده باتباعها أختها فإن منع الأواخر یقطع شکر الأوائل .

- أحق من شکرت من لا یمنع مزیدک .

- لا تمنع المعروف وإن لم تجذ عروفًا .

- زوروا فی الله، وجالسوا فی الله، وأعطوا فی الله، وامنعوا فی الله .

- زوال النعم بمنع حقوق الله منها والتقصیر فی شکرها .

- العطية بعد المنع، أجمل من المنع بعد العطية .

- إن المسکین رسول الله، فمن أعطاه فقد أعطى الله، ومن منعه فقد منع الله

سبحانه .

- كثرة الإلحاح توجب المنع .

- أعط ما تعطیه معجلًا مهنا، وإن منعت فلیکن فی إجمال وإعذار .

- لا تمتنع من فعل المعروف والإحسان فتسلب الإمكان .

الشح والشحیح

- مَنْ لزم الشح عدم النصح .

- من أقیح الخلائق الشح .

- الشح یكسب المسبته .

- احذروا الشح فإنه یكسب المقت ویشین المحاسن ویشیع العیوب .

- لا غربة كالشُّح .

- على الشك وقلة الثقة بالله مبنئ الحرص والشح .

- ليس لشحيح زفيق .

- إياك والشُّحَّ فإنه جلباب المسكنة ، وزمام يقاد به إلى كل دناءة .

- إياكم والشُّحَّ فإنه أهلك من كان قبلكم وهو الذي سفك دماء الرجال وهو

الذي قطع أرحامها فاجتنبوه .

التبذيرُ والمبذّر

- أَلَا وَإِنَّ إعطاءَ هذا المالِ في غير حَقِّهِ تبذيرٌ وإسراف .

- ثلاثة أشياء لا دوام لها: المال في يد المبذر، وسحابة الصيف، وغضب

العاشق .

- مَنْ افتخرَ بالتبذيرِ أحتقرَ بالإفلاس .

- عليك بترك التبذير والإسراف، والتخلق بالعدل والإنصاف .

- من أشرف الشرف الكفُّ عن التبذير والسرف .

- من العقل مجانبة التبذير وحسن التدبير .

- الحازم من تجنب التبذير وعاف السرف .

- حلوا أنفسكم بالعفاف، واجتنبوا التبذير والإسراف .

- التبذير عنوان الفاقة .

- التبذير قرينٌ مفلس .

- لا جهل كالتبذير .

الإسراف والمسرف

- من علامات المأمون على دين الله بعد الإقرار والعمل: الحزم في أمره...

ولا يدخله الإعطاء في سرف، ولا يتخطى به القصد إلى بخل .

- ذَرِ السَّرْفَ فَإِنَّ الْمَسْرِفَ لَا يُحْمَدُ جُودُهُ وَلَا يُرْحَمُ فَقْرُهُ .
- وَيَبِخُ الْمَسْرِفُ مَا أَبْعَدَهُ عَنْ صَلَاحِ نَفْسِهِ وَاسْتِدْرَاكِ أَمْرِهِ .
- مِنَ الْمَرْوَةِ أَنْ تَقْتَصِدَ فَلَا تَسْرِفَ ، وَتَعَدَّ فَلَا تَخْلَفَ .
- أَتَّفَقَ الْمَالُ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ .
- مَا فَوْقَ الْكِفَافِ إِسْرَافٌ .
- الْإِسْرَافُ يَفْنِي الْجَزِيلَ .
- أَقْبَحُ الْبَذْلِ السَّرْفُ .
- سَبَبُ الْفَقْرِ الْإِسْرَافُ .
- كَثْرَةُ السَّرْفِ تَدْمُرُ .
- لَيْسَ فِي سَرْفٍ شَرَفٌ .
- لَا غِنَىٰ مَعَ إِسْرَافٍ .
- لَا كَثِيرٌ مَعَ إِسْرَافٍ ، وَلَا قَلِيلٌ مَعَ احْتِرَافٍ ، وَلَا ذَنْبٌ مَعَ اعْتِرَافٍ .

- انظُرْ مَا عِنْدَكَ فَلَا تَضَعْهُ إِلَّا فِي حَقِّهِ ، وَمَا عِنْدَ غَيْرِكَ فَلَا تَأْخُذْهُ إِلَّا بِحَقِّهِ .

من كتاب لعلي (عليه السلام) إلى زياد:

- فَدَعْ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِدًا وَادْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَدًا وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ . أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ وَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ أَنْ تَسْمَعَهُ الضَّعِيفَ وَالْأَزْمَلَةَ وَأَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَىٰ مَا قَدَّمَ .

السَّامِحَةُ وَالسَّمْحُ

- مَنْ عَقَلَ سَمِحٌ .

- مَنْ لَمْ يَسْمَحْ وَهُوَ مَحْمُودٌ، سَمَحَ وَهُوَ مَلُومٌ.
- مَنْ سَمَحَتْ نَفْسُهُ بِالْعَطَاءِ اسْتَعْبَدَ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا.
- مَنْ كَرَمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَ عَلَيْهِ مَالُهُ.
- كُنْ سَمِحاً وَلَا تَكُنْ مَبْذُوراً.
- إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَحِبُّ كُلَّ سَمِيعٍ الْيَدِينَ حَرِيْزِ الدِّينِ.
- اسْمَحْ تَكْرُمُ.
- مَا أَكْمَلَ السِّيَادَةَ مَنْ لَمْ يَسْمَحْ.
- اسْمَحُوا إِذَا سُئِلْتُمْ.
- عود نفسك السماح، وتجنب الإلحاح، يلزمك الصلاح.

البخل والبخيل

- لَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَغْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ السُّبْحَلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ

: الفقر اثنان: أحدهما العدم والحاجة، والآخر الحرص والفاقة.

- لَا شَرَفَ لِبَخِيلٍ.
- مَنْ بَخَلَ بَدَنِيَّاهُ جَمَعَ لغيره.
- مَنْ بَخَلَ بِمَا لَا يَمْلِكُهُ فَقَدَ بِالْغِ فِي الرَّذِيلَةِ.
- مَنْ لَمْ يَدَعْ وَهُوَ مَحْمُودٌ يَدَعَ وَهُوَ مَذْمُومٌ.
- مَنْ لَمْ يَقْدَمْ مَالَهُ لِآخِرَتِهِ وَهُوَ مَأْجُورٌ خَلْفَهُ وَهُوَ مَأْثُومٌ.
- مَنْ بَخَلَ عَلَى الْمُحْتَاجِ بِمَا لَدَيْهِ، كَثُرَ سَخَطُ اللَّهِ عَلَيْهِ.
- النَّظَرُ إِلَى الْبَخِيلِ يَقْسِي الْقَلْبَ.

- لا خيرَ في صديقٍ ضنين .
- البخل جامع لمساوي العيوب ، وهو زمامٌ يُقادُّ به إلى كلِّ سوء .
- لا يبقى المال إلا البخل والبخيل معاقب ملوم .
- آفة الغنى البخل .
- ما فرار الكرام من الحمام ، كفرارهم من البخل ومقارنة اللئام .
- الجهل والبخل شناعة ومضرة .
- خلطان لا تجتمعان في قلب مؤمن : سوء الخلق والبخل .
- البخيل خازن لورثته .
- البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود .
- البخيل يبخل على نفسه باليسير من دنياه ويسمح لوراثته بكلها .
- البخيل يسمح من عرضه بأكثر مما أمسك من عرضه ، ويضيع من دينه أضعاف ما حفظ من نسيبه .
- أبعد الخلائق من الله تعالى البخيل الغني .
- آفة الاقتصاد البخل .
- بئس الخليفة البخل .
- تجنبوا البخل والنفاق ، فهما من أذم الأخلاق .
- لم يوفق من بخل على نفسه بخيره وخلف ماله لغيره .
- ما أقبح البخل مع الإكثار .
- ما اجتلب سخط الله بمثل البخل .
- ما عقل من بخل بإحسانه .
- لا سواة أسوأ من البخل .
- البخيل متحجج بالمعاذير والتعالييل .
- كثرة التعلل آية البخل .

٣٧٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

- ليس لبخيل حبيب .
- لو رأيتم البخل رجلاً لرأيتموه شخصاً مشوهاً يفض عنه كل بصر وينصرف عنه كل قلب .
- مَنْ بخل على نفسه كان على غيره أبخل .
- لا مروءة لبخيل .
- البخل يزري صاحبه .
- البخيل أبدأ ذليل .
- البخل يذل صاحبه ويعز مجانبه .
- البخيل ذليل بين أعزته .
- البخل يكسب العار، ويدخل النار .
- الباخل في الدنيا مذموم، وفي الآخرة معذب ملوم .
- إياك والتحلي بالبخل فإنه يزري بك عند الغريب، ويمقتك إلى النسيب .
- البخل فقر .
- مَنْ قبض يده مخافة الفقر فقد تعجل الفقر .
- احذروا البخل فإنه لوؤم ومسبة .
- البخل ينتج البغضاء .
- منع خيرك يدعو إلى صحبة غيرك .
- البخل بإخراج ما افترضه الله سبحانه من الأموال أقبح البخل .
- أبخل الناس من بخل على نفسه بماله وخلفه لوراثته .
- عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب، ويفوته الغنى الذي إياه طلب: فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء .
- إياك والامساك فإن ما أمسكته فوق قوت يومك كنت فيه خازناً لغيرك .
- إياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه .

- سأل أحد الحكماء أمير المؤمنين علياً أي شيء أبرد من الزمهرير؟ فقال: حاجتك إلى البخيل أبرد من الزمهرير.

- صديق البخيل من لم يجربه.

- البخلاء من الناس يكون تغافلهم عن عظيم الجرم أسهل عليهم من المكافأة على يسير الإحسان.

- البخيل لا يكافئ على ما يسدى إليه، ويمنع أيضاً اليسير من استحق الكثير، ويصبر لصغير ما يجري عليه على كثير من الذلة.

- إعلم أن الله تعالى مسح أربع وعشرين طائفة من الرجال والنساء... وأما الغراب: فكان رجلاً بخيلاً.

التقير والمقتر

من دعاء لأمير المؤمنين علي (عليه السلام):

- اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي وَأُفْتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيَّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.
- كُنْ مُقَدَّرًا، وَلَا تَكُنْ مُقْتَرًا.

- لا تبخل فتقتر، ولا تسرف فتفرط.

- أفقر الناس من قتر على نفسه مع الغنى والسعة وخلفه لغيره.

الإحسان والمحسن

- من شرف الهمة بذل الإحسان.

- من سعادة المرء أن يكون إحسانه عند من يشكره، ومعرفة عند من لا يكفره.

- من توفيق الرجل وضع سره عند من يستره، وإحسانه عند من يشكره.

- من كمال الحماسة ترك الإحسان في الفاقة .
- ما عقّد إيمانه من بخلٍ بإحسانه .
- لا يُحمّد إلا من بذل إحسانه .
- إذا أحسنت إلى اللئيم وتترك بإحسانك إليه .
- ما من شيء يحصل به الأمان ، أبلغ من إيمانٍ وإحسان .
- إن إحسانك إلى من كادك من الأضداد والحساد ، لأغبط عليهم من مواقع إساءة تك منهم ، وهو داعٍ إلى صلاحهم .
- من كثر إحسانه ، أحبه إخوانه .
- من قضى ما أسلف من الإحسان فهو كامل الحُرِّيَّة .
- من قطع معهودَ إحسانه ، قطع الله موجودَ إمكانه .
- من كافأ الإحسان بالإساءة فقد برئ من المروءة .
- من منَّ بإحسانه كذره .
- من منَّ بإحسانه فكأنه لم يحسن .
- من كتم الإحسان ، عوقب بالحرمان .
- شرُّ المحسنين الممتنُّ بإحسانه .
- المحسنُ المذمومُ مرحوم .
- المحسن حَيٌّ وإن نقل إلى منازل الأموات .
- المحسن من عمَّ الناس بالإحسان .
- افعَل المعروف ما أمكن ، وازجر المسيء بفعل المحسن .
- إن الأتقياء كل سخيٍّ متعقِّف محسن .
- المحسن مُعان ، المسيء مُهان .
- كل محسن مستأنس .
- مع الإحسان تكثر الرِّفعة .
- إحسانك إلى الحرِّ يحركه على المكافأة ، وإحسانك إلى النذل يبعثه على

معاودة المسألة .

- نعم زاد المعاد الإحسان إلى العباد .

المعونة والمُعِين

- عباد الله عليكم بثمان خصال : ارحموا الأرملة واليتيم وأعينوا الضعيف والغارم والمكاتب والمسكين وانصروا المظلوم وأعطوا المفروض .

- ابذل لصديقك نصحك ، ولمعارفك معونتك ، ولكافة الناس بِشْرَكَ .

- السيد مَنْ تحمل المؤونة ، وجاد بالمعونة .

- تنزل من الله المعونة ، على قدر المؤونة .

- مَنْ أقعدته نكايه الأيام ، أقامته معونة الكرام .

- مَنْ وجه رغبته إليك ، وجبت معونته عليك .

- الصديق من كان ناهياً عن الظلم والعدوان ، معيناً على البرِّ والإحسان .

- لا خير في معين مهين .

- خير الأموال ما أعان على المكارم .

- لا تعن على من أنعم عليك ؛ فمن أعان على من أنعم عليه سلب الإمكان .

- كما تعين تعان .

- بإغاثة الملهوف يكون لك من عذاب الله حصن .

- من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف .

- ما حُصِّلَ الأجرُ بمثل إغاثة الملهوف .

المعروف وذو المعروف

- مَنْ بَسَطَ يَدَهُ بِالْمَعْرُوفِ إِذَا وَجَدَهُ يُخْلِفِ اللَّهُ لَهُ مَا أَنْفَقَ فِي دُنْيَاهُ، وَيُضَاعِفُ

لَهُ فِي آخِرَتِهِ (١).

- مَنْ بَدَلَ مَعْرُوفَهُ كَثَرَ الرَّائِبُ إِلَيْهِ .

- مَنْ بَدَأَ بِالْعَطِيَّةِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ ، وَأَكْمَلَ الْمَعْرُوفَ مِنْ غَيْرِ امْتِنَانٍ ، فَقَدْ

أَكْمَلَ الْإِحْسَانَ .

- مَنْ قَبَلَ مَعْرُوفَكَ فَقَدْ أَذَلَّ لَكَ جَلَالَتَهُ وَعِزَّتَهُ .

- مَنْ قَبَلَ مَعْرُوفَكَ فَقَدْ أَوْجَبَ عَلَيْكَ حَقَّهُ .

- مَنْ بَدَلَ مَعْرُوفَهُ مَالَتْ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ .

- مَنْ لَمْ يَرْبِّ مَعْرُوفَهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَصْنَعِهِ .

- مَنْ هَمَّ أَنْ يَكْفِيَ عَلَى الْمَعْرُوفِ [وَعَجَزَ] فَقَدْ كَافَأَ .

- مَنْ شَكَرَ إِلَيْكَ مَعْرُوفَكَ فَقَدْ سَأَلَكَ .

- مَنْ مَنَّ بِمَعْرُوفِهِ أَسْقَطَ شُكْرَهُ .

- أَوَّلُ الْمَعْرُوفِ مُسْتَخْفٍ وَآخِرُهُ مُسْتَثْقَلٌ تَكَادَ أَوَائِلُهُ تَكُونُ لِلْهَوَى دُونَ

الرَّأْيِ وَأَوَاخِرُهُ لِلرَّأْيِ دُونَ الْهَوَى وَلِذَلِكَ قَبِلَ رَبُّ الصَّنِيعَةِ أَشَدَّ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ بِهَا .

- خَيْرُ الْمَعْرُوفِ مَا لَمْ يَتَقَدَّمْهُ مَطْلٌ ، وَلَمْ يَعْقِبْهُ مَنْ .

- إِنْ دَمَّ عَلَى مَا أَسَأْتَ ، وَلَا تَتَدَمَّ عَلَى مَعْرُوفٍ صَنَعْتَ .

- مِنْ كِمَالِ الشَّرَفِ اِحْتِمَالُ جُنَايَاتِ الْمَعْرُوفِ .

- الْمَعْرُوفُ أَفْضَلُ الْمَغَانِمِ .

- لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمْرَةٌ وَثَمْرَةُ الْمَعْرُوفِ تَعْجِيلُ السَّرَاحِ .

- الْمَعْرُوفُ ذَخِيرَةُ الْأَبَدِ .

- نِعْمَ الذُّخْرُ الْمَعْرُوفُ .

- الْمَعْرُوفُ قَرُوضٌ .

١ - وقد أورد العلامة المامطيري النص بهذه الصورة (مَنْ يَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِذَا وَجَدَهُ يُخْلِيفُ

اللَّهُ شُبْحَانَهُ مَا أَنْفَقَ فِي الدُّنْيَا، وَيُضَاعِفُ لَهُ الْأَجْرَ فِي آخِرَتِهِ، نزهة الأَبْصَارِ / ١٧٠ - ١٧١ .

- المعروف حسب .
- المعروف رُقُّ .
- المعروف أنمى زرع وأفضل كنز .
- المعروف كنز فانظر عند من تودعه .
- المعروف أشرف سيادة .
- ابدل معروفك للناس كافة ؛ فإنَّ فضيلة المعروف لا يعدلها عند الله سبحانه شيء .
- اغتتم صنائع الإحسان ، وارع ذمم الاخوان .
- ابدأ بالعطيَّة من يسألك ، وابدل معروفك ، وإيَّاك أن تردَّ السائل .
- اصطنعوا المعروف بما قدرتم على اصطناعه ؛ فإنه يقي مصارع السوء .
- إذا صنع إليك معروف فانشره .
- بتوالي المعروف يُستدام الشكر .
- تعجيل المعروف ملاك المعروف .
- خير المعروف ما أُصيبَ به الأبرار .
- سئلَ المعروف من ينساه ، واصطنعه الي من يذكره .
- صنائع المعروف تُدرُّ النِّعماءَ وتدفعُ مواقعِ البلاء .
- صاحب المعروف لا يعثر ؛ فإذا عثر وجد متكأً .
- عليكم بصنائع المعروف ؛ فإنها نعم الزاد إلى المعاد .
- من أفضلِ القضايلِ : اصطناعُ الصَّنائعِ ، وبثُّ المُعروفِ .
- من أفضلِ المُعروفِ إغاثةُ المُلهوفِ .
- من أحسنِ المكارمِ بثُّ المُعروفِ .
- من الكرمِ اصطناعُ المُعروفِ وبذلُ الرِّفدِ .
- ما اكتسبَ الأجرُ بمثلِ بذلِ المُعروفِ .

- لا تَضَعَنَّ معروفك عند غير عروف .
- تضييع المعروف وضعه في غير عروف .
- لا معروف أضيع من اصطناع الكفور .
- المعروف أفضل الكنزين .
- المُرْوَّة بِثُ المعروف ، وقرى الضيوف .
- أفضل الذخائر علم يعمل به ، ومعروف لا يمنُّ به .
- رَبُّ المعروف أحسن من ابتدائه .
- زدْ في اصطناع المعروف ، وأكثر من إسداء الإحسان ؛ فإنه أبقى ذخراً ، وأجمل ذكراً .
- فعل المعروف ، واغائة الملهوف ، وإقراء الضيوف ، آلة الرئاسة .
- للكرام فضيلة المبادرة إلى فعل المعروف وإسداء الصنيع .
- لا تزهدين في معروف ، فإن الدهر ذو صروف ؛ كم من راغب أصبح مرغوباً إليه ، ومتبوع أمسى تابعاً .
- أطول الناس عمراً : من كثر علمه ، فتأدب به من بعده ، أو أكثر معرفته فشرف به عقبه .
- جمالُ المعروف إتمامه .
- أجَلُّ المعروف ما صُنِعَ إلى أهله .
- أفضل الكنوز معروف يودع الأحرار ، وعلم يتدارسه الأخيار .
- إن بأهل المعروف من الحاجة إلى اصطناعه ، أكثر مما بأهل الرغبة إليهم منه .
- ما كُدرت الصنائع بمثل الامتنان .
- ما أكمل المعروف من مَنْ به .
- نعم عملُ المرءِ المَعْرُوف .
- قلة الشكر تزهدي في اصطناع المعروف .

- ذو الإفضال مشكور السيادة، وذو المعروف محمود العادة.
- إذا صنعت معروفاً فأنسه.

- كان رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» مكفراً لا يشكر معروفاً، ولقد كان معروفاً على القرشي والعربي والعجمي، ومن كان أعظم معروفاً من رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» على هذا الخلق^(١)؟ وكذلك نحن أهل البيت مكفرون لا يشكروننا، وخيار المؤمنين مكفرون لا يشكر معروفاً.

المواساة والمواسي

- نظام الدين خصلتان: إنصافك من نفسك، ومواساة إخوانك.
- نظام الكرم: موالاة الإحسان، ومواساة الإخوان.
- جمال الأخوة: إحسان العشرة، والمواساة مع العسرة.
- ابذل لصديقك كل المودّة، ولا تبذل له كل الطمأنينة، وأعطه من نفسك المواساة، ولا تفض إليه بكل الأسرار.
- إن مواساة الرفاق، من كرم الأعراق.
- خير إخوانك من واساك.
- ما حفظت الأخوة بمثل المواساة.
- في الضيق، يتبين حسن مواساة الرفيق.
- المواساة أفضل الأعمال.
- أصدق الإخوان مودةً أفضلهم لإخوانه في السراء والضراء مواساةً.
- مواساة الأخ في الله عزّ وجلّ تزيد في الرزق.

١ - وقد أشار الشاعر العباسي المطبوع السيد اسماعيل الحميري إلى تنكر وتغافل كثير من الناس لمعروف رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» واحسانه عليهم، وأنه كان مكفراً لا يشكر معروفاً فقال من أبيات:

لم يشكروا لمحمد انعامه أفيشكرون لغيره إن أنعمنا

- خَيْرُ الْمُسْلِمِينَ مَنْ وَصَلَ وَأَعَانَ وَنَفَعَ.

الْبِرُّ وَالْبَارِ

- طَيِّبَةُ النَّفْسِ أَتَمُّ بَرٍّ.

- مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ: الْجُودُ فِي الْعَسْرِ، وَالصَّدَقُ فِي الْغَضَبِ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ.

- ثَلَاثٌ مِنْ أَبْوَابِ الْبِرِّ: سَخَاءُ النَّفْسِ، وَطَيْبُ الْكَلَامِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى.

- لَا يَزِيدُ فِي الْعَمْرِ إِلَّا الْبِرُّ.

- مَنْ قَرِبَ بِرُّهُ، بَعَدَ صَيْتُهُ.

- مَنْ بَذَلَ بِرَّهُ انْتَشَرَ ذِكْرُهُ.

- مَنْ كَثَرَ بِرَّهُ حَمِدَهُ.

- أَحَقُّ مَنْ بَرَّرَتْ مَنْ لَا يَغْفُلُ بِرِّكَ.

- أَفْضَلُ الْبِرِّ مَا أَصِيبُ بِهِ أَهْلُهُ.

- جَمَاعُ الْخَيْرِ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ.

- تَعْجِيلُ الْبِرِّ زِيَادَةٌ فِي الْبِرِّ.

- الْبِرُّ غَنِيمَةٌ الْحَازِمِ.

- الْبِرُّ عَمَلٌ مُصْلِحٌ.

- الْبِرُّ عَمَلٌ صَالِحٌ.

- إِنْ أَسْرَعَ الْخَيْرُ ثَوَاباً الْبِرِّ.

- مَعَ الْبِرِّ تَدْرُ الرَّحْمَةُ.

- بَادِرِ الْبِرِّ فَإِنَّ أَعْمَالَ الْبِرِّ فُرْصَةٌ.

- الطَّاعَةُ وَفَعَلَ الْبِرُّ هُمَا الْمَتَجَرُّ الرَّابِحُ.

- أَوَّلُ الْمَرْوَةِ الْبَشَرِ، وَآخِرُهَا اسْتِدَامَةُ الْبِرِّ.

- التَّوَدُّةُ مَمْدُوحَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ .
- بِالْبِرِّ يُسْتَعْبَدُ الْحُرُّ .
- عِنْدَ تَوَاتُرِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ يَتَعَبَدُ الْحُرُّ .
- خَيْرُ الْبِرِّ مَا وَصَلَ إِلَى الْأَحْرَارِ .
- خَيْرُ الْبِرِّ مَا وَصَلَ إِلَى الْمُحْتَاجِ .
- الصَّدَقَةُ فِي السَّرِّ، مِنْ أَفْضَلِ الْبِرِّ .
- مِنْ أَفْضَلِ الْبِرِّ بِرُّ الْيَتَامِ .
- أَحْمَقُ النَّاسِ مَنْ يَمْنَعُ الْبِرَّ، وَيَطْلُبُ الشُّكْرَ، وَيَفْعَلُ الشَّرَّ، وَيَتَوَقَّعُ ثَوَابَ الْخَيْرِ .
- عَلَيْكُمْ بِصَنَائِعِ الْإِحْسَانِ، وَحَسَنِ الْبِرِّ بِذَوِي الرَّحْمِ وَالْجِيرَانِ، فَإِنَّهُمَا يَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ، وَيَعْمُرَانِ الدِّيَارَ .
- إِنَّمَا طِبَائِعُ الْأَبْرَارِ طِبَائِعٌ مُحْتَمَلَةٌ لِلْخَيْرِ، فَهَمَّا حَمَلَتْ مِنْهُ احْتِمَالَتَهُ .
- خَيْرُ إِخْوَانِكَ مَنْ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرِ، وَجَذَبَكَ إِلَيْهِ، وَأَمَرَكَ بِالْبِرِّ، وَأَعَانَكَ عَلَيْهِ .

الاسعاف والمسعف

- أَحْسَنُ الشِّيمِ: إِكْرَامُ الْمَصَاحِبِ، وَإِسْعَافُ الطَّالِبِ .
- مَنْ أَحْتَاكَ إِلَيْكَ وَجِبَ إِسْعَافُهُ عَلَيْكَ .
- مَنْ كَرَمَتْ نَفْسَهُ اسْتَهَانَ بِالْبَذْلِ وَالْإِسْعَافِ .
- الْمَوْءِنُ إِذَا سُئِلَ أَسْعَفَ، وَإِذَا سَأَلَ خَفَّفَ .
- الْكَرِيمُ إِذَا أُيْسِرَ أَسْعَفَ، وَإِذَا أُعْسِرَ خَفَّفَ .
- قَلِيلٌ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ مَنْ يُوَاسِي وَيُسْعَفُ .
- النَّاسُ رَجُلَانُ: جَوَادُّ لَا يَجِدُ، وَوَاجِدٌ لَا يُسْعَفُ .
- الْكَمَالُ فِي ثَلَاثٍ: الصَّبْرُ عَلَى النَّوَائِبِ، وَالتَّوَرُّعُ فِي الْمَطَالِبِ،

٣٨٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وإسعاف الطالب .

- أفضل الفضائل : بذل الرغائب^(١)، وإسعاف الطالب، والإجمال في المطالب .

- مادحك بما ليس فيك مستهزئ بك، فإن لم تسعفه بنوالك بالغ في ذمك وهجائك .

الفضلُ والمُفضِلُ

- يا بني الراحة في ثلاثة : في إحتمال المؤونة، وحسن المعونة، والأخذ بالفضل .

- الإحسان رأس الفضل .

- مَنْ الَّذِي يَرْجُو فَضْلَكَ إِذَا قَطَعْتَ ذَوِي رَحِمِكَ؟

- أَفْضِلُ عَلَى النَّاسِ يَعْظُمُ قَدْرُكَ .

- مَا سَأَلَنِي أَحَدٌ قَطَّ حَاجَةً إِلَّا كَانَ لَهُ الْفَضْلُ عَلَيَّ .

- أَحْسَنُ النَّاسِ عَيْشاً مَنْ عَاشَ النَّاسَ فِي فَضْلِهِ .

- خُذْ بِالْعَدْلِ وَأَعْطِ بِالْفَضْلِ تَحْزَنُ الْمُنْقَبِتِينَ .

- الإحسان إلى المسيء أحسن الفضل .

- عَجِبْتُ لِمَنْ يَرْجُو فَضْلَ مَنْ فَوْقَهُ كَيْفَ يَحْرَمُ مِنْ دُونِهِ .

- لَا تَرْجُونَ فَضْلَ مَنْ، وَلَا تَأْتَمِنُ الْأَحْمَقُ وَالْخَوَانُ .

- بِكَثْرَةِ الْإِفْضَالِ يَعْرِفُ الْكَرِيمُ .

- زَكَاةُ الْمَالِ الْإِفْضَالُ .

- بِالْإِفْضَالِ تَسْتُرُ الْعُيُوبَ .

- ذُو الْعَقْلِ لَا يَنْكَشِفُ إِلَّا عَنِ احْتِمَالٍ وَإِجْمَالٍ وَإِفْضَالٍ .

١ - الرغائب: جمع رغبة وهي العطاء الكثير، والأمر المرغوب فيه.

- من أكمل الافضال: بذل الأموال قبل السؤال.

- الشرف اعتقاد المنن في أعناق الرجال.

- لا تعدن عدة تحقرها قلة الثقة بنفسك.

- كن عَفُوًّا في قدرتك، جواداً في عسرتك، مؤثراً مع فاقتك، يكمل لك الفضل.

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده المعروف لمالك الأشتر (رضي الله عنه):

- لَيْكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنُودِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ وَأَفْضَلُ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ

السَّخَاءُ وَالسَّخِي

- السخاء عَنَاء.

- السخاء سَجِيَّة.

- السخاء يمحِّص الذنوب، ويجلب محبة القلوب.

- السخاء خلق الأنبياء.

- السخاء زين الإنسان.

- السخاء قرينة، واللؤم غربة.

- السخاء ستر العيوب.

- السخاء أشرف عبادة.

- السخاء يثمر الصفاء.

- السخاء يكسب المحبة، ويزين الأخلاق.

- إنَّ أفضل ما آتجلب به الشاء السخاء، وإنَّ أجزل ما آتدرت الأرياح

الباقية الصدقة.

- بالسخاء تُزانُ الأفعال .
- خير السخاء ما صادف موضع الحاجة .
- رأس السخاء تعجيلُ العطاء .
- سُلمُ الشرفِ التواضعُ والسخاء .
- شينُ السخاء السرف .
- ظلمَ السخاء مَنْ منعَ العطاء .
- عليك بالسخاء فإنه ثمرةُ العقل .
- عليكم بالسخاء وحسنِ الخلق ؛ فإنَّهُما يزيدانِ الرزق ، ويوجبانِ المحبة .
- مِنْ كَمَالِ النُّعْمَةِ : التَّحَلِّي بِالسَّخَاءِ وَالتَّعَقُّفِ .
- مِنْ الإِقْتِصَادِ سَخَاءٌ بغيرِ سَرْفٍ ، ومُرُوَّةٌ مِنْ غَيْرِ تَلْفٍ .
- نِعْمَ قَرِينُ السَّخَاءِ الْحَيَاءُ .
- لا إيمانَ كالحياء والسخاء .
- لا سيادةً لمن لا سخاء له .
- السخاءُ حُبُّ السائلِ ، وَبَذْلُ النَّائِلِ .
- السخاءُ إحدى السعادتين .
- السخاءُ والحياءُ أفضلُ الخُلُقِ .
- الإيمانُ شجرةٌ أصلها اليقين ، وفرعها التقى ، ونورها الحياء وثمرها السخاء .
- إياكم والبخل وعلیکم بالسخاء ؛ فإنه لا يدخل الجنة بخیل ، ولا يدخل النار سخي .
- السخاء ما كان ابتداءً ، فأما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم .
- ابذل مالك في الحقوق ، وواس به الصديق ، فإن السخاء بالحرِّ أخلق .
- أكرمُ الأخلاقِ السَّخَاءُ ، وأعمُّها نَفْعاً العَدْلُ .

- تحلُّ بالسخاء والورع فهما حلية الإيمان، وأشرف خلالك .
- رفقُ المرء وسخاؤه يحببه إلى أعدائه .
- كثرة السخاء تكثر الأولياء وتستصلح الأعداء .
- ما استجلبت المحبة بمثل السخاء والرفق وحسن الخلق .
- إن سخاء النفس عما في أيدي الناس ، لأفضل من سخاء البذل .
- لا يستعان على الدهر إلا بالعقل .. ولا على اللب إلا بالسخاء .
- اجتماع المال عند الأسخياء أحد الخصيين .
- منتهى المجد السخاء .
- سادة أهل الجنة الأسخياء والمُتقون .
- خير الناس مَنْ كان في يسره سخياً شكوراً .
- البخيل يسخو من عرضه ، بمقدار ما يبخل به من ماله . والسخي يبخل من عرضه ، بمقدار ما يسخو به من مال .
- السخيُّ شجاعُ القلب ، والبخيلُ شجاعُ الوجه .
- الأسخياء يشمتون بالبخلاء عند الموت ، والبخلاء يشمتون بالأسخياء عند الفقر .

الجودُ والجواد

- لولا مَنْ يقبل الجود لم يكن مَنْ يجود .
- الجود من كرم الطبيعة .
- الجود رئاسة .
- جودُ الرجل يحبِّبه إلى أصداده ، ويخله ببغضه إلى أولاده .
- خذوا من كرائم أموالكم ما يرفع به ربكم سنيَّ أعمالكم .
- إعطاء هذا المال في حقوق الله داخل في باب الجود .

- مَا أَحْسَنَ بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَقْنَعَ بِالْقَلِيلِ ، وَيَجُودَ بِالْجَزِيلِ .
- أَحْسَنُ الْمَكَارِمِ الْجُودُ .
- جُودُ الْفَقِيرِ أَفْضَلُ الْجُودِ .
- أَحْسَنُ الصَّدَقِ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ ، وَأَفْضَلُ الْجُودِ بَذْلُ الْجَهْدِ .
- مَا أَحْسَنَ الْجُودَ مَعَ الْإِعْسَارِ .
- آفَةُ الْجُودِ الْفَقْرُ .
- آفَةُ الْجُودِ التَّبْذِيرُ .
- الْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ .
- بِالْجُودِ يُبْتَنَى الْمَجْدُ ، وَيُجْتَلَبُ الْحَمْدُ .
- بِالْجُودِ تَسْوَدُ الرِّجَالُ .
- الْجُودُ عِزٌّ مَوْجُودٌ .
- الْجُودُ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا رَجَاءٍ مَكَافَاةٌ ، حَقِيقَةُ الْجُودِ .
- إِتْبَاعُ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ ، مِنْ كِمَالِ الْجُودِ .
- الْجَوَادُ مَنْ بَذَلَ مَا يُضَنُّ بِمِثْلِهِ .
- الْجَوَادُ مَحْبُوبٌ مَحْمُودٌ ، وَإِنْ لَمْ يَصِلْ مِنْ جُودِهِ إِلَى مَا دَحَهُ شَيْءٌ ،
وَالْبَخِيلُ ضِدُّ ذَلِكَ .

- الْجَوَادُ فِي الدُّنْيَا مَحْمُودٌ ، وَفِي الْآخِرَةِ مَسْعُودٌ .
- السَّيِّدُ مَحْسُودٌ ، وَالْجَوَادُ مَحْبُوبٌ مَوْدُودٌ .
- إِنَّمَا سَادَةُ أَهْلِ الدُّنْيَا [وَالْآخِرَةِ] الْأَجْوَادُ .
- أَرْبَعُ خِصَالٍ يَسْوَدُ بِهَا الْمَرْءُ : الْعِفَّةُ وَالْأَدَبُ وَالْجُودُ وَالْعَقْلُ .

النَّوَالُ وَالْمُنَيْلُ

- لَا تَسْتَعِظْمَنَّ النَّوَالَ وَإِنْ عَظُمَ ؛ فَإِنَّ قَدْرَ السُّؤَالِ أَعْظَمُ مِنْهُ .

- البشر أول النوال .

- أولى الناس بالنوال أغناهم عن السؤال .

- لا تستكثرن الكثير من نوالك ؛ فإنك أكثر منه .

- تأملي الناس نوالك ، خير من خوفهم نكالك .

- ابدأ السائل بالنوال قبل السؤال ، فإنك إن أحوجته الى سؤالك ، أخذت من

حرّ وجهه أكثر مما أعطيته .

الهبة والواهب

- كل ما يؤكل ينتن وكل ما يوهب يآرج .

- رُبّ موهبةٍ خيرٌ منها الفجيرة .

- وفور الدين والعرض بابتدال الأموال موهبة سنية .

- السخاء والجود بالطعام لا بالمال ، ومن وهب ألفاً وشحّ بصحفة^(١) طعام

فليس بجواد .

البذل والبازل

- خذ بالفضل ، وأحسني البذل ، وقل للناس حسنا .

- داووا الجور بالعدل ، وداووا الفقر بالصدقة والبذل .

- إن الله تعالى اطلع إلى الأرض فاختر لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا

ويحزنون لحزننا ويبدلون أنفسهم وأموالهم فينا ، فأولئك منا والينا وهم معنا في

الجنان .

- شيعتي الذين في قبورهم يتراوون ، وفي أموالهم يتواسون ، وفي الله

يتبادلون .

١ - وردت الحكمة في كتاب «سجع الحمام» الحكمة / ٧٧٧ بلفظة: «صفحة»، وأعتقد

أن الصحيح أو الأصح «صحفة» وهي ظرف صغير يقدم فيه الطعام.

- مَنْ كَرَمَتْ نَفْسَهُ اسْتَهَانَ بِالْبَدْلِ وَالْإِسْعَافِ .
- الْعَاقِلُ مَنْ بَدَلَ نَدَاهُ .
- مَا حَصَنْتِ الْأَعْرَاضَ بِمِثْلِ الْبَدْلِ .
- قُورَا أَعْرَاضِكُمْ بِبَدْلِ أَمْوَالِكُمْ .
- بِالْبَدْلِ تَكْثُرُ الْمُحَامِدُ .
- مَنْ أَحَبَّ الذِّكْرَ الْجَمِيلَ فَلْيَبْذِلْ مَالَهُ .
- مَا شَاعَ الذِّكْرَ بِمِثْلِ الْبَدْلِ .
- الْبَدْلُ مَادَّةُ الْإِمْكَانِ .
- تَوَازَرُوا وَتَعَاطَفُوا وَتَبَادَلُوا ، وَلَا تَكُونُوا بِمَنْزِلَةِ الْمَنَافِقِ الَّذِي يَصِفُ مَا لَا يَفْعَلُ .

- تَبْتَنِي الْأَخُوَّةَ فِي اللَّهِ : عَلِيٌّ التَّنَاصُحَ فِي اللَّهِ ، وَالتَّبَادُلَ فِي اللَّهِ ، وَالتَّعَاوُنَ عَلِيٌّ طَاعَةَ اللَّهِ ، وَالتَّنَاهِيَّ عَنِ مَعَاصِي اللَّهِ ، وَالتَّنَاصُرَ فِي اللَّهِ ، وَإِخْلَاصَ الْمَحَبَّةِ .
- لَا يُسْتَعَانَ عَلِيُّ الدَّهْرِ إِلَّا بِالْعَقْلِ ... وَلَا عَلِيُّ الْبَدْلِ إِلَّا بِالتَّمَاسِ الْمَكَافَاةِ .
- أَحْمَلْ نَفْسَكَ عِنْدَ شِدَّةِ أَخِيكَ عَلِيُّ اللَّيْنِ ، وَعِنْدَ قَطِيعَتِهِ عَلِيُّ الْوَصْلِ ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلِيُّ الْبَدْلِ ، وَكُنْ لِلَّذِي يَبْدُو مِنْهُ حَمُولًا ، وَلَهُ وَصُولًا .
- ابْذِلْ لَصَدِيقِكَ مَالَكَ ، وَلِمَعْرِفَتِكَ رِفْدَكَ وَمَحْضَرَكَ .
- ذُلٌّ فِي نَفْسِكَ وَعِزٌّ فِي دِينِكَ وَصَنْ آخِرَتَكَ وَابْذِلْ دُنْيَاكَ .
- إِنْ تَبَدَّلُوا أَمْوَالَكُمْ فِي جَنْبِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ مُسْرِعُ الْخَلْفِ .

المن والمنان

- قَدْ يَحْسُنُ الْاِمْتِنَانُ بِالنِّعْمَةِ وَذَلِكَ عِنْدَ كَفْرَانِهَا ؛ وَلَوْلَا أَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَفَرُوا النِّعْمَةَ لَمَا قَالَ اللَّهُ لَهُمْ : « اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ » (١) .
- مَنْ مَنَّ بِمَعْرُوفِهِ فَقَدْ كَدَّرَ مَا صَنَعَ .

- ملاك المعروف ترك المنُّ به .
- تمام الإحسان ترك المنُّ به .
- ظلم المروءة مَنْ مَنْ بِصْنِيعِهِ .
- ليس من الكرم تتكيد المَنَّيِّ بالمنُّ .
- ماكدرت الصنائع بمثل الامتنان .
- وزرُ صدقة المَنَّان يغلب أجره .
- لا خير في المعروف المحصن .
- لا يدخل الجنة خبٌّ ولا منان .
- المنُّ يفسد الإحسان .
- اللثيم من كثر امتنانه .
- ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى: المَنَّان الذي لا يعطي شيئاً إلا يمته، والمسبيل إزاره، والمنفق سلعته بالأيمان الفاجرة .
- يَا أَهْلَ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ لَا تَمْنُوا بِإِحْسَانِكُمْ؛ فَإِنَّ الْإِحْسَانَ وَالْمَعْرُوفَ يَبْطُلُهُ قَبِيحُ الْاِمْتِنَانِ .

الامتنان بالمعروف يبطل الحمد ويمحق الأجر، والله يقول: « لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى »^(١). ثم أنشد:

وصاحبٍ سلفت منه إليَّ يدٌ أبطت عليه مكافاتي فعاداني
لسا تيقن أن الدهر حاربي أبدا الندامة فيما كان أولاني
أفسدت بالمنُّ ما أوليت من نعمٍ ليس الكريمُ إذا أسدى بمنانٍ

الشَّرُّ والشَّرُّه

- الشره مركب الحرص، والهوى مركب الفتنة .
- لن يُلقى الشرُّ راضياً .

- ضادوا الشره بالعفة .
- أربع تشين الرجل : البخل والكذب والشره وسوء الخلق .
- لا تملك نفسك بغرور الطمع ، ولا تجب دواعي الشره .
- الشره داعية الشر .
- الشره أول الطمع .
- الشره سجية الأرجاس .
- الشره من مساوي الأخلاق .
- احذروا الشره فإنه خلق مردي .
- احذر الشره فكم من أكلة منعت أكالات .
- إياك والشره فإنه رأس كل دنية ، وأس كل رذيلة .
- بالشره تشان الأخلاق .
- بئس الطبع الشره .
- رأس المعاييب الشره .
- كفى بالشره هلكا .
- لكل شيء بذر ويذر الشر الشره .
- ما دون الشره عفاف .
- يستدل على شر الرجل بكثرة شرهه وشدة طمعه .
- الشره مذلة .
- الشره يثير الغضب .
- الشره لا يرضى .
- الشره يشين النفس ويفسد الدين ويزري بالفتوة .
- إياك والشره فإنه يفسد الورع ويدخل النار .
- إياكم ودناءة الشره والطمع فإنه رأس كل شر ، ومزرعة الذل ، ومهين النفس ، ومتعب الجسد .

- أصل الشره الطمع ، وثمرته الملامة .

- ثمرة الشره التهجم على العيوب .

- ليس مع الشره عفاف .

- من شرهت نفسه ذلّ موسراً .

- الغنيّ الشَّرِه فقير .

- لا قناعة مع شَرِه .

الحرص والحريص

- سأل أحد الحكماء أمير المؤمنين علياً أي شيء أحرّ من النار؟ فقال:

الحرص أحرّ من النار .

- يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي أَتَاكَ فَإِنَّهُ إِنْ

يَكُنْ مِنْ عُمْرِكَ يَأْتِ اللَّهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ .

- إظهار الحرص يورث الفقر .

- ترك الحرص يزيد في الرزق .

- سلاح الحرص الشره .

- الحرص مفتاح التعب ، ومطية النصب ، وداعٍ إلى التقحم في الذنوب .

- الحرص مَفْقَرَةٌ .

- كيف يتخلص من عناء الحرص من لم يصدق توكله .

- خير الناس: من أخرج الحرص من قلبه ، وعصى هواه في طاعة ربّه .

- الحرص ذل وعناء .

- ثمرة الحرص العناء .

- شدة الحرص من قوة الشره وضعف الدين .

- في الحرص الشقاء والنصب .

- ليس كل من طلب وجد .
- رب حريص قتله حرصه .
- قتل الحرص راكبه .
- بثس الرفيق الحرص .
- الحرص ذميم المغيبة .
- الحرص علامة الأشقياء .
- الحرص يذل ويشقي .
- الحرص والشرة يكسبان الشقاء والذلة .
- الحريص أسير مهانة لا يفك أسره .
- الحرص لا يزيد في الرزق ولكن يذل القدر .
- إياك والحرص فإنه شين الدين وبثس القرين .
- أعظم الناس ذلا الطامع الحريص المريب .
- إنك مدرك قسمك ، ومضمون رزقك ، مستوفٍ ما كتب لك ؛ فأرح نفسك من شقاء الحرص ومذلة الطلب ، وثق بالله وحفض في المكتسب .
- عبد الحرص مخلد الشقاء .
- مَنْ غلب عليه الحرص عظمت ذلته .
- مَنْ استعمل ماله لنفسه ربح به ، ومن استعمل نفسه لماله خسر عليه .
- مستعمل الحرص شقي مذموم .
- الحرص رأس الفقر وأس الشر .
- الحريص فقير ولو ملك الدنيا بحذاقيرها .
- أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيرا .
- إِنَّ الَّذِي فِي يَدَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِ بَعْدَكَ وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ

بِهِ أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ فِيهَا جَمَعْتَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَّ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ هَدَّيْنِ
أَهْلًا أَنْ تُؤْتِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ أَوْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللَّهِ وَلِمَنْ
بَقِيَ رِزْقَ اللَّهِ تَعَالَى.

- كل حريص فقير .
- الحريص لا يكتفي .
- الحرص يفسد الايقان .
- الحرص يزري بالمروة .
- لا حياء لحريص .
- يسير الحرص يحمل على كثير الطمع .
- ردُّ الحرص يحسم الشره والمطامع .

الاحتكار والمحتكر

- الإيثار فضيلة، الاحتكار رذيلة .
- الاحتكار داعية الحرمان .
- المحتكر محروم نعمته .
- الاحتكار شيمة الفجار [شيم الأشرار]
- المحتكر البخيل جامع لمن لا يشكره، وقادم على من لا يعذره .
- كن مقتدرا [مقدرا] ولا تكن محتكرا [مقترا]
- من طبائع الأعمار إتعاب النفوس في الاحتكار .

الانفاق والمنفق

- إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها؛ فإنها لا تفتنى، وإذا أدبرت عنك فأنفق
منها؛ فإنها لا تبقى،

٣٩٢..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

- أنفق في حق ولا تكن خازناً لغيرك .

- ثلاثة من حقائق الإيمان: الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسك، وبذل السلام لجميع العالم .

- لم يُرزق المال من لم ينفقه .

- إذا رزقت فأنفق .

- ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخاصة أن يسدها بالذي لا يزيده إن أمسكه، ولا ينقصه إن أنفقه .

- شرُّ المال ما لم يُنفق في سبيل الله منه، ولم تُؤدَّ زكاته .

- إن إنفاق هذا المال في طاعة الله أعظم نعمة، وإن إنفاقه في معاصيه أعظم محنة .

- ليس لأحدٍ من دنياه إلا ما أنفقه على أخراه .

- إن أعظم الناس حسرةً يوم القيامة: رجل اكتسب مالاً من غير طاعة الله، فورثه رجلاً أنفق في طاعة الله فدخل به الجنة، ودخل به الأول النار .

- طوبى لمن ... أنفق مالاً جمعه في غير معصية .

- أيُّها الناس طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من كلامه .

- إنكم إلى إنفاق ما اكتسبتم، أحوج منكم إلى اكتساب ما تجمعون .

- أنفقوا مما رزقكم الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فإن المنفق بمنزلة المجاهد في سبيل الله .

- خذوا من كرائم أموالكم ما يرفع لكم به الله سنيي الأعمال .

- لم يسد من افتقر إخوانه إلى غيره .

العطاء والمعطي

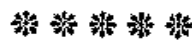
- إن أفضل الدين: الحب في الله، والبغض في الله، والأخذ في الله، والعطاء

في الله سبحانه .

- ثلاث هن جماع المروءة: عطاء من غير مسألة، ووفاء من غير عهد،

وجود مع إقلال .

- إن منع المقتصد أحسن من عطاء المبتدر .
- إن إعطاء هذا المال قنية ، وإن إمساكه فتنة .
- مسرة الكرام في بذل العطاء ، ومسرة اللئام في سوء الجزاء .
- خير العطاء ما كان عن غير طلب .
- يسير العطاء خير من التعلل بالاعتذار .
- مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ ، يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ .
- مَنْ مَنَعَ الْعَطَاءَ مَنَعَ الثَّنَاءَ .
- مَنْ أَعْطَى فِي غَيْرِ الْحُقُوقِ ، قَصَّرَ عَنِ الْحُقُوقِ .
- مَنْ لَمْ يَحْمَدِكْ عَلَيَّ حَسَنَ النِّيَّةِ ، لَمْ يَشْكُرْكَ عَلَيَّ جَمِيلَ الْعَطِيَّةِ .
- الْخَطَأُ فِي إِعْطَاءِ مَنْ لَا يَبْتَغِي وَمَنْعِ مَنْ يَبْتَغِي وَاحِدٌ .
- بَسَطَ الْيَدَ بِالْعَطَاءِ يَجْزِلُ الْأَجْرَ وَيَضَاعِفُ الْجَزَاءَ .
- آفَةُ الْعَطَاءِ الْمَطْلُ .
- بَذَلَ الْعَطَاءَ زَكَاةَ النِّعْمَاءِ .
- لَا تَسْتَكْثِرُنَ الْعَطَاءَ وَإِنْ كَثُرَ ؛ فَإِنْ حَسَنَ الثَّنَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ .
- كُنْ بِالْمَعْرُوفِ آمراً ، وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهياً ، وَلِمَنْ قَطَعَكَ وَاصِلاً ، وَلِمَنْ حَرَمَكَ مَعْطِياً .
- لَا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ ، فَإِنَّ الْحَرَمَانَ أَقْلَ مِنْهُ .
- مَا هُنَا الْعَطَاءُ مَنْ مَنْ بِهِ .
- قَدْ يَهْنَأُ الْعَطَاءُ لِلْإِنْجَازِ .
- لِكُلِّ مَشْيٍ عَلَيَّ مِنْ أَثْنِي عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ .
- مِنْ عَلَامَاتِ الْمَأْمُونِ عَلَيَّ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ الْإِقْرَارِ وَالْعَمَلِ ؛ الْحَزْمُ فِي أَمْرِهِ ..
- وَلَا يَدْخُلُهُ الْإِعْطَاءُ فِي سَرْفٍ وَلَا يَتَخَطَّى بِهِ الْقَصْدُ إِلَى بَخْلِ وَلَا تَأْخُذُهُ نِعْمُ اللَّهِ

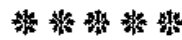


الصنّاعة والمصطنع

- الصنّاعة الى الخادم تكبت الأعداء^(١).
- مَنْ لم يحمد صاحبه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنّاعة.
- مَنْ كفر حسن الصنّاعة، استوجب قبْح القطيعة.
- مَنْ شكرك من غير صنّاعة، فلا تأمن ذمه من غير قطيعة.
- مَنْ اصطنع قوما، احتاج إليهم يوما.
- أربح البضائع: اصطناع الصنائع.
- زكاة النعم: اصطناع المعروف.
- رأس الفضائل: اصطناع الأفاضل.
- اصطناع العاقل أحسن فضيلة.
- لكل شيء فضيلة، وفضيلة الكرام اصطناع الرجال.
- اصطناع الأكارم أفضل ذخر وأكرم اصطناع.
- أحيوا المعروف بإماتته؛ فإن المِنَّة تهدم الصنّاعة.
- الصنّاعة إذا لم تربّ أخلقت، كالثوب البالي، والأبنية المتداعية.
- أَفْضَلُ من الصنّاعة: مَرَبَّةُ الصنّاعة.
- وضع الصنّاعة في أهلها يكبت العدو ويقي مصارع السوء.
- شر الأفعال ما هدم الصنّاعة.
- المَنْ مفسدة الصنّاعة.
- لا صنّاعة للممتنّ.

١ - قال الإمام الصادق: النعمة تُرى على الخادم تسر الصديق وتكبت العدو.

- اصطناع اللثيم أقبح رذيلة .
- لا تزكو الصنعةُ مع غير أصيل .
- لا معروف أضيع من اصطناع الكفور .
- الاصطناعُ ذخْرٌ فازتد عند مَنْ تَضَعُهُ .
- أفضل الذخائر: حسن الصنائع .
- أحسن الصنائع: ما وافق الشرائع .
- عليك بمكارم الخلال، واصطناع الرجال، فإنهما يقيان مصارع السوء، ويوجبان الجلالة .
- كثرة اصطناع المعروف: تزيد في العمر، وتنشر الذكر .
- جِماعُ الفضلِ: في اصطناع الحرِّ، والإحسان إلى أهل الخير .
- رأس الرذائل: اصطناع الأراذل .
- الشرف اصطناع العشيرة .
- حسن الاختيار، واصطناع الأحرار، وفضل الاستظهار، من دلائل الإقبال .



الصدقة والمتصدق

- الصدقةُ جُنَّةٌ عظيمةٌ من النارِ للمؤمن، ووقايةٌ للكافر من أن يتلف ماله، تعجّل له الخلف، وتدفع عنه البلايا، وماله في الآخرة من نصيب .
- لا تَنفَعُ الصلاةُ والصدقةُ إلا مع الاهتداء إلى سبيلِ النجاة وطُرُقِ الحَقِّ .
- إِذَا أُمَّلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ .
- ثلاث من كنوز الجنة: كتمان المصيبة والصدقة والمرض .
- يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل، ولا يستظرف فيه إلا الفاجر، ولا يضعف فيه إلا المنصف، يعدّون الصدقةَ غرماً، وصلةَ الرحم منا،

- الصدقة أفضل القرب .
- الصدقة كنز الموسر .
- الصدقة تقي مصارع السوء .
- الصدقة في السر من أفضل البرّ .
- الصدقة أعظم الربح .
- الصدقة أفضل الذخرين .
- الصدقة تستنزل الرحمة .
- الصدقة تستدفع البلاء والنقمة .
- استنزلوا الرزق بالصدقة .
- إن أفضل الخير : صدقة السر ، وبرّ الوالدين ، وصلة الرحم .
- بالصدقة تفسح الآجال .
- بركة المال في الصدقة .
- ثقلوا موازينكم بالصدقة .
- حصّنوا أنفسكم بالصدقة .
- خير الصدقة أخفاها .
- درهم الفقير أزكى عند الله من دينار الغنيّ .
- سوسوا إيمانكم بالصدقة .
- سوسوا أنفسكم بالورع ، وداووا مرضاكم بالصدقة .
- صدقة السر تكفر الخطيئة ، وصدقة العلانية مشاة في المال .
- صدقة العلانية تدفع ميتة السوء .
- عليك بالصدقة تنج من دناءة الشحّ .
- كفروا ذنوبكم وتحببوا إلى ربّكم بالصدقة ، وصلة الرحم .
- قال رجل يمانيّ : يا أمير المؤمنين إني أريد أن أتصدّق بعشرة آلاف فمّن

المُسْتَحِقُّ لِدَلِكْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): قَرَّقْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْوَرَعِ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ فَمَا تَزْكُوا الصَّنِيعَةَ إِلَّا عِنْدَ أُمَّتَالِهِمْ؛ فَيَتَّقُونَ بِهَا عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ. فَانْتَهَى الرَّجُلُ إِلَى مَا أَشَارَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

- الصدقة تفيء .

- إن في الجنة لشجرة تخرج من أعلاها الحلل، ومن أسفلها خيل بلق مسرجة ملجمة ذوات أجنحة لا تروث ولا تبول فيركب عليها أولياء الله فتطير بهم في الجنة حيث شاءوا، فيقول الذين أسفل منهم: يا ربنا ما بلغ بعبادك هذه الكرامة؟ فيقول الله جَلَّ جَلَالُهُ: إنهم كانوا يقومون الليل ولا ينامون، ويصومون النهار ولا يأكلون، ويجاهدون العدو ولا يجبنون، ويتصدقون ولا ييخلون.

عن علي (عليه السلام) أنه وقف بالكناسة كناسة الكوفة وقال:

- يَا مَعْشَرَ التَّجَارِ إِنْ أَسْوَاقِكُمْ هَذِهِ تَحَضَّرُهَا الْإِيمَانُ فَشُوبُوا إِيْمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ.

الضيافة والمضيف

من كلام له (عليه السلام) بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي - وهو من أصحابه - يعودده فلما رأى سعة داره قال:

- مَا كُنْتُ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتُ أَحْوَجَ؟ وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَّغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ؛ تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ...

- رُئِيَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَوْمًا بَاكِيًا فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تَبْكِي؟ فَقَالَ: لَمْ يَأْتِي ضَيْفٌ مِنْدُسَبَعَةَ أَيَّامٍ أَخَافُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ أَهَانَنِي.

- من أفضل المكارم: تحمل المغارم، وإقراء الضيوف.

- ثلاث لا يستحيا منهن: خدمة الرجل ضيفه، وقيامه عن مجلسه لأبيه

ومعلمه، وطلب الحق وإن قل.

- أكرم ضيفك وإن كان حقيرا، وقم عن مجلسك لأبيك ومعلمك وإن كنت

أميراً.

- الضيافة رأس المروءة .

- فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَلَیَصِلُ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَیُحْسِنُ مِنْهُ الضِّيَافَةَ...

- مَا مِنْ مُؤْمِنٍ یَسْمَعُ بِهَمْسِ الضیفِ وفرح بذلك، إِلَّا غَفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مَطْبِقَةً بَیْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

- إِذَا دَعَا أَحَدَكُمْ أَخُوهُ فَلَیَأْكُلْ مِنْ طَعَامِهِ، وَلِیَشْرَبْ مِنْ شَرَابِهِ، وَلَا یَسْأَلْهُ عَنْ شَیْءٍ (١).

- إن الحارث الأعور أتى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك أحب أن تكرمني بأن تأكل عندي. فقال له علي أمير المؤمنين (عليه السلام): علي أن لا تتكلف شيئاً. ودخل فأتاه الحارث بكسر فجعل أمير المؤمنين (عليه السلام) يأكل. فقال له الحارث: إن معي دراهم وأظهرها فإذا هي في كمي، فقال: إن أذنت لي اشتريت لك. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): هذه مما في بيتك.

- عن علي (عليه السلام) أنه كان يأتي الدعوة ويقول: هي حق علي من دعي إليها، ومن أتاها ولم يدع إليها فقد أتى ما لا يصلح له.

من كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على البصرة:

- أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة، دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه.

- مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُحِبُّ الضیفَ إِلَّا وَيَقُومُ مِنْ قَبْرِهِ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَيَنْظُرُ أَهْلَ الْجَمْعِ فَيَقُولُونَ: مَا هَذَا إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ. فيقول ملك: هذا مؤمن يحب

الضَّيْفِ، وَيُكْرِمُ الضَّيْفَ، وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ.

طلاقة الوجه والطلق

- طَلَاقَةُ الْوَجْهِ بِالْبَشْرِ وَالْعَطِيَّةِ، وَفَعَلَ الْبِرُّ وَبَذَلَ التَّحِيَّةَ، دَاعٍ إِلَى مَحَبَّةِ الْبَرِيَّةِ.

- أَوْلُ الْمَرْوَةِ الْبِشْرُ، وَآخِرُهَا اسْتِدَامَةُ الْبِرِّ.

- حَسَنَ الْبِشْرُ أَوْلُ الْعَطَاءِ وَأَسْهَلَ السَّخَاءِ.

- بِالْبِشْرِ وَبَسَطِ الْوَجْهِ يَحْسُنُ مَوْقِعُ الْبَدْلِ.

- وَجْهُ مُسْتَبْشِرٌ، خَيْرٌ مِنْ قَطُوبٍ مُؤَثِّرٍ.

- الْبِشَاشَةُ إِحْسَانٌ.

- الْبِشْرُ مَبْرَةٌ، الْعَبُوسُ مَعْرَةٌ.

- الْبِشْرُ مَنْظَرٌ مُوْتَقٍ، وَخَلَقَ مُشْرِقٌ.

- الطَّلَاقَةُ شَيْمَةٌ الْخُرِّ.

- بِشْرُكَ يَدُلُّ عَلَى كَرَمِ نَفْسِكَ، وَتَوَاضَعِكَ يَنْبِيءٌ عَنْ شَرِيفِ خُلُقِكَ.

- كَثْرَةُ الْبِشْرِ آيَةُ الْبَدْلِ.

- الْبِشْرُ يُونِسُ الرِّفَاقِ.

- الْبِشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ.

- الْبِشْرُ إِسْدَاءٌ [إِبْتِدَاءٌ] الصَّنِيعَةِ بِغَيْرِ مَوْوَنَةٍ.

- الْبِشْرُ أَحَدُ الْعَطَاءِيِّينَ.

- سَبَبُ الْمَحَبَّةِ الْبِشْرُ.

- مَنْ بَخَلَ عَلَيْكَ بِبِشْرِهِ، لَمْ يَسْمَعْ بِبِرِّهِ.

القرض والمقرض

- اعْتَنَيْتُمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ؛ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

٤٠٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

- مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصْرِمَ أَخَاهُ فَلْيَقْرَضْهُ ثُمَّ لِيَتَقَاضِهِ .

- مَنْ أَقْرَضَ اللَّهَ جِزَاهُ .

- لَمْ يَضَعْ مِنْ مَالِكَ مَا قَضَى قَرْضَكَ .

- أَبْخَلَ النَّاسَ بِقَرْضِهِ أَسْخَاهُمْ بِعَرْضِهِ .

- مِنْ سَوْءِ الْخَلْقِ الْبَخْلُ وَسَوْءُ التَّقَاضِي .

- أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَبْخَلُوا

بِهَا عَنْهَا؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (١) .

وَقَالَ تَعَالَى: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ» (٢) .

فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قَلْبِي، اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَقْرِضْكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا

مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ .

- إِيَّاكُمْ وَالذَّيْنِ؛ فَإِنَّهُ مَذَلَّةٌ بِالنَّهَارِ، وَمَهْمَةٌ بِاللَّيْلِ، وَقَضَاءٌ فِي الدُّنْيَا، وَقَضَاءٌ

فِي الْآخِرَةِ .

- وَقَالَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مُجَدِّدًا الْبَارِيءَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ سَأَلَهُ أُعْطَاهُ،

وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ .

المؤونة ومحتملها

- تَنْزِيلُ الْمَعُونَةِ عَلَيَّ قَدْرُ الْمُوْنَةِ .

- مَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ مُوْنَةَ النَّاسِ فَقَدْ أَهَلَ قَدْرَتَهُ لِانْتِقَالِهَا .

- السَّيِّدُ مِنْ تَحَمُّلِ الْمُوْنَةِ، وَجَادَ بِالْمَعُونَةِ .

- النفس الشريفة لا تتقل عليها المؤونات .
- بتحمل المؤمن تكثر المحامد .
- أفضل المروءة احتمال جنایات الإخوان .
- لا تكمل المروءة إلا باحتمال جنایات المعروف .
- لو أن المروءة لم تشتد مؤونتها وبثقل حملها، ما ترك اللئام الأعمار منها مبيت ليلة، ولكنها اشتدت مؤنتها وثقل حملها فحاد عنها اللئام الأعمار، وحملها الكرام الأخيار .

الطعامُ والمُطْعِم

- لئن أجمع إخواني على صاع من الطعام، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ رَقَبَةً .
- لئن أطعم أخاك لقمةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِدِرْهَمٍ، وَلَئِنْ أُعْطِيَ دِرْهَمًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِعَشْرَةٍ، وَلَئِنْ أُعْطِيَ عَشْرَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ رَقَبَةً .
- مَا أَكَلْتَهُ رَاحَ، وَمَا أَطْعَمْتَهُ فَاحَ .
- لذة الكرام في الإطعام، ولذة اللئام في الطعام .
- الطعام يؤكل على ثلاثة أضرب: مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة .
- أَكْثَرُوا ذَكَرَ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الطَّعَامِ وَلَا تَطْغَوْا، فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ مِنْ نِعْمِ اللّٰهِ وَرِزْقٌ مِنْ رِزْقِهِ يَجِبُ عَلَيْكُمْ فِيهِ شُكْرُهُ وَحَمْدُهُ .
- أَكْثَرُ الطَّعَامِ بَرَكَةٌ: مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الأَيْدِي .
- إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ أَخُوكَ الْمُؤْمِنُ فَأَطْعِمْهُ مِنْ أَطْيَبِ مَا فِي بَيْتِكَ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَادْهِنْهُ .
- إِذَا وُضِعَ الطَّعَامُ وَجَاءَ السَّائِلُ فَلَا مَرَدَّ لَهُ .
- بئس الطعام الحرام .
- إِذَا أَطْعَمْتَ فَأَشْبِعْ .

٤٠٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

- مَا خَافَ أَمْرُ وَعَدَلَ فِي حُكْمِهِ ، وَأَطْعَمَ مِنْ قُوْتِهِ ، وَذَخَرَ مِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ .

- مَنْ أَطْعَمَ طَعَاماً رِيَاءً وَسَمِعَهُ أَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ صَدِيدِ جَهَنَّمَ وَجَعَلَ ذَلِكَ الطَّعَامَ تَاراً فِي بَطْنِهِ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

القناعة والقانع

- سُئِلَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً »^(١) . فَقَالَ : هِيَ الْقَنَاعَةُ .

- سَأَلَ زَيْدُ بْنُ صُوْحَانَ الْعَبْدِيُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّاً أَيَّ الْقَنُوعِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ (سَلَامُ اللهِ عَلَيْهِ) : الْقَانِعُ بِمَا أَعْطَاهُ اللهُ .

- سَأَلَ أَحَدَ الْحُكَمَاءِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّاً (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَيَّ شَيْءٍ أَغْنَى مِنَ الْبَحْرِ ؟ فَقَالَ : الْبَدَنُ الْقَانِعُ أَغْنَى مِنَ الْبَحْرِ .

- كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكاً وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيماً .

- لَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ وَلَا مَالَ أَذْهَبَ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالْقُوْتِ ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدْ انْتَضَمَ الرَّاحَةَ وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَاةِ .

- مَا أَصْنَعُ بِفَدْكَ وَغَيْرِ فَدْكَ وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدِ جَدْتُ ، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا ، وَتَغِيْبُ أَحْبَابُهَا ، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأُوسِعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لِأَضْغَطِهَا الْحَجَرُ وَالْمَدْرُ وَسَدَّ فَرْجَهَا التُّرَابُ الْمُتْرَاكِمُ ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَّ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ وَتَثْبُتَ عَلَيَّ جَوَانِبِ الْمَرْزُوقِ .

- اعْلَمُوا عِلْماً بَيِّنًا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ وَاشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ

١ - قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَنُكْرِمُنَّهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . النحل ، الآية / ٩٧ .

وَقَوِيَّتْ مَكِيدَتُهُ أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذُّكْرِ الْحَكِيمِ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ
وَقِلَّةِ حِيلَتِهِ وَبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذُّكْرِ الْحَكِيمِ. وَالْعَارِفُ لِهَذَا الْعَامِلُ بِهِ
أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنَفَعَةٍ وَالتَّارِكُ لَهُ الشَّاكُ فِيهِ أَعْظَمُ النَّاسِ شُغْلًا فِي مَضَرَّةٍ.
وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرِجٌ بِالنُّعْمَى وَرُبَّ مُبْتَلَىٍّ مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَى قَزْدٌ أَيُّهَا
الْمُسْتَنْفِعُ فِي شُكْرِكَ وَقَصْرٌ مِنْ عَجَلَتِكَ وَقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ.

- العبد حر ما قنع، الحر عبد ما طمع.

- القناعة نعمة.

- القناعة علامة الأتقياء.

- القنوع عنوان الرضا.

- القناعة سيف لا ينبو.

- المتقي قانع متنزه متعفف.

- اقنع بما أوتيته تكن مكفياً.

- انتقم من حرصك بالقنوع، كما تنتقم من عدوك بالقصاص.

- أطيبُ العيشِ القناعة.

- أهناً الأقسامِ القناعة، وصِحَّةُ الأجسامِ.

- أعون شيء على صلاح النفس القناعة.

- إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه الطاعة، وحبب إليه القناعة، فاكتمى بالكفاف،

واكتسب بالعفاف.

- تأدم بالجوع، وتأدب بالقنوع.

- جمال العيش القناعة.

- حفظ ما في يدك خير لك من طلب ما في يد غيرك.

- سعادة المرء القناعة والرضا.

- طوبى لمن تجلبب بالقنوع، وتجنَّب الإسراف.

- غاية الاقتصاد القناعة .
- لم يتحل بالقناعة من لم يكتف بيسير ما وجد .
- من أكرم الخلق التحلي بالقناعة .
- من شرف الهمة لزوم القناعة .
- ما استغنيت عنه خيرٌ مما استغنيت به .
- نِعَمَ الحَظُّ القنَاعَةَ .
- نعم الخليفة القناعة .
- نعم عون الورع القنوع .
- لا كنز كالقناعة .
- ينبغي لمن عرف نفسه أن يلزم القناعة والعفة .
- إذا لم يكن ما تُريد، فأرِدْ ما يكون .
- القنَاعَةُ عِزٌّ وَغَنَاءٌ .
- عز القنوع خير من ذل الخضوع .
- غنى العاقل بحكمته ، وعزه بقناعته .
- مَنْ عقل قنع .
- مَنْ قنعت نفسه عزٌّ معسرا .
- مَنْ قنع كُفي مذلة الطلب .
- مَنْ التحف العفة والقناعة ، حالفه العز .
- مَنْ رضي بالمقدور اكتفى بالميسور .
- مَنْ اكتفى باليسير استغنى عن الكثير .
- مَنْ قنع برزق الله استغنى عن الخلق .
- مَنْ لزم القناعة زال فقره .
- مَنْ قنعت نفسه أعانته على النزاهة والعفاف .

- مَنْ اقْتَنَعَ بِالْكَفَافِ أَدَاهُ إِلَى الْعَفَافِ .
- مَنْ تَقَنَعَ قَنَعَ .
- مَنْ قَنَعَ لَمْ يَغْتَم .
- مَنْ قَنَعَ حَسَنَتْ عِبَادَتُهُ .
- مَنْ قَنَعَ قَلَّ طَمَعُهُ .
- مَنْ وَهَبَتْ لَهُ الْقَنَاعَةُ صَانَتَهُ .
- مَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِمَا قَدَرَ لَهُ تَعَنَّى .
- مَنْ عَدَّتْهُ الْقَنَاعَةُ لَمْ يَغْنِهِ الْمَالُ .
- مَنْ كَانَ يَبْسِطُ الدُّنْيَا لَا يَقْنَعُ ، لَمْ يَغْنِهِ مِنْ كَثِيرِهَا مَا يَجْمَعُ .
- نَالَ الْعِزَّ مِنْ رِزْقِ الْقَنَاعَةِ .
- لَا أَعَزَّ مِنْ قَانِعٍ .
- أَخُو الْغَنِيِّ مِنَ التَّحَفِّ بِالْقَنَاعَةِ .
- الْقَانِعُ غَنِيٌّ ، وَإِنْ جَاعَ وَعَرِيَ .
- أَغْنَى الْغَنِيُّ الْقَنَاعَةَ وَالتَّجَمُّلَ فِي الْفَاقَةِ .
- إِنْ أَكْبَسَ النَّاسُ : مَنْ اقْتَنَى الْيَأْسَ ، وَلَزِمَ الْقَنُوعَ وَالْوَرَعَ ، وَبَرَى مِنْ الْحَرَصِ وَالطَّمَعِ ، فَإِنَّ الطَّمَعَ وَالْحَرَصَ الْفَقْرَ الْحَاضِرَ ، وَإِنَّ الْيَأْسَ وَالْقَنَاعَةَ الْغَنَى الظَّاهِرَ .
- إِنْكُمْ إِنْ قَنَعْتُمْ حَزْتُمْ الْغَنَاءَ ، وَخَفَتْ عَلَيْكُمْ مَوْنُ الدُّنْيَا .
- إِذَا طَلَبْتَ الْغَنَى فَاطْلُبْهُ بِالْقَنَاعَةِ .
- عَلَيْكَ بِالْقَنُوعِ فَلَا شَيْءَ أَدْفَعُ لِلْفَاقَةِ مِنْهُ .
- نَالَ الْغَنَى مِنْ رِزْقِ الْيَأْسِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَالْقَنَاعَةَ بِمَا أُوتِيَ ، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ .
- الْقَنَاعَةُ أَفْضَلُ الْعَفْتَيْنِ .

- علي قدر العفة تكون القناعة .
- كل قانع عفيف .
- مجاوزتك ما يكفيك فقر لا منتهى له .
- المستريح من الناس القانع .
- القناعة هنا عيش .
- القانع ناجٍ من آفات المطامع .
- اقنعوا بالقليل من دنياكم لسلامة دينكم ؛ فإن المؤمن البلغة اليسيرة من الدنيا تقنعه .

- أنعم الناس عيشاً من منحه الله سبحانه القناعة ، وأصلح له زوجه .
- ثمرة القناعة الإجمال في المكتسب ، والعزوف عن الطلب .
- عليك بالعفاف والتنوع فمن أخذ به خفت عليه المؤن .
- كل مؤن الدنيا خفيفة على القانع والعفيف .
- القنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ .

- العجز اشتغالك بالمضمون لك عن المفروض عليك ، وترك القناعة بما أوتيت .

-مُقَاسَاةُ الإِقْلَالِ ، وَلَا مَلَاقَاةَ الأَرْدَالِ .

- خَرَجَ العِزُّ والغِنَى يَجُولَانِ فَلَقِيَا القنَاعَةَ فَاسْتَقَرَّا .

الحاجة والقاضي لها

قال علي (عليه السلام) لكميل بن زياد النخعي (رض) :

- يَا كَمَيْلُ مَرُّ أَهْلِكَ أَنْ يَبْرُو حُوا فِي كَسْبِ المَكَارِمِ ، وَيُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ ، فَوَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سُورًا إِلَّا وَخَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورَ لُطْفًا ؛ فَإِذَا تَزَلَّتْ بِهِ نَائِبَةٌ ، جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ ، حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ ، كَمَا تَطْرُدُ غَرِيبَةَ الإِبْلِ .

- قضاء اللوازم، من أفضل المكارم.

- مَنْ شَكَأ الْحَاجَّةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّهَا شَكَاهَا إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّهَا شَكَأ اللَّهَ.

- لا يستقيم قضاء الحوائج إلا بثلاث: بتصغيرها لتعظم، وسترها لتظهر، وتعجيلها لتتها.

- عليكم في قضاء حوائجكم بكرام الأنفس والأصول؛ تنجح لكم عندهم من غير مطال، ولا من.

- إن حوائج الناس إليكم نعمة من الله عليكم، فاغتموها ولا تملوها؛ فتتحول نقماً.

- لا يُكَلِّفُ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ الطَّلِبَ إِلَيْهِ إِذَا عَلِمَ حَاجَتَهُ.

- عليكم في طلب الحوائج بشراف النفوس ذوي الأصول الطيبة، فإنها عندهم أفضى، وهي لديكم أزكى.

- مَنْ كَثُرَتْ نِعْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَإِنْ قَامَ فِيهَا بِمَا أَوْجِبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ عَرَضَهَا لِلدَّوَامِ، وَإِنْ مَنَعَ مَا أَوْجِبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِيهَا فَقَدْ عَرَضَهَا لِلزَّوَالِ.

- مَنْ رَجَاكَ فَلَا تَخَيِّبْ أَمَلَهُ.

- مَنْ حَرَّمَ السَّائِلَ مَعَ الْقُدْرَةِ عَوَّقَ بِالْحَرَمَانِ.

- مَنْ اسْتَجِدَّ ذَلِيلًا ذَلَّ.

- مَنْ احْتَجَّتْ إِلَيْهِ هَنْتٌ عَلَيْهِ.

- مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَلْيُصَلِّحْهُ فَإِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ إِذَا احْتَجَّ الْمَرْءُ فِيهِ إِلَى النَّاسِ كَانَ أَوْلَ مَا يَبْذُلُهُ لَهُمْ دِينَهُ.

- إِنِّي لِأَرْفَعُ نَفْسِي أَنْ تَكُونَ حَاجَةً لَا يَسْعَاهَا جُودِي، أَوْ جَهْلٌ لَا يَسْعَاهُ حَلْمِي، أَوْ ذَنْبٌ لَا يَسْعَاهُ عَفْوِي، أَوْ أَنْ يَكُونَ زَمَانٌ أَطْوَلَ مِنْ زَمَانِي.

- بذل ماء الوجه في الطلب أعظم من قدر الحاجة وإن عظمت، وأنجح فيها الطلب.

- أشدُّ من الموت طلب الحاجة من غير أهلها .
- لا شيء أوجع من الاضطرار، إلى مسألة الأعمار .
- عجبْتُ لرجل يأتيه أخوه المسلم في حاجة فيمتنع عن قضائها، ولا يرى نفسه للخير أهلاً، فهب أنه لا ثواب يرجى ولا عقاب يتقى، أفترهدون في مكارم الأخلاق .
- تبادروا المكارم، وسارعوا إلى تحمل المغارم، واسعوا في حاجة من هو نائم، يحسن لكم في الدارين الجزاء، وتنالوا من الله عظيم الجباء .
- المخذول من كانت له إلى اللئام حاجة .
- فوت الحاجة خير من طلبها من غير أهلها .
- من الواجب على الغني أن لا يرضنَّ على الفقير بماله .
- لا تدعُ الله أن يُغنيك عن الناس فإن حاجاتِ الناس بعضهم إلى بعض متصلةٌ كاتصالِ الأعضاء فمتى يستغني المرء عن يديه أو رجله، ولكن ادعُ الله أن يُغنيك عن شرارهم .
- لا تنزل حوائجك بجيد اللسان، ولا بمتسرعٍ إلى الضمان .
- لا وزرَ أعظمَ من وزر غنيٍّ منع المحتاج .
- لا تخيِّبِ المحتاجَ وإن ألحف .
- ألقى الناس عند حاجتهم إليك بالبشر والتواضع؛ فإن نابتك نائبة وحالت بك حال لقيتهم وقد أمنت ذلة التنصل إليهم والتواضع .
- ما من عمل أحب إلى الله تعالى من ضرٍّ يكشفه رجلٌ عن رجل .
- لا تؤخر إنالة المحتاج إلى غدٍ، فإنك لا تدري ما يعرض لك وله في غد .
- ما أدري أيّ النعمتين أعظم عليّ من ربّي: رجل بذل مُصاص^(١) وجهه لي فرآني موضعاً لحاجته، وأجرى الله قضاءها أو يسره على يدي، ولئن أقضي لامرئ مسلم حاجةً أحبُّ إليّ من ميلء الأرض ذهباً .

- لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة؛ إلى الكذوب فإنه يقربها وإن كانت بعيدة، ولا إلى أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته.

- من الواجب على ذي الجاه أن يبذله لطلبه.

- بذل الجاه زكاة الجاه.

- لا تألف المسألة فيألفك المنع.

- لا تسأل الحوائج غير أهلها ولا تسألها في غير حينها ولا تسأل ما لست له مستحقاً فتكون للحرمان مستوجباً.

- لا تسأل من تخاف منعه.

- أصعب المرام طلب ما في أيدي اللثام.

- بذل الوجه إلى اللثام الموت الأكبر.

- رضي بالحرمان طالب الرزق من اللثام.

- طالب الخير من اللثام محروم.

- لا تطلبن إلى أحد حاجة ليلاً فإن الحياء في العينين.

- اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك.

الإنعام والمنعم

- أحسن شكر النعم الإنعام بها^(١).

- سنة الكرام ترادف الإنعام.

- ما حُصنت النعم بمثل الانعام بها.

- من بسط يده بالإنعام، حصن نعمته من الانصرام.

- من أنعم على الكفور طال غيظه.

١ - وقريب منه ما ورد عنه (عليه السلام) كذلك؛ ما شُكِرَت النعمة بمثل بذلها.

- مَنْ أَنْعَمَ قَضَى حَقَّ السِّيَادَةِ .
- مَنْ أَوْسَعَتْ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ وَجَبَّ عَلَيْهِ أَنْ يُوسِعَ النَّاسَ إِنْعَامًا .
- ليس من عادة الكرام تأخير الإنعام .
- أجملُ أفعال ذوي القدرة الإنعام .
- أولى الناس بالإنعام من كثرت نعم الله عليه .
- إذا أنعمت بالنعمة فقد قضيت شكرها .
- اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك؛ فإنه لا زوال للنعمة إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت .
- لَا تُعِنُّ عَلِيٌّ مِنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ ، فَمَنْ أَعَانَ عَلِيٌّ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ سُلِبَ الْإِمْكَانُ .
- أَنْعَمٌ تُحْمَدُ .
- أَنْعَمٌ تُشْكُرُ ، وَأَرْهَبٌ تَحْذَرُ ، وَلَا تَمَازِحَ فَتَحْقُرُ .
- إنما يعرف قدر النعم بمقاساة ضدها .

الشُّكْرُ وَالشُّاكَرُ

- مَنْ كَانَ عِنْدَهُ جَزَاءٌ فَلْيَجْزِ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ جَزَاءٌ فَشَاءٌ حَسَنٌ وَدُعَاءٌ .
- مَنْ أَظْهَرَ شُكْرَكَ فِيمَا لَمْ تَأْتِ إِلَيْهِ ، فَاحْذَرِ أَنْ يَكْفُرَكَ فِيمَا أُسْدَيْتَ إِلَيْهِ .
- مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ فَشُكْرُكَ ، كَمَنْ ابْتَلَى فَصْبِرُكَ .
- مَنْ شُكِرَ الْمَعْرُوفُ فَقَدْ قَضَى حَقَّهُ .
- مَنْ بَدَلَ لَكَ جُهْدَ عِنَايَتِهِ فَايْزِلْ لَهُ جُهْدَ شُكْرِكَ .
- مَنْ أَوْلِيَ نِعْمَةً فَقَدْ اسْتَعْبَدَ بِهَا حَتَّى يَعْتَقَهُ الْقِيَامُ بِشُكْرِهَا .
- مَنْ شُكِرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَجِبَّ عَلَيْهِ شُكْرُ ثَانٍ إِذْ وَفَّقَهُ لِشُكْرِهِ وَهُوَ شُكْرُ الشُّكْرِ .

- مَنْ شُكِرَ مِنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ فَقَدْ كَافَأَهُ .

- مَنْ كَثَرَ شُكْرَهُ كَثَرَ خَيْرُهُ .

- مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْإِنْعَامَ ، فَلْيُعَذِّبْ مِنَ الْإِنْعَامِ .
- مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْإِحْسَانَ ، لَمْ يَعْدهِ الْحَرَمَانَ .
- مَنْ كَثُرَ شُكْرُهُ تَضَاعَفَتْ نِعْمُهُ .
- مَنْ حَاطَ النِّعَمَ بِالشُّكْرِ حَيْطَ بِالمَزِيدِ .
- مَنْ جَعَلَ الْحَمْدَ خَتَامَ النِّعْمَةِ ، جَعَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِفْتَاحَ المَزِيدِ .
- مَنْ شَكَرَ النِّعَمَ بِجَنَانِهِ ، اسْتَحَقَّ المَزِيدَ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ عَلَى لِسَانِهِ .
- إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلَا تُنْفِرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ .
- إِنْ اللهُ أَنْعَمَ عَلَى الْعِبَادِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ ، وَكَلَّفَهُمْ مِنَ الشُّكْرِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِمْ .
- النِّعْمَةُ مَوْصُولَةٌ بِالشُّكْرِ ، وَالشُّكْرُ مَوْصُولٌ بِالمَزِيدِ ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ ؛ فَلَنْ يَنْقَطِعَ المَزِيدُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ ، حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ الشَّاكِرِ .
- صَيِّرِ الدِّينَ حَصْنَ دَوْلَتِكَ ، وَالشُّكْرَ حَرْزَ نِعْمَتِكَ ، فَكُلُّ دَوْلَةٍ يَحُوطُهَا الدِّينَ لَا تَغْلِبُ ، وَكُلُّ نِعْمَةٍ يَحْرُزُهَا الشُّكْرَ لَا تَسْلُبُ .
- إِنْ الْعَبْدَ بَيْنَ نِعْمَةٍ وَذَنْبٍ لَا يَصْلِحُهُمَا إِلَّا الِاسْتِغْفَارُ وَالشُّكْرُ .
- ثَلَاثٌ مَنْ كُنَ فِيهِ فَقَدَ رِزْقَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هُنَّ : الرِّضَا بِالقَضَاءِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى البَلَاءِ ، وَالشُّكْرُ فِي الرِّخَاءِ .
- لَنْ يَذْهَبَ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ وَحَازَ لَكَ الشُّكْرَ .
- زِيَادَةُ الشُّكْرِ ، وَصَلَةُ الرَّحْمِ ، تَزِيدَانِ النِّعَمَ ، وَتَفْسِحَانِ فِي الْأَجْلِ .
- الشُّكْرُ تَرْجِمَانُ النِّيَّةِ وَلِسَانُ الطَّوِيَّةِ .
- الشُّكْرُ مَاخُوذٌ عَلَى أَهْلِ النِّعَمِ .
- الشُّكْرُ أَحَدُ الْجَزَاءِ بَيْنَ .
- الشُّكْرُ أَعْظَمُ قَدْرًا مِنَ المَعْرُوفِ لِأَنَّ الشُّكْرَ يَبْقَى وَالمَعْرُوفُ يَفْنَى .
- اشْتَغَلْ بِشُكْرِ النِّعْمَةِ عَنِ التَّطَرُّبِ بِهَا .
- أَحْسِنُوا جِوَارَ نِعَمِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِالشُّكْرِ لِمَنْ دَلَّكُمْ عَلَيْهَا .
- أَحْسِنِ السَّمْعَةَ شُكْرَ يَنْشُرُ .

٤١٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

- أحب الناس إلى الله سبحانه العامل فيما أنعم به عليه بالشكر، وأبغضهم إليه العامل في نعمه بكفرها.

- إن آتاكم الله بنعمة فاشكروا.

- إذا أعطيت فاشكر.

- إذا نزلت بك النعمة فاجعل قراها الشكر.

- خيرُ الناس من إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا ظلم غفر.

- عليك بالشكر في السراء والضراء.

- عقل المرء نظامه، وأدبه قوامه، وصدقه إمامه، وشكره تمامه.

- في كل برٍّ شكر.

- قد أوجب الدهر شكره علي من بلغ سؤله.

- كن في السراء عبداً شكوراً، وفي الضراء عبداً صبوراً.

- نعم الله سبحانه أكثر من أن تشكر إلا ما أعان الله عليه، وذنوب ابن آدم

أكثر من أن تغفر إلا ما عفا الله عنه.

- لا تنسوا عند النعمة شكركم.

- الشكرُ بذرُ النعم.

- الشكر على النعمة جزاء لماضيها، واجتلابٌ لآتيها.

- أحسن الناس حالاً في النعم من استدام حاضرها بالشكر، وارتجع

فائتها بالصبر.

- عليكم بدوام الشكر ولزوم الصبر فإنهما يزيدان النعمة ويزيلان المحنة.

- في شكر النعم دَوامُها.

- قيِّدوا قوادِمَ النعم بالشكرِ فما كُئِلُ شارِدٍ بمرود.

- لن يقدر أحد أن يستديم النعم بمثل شكرها، ولا يزينها بمثل بذلها.

- الشكر زينة الرخاء، وحصن النعماء.

- شكر نعمة سألقة، يقضي بتجدد نعم مستأنفة.

- إظهار الغنى من الشكر .
- إذا قصرت يدك عن المكافاة فأطل لسانك بالشكر .
- شکرٌ مَنْ دُونَكَ بِسَيِّبِ الْعَطَاءِ .
- شکرٌ إِلَهَكَ بِطَوْلِ الثَّنَاءِ .
- شکرٌ مَنْ فَوْقَكَ بِصَدَقِ الْوَلَاءِ .
- شکرٌ الْمُؤْمِنِ يَظْهَرُ فِي عَمَلِهِ .
- شَكَرَ الْإِحْسَانَ مِنْ أَتَى عَلَى مُسَدِيهِ ، وَذَكَرَ بِالْجَمِيلِ مُؤَلِيهِ .
- اغتنموا الشكر فأدنى نفعه الزيادة .
- أحق الناس بزيادة النعمة أشكرهم لما أعطي منها .
- إن لله تعالى في كل نعمة حقاً من الشكر فمن أداه زاده منها ومن قصر عنه خاطر بزوال نعمته .

- ثمرة الشكر زيادة النعم .
- حسن الشكر يوجب الزيادة .
- خير الشكر ما كان كافلاً بالمزيد .
- دوام الشكر عنوان درك الزيادة .
- شکرُ الْإِلَهِ يُدِرُّ النِّعَمَ .
- شكر النعم يوجب مزيدها ، وكفرها برهان جحودها .
- شكرك الراضي عنك يزيده رضا ووفاء .
- شكر النعمة أمان من تحويلها ، وكفيل بتأييدها .
- شكر النعمة أمان من حلول النقمة .
- مصيبة يرجى أجرها ، خير من نعمة لا يؤدي شكرها .
- نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر .
- رَبِّ كَادِحٍ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ .
- الشكر زين النعماء .

- الشكر مغنم .

- ما كان الله سبحانه ليقتح على أحد باب الشكر ، ويغلق عليه باب المزيد .

- لا يُزهدنك في المعروف من لا يشكره لك فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه ، وقد يدرك من شكر الشاكر ، أكثر مما أضع الكافر والله يحب المحسنين .

النفع والنافع

- من جمع المال لينتفع به الناس أطاعوه ، ومن جمع لنفسه أضاعوه .

- خير الناس من نفع الناس .

- إن لله عبادة يختصهم بالنعم لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيَقْرُهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَدَلُوهَا ، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ^(١) .

- ليكن أحب الناس إليك وأحظاهم لديك أكثرهم سعياً في منافع الناس .

- لا تنفع الصنعة إلا في ذي وفاء وحفيظة .

- أنفع المال ما قضي به الفرض .

- لا يشبع المؤمن وأخوه جائع .

- واصل معدم خير من جافٍ مكتر .

- خير الناس من تحمل مؤونة الناس .

النبل والنبيل

- كثرة البذل آية النبل .

- النبل بالتخلي بالجود ، والوفاء بالعهود .

١ - وتروى هذه الحكمة الجليلة باللفظ التالي: إن لله سبحانه عبادة يختصهم بالنعم لمنافع

العباد يقرها في أيديهم ما بدلوها ، فإذا منعوها نزعها منهم وحولها إلى غيرهم .

- مَنْ لَمْ يَتَفَضَّلْ لَمْ يَنْبَلْ .
- مَنْ كَثُرَتْ عَوَارِفُهُ أَبَانَ عَنْ كَثْرَةِ نَبَلِهِ .
- مَنْ تَجَلَّبَبَ الصَّبْرَ وَالْقَنَاعَةَ عَزَّ وَنَبَلْ .
- مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَقْلٌ يَزِينُهُ لَمْ يَنْبَلْ .
- مَنْ لَمْ يَجْهَدْ نَفْسَهُ فِي صِغَرِهِ ، لَمْ يَنْبَلْ فِي كِبَرِهِ .
- الْكَرَمُ نُبْلٌ .
- مَا أَقْبَحَ الْبِخْلِ بَدْوِي النَّبَلِ .
- السَّخَاءُ ثَمَرَةُ الْعَقْلِ ، وَالْقَنَاعَةُ بَرَهَانُ النَّبَلِ .
- السَّخَاءُ عِنْوَانُ الْمَرْوَةِ وَالنَّبَلِ .
- عَادَةُ النَّبَلِ السَّخَاءُ وَالْكَظْمُ وَالْعَفْوُ وَالْحِلْمُ .
- يَسْتَدَلُّ عَلَى حِلْمِ الرَّجُلِ بِكَثْرَةِ احْتِمَالِهِ ، وَعَلَى نُبُلِهِ بِكَثْرَةِ إِنْعَامِهِ .

المسألةُ والسائلُ

- مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَيَّ مِنْكُمْ حَاجَةٌ فَلْيُرْفَعْهَا فِي كِتَابٍ لِأَصُونَ وَجُوهَكُمْ عَنِ الْمَسْأَلَةِ .
- مَنْ أَحْسَنَ الْمَسْأَلَةَ أَسْعَفَ .
- مَنْ سَأَلَ مَا لَا يَسْتَحِقُّ قُوبِلَ بِالْحَرَمَانِ .
- مَنْ تَكَرَّرَ سُؤَالُهُ لِلنَّاسِ ضَجِرُوا .
- مَنْ لَمْ يَصْنُ وَجْهَهُ عَنِ مَسْأَلَتِكَ فَأَكْرَمَ وَجْهَكَ عَنِ رَدِّهِ .
- مَنْ أَكْثَرَ مَسْأَلَةَ النَّاسِ ذَلَّ .
- مَنْ صَانَ نَفْسَهُ عَنِ الْمَسْأَلِ جَلَّ .
- مَا رَدَّ أَحَدٌ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ إِلَّا وَتَبَيَّنَ الْعِزُّ فِي قَفَاهِ وَالذُّلُّ فِي وَجْهِهِ .
- لَيْسَ مِنَ الْكَرَمِ أَنْ يُرَدَّ السَّائِلُ .

- رَدُّ السائل الذكر بالليل يُورث الفقر.
- وجهك ماءٌ جامدٌ يقطره السؤال فانظر عند مَنْ تقطره.
- يقطع البليغ عن المسألة أمران ذل الطلب وخوف الرد.
- المسألة مفتاح الفقر.
- إذا شئت أن تطاع، فاسأل ما يُستطاع.
- الإلحاف يذهب بالإسعاف.
- المسألة طوقُ المذلة؛ تسلبُ العزيزَ عزَّه، والحسيبَ حسَبه.
- ينبغي للعاقل أن يكتسب بماله المخمَّدة، ويصون نفسه عن المسألة.
- السؤال يضعف لسان المتكلم، ويكسر قلب الشجاع البطل، ويوقف الحرَّ العزيز موقِفَ العبدِ الذليل، ويذهبُ بهاءَ الوجه، ويمحقُ الرِّزق.
- آفة الطلب عدم النجاح.
- حسن اليأس أجمل من ذل الطلب.
- كفى بالإلحاح مخرمة.
- لا ذلَّ كالطلب.
- التقلُّ ولا التوسُّل.
- لا تردنَّ السائل وإن أسرف.
- تعهذ أهلُ اليأسِ وذوي الرِّقة في السنِّ ممَّن لا حيلة له ولا ينصبُ للمسألة نفسه.
- حفظ ما في يدك أحبُّ إليّ من طلب ما في يدي غيرك.
- مرارة اليأس خيرٌ من الطلب إلى الناس،
- لا تسألوا إلا الله سبحانه فإنه إن أعطاكم أكرمكم، وإن منعكم خار لكم.
- الخطوة عند الخالق بالرغبة فيما لديه، الخطوة عند المخلوق بالرغبة عما في يديه.

- لا تشاتمن أحداً ولا تردن سائلاً إما هو كريم تسد خلته أو لثيم تشتري عرضك منه .

- إنكم إن رجوتم الله بلغتم آمالكم، وإن رجوتم غير الله خابت أمانيتكم وآمالكم .

المُرُوَّةُ وَذُو المُرُوَّةِ

- المروءة اسم جامع لسائر الفضائل والمحاسن .
 - من المروءة: أنك إذا سُئِلتَ أن تتكلف، وإذا سَأَلتَ أن تخفف .
 - تَعَمَّدِ الذنوبَ بالغفرانِ لا سِيَّما في ذَوِي المُرُوَّةِ والهَيَّاتِ .
 - أَحْسِنِ رِعايَةَ الحِرماتِ، وأقْبِلْ عَلى أَهْلِ المُرُوَّةِ؛ فإن رِعايَةَ الحُرْماتِ تَدُلُّ عَلى كِرمِ الشِيمَةِ والإِقبالِ عَلى ذَوِي المُرُوَّةِ يُعَرِّبُ عَن شَرَفِ الهِمَّةِ .

- على قدر المروءة تكون السخاوة .
 - نِظامُ المِروءة: حِسنُ الأُخوة، ونِظامُ الدِينِ حُسنُ اليقينِ .
 - لا مُرُوَّةَ لكَذُوبٍ .
 - لا مُرُوَّةَ مَعَ شُحٍّ .
 - لا ترد السائل و صن مرؤتك عن حرمانه .
 - مَنْ قَبِلَ مَعروفَكَ فَقَدِ باعَكَ عِزَّتَهُ ومِروءَتَهُ .
 - مَنْ لا مِروءةَ لَهُ لا هِمَّةَ لَهُ .
 - لا تَكمِلُ المِروءةَ إلا لِلَّيِّبِ .
 - على قدر شرف النفس تكون المروءة .
 - المِروءةُ بلا مالٍ كالأَسَدِ الَّذِي يُهابُ ولم يفتَرس، وكالسيفِ الَّذِي يَخافُ وهو مُتَعَمِّدٌ، والمالُ بلا مِروءةٍ كالكَلبِ الَّذِي يَجْتَنِبُ عِقرًا ولم يعقر .
 - أَفضَلُ الأَدبِ حِفظُ المِروءةِ .

- الوفاء حفظ الذمام، والمروءة تعهد ذوي الأرحام.
- من أفضل الدين المروءة، ولا خير في دين ليس له مروءة.
- ما حمل الرجال حملاً أثقل من المروءة.
- مع الثروة تظهر المروءة.
- ميزة الرجل عقله، وجماله مروءته.
- مروءة الرجل على قدر عقله.
- المروءة إنجاز الوعد.
- المروءة تحت على المكارم.
- المروءة من كل لؤم بريئة.
- المروءة تمنع من كل دنية.
- المروءة بريئة من الخيانة والغدر.
- المروءة اجتناب الرجل ما يثيبه، واكتسابه ما يزيه.
- المروءة بث المعروف، وقرئ الضيوف.
- أول المروءة طلاقة الوجه، وآخرها التودد إلى الناس.
- أشرف المروءة حسن الأخوة.
- أحسن المروءة حفظ الود.
- أفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه.
- من تمام المروءة التنزه عن الدنية.
- من تمام المروءة أن تنسى الحق لك، وتذكر الحق عليك.
- ملاك المروءة صدق اللسان وبذل الإحسان.
- ثلاث هن المروءة: جود مع قلة، واحتمال من غير مذلة، وتعفف عن المسألة.

- يُستدل على مروءة الرجل: بِبِثِّ المَعْرُوفِ، وبِذْلِ الإِحْسَانِ، وترك

الامتنان .

- يَسْتَدَلُّ عَلَى المَرْوَةِ: بِكثْرَةِ الحَيَاءِ، وَبذَلِ التَّدْيِ، وَكفِ الأذْيِ .

- أَفْضَلُ المَرْوَةِ: مَوَاسَاةُ الإِخْوَانِ بِالأَمْوَالِ، وَمَسَاوَاتُهُمْ فِي الأَحْوَالِ .

- أُنْعِبِ النَّاسَ قَلْباً: مَنْ عَلَتِ هَمَّتُهُ، وَكثُرَتْ مَرْوَتُهُ، وَقَلَّتْ مَقْدَرَتُهُ .

- المَرْوَةُ: العَدْلُ فِي الإِمْرَةِ، وَالعَفْوُ مَعَ القُدْرَةِ، وَالْمَوَاسَاةُ فِي العُسْرَةِ .

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ

السَّلَامُ) فِي وَصِيَّتِهِ لِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنْفِيَّةِ:

- مَرْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ مَرْوَتَانِ: مَرْوَةٌ فِي حَضْرٍ، وَمَرْوَةٌ فِي سَفَرٍ. أَمَّا مَرْوَةُ

الحَضْرِ: فَقِرَاءَةُ القُرْآنِ وَمَجَالِسَةُ العُلَمَاءِ وَالنَّظْرُ فِي الفِقْهِ وَالْمَحَافِظَةُ عَلَى الصَّلَاةِ

فِي الجَمَاعَاتِ. وَأَمَّا مَرْوَةُ السَّفَرِ: فَبَدَلُ الزَّادِ وَقِلَّةُ الخِلَافِ عَلَى مَنْ صَحَبَكَ

وَكَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ مَصْعَدٍ وَمَهْبِطٍ وَنَزُولٍ وَقِيَامٍ وَقَعُودٍ^(١).

١ - تَذَاكُرُ النَّاسِ عِنْدَ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَمْرُ الفِتْوَةِ فَقَالَ: تَظُنُّونَ أَنَّ الفِتْوَةَ بِالفِسْقِ

وَالفَجُورِ إِنَّمَا الفِتْوَةُ وَالْمَرْوَةُ: طَعَامُ مَوْضُوعٍ وَنَائِلُ مَبْذُولٍ وَنَشْرُ مَعْرُوفٍ وَأَذْيٌ مَكْفُوفٍ، فَأَمَّا تِلْكَ

فِشْطَارَةُ وَفِسْقٌ. ثُمَّ قَالَ: مَا المَرْوَةُ؟ فَقَالَ النَّاسُ: مَا نَعْلَمُ. قَالَ: المَرْوَةُ وَاللَّهُ: أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ

خَوَانَهُ بِبِنَاءِ دَارِهِ، وَالْمَرْوَةُ مَرْوَتَانِ: مَرْوَةٌ فِي السَّفَرِ وَمَرْوَةٌ فِي الحَضْرِ فَأَمَّا الَّتِي فِي الحَضْرِ فَتِلَاوَةُ

القُرْآنِ وَلِزُومِ المَسَاجِدِ وَالمَشْيِ مَعَ الإِخْوَانِ فِي الحَوَائِجِ وَالنَّعْمَةِ تَرَى عَلَى الخَادِمِ فَإِنَّهَا تَسِرُ

الصَّدِيقَ وَتَكْتَبُ العَدُوَّ وَأَمَّا الَّتِي فِي السَّفَرِ فَكثْرَةُ الزَّادِ وَطَيِّبُهُ وَبذَلُهُ لِمَنْ كَانَ مَعَكَ وَكُتْمَانُكَ عَلَى

القَوْمِ أَمْرَهُمْ بَعْدَ مَفَارِقَتِكَ إِيَاهُمْ وَكَثْرَةُ المَزَاحِ فِي غَيْرِ مَا يَسْخِطُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ قَالَ (عَلَيْهِ

السَّلَامُ): وَالَّذِي بَعَثَ جَدِّي مُحَمَّدًا «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» بِالْحَقِّ إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَرْزُقَ

العَبْدَ عَلَى قَدْرِ المَرْوَةِ؛ فَإِنَّ المَعُونَةَ تَنْزِلُ عَلَى قَدْرِ المَعُونَةِ، وَإِنْ الصَّبْرُ يَنْزِلُ عَلَى قَدْرِ شِدَّةِ

البَلَاءِ.

لَقَدْ أَشَارَ الإِمَامُ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِقَوْلِهِ: تَظُنُّونَ أَنَّ الفِتْوَةَ بِالفِسْقِ وَالفَجُورِ! إِنَّمَا الفِتْوَةُ

وَالْمَرْوَةُ: طَعَامُ مَوْضُوعٍ... فَأَمَّا تِلْكَ فِشْطَارَةُ وَفِسْقٌ. إِلَى مَا كَانَ مَعَهُوداً فِي العَصْرِ الأُمَوِيِّ مِنْ

اشْتِمَالِ الفِتْوَةِ وَالْمَرْوَةِ - مَعَ مَكَانَتِهِمَا الجَلِيلَةِ فِي الإِسْلَامِ - عَلَى مَجَالِسِ اللُّهُوِّ وَالمَطْرَبِ وَمَعَاقِرَةِ

الخُمُورِ.

الهدية والمهدي

- الهدية تجلب المحبة .

- وأعجب من ذلك طارق طرقتنا بملقوفة في وعائها^(١)، ومعجوبة شينتها، كأنما عجنت بريق حية، أو قيها، فقلت: أصلة أم زكاة أم صدقة؟! فذلك محرم علينا أهل البيت. فقال: لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية. فقلت: هيلتك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمحتبط أنت؟ أم ذو جنة؟ أم تهجر؟

- ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها: الهدية والرسول والكتاب .

- ما استعطف السلطان، ولا استسل سخيمة الغضبان، ولا استميل المهجور، ولا استنجحت صواب الأمور، ولا استدفعت الشرور، بمثل الهدية .

- الهدية تفقأ عين الحكيم .

- لئن أهدي لأخي المسلم هدية تنفعه، أحب إلي من أن أتصدق بمثلها .

- وكتب علي أمير المؤمنين إلى قاضي الأهواز رفاعة بن شداد البجلي

الفتياني: إياك وقبول التحف من الخصوم^(٢) .

١ - ذلك الطارق الذي طرق أمير المؤمنين بملقوفة في وعائها هو الأشعث بن قيس، ولم

يقبلها (ع) منه - مع العلم بتحريضه على الهدايا وقبول الهدايا - لأنها لم تكن عن اخلاص طوية ومحبة للإمام، بل كانت لا تخلو من أهداف أخرى .

٢ - لا يعني الإمام (عليه السلام) بقبول التحف من الخصوم رفاعة بن شداد،

وإنما يعني الخصوم المترافعين اليه في الدعاوى باعتباره قاضياً، وقبوله للتحف منهم قبول

لرشاوى المحظورة في الشرائع، فكما أن (الهدية تفقأ عين الحكيم). كذلك فإن الهدية تفقأ عين

القاضي وتخرجه في اصدار الحكم العادل إن قبلها .

مَلاحِق

والآن فلنكن ضيوفاً مكرمين على مائدة القرآن والسنة واللغة
الفصحى حيث يسقوننا سلسيل العلم والمعرفة ويتحفونا ويؤودونا
بأدب الضيافة وسمو التعامل الجميل والبناء.

مَلاحِق

الملحقُ الأولُ

جودُ الباريء سبحانه وإحسانه

الكريم

الكريم في اللغة: الكثير الخير، والعرب تسمي الشيء الذي يدوم نفعه ويسهل تناوله كريماً، ومن كرمه تعالى أنه يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق ويغفر الذنب ويعفو عن المسيء. وقيل: الكريم الجواد المفضل يقال رجل كريم أي جواد. وقيل: هو العزيز كقولهم فلان أكرم من فلان أي أعز منه وقوله تعالى «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ». أي عزيز.

الواسع

الغني الذي وسع غناه مفاقر عبادته ووسع رزقه جميع خلقه، والسعة في كلام العرب الغنى ومنه «لِيَتَفَقَّ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ». وقيل: هو المحيط بعلم كل شيء ومنه «وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْماً». وفي كتاب منتهى السؤل: الواسع مشتق من السعة والسعة تضاف تارة إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة وتضاف أخرى إلى الإحسان وبسط النعم وكيف ما قدر وعلى أي شيء نزل فالواسع المطلق هو الله تعالى لأنه إن نظر إلى علمه فلا ساحل لبحره بل تنفذ البحار لو كانت مداد الكلمات وإن نظر إلى إحسانه ونعمه فلا نهاية لها وكل نعمة تكون من غيره

٤٢٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وإن عظمت فهي متناهية فهو أحق بإطلاق اسم السعة عليه .

الغني

هو الذي استغنى عن الخلق وهم إليه محتاجون فلا تعلق له لغيره لا في ذاته ولا في شيء من صفاته بل يكون منزها عن العلاقة مع الغير فمن تعلقت ذاته أو صفاته بأمر خارج عن ذاته يتوقف في وجوده أو كماله عليه فهو محتاج إلى ذلك الأمر ولا يتصور ذلك في الله تعالى .

المُغني

الذي جبر مفاقر الخلق وأغناهم عن سواه بوسع الرزق .

المجيد

الماجد والمجيد بمعنى الكرم قاله الجوهرى والمجيد الواسع الكرم ورجل ماجد إذا كان سخياً واسع العطاء . وقيل هو الكريم العزيز ومنه قوله تعالى: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ» . أي كريم عزيز . وقيل معنى مجيد أي ممجد أي مجده خلقه وعظموه . قاله ابن فهد في عدته . وقال الهروي في قوله تعالى: «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» . والمجد في كلامهم الشرف الواسع ورجل ماجد مفضال كثير الخير . وقال الشهيد: المجيد هو الشريف ذاته ، الجميل فعاله .

الصمد

السيد الذي يصمد إليه في الحوائج ، أي يقصد وأصل الصمد القصد . وعن الحسين (عليه السلام): الصمد الذي انتهى إليه السؤدد والدائم والذي لا جوف له والذي لا يأكل ولا يشرب ولا ينام .

ابن الحنفية: الصمد هو القائم بنفسه ، الغني عن غيره .

البرّ

بفتح الباء وهو العطوف على العباد الذي عم بره جميع خلقه ببره المحسن

بتضعيف الثواب والمسيء بالعفو عن العقاب وبقبول التوبة وقد يكون بمعنى الصادق ومنه بر في يمينه أي صدق وبكسر الباء قال الهروي هو الاتساع والإحسان والزيادة ومنه سميت البرية لاتساعها وقوله لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ. البر الجنة .

قال الجوهري: والبر بالكسر خلاف العقوق وبررت والذي بالكسر أي أطعته ومن كسر باء البر في اسمه تعالى فقد وهم. قال الحريري في كتابه درة الغواص: وقولهم بر والدك وشم يدك وهم والصواب فتح الباء والشين لأنهما مفتوحان في قولك ببر ويشم وعقد هذا الباب أن حركة أول فعل الأمر من جنس حركة ثاني الفعل المضارع إذا كان متحركا فتفتح الباء في قولك بر أباك لانفتاحها في قولك ببر وتضم الميم في قولك مد الحبل لانضمامها في قولك يمد وتكسر الخاء في قولك خف في العمل لانكسارها في قولك يخف.

ذو الطول

أي المتفضل بترك العقاب المستحق عاجلا وآجلا لغير الكافر. والطول بفتح الطاء الفضل والزيادة وبضمها في الجسم لأنه زيادة فيه كما أن القصر قصور فيه ونقصان وقولهم طلت فلانا أي كنت أطول منه من الطول والطول جميعا.

الجواد

هو الكثير الإنعام والإحسان، والفرق بينه وبين الكريم أن الكريم الذي يعطي مع السؤال والجواد يعطي من غير سؤال وقيل بالعكس ورجل جواد أي سخى ولا يقال الله تعالى سخى لأن أصل السخاوة راجع إلى اللين ويقال أرض سخاوية وقرطاس سخاوي إذا كان لينا وسمي السخي سخيا للينه عند الحوائج هذا آخر كلام صاحب العدة. قلت: وقوله ولا يقال الله تعالى سخى ليس بشيء لأن السخاء مرادف للوجود وهو صفة كمال فيجوز إطلاقه عليه تعالى مع أنه قد ورد به الإذن ففي دعاء الصحيفة المذكور في مهج ابن طاووس قدس الله سره: سبحانه

٤٢٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

من تَوَّاب ما أسخاه، وسبحانه من سخي ما أنصره فإذا كان اسم السخاء لا يوهم نقصا وقد ورد في الدعوات فما المانع من إطلاقه عليه تعالى.

إن قلت: أن المانع أن أصل السخاوة راجع إلى اللين إلى آخره كما ذكره صاحب العدة.

قلت: إن اللين هنا بمعنى الحلم لا بمعنى ضد الخشونة وفي دعوات المصباح ولنت في تجبرك أي حلمت في عظمتك وليس صفاته تعالى كصفات خلقه لأن الثواب من الناس التائب والصبور كثير حبس النفس عن الجزع وهما في صفته تعالى كما مر في شرحهما إلى غير ذلك من صفاته تعالى المخالفة لصفات خلقه. وهنا فائدة يحسن بهذا المقام أن نسفر قناعها ونحدر لفاعها وهي أن الأسماء التي ورد بها السمع ولا شيء منها يوهم نقصا يجوز إطلاقها على الله تعالى إجماعا وما عدا ذلك فأقسامه ثلاثة. أما لم يرد به السمع ويوهم نقصا فيمتنع إطلاقه عليه تعالى إجماعا كالعارف والعاقل والفظن والذكي لأن المعرفة قد تشعر بسبق فكره والعقل هو المنع عما لا يليق والفتنة والذكاء يشعران بسرعة الإدراك لما غاب عن المدرك وكذا المتواضع لأنه يوهم الذلة والعلامة لأنه يوهم التأنيث والداري لأنه يوهم تقدم الشك.

وما جاء في الدعاء من قول الكاظم (عليه السلام) في دعاء يوم السبت: يا من لا يعلم ولا يدري كيف هو إلا هو يعطي جواز هذا فيكون مرادفا للعلم. ب ما ورد به السمع ولكن إطلاقه في غير مورده يوهم النقص فلا يجوز كأن يقول يا ما كر أو يامستهزئ ويحلف به قال الشهيد: ومنع بعضهم أن يقال اللهم امكر بفلان وقد ورد في دعوات المصباح اللهم استهزئ به ولا تستهزئ بي. المقام الأسنى ص: ٧٠ ما خلا عن الإيهام إلا أنه لم يرد به السمع كالنجي والأريحي قال الشهيد والأولى التوقف عما لم تثبت التسمية به وإن جاز أن يطلق معناه عليه إذا لم يكن فيه إيهام إذا عرفت ذلك فنقول قال الشيخ نصير الدين أبو جعفر محمد بن

محمد بن الحسن الطوسي قدس الله سره في فصوله: كل اسم يليق بجلاله ويناسب كماله مما لم يرد به إذن جاز إطلاقه عليه تعالى إلا أنه ليس من الأدب لجواز أن لا يناسبه من وجه آخر. قلت وعنده يجوز أن يطلق عليه تعالى الجوهر لأن الجوهر قائم بذاته غير مفتقر إلى الغير والله تعالى كذلك. وقال الشيخ علي بن يوسف بن عبد الجليل في كتابه منتهى السؤل في شرح الفصول: لا يجوز أن يطلق على الواجب تعالى صفة لم يرد الشرع المطهر إطلاقها عليه وإن صح اتصافه بها معنى كالجوهر مثلاً بمعنى القائم بذاته؛ لجواز أن يكون في ذلك مفسدة خفية لا نعلمها فإنه لا يكفي في إطلاق الصفة على الموصوف ثبوت معناها له فإن لفظي عز وجل لا يجوز إطلاقها على النبي «ص» وإن كان عزيزاً جليلاً في قومه لأنهما يختصان بالله تعالى ولولا عناية الله ورأفته بعباده في إلهام أنبيائه أسماء وصفاته لما جسر أحد من الخلق ولا تهجم في إطلاق شيء من هذه الأسماء والصفات عليه سبحانه. قلت وهذا الكلام أولي من قول صاحب الفصول، لأنه إذا جاز عدم المناسبة ولا ضرورة داعية إلى التسمية، وجب الامتناع من جميع ما لم يرد به نص شرعي من الأسماء وهذا معنى قول العلماء: إن أسماء الله تعالى توقيفية أي موقوفة على النص والإذن.

المنان

المعطي المنعم ومنه «فَأْمُنُّ» أو «أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ». أي أعط وأنعم. وقيل: المنان الذي يتدنى بالنوال قبل السؤال، والحنان الذي يقبل على من أعرض عنه.

من كتاب المقام الأسنى لإبراهيم بن علي الكفعمي العاملي.

الملحق الثاني

الجود في اللغة

لما كان بحث الجود موضوع الكتاب كله فمن المستحسن أن ندرج

٤٢٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

موضوع الجود من الجهة اللغوية ملحقاً للكتاب تماماً للنفع العام، والله الموفق للسداد والرشاد:

ورد في كتاب العين لأحمد بن خليل الفراهيدي (رحمه الله وأرضاه) مادة جود بما مختصره: جاد الشيء، يجود جودة فهو جيد. وجاد الفرس يجود جودة فهو جواد. وجاد الجواد من الناس يجود جوداً.

وفي «لسان العرب» مادة جود بما مختصره: يقال: أجاد فلان في عمله وأجود وجاد عمله يجود جوداً، وجُدت له بالمال جوداً. ورجل مجوادٌ مجيد وشاعر مجواد أي مجيد يُجيد كثيراً. وأجذته التقد: أعطيته جياداً. ورجل جواد: سخي، وكذلك الأنثى بغير هاء والجمع أجواد، وجاودت فلاناً فجذته أي غلبته بالجود، كما يقال ماجذته من المجد. وقوم جود مثل قذال وقذل، وإنما سكنت الواو لأنها حرف علة، وأجواد وأجاود وجوداء؛ وكذلك امرأة جواد ونسوة جود مثل نوارٍ ونور.

وأجواد العرب المذكورون، فأجواد أهل الكوفة: هم عكرمة بن ربيعي وأسماء بن خارجة وعتاب بن ورقاء الرياحي؛ وأجواد أهل البصرة: عبيد الله بن أبي بكر ويكنى أبا حاتم، وعمر بن عبد الله بن معمر التيمي، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، وهؤلاء أجود من أجواد الكوفة؛ وأجواد الحجاز: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وهما أجود من أجواد أهل البصرة، فهؤلاء الأجواد المشهورون وأجواد الناس بعد ذلك كثير،

والكثير أجواد على غير قياس، وجود وجودة، ألحقوا الهاء للجمع. وجاد المطر جوداً: وبَلَّ فهو جائد، والجمع جود مثل صاحب وصحْب، ومطر جود: بَيَّنُّ الجود غزير، وقيل: الجود من المطر الذي لا مطر فوقه البتة. وفي حديث الاستسقاء: ولم يأت أحد من ناحية إلا حدَّت بالجود وهو المطر الواسع الغزير.

وَجِيَدَتِ الْأَرْضُ: سَقَاهَا الْجَوْدُ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: تَرَكْتُ أَهْلَ مَكَّةَ وَقَدْ جِيَدُوا
أَيَ مُطِرُوا مَطَرًا جَوْدًا.

وَجَادَتِ الْعَيْنُ تَجُودُ جَوْدًا وَجُودًا: كَثُرَ دَمْعُهَا؛ عَنِ اللَّحْيَانِيِّ.

وَفِي مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ مَادَةٌ (جود): وَالْجَوَادُ: الْجَيِّدُ لِلْعَدُوِّ، يُقَالُ جَادَ الْفَرَسُ
جَوْدَةً - بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ - فَهُوَ جَوَادٌ، وَالْجَمْعُ جِيَادٌ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَجُودُ بِجَرِيهِ،
وَالْأُنْثَى جَوَادٌ أَيْضًا.

وَالْجَوَادُ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى وَفِي الْحَدِيثِ سَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)
وَهُوَ فِي الطَّوَافِ فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْجَوَادِ؟

فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): إِنْ لِكَلَامِكَ وَجْهَيْنِ، فَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْمَخْلُوقِ فَإِنَّ
الْجَوَادَ الَّذِي يُوَدِّي مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ، وَابْتِخِيلَ الَّذِي يَبْتَخِلُ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ، وَإِنْ
كُنْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْخَالِقِ فَهُوَ الْجَوَادُ إِنْ أُعْطِيَ وَهُوَ الْجَوَادُ إِنْ مَنَعَ، لِأَنَّهُ إِنْ أُعْطِيَ
عَبْدًا أُعْطَاهُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَإِنْ مَنَعَ مَنَعَ مَا لَيْسَ لَهُ. وَالْجَوَادُ: الَّذِي لَا يَبْتَخِلُ بِعَطَائِهِ،
وَمِنْهُ الدُّعَاءُ أَنْتَ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَبْتَخِلُ. وَالْجَوَادُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)
أَحَدَ الْأُمَّةِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ، وَوُلِدَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ،
وَقَبِضَ سَنَةَ عِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَمِنْ خَوَاصِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ سَأَلُوهُ عَنْ ثَلَاثِينَ
أَلْفَ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَ عَنْهَا وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ سَنِينَ، وَجَادَ الرَّجُلُ يَجُودُ جَوْدًا بِالضَّمِّ مِنْ
بَابِ قَالَ: تَكْرَمُ، فَهُوَ جَوَادٌ، وَالْجَمْعُ أَجْوَادٌ.

وَجَادَ بِنَفْسِهِ: سَمِحَ بِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ، فَكَأَنَّهُ يَدْفَعُهَا كَمَا يَدْفَعُ الْإِنْسَانُ مَالَهُ.
وَجَادَ وَأَجَادَ: أَتَى بِالْجَيِّدِ مِنْ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ.

وَالْجَوْدُ بِالْفَتْحِ فَالسُّكُونِ: الْمَطَرُ الْغَزِيرُ أَوْ مَا لَا مَطَرَ فَوْقَهُ.

هَذَا وَلَمْ نَذْكُرِ الْإِثْنَارَ فِي اللَّغَةِ لِأَنَّهُ فَرْعٌ مِنْ فُرُوعِ الْجَوْدِ، وَإِنْ كَانَ أَفْضَلَ
الْفُرُوعِ وَأَسْمَاهَا مَكَاتَةٌ وَأَخْلَبُهَا لِلْأَبَابِ.

الملحق الثالث

السماحة في اللغة

قال الخليل بن أحمد في كتاب العين ٣ / ١٥٥ سمح: رجل سمح، ورجال سمحاء، وقد سمح سماحة وجاد بماله، ورجل مسماح مساميح، وسمح لي بذلك يسمح سماحة وهو الموافقة فيما طلب.

والتسميح: السرعة، والمسامحة في الطعان والضراب والعدو إذا كانت على مساهلة، قال: وسامحت طعناً بالوشيح المقوم. ورمح مسمح: تقف حتى لان. وكذلك يعبر [مسمح] ورجل مسماح أي: جواد عند السنة. وفي لسان العرب مادة سمح: السَّمَاحُ والسَّمَاحةُ: الجُودُ. سَمَّحَ سَمَاحَةً وَسَمَّوْحَةً وَسَمَاحاً: جاد؛ ورجلٌ سَمَّحٌ وامرأة سَمَّوْحَةٌ من رجال ونساء سَمَاحٍ وَسَمَّحَاءٍ فِيهِمَا، حكى الأخيرة الفارسي عن أحمد بن يحيى.

ورجل سَمِيحٌ ومِسمَحٌ ومِسمَاحٌ: سَمَّحٌ؛ ورجال مَسَامِيحٌ ونساء مَسَامِيحٌ.

وفي الحديث: يقول الله عز وجل: أَسْمِحُوا الْعَبْدِي كِاسْمَاحِهِ إِلَىٰ عِبَادِي؛ الإِسْمَاحُ: لغة في السَّمَاحِ؛ يقال: سَمَّحَ وَأَسَمَّحَ إِذَا جَادَ وَأَعْطَىٰ عَن كَرَمٍ وَسَخَاءٍ؛ وقيل: إنما يقال في السَّخَاءِ سَمَّحَ وَأَمَّا أَسَمَّحَ فَإِنَّمَا يُقَالُ فِي الْمَتَابَعَةِ وَالانْقِيَادِ؛ ويقال: أَسَمَّحَتْ نَفْسُهُ إِذَا انْقَادَتْ، والصحيح الأول؛ وَسَمَّحَ لِي فَلَانَ أَيَّ أَعْطَانِي؛ وَسَمَّحَ لِي بِذَلِكَ يَسَمَّحُ سَمَاحَةً.

وَأَسَمَّحَ وَسَامَّحَ: وافقني على المطلوب؛ أنشد ثعلب:

ولو كنت تُعْطِي حين تُسألُ سامَّحتُ لك النَّفسُ واخْلُولاك كلُّ خَلِيلِ

والمُسامَحةُ: المُساهلة. وتسامحوا: تساهلوا.

وفي الحديث المشهور: السَّمَاحُ رِبَاحٌ. أي المُساهلة في الأشياء تُرْبِحُ

صاحبها .

وَسَمَحَ وَتَسَمَّحَ : فَعَلَ شَيْئاً فَسَهَّلَ فِيهِ ؛ أَنْشَدَ ثَعْلَبُ : وَلَكِنْ إِذَا مَا جَلَّ حَظُّكَ
فَسَامَحَتْ بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا ، كَانَ لِلْكَرْهِ أَذْهَبًا .

ابن الأعرابي : سَمَحَ لَهُ بِحَاجَتِهِ وَأَسْمَحَ أَي سَهَّلَ لَهُ .

وفي الحديث : أَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ سَأَلَ عَنْ رَجُلٍ شَرِبَ لَبْنًا مَخْضًا أَيْتَوْضًا ؟ قَالَ :
أَسْمَحُ يُسْمَحُ لَكَ ؛ قَالَ شَمْرٌ : قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : مَعْنَاهُ سَهَّلَ يُسَهِّلُ لَكَ وَعَلَيْكَ ؛ وَأَنْشَدَ :
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحَتْ .

قال : أَسْمَحَتْ أَسْهَلَتْ وَانْقَادَتْ ؛ أَبُو عبيدة : أَسْمَحَ يُسْمَحُ لَكَ بِالْقَطْعِ وَالْوَصْلِ
جَمِيعًا .

وفي حديث عطاء : أَسْمَحَ يُسْمَحُ بِكَ .

وقولهم : الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ ؛ لَيْسَ فِيهَا ضَيْقٌ وَلَا شِدَّةٌ .

وما كان سَمْحًا ، وَلَقَدْ سَمَّحَ ، بِالضَّمِّ ، سَمَاحَةً وَجَادَ بِمَا لَدَيْهِ .

وَأَسْمَحَتْ الدَّابَّةُ بَعْدَ اسْتِصْعَابٍ : لَانَتْ وَانْقَادَتْ .

ويقال : سَمَّحَ الْبَعِيرُ بَعْدَ صُعُوبَتِهِ إِذَا ذَلَّ ، وَأَسْمَحَتْ قَرُونَتُهُ لِذَلِكَ الْأَمْرِ إِذَا
أَطَاعَتْ وَانْقَادَتْ .

ويقال : أَسْمَحَتْ قَرِينَتُهُ إِذَا ذَلَّ وَاسْتَقَامَ ، وَسَمَّحَتْ النَّاقَةُ إِذَا انْقَادَتْ
فَأَسْرَعَتْ ، وَأَسْمَحَتْ قَرُونَتُهُ وَسَامَحَتْ كَذَلِكَ أَي ذَلَّتْ نَفْسَهُ وَتَابَعَتْ . وَيُقَالُ : فَلَانُ
سَمِيحٌ لَمِيحٌ وَسَمَّحٌ لَمَّحٌ .

وَالْمُسَامَحَةُ : الْمُسَاهَلَةُ فِي الطَّعَانِ وَالضَّرَابِ وَالْعَدْوِ ؛ قَالَ : وَسَامَحْتُ طَعْنًا
بِالْوَشِيحِ الْمُقْوَمِ .

وتقول العرب : عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَإِنْ فِيهِ لَمَسْمَحًا أَي مُتَّسَعًا .

كما قالوا : إِنْ فِيهِ لَمْتُدُوْحَةٌ .

٤٣٢..... فلسفة الجُود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
قال ابن الفرج حكايةً عن بعض الأعراب قال: السَّبَّاحُ والسَّمَّاحُ بيوت من
أَدَمٍ؛ وأُنشد: إذا كان المَسَارِحُ كالسَّمَّاحِ.

وعُوذُ سَمَّحٍ يَبِينُ السَّمَّاحَةَ والسُّمُوْحَةَ: لا عُقْدَةَ فِيهِ.

ويقال: سَاجَةٌ سَمَّحَةٌ إِذَا كَانَ غِلْظُهَا مُسْتَوِي النَّبْتَةِ وَطَرَفَاهَا لَا يَفُوتَانِ وَتَسَطُّهُ
وَلَا جَمِيعَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ مِنْ نَبْتَتِهِ وَإِنْ اخْتَلَفَ طَرَفَاهُ وَتَقَارَبَا فَهُوَ سَمَّحٌ أَيْضاً.

وفي مجمع البحرين ٢ / ٣٧٤ (سمح): في الحديث مَا بَعَثَ بِالرَّهْبَانِيَّةِ
الشَّاقَةَ وَلَكِنْ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةَ. هِيَ بِفَتْحٍ فَسَكُونِ أَي السَّهْلَةُ الَّتِي لَا ضَيْقَ فِيهَا
وَلَا حَرْجٍ. وَالسَّمَاحُ بِالْفَتْحِ الْجُودُ، وَالسَّمَاحَةُ مِثْلُهُ. وَسَمَّحٌ بِهِ يُسَمَّحُ بِفَتْحَتَيْنِ
سَمُوْحًا وَسَمَّاحًا وَسَمَّاحَةً: أَي جَادًا. وَفِي الْحَدِيثِ: خِيَارَكُمْ سَمَّاحًا وَسَمَّاحًا وَسَمَّاحًا.

وسمَّح لي: أعطاني، وقوم سمَّحاء جمع سمَّيح ومساميح كأنه جمع مسماح -
قاله الجوهرى.

والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا. وفي الخبر السماح رباح أي
المساهلة في الأشياء ربح صاحبها.

وفي الحديث: السماحة البذل في العسر واليسر.

الملحقُ الرابعُ

في كتاب مئة منقبة لمحمد بن أحمد بن شاذان / المنقبة الخامسة والعشرون
باسناده عن جابر الأنصاري عن رسول الله «ص»: علي بن أبي طالب أقدم أممي
سلما، وأكثرهم علما، وأصحهم ديناً، وأفضلهم يقيناً، وأكملهم حلماً، وأسمحهم
كفاً، وأشجعهم قلباً، وهو الإمام والخليفة بعدي.

أسمح الأمة كفاً

يتبين بوضوح من الحديث النبوي الشريف أن من جملة المؤهلات الشخصية الأساسية لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والتي جعلت الرسول الخاتم «صلى الله عليه وآله وسلم» يعتبره الجدير بالخلافة بعده هو كونه أسمح الأمة كفاً. وهذا تبجيل وتتمين عظيم للسماح والكرم وأن له دخلاً رئيسياً بالخلافة العظمى والقيادة العامة فضلاً عما دونها من المناصب والمقامات السياسية والروحية.

إذا لم يكن علي بن أبي طالب الإمام والخليفة بعد الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» اعتباراً أو محاباةً، بل ارتكازاً إلى أسس قويمه في شخصيته المباركة، وقد أوضحها رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» بقوله: علي بن أبي طالب أقدم أمتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأصحهم ديناً، وأفضلهم يقيناً، وأكملهم حلماً، [ولسمحهم كفاً]، وأشجعهم قلباً.

فيا ليت المؤهلات الكافية لبعض الشخصيات الكبرى تبقى هي المعايير السديدة التي يعمل السياسيون والاداريون بموجبها في اختيار القائد أو تنصيبه شرقاً وغرباً.

الملحق الخامس

الحث على إجابة دعوة المؤمن والحث على الأكل من طعام أخيه.

الحكمة من الحث على إجابة الدعوة

تمتاز المبادئ الإسلامية بشفافية روحيتها وسمو توجهها وأخلاقها،

٤٣٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وبالتالي فهي لم تكن بالتي تدعو إلى العناية الكبيرة بالطعام والتزود من الموائد
المختلفة كما هو معروف، إذاً ما الحكمة المترتبة على كثرة الحث والتحريض
على اجابة الدعوة وتليبيتها ولو من مسافة بعيدة نسبياً ؟

إنّ النظر والتدقيق في الأمور التالية يكشف لنا عن وجوه من الحكمة
المترتبة على ذلك :

١ - شعور الداعي واحساسه الفعلي بأن المجيبين لدعوته قد أكرموه
وبجلوه واحترموا دعوته عملياً باجابتهم لها .

٢ - يتناول الإنسان طعامه - بحسب ما هو المعتاد - من بيته ومن بيت أهله
وذويه ، وفي تناول الطعام من بيت أخيه وداعيه يغمر الداعي والمدعو بمشاعر
متجسدة بأنهما كأسرة واحدة متراسة يأكل أفرادها جنباً إلى جنب .

٣ - تشكل اجابة الدعوة وسيلة من وسائل اللقاء الودي والتحدث مع
الإخوة والأخوات .

٤ - كثيراً ما وقعت خلافات أو منازعات ما بين الإخوة والأخوات وكان
للجلوس على مائدة واحدة أثر طيب وبلغ في اصلاح ذات البين الذي هو أفضل
من عامة الصلاة والصيام كما ورد في الحديث الشريف .

٥ - كم من فقير ومسكين ومحتاج ومسافر نفعته الدعوة وأشبعته جوعته ؛
وفي سقيفة المدعويين من الأغنياء يستطيع الفقراء والمساكين أن يستظلوا
ويستروا ضعف حالتهم المادية .

تلبية الدعوة واجابة الداعي في الأحاديث

في الأحاديث الشريفة التالية نجد أفانين من التأكيد على أهمية تلبية
الدعوة واجابة الداعي :

١ - عن كتاب «الخصال»: الخليل بن أحمد عن أبي العباس الثقفى عن محمد بن الصباح عن جرير عن أبي إسحاق الشيباني عن أشعث بن أبي الشعثاء عن معاوية بن سويد عن البراء بن عازب: أمرنا رسول الله «ص» بسبع إلى أن قال: وإجابة الداعي.

٢ - عن كتاب «قرب الإسناد». أبو البخترى عن أبي عبد الله عن أبيه (عليه السلام) قال: قال رسول الله «ص»: ثلاثة من الجفاء: أن يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته، وأن يدعى الرجل إلى طعام فلا يجيب أو يجيب فلا يأكل، ومواقعة الرجل أهله قبل الملاعبة.

٣ - عن كتاب «المحاسن». علي بن الحكم عن المثنى الحنط عن إسحاق بن يزيد ومعاوية بن أبي زياد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من حق المسلم أن يجيبه إذا دعاه.

إجابة الدعوة من الدين

١ - عن كتاب «المحاسن»: ابن محبوب عن عمرو بن أبي المقدم عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله «ص»: أوصي الشاهد من أمتي والغائب أن يجيب دعوة المسلم ولو على خمسة أميال، فإن ذلك من الدين.

٢ - عن كتاب «المحاسن»: ابن محبوب عن إبراهيم الكرخي قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): قال رسول الله «ص»: لو أن مؤمناً دعاني إلى ذراع شاة لأجبتة، وكان ذلك من الدين، أبى الله لي زي المشركين والمناققين وطعامهم.

يكره إجابة من يشهد وليمته الأغنياء دون الفقراء

- عن كتاب «دعوات الراوندي»: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: مَنْ لَمْ يَجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَيَكْرَهُ إِجَابَةَ مَنْ يَشْهَدُ وَلِيْمَتَهُ

٤٣٦..... فلسفة الجرد والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الأغنياء دون الفقراء. انظر بحار الأنوار ج: ٧٢ تنمة كتاب العشرة باب / ٥٩.
الحث على إجابة دعوة المؤمن والحث على الأكل من طعام أخيه.

ما عشيتم ضيفي والله لا أطعم عشاءكم

- عن كتاب «الأمالى للشيخ الطوسي: ابن مخلد عن محمد بن عبد الواحد
النحوي عن إبراهيم بن إسحاق الخيري عن أبي نعيم عن أبي الأحوص عن عبد
العزیز بن رفیع عن مجاهد قال: نزل ضيف برجل من الأنصار فأبطأ الأنصاري
على أهله فجاء فقال: ما عشيتم ضيفي والله لا أطعم عشاءكم. وقالت المرأة: وأنا
والله لا أطعم الليلة. قال: الضيف وأنا والله لا أطعم الليلة. فقال الأنصاري: يبيت
الليلة ضيفي بغير عشاء قربوا طعامكم فأكل وأكلوا معه فلما أصبح غدا على رسول
الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فأخبره بأمره. فقال رسول الله «صلى الله عليه
وآله»: الله أطعت عز وجل وعصيت الشيطان.

اعمل طعاماً وتنوَّق فيه

١ - عن كتاب «المحاسن»: أبي عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم عن
شهاب بن عبد ربه قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): اعمل طعاماً وتنوَّق فيه
وادع عليه أصحابك.

٢ - عن كتاب «المحاسن»: أبي عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن
أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إذا أتاك أخوك فأتته بما عندك، وإذا دعوته
فتكلف له.

٣ - عن كتاب «المحاسن»: أبي عن ابن أبي عمير عن جميل بن دراج عن
أبي عبد الله (عليه السلام) قال: المؤمن لا يحتشم من أخيه وما أدري أيهما
أعجب الذي يكلف أخاه إذا دخل عليه أن يتكلف له أو المتكلف لأخيه.

٤ - عن كتاب «المحاسن»: بعض أصحابنا عن ابن عميرة عن سليمان بن عمر الثقفي عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: كفى بالمرء إثماً أن يستقل ما يقرب إلى إخوانه، وكفى بالقوم إثماً أن يستقلوا ما يقربه إليهم أخوهم. وقال في حديث آخر قال: إثم بالمرء.

هُلْكَ لَامِرِيءٍ أَحْتَقِرُ مِنْ أَخِيهِ مَا قَدِمَ إِلَيْهِ.

١ - عن كتاب «المحاسن»: نوح النيسابوري عن صفوان قال: جاءني عبد الله بن سنان قال: هل عندك شيء؟ قلت: نعم بعثت ابني وأعطيته درهماً يشتري به لحماً وبيضاً. فقال: أين أرسلت ابنك فخبرتة فقال: رده رده عندك خَلُّ عندك زيت؟ قلت: نعم. قال: فهاته فإني سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: هلك لامرئٍ احتقر لأخيه ما حضره، هُلْكَ لَامِرِيءٍ أَحْتَقِرُ مِنْ أَخِيهِ مَا قَدِمَ إِلَيْهِ.

٢ - عن كتاب «المحاسن»: ابن محبوب عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: هلك بالمرء المسلم أن يخرج إليه أخوه ما عنده فيستقله، وهلك بالمرء المسلم أن يستقل ما عنده للضيف.

أَكَلُ طَعَامِكَ الْأَبْرَارِ

١ - عن كتاب «المحاسن»: ابن يزيد عن ابن أبي عمير عن أبي عبد الله السمان أنه حمل إلى أبي عبد الله (عليه السلام) لظفا فأكل معه منه فلما فرغ قال: الحمد لله وقال: له أكل طعامك الأبرار وصلت عليك الملائكة الأخيار.

٢ - عن كتاب «المحاسن»: جعفر بن محمد عن ابن القداح عن أبي عبد الله عن أبيه (عليه السلام) قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» إذا أكل مع القوم، كان أول من يضع يده مع القوم، وآخر من يرفعها، لأن يأكل القوم.

ليشرب ساقى القوم آخرهم

١ - عن كتاب «المحاسن»: جعفر عن ابن القداح عن أبي عبد الله عن آبائه (ع) قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: ليشرب ساقى القوم آخرهم.

٢ - عن كتاب «المحاسن»: أبي عن ابن أبي عمير عن حفص عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الرجل يقسم على الرجل في الطعام أو نحوه قال: ليس عليه شيء إنما أراد إكرامه.

٣ - عن كتاب «المحاسن»: إبراهيم بن هاشم عن الحسن بن الحسين الفارسي عن سليمان بن جعفر البصري قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: إن من حق الضيف أن يعد له الخلال.

الجواد كل الجواد من بذل ما عنده

١ - عن كتاب «السرائر»: من جامع البزنطي عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن من الحشمة عند الأخ إذا أكل على خوان عند أخيه أن يرفع يده قبل يديه وقال: لا تقل لأخيك إذا دخل عليك أكلت اليوم شيئاً ولكن قرب إليه ما عندك؛ فإن الجواد كل الجواد من بذل ما عنده.

٢ - عن كتاب «مكارم الأخلاق»: عن الصادق (ع) قال: لو أن رجلاً أنفق على طعام ألف درهم وأكل منه مؤمن لم يعد مسرفاً.

هذه مما في بيتك

- عن كتاب «رجال الكشي»: جعفر بن معروف عن محمد بن الحسين عن جعفر بن بشير عن أبان بن عثمان عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن علي (عليه السلام) قال: قال الحارث: تدخل منزلي يا أمير المؤمنين؟ فقال

(عليه السلام): علي شرط أن لا تدخرني شيئاً مما في بيتك ولا تكلف لي شيئاً مما وراء بابك. قال: نعم فدخل يتحرق ويحب أن يشتري له وهو يظن أنه لا يجوز له حتى قال له أمير المؤمنين: مالك يا حارث؟ قال: هذه دراهم معي ولست أقدر علي أن أشتري لك ما أريد. قال: أو ليس قلت لك لا تكلف ما وراء بابك فهذه مما في بيتك.

انظر بحار الأنوار ج: ٧٢ تنمة كتاب العشرة باب / ٩١. آداب الضيف
وصاحب المنزل ومن ينبغي ضيافته.

العرض علي أخيك

- عن كتاب «المحاسن»: علي بن محمد القاساني عن أبي أيوب سليمان بن مقبل المدائني عن داود بن عبد الله بن محمد الجعفري عن أبيه أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» كان في بعض مغازيه فمر به ركب وهو يصلي فوقفوا علي أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فسألوهم عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» ودعوا وأثنوا وقالوا: لولا أنا عجال لانتظرنا رسول الله فأقرءوه السلام ومضوا. فانفتل رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» مغضبا، ثم قال لهم: يقف عليكم الركب ويسألونكم عني، ويبلغونني السلام، ولا تعرضون عليهم الغداء! يعزُّ علي قوم فيهم خليلي جعفر^(١) أن يجوزوه حتى يتغدوا عنده.

فضل إقراء الضيف وإكرامه

١ - عن كتاب «الخصال»: أبي عن الحميري عن الحسن بن موسى عن يزيد بن إسحاق عن الحسن بن عطية عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

١- قوله النبي «ص»: فيهم خليلي جعفر. يعني به جعفر بن أبي طالب ذا الجناحين وكان من أجود الناس في زمانه ويقال له أبو المساكين؛ لرعايته الفاتقة لهم.

٤٤٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

المكارم عشر، فإن استطعت أن تكون فيك فلتكن، أحدها إقراء الضيف.

٢ - عن كتاب «الأمالى» للشيخ الطوسي: فيما أوصى به أمير المؤمنين (عليه السلام) عند الوفاة: أوصيك يا بني بالصلاة عند وقتها إلى أن قال: وإكرام الضيف.

لا يقري الضيف إلا مؤمن

- عن كتاب «قرب الإسناد»: هارون عن ابن صدقة عن جعفر بن محمد عن آبائه (ع) أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» مرَّ بقبر يحفر وقد انبهر الذي يحفره فقال له: لمن تحفر هذا القبر؟ فقال: لفلان بن فلان. فقال: وما للأرض تشدد عليك إن كان ما علمت لسهلاً، حسن الخلق؛ فلأنت الأرض عليه حتى كاد ليحفرها بكفيه، ثم قال: لقد كان يحب إقراء الضيف، ولا يقري الضيف إلا مؤمن تقي.

ما لجهنم عليك سبيل

- عن كتاب «قرب الإسناد»: هارون عن ابن صدقة عن جعفر عن آبائه (ع): أن رجلاً أتى النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» فقال: يا رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» بأبي أنت وأمي، إني أحسن الوضوء وأقيم الصلاة وأوتي الزكاة في وقتها وأقري الضيف طيب بها نفسي محتسب بذلك أرجو ما عند الله. فقال: بخ بخ بخ ما لجهنم عليك سبيل؛ إن الله قد برأك من الشح إن كنت كذلك. ثم قال: نهى عن التكلف للضيف بما لا يقدر عليه إلا بمشقة، وما من ضيف حلَّ بقوم إلا ورزقه معه.

٢ - عن كتاب «تحف العقول»: في خبر طويل عن الصادق (عليه السلام) قال: أما الوجوه الأربعة التي يلزمه فيها النفقة من وجوه اصطناع المعروف: فقضاء الدين، والعارية، والقرض، وإقراء الضيف، واجبات في السنة.

لا تنفع أحداً حتى تحبه

- عن كتاب «المحاسن»: عثمان بن عيسى عن الحسين بن نعيم قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): أتحب إخوانك يا حسين؟ قلت: نعم. قال: تنفع فقراءهم؟ قلت: نعم. قال: أما إنه يحقُّ عليك أن تحبَّ من يحبُّ الله، أما والله لا تنفع منهم أحداً حتى تحبه. تدعوهم إلى منزلك؟ قلت: ما آكل إلا ومعى منهم الرجلان والثلاثة وأقل وأكثر. فقال أبو عبد الله (عليه السلام): فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم. فقلت: أدعوهم إلى منزلي وأطعمهم طعامي وأسقيهم وأوطئهم رحلي ويكونون عليّ أفضل منا! قال: نعم إنهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك، وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك.

شبع أربع من المسلمين يعدل عتق رقبة

١ - عن كتاب «المحاسن»: علي بن الحكم عن أبان بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لئن آخذ خمسة دراهم فأدخل إلى سوقكم هذه فأبتاع بها الطعام، ثم أجمع بها نفراً من المسلمين أحبُّ إليّ من أن أعتق نسمة.

٢ - عن كتاب «المحاسن»: البرزطي عن صفوان الجمال عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أكلة يأكلها أخي المسلم عندي، أحب إلي من عتق رقبة.

٣ - عن كتاب «المحاسن»: أبي عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ما من مؤمن يدخل بيته مؤمنين فيطعمهما شبعهما، إلا كان أفضل من عتق نسمة.

٤ - عن كتاب «المحاسن»: علي بن الحكم عن ابن عميرة عن حسان عن صالح بن ميثم قال: سألت رجلاً أبا جعفر (عليه السلام) أي عمل يعمل به يعدل عتق نسمة؟ قال أبو جعفر (عليه السلام): لئن أطعم ثلاثة من المسلمين أحب

٤٤٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
إلي من نسمة ونسمة حتى بلغ سبعاً، وإطعام مسلم يعدل نسمة.

٥ - عن كتاب «المحاسن»: أبي عن صفوان عن أبان بن عثمان عن الفضيل
قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): شبع أربع من المسلمين يعدل عتق رقبة من
ولد إسماعيل.

المنزلة العظمى لمحِب الضيف

١ - عن أمير المؤمنين قال: ما من مؤمن يسمع بهمس الضيف وفرح بذلك إلا
غفرت له خطايا، وإن كانت مطبقة بين السماء والأرض.

٢ - وعن عاصم بن ضمرة - وهو من ثقات علماء التابعين - عن أمير
المؤمنين (عليه السلام) قال: ما من مؤمن يحب الضيف إلا ويقوم من قبره
ووجهه كالقمر ليلة البدر، فينظر أهل الجمع فيقولون: ما هذا إلا نبي مرسل. فيقول
ملك: هذا مؤمن يحب الضيف، ويكرم الضيف، ولا سبيل له إلا أن يدخل الجنة.

الضيف هديّة من الله

١ - قال النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: إذا أراد الله بقوم خيراً، أهدى
إيهم هديّة. قالوا: وما تلك الهدية؟ قال: الضيف ينزل برزقه، ويرتحل بذنوب
أهل البيت.

٢ - وعن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: كذلك ليلة الضيف حق واجب
على كل مسلم، ومن أصبح إن شاء أخذه وإن شاء تركه، وكل بيت لا يدخل فيه
الضيف لا تدخله الملائكة.

في المال حق سوى الزكاة

١ - عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: جاء رجل إلى النبي «صلى الله
عليه وآله وسلم» قال: يا رسول الله أفي المال حق سوى الزكاة؟ قال: نعم على

المسلم أن يطعم الجائع إذا سأله، ويكسو العاري إذا سأله. قال: إنه يخاف أن يكون كاذبا. قال: أفلا يخاف صدقه.

٢ - نوادر الراوندي بإسناده عن جعفر بن محمد عن آبائه (ع) قال: قال رسول الله «ص»: «أضف بطعامك وشرابك من تحبه في الله تعالى».

أربع خصال في الطعام

عن القاسم بن علي العلوي عن محمد بن أبي عبد الله عن سهل بن زياد عن النوفلي عن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه (ع) قال: قال رسول الله «ص»: «الطعام إذا جمع فيه أربع خصال فقد تم: إذا كان من حلال، وكثرت الأيدي عليه، وسمي في أوله، وحمد في آخره».

انظر «بحار الأنوار» ج: ٧٢ تنمة كتاب العشرة باب / ٩٣. فضل إقراء الضيف وإكرامه.

إن الرجل إذا دخل بلدة فهو ضيف على إخوانه

١ - عن كتاب «علل الشرائع»: الحسين بن محمد عن أحمد بن محمد عن محمد بن عبد الله الكرخي عن رجل ذكره قال: بلغني أن بعض أهل المدينة يروي حديثا عن أبي جعفر (عليه السلام) فأتيت فسألته عنه فزبرني وحلف لي بأيمان غليظة لا يحدث به أحدا.

فقلت: أجل الله هل سمعه معك أحد غيرك؟

قال: نعم سمعه رجل يقال له الفضل. فقصدته حتى إذا صرت إلى منزله، استأذنت عليه وسألته عن الحديث فزبرني وفعل بي كما فعل المديني، فأخبرته بسفري وما فعل بي المديني فرق لي وقال: نعم سمعت أبا جعفر محمد بن علي (ع) يروي عن أبيه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: إذا دخل

٤٤٤..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

رجل بلدة فهو ضيف عليّ من بها من أهل دينه حتى يرحل عنهم. ولا ينبغي للضيف أن يصوم إلا بإذنتهم لئلا يعملوا له الشيء فيفسد عليهم، ولا ينبغي لهم أن يصوموا إلا بإذنه لئلا يحتشمهم فيترك لمكانهم. ثم قال لي: أين نزلت؟ فأخبرته، فلما كان من الغد إذا هو قد بكر عليّ ومعه خادم له عليّ رأسها خوان عليها من ضروب الطعام فقلت: ما هذا رحمك الله؟ فقال: سبحان الله! ألم أرو لك الحديث بالأمس عن أبي جعفر (عليه السلام)، ثم انصرف.

٢ - عن كتاب «الخصال»: ابن إدريس عن أبيه عن الأشعري عن أبي عبد الله الرازي عن ابن أبي عثمان عن واصل عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله «ص»: الضيافة ثلاثة أول يوم حق والثاني والثالث جائزة وما بعد ذلك فإنها صدقة تصدق بها عليه ثم قال «ص»: لا ينزلن أحدكم عليّ أخيه حتى يؤثمه. قيل: يا رسول الله وكيف يؤثمه؟ قال: حتى لا يكون عنده ما يتفق عليه؟

انظر بحار الأنوار: ٧٢ تنمة كتاب العشرة باب / ٩٤ أن الرجل إذا دخل بلدة فهو ضيف عليّ إخوانه وحدّ الضيافة.

الملحق السادس

١ - من فاته الزمن الأشمّ ولم يدرك اللون الأسمى من الضيافة في عصر النبوة، وأحبّ أن يكون ضيفاً عزيزاً مكرماً عليّ سيد الكرماء والمحسنين وخاتم الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد بن عبد الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في هذا الزمن أو ما بعده من الأزمنة، فليتوجّه إليه بلسان صادقٍ عفيفٍ وقلبٍ محبٍّ خاشعٍ في يوم السبت، وهو يقول بعد الصلاة عليّ الرسول وآل الرسول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك رسوله وأنك محمد

بن عبد الله ، وأشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لأمتك وجاهدت في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأديت الذي عليك من الحق ، وأنك قد رؤفت بالمؤمنين وغلظت على الكافرين ، وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين ، فبلغ الله بك أشرف محل المكرمين ، الحمد لله الذي استتقنا بك من الشرك والضلال .

اللهم صلّ على محمد وآله واجعل صلواتك وصلوات ملائكتك وأنبيائك والمرسلين وعبادك الصالحين وأهل السماوات والأرضين ومن سبح لك يا رب العالمين من الأولين والآخرين على محمد عبدك ورسولك ونبيك وأمينك ونجيبك وحبيبك وصفيك وشفوتك وخاصتك وخالصتك وخيرتك من خلقك وأعطه الفضل والفضيلة والوسيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون .

اللهم إنك قلت : « وَوَأَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً »^(١) . إلهي فقد أتيت نبيك مستغفراً تائباً من ذنوبي فصلّ على محمد وآله واغفر هالي . يا سيدنا أتوجه بك وبأهل بيتك إلى الله تعالى ربك وربّي ليغفر لي .

ثم استرجع ثلاثاً^(٢) وقل : أصبنا بك يا حبيب قلوبنا فما أعظم المصيبة بك حيث انقطع عنا الوحي وحيث فقدناك فإننا لله وإنا إليه راجعون .

يا سيدنا يا رسول الله صلوات الله عليك وعلى آل بيتك الطاهرين هذا يوم السبت وهو يومك وأنا فيه ضيفك وجارك فأضفني وأجرني فإنك كريم تحب الضيافة ومأمور بالإجارة فأضفني وأحسن ضيافتي وأجرنا وأحسن إجارتنا ،

١ - النساء، الآية / ٦٤ .

٢ - استرجع ثلاثاً: أي قل ثلاث مرات: إنا لله وإنا إليه راجعون .

٤٤٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
بمنزلة الله عندك وعند آل بيتك وبمنزلتهم عنده وبما استودعكم من علمه فإنه
أكرم الأكرمين^(١).

٢ - زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) برواية من شاهد صاحب الزمان
(عليه السلام) وهو يزور بها في اليقظة لا في النوم يوم الأحد وهو يوم أمير
المؤمنين (عليه السلام):

السلام على الشجرة النبوية والدوحة الهاشمية المضئة المثمرة بالنبوة
المونقة بالإمامة، وعلى ضجيعك آدم ونوح (عليهما السلام). السلام عليك
وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين السلام عليك وعلى الملائكة المحققين بك
والحافين بقبرك. يا مولاي يا أمير المؤمنين هذا يوم الأحد وهو يومك وباسمك
وأنا ضيفك فيه وجارك فأضفني يا مولاي وأجرني فإنك كريم تحب الضيافة
ومأمور بالإجارة فافعل ما رغبت إليك فيه ورجوته منك، بمنزلك وآل بيتك عند
الله ومنزله عندكم، وبحق ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وعليهم أجمعين^(٢).

وبزيارة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه سوف تحظى إن شاء الله
بكرم ضيافته وحسن رفقده وجمال استقباله.

١ - جمال الأسبوع / ٢٩ - ٣٠.

٢ - المصدر نفسه / ٣١، زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) برواية من شاهد صاحب
الزمان (عليه السلام) وهو يزور بها في اليقظة لا في النوم يوم الأحد وهو يوم أمير المؤمنين
(عليه السلام).

ثَبْتُ بِحِكْمِ الْمُؤَلِّفِ

ثَبْتُ بِحِكْمِ مُؤَلِّفِ الْكِتَابِ - غَفَرَ اللَّهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعاً - وَهِيَ
تِلْكَ الْحِكْمُ الَّتِي أُورِدَهَا فِي سِفْرِهِ الْمَوْسُومِ بِـ «فَلْسَفَةُ الْجُودِ وَالْإِيثَارِ
لِدُنِيِّ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» وَالَّتِي قَدْ أَسْهَمْتُ فِي تَجْلِيَةِ الْأَفْكَارِ
التَّنْظِيرِيَّةِ وَالْمَوَاقِفِ الْعَمَلِيَّةِ لِلنُّوَالِ الْأَسْمَى وَالْإِيثَارِ الْأَعْظَمِ الَّذِي
تَرَسَّخَتْ فِي أَعْمَاقِ أَرْضِهِ أَقْدَامُ إِمَامِ الْأَثَمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

ثبت بحكم مؤلف الكتاب - غفر الله لوالديه وللمؤمنين جميعاً -
وهي تلك الحكم التي أوردتها في سفره الموسوم بـ «فلسفة الجود
والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب» والتي قد أسهمت في تجلية
الأفكار التنظيرية والمواقف العملية للنوال الأسمى والإيثار الأعظم
الذي ترسخت في أعماق أرضه أقدام إمام الأئمة أمير المؤمنين علي
بن أبي طالب :

- من أين للإنسان أن يُحقّق إنسانيّته اذا لم يتفجّر ينبوعاً زاخراً
بالنفع والعطاء .

- منطق الفطرة والوعي المشبوب هما الركيزتان الأساسيتان في
رصيد النزعة الكماليّة للإنسان .

- ما كلُّ من وصف الجمال جميل .

- ما أسعدّ الجلدّ يسطحّب الأمل ، وما أسعدّ الأمل يحتقّب

الجلد !!

- لا نامت عين أطبقت جفنيها على ظلم الحبيب ، وأخرس فم لم

تقرّومه العدالة وينطقه الانصاف .

٤٥٠..... فلسفة الجُودِ والإيتارِ لدى الإمامِ عليِّ بن أبي طالبٍ (عليه السلام)

– اللهمَّ ارزقنا محاسنَ الأخلاقِ ، فإنَّها من أعظم الأرزاقِ .

– ما أسعدَ الصبرَ يصطحبُ الأملَ ، وما أسعدَ الأملَ يحتقبُ

الصبر!!

– لا انكساراً لمن يعضده الخُلقُ السنيُّ ، ولا انتصاراً لمن يحاربه

الخُلقُ الكريمُ .

– ما أقربَ المسافةَ ما بين جمالِ الخُلقِ وجمالِ الخُلقِ .

– إن لكلِّ جارحةٍ وشلوٍ خُلقاً شريفاً كان أو ضيعاً .

– العِلْمُ زُكْنُ العِزِّ والكَرامَةِ وسُلْمُ الاستِقلالِ والتَّحرُّرِ .

– لا تتأتى حقيقة العبادة بلا حقيقة الزهادة .

– بمقدارِ ما تكونُ حياةُ الضميرِ وسلامةُ القلبِ يرحمُ الانسانُ أخاهُ

الانسانَ ، ويتعاملُ مع الآخرينَ بمقاييسِ الانسانيةِ السَّمِحةِ الفاضلةِ .

– أليس على المفكِّرينَ العالميينَ ، وقادةِ المجتمعِ البشريِّ ، أن

يكونوا ذوي نزعةٍ إنسانيَّةٍ؛ فإنهم الآباءُ وعلى الآباءِ أن يرحموا الأولادَ ،

ويغرسوا ما بينهم الحُبُّ والصِّفاءُ والاحسانُ .

– المَنُ ذَلِكَ السُّخْفُ المَقِيثُ الذي يَتَجافى عنه الأفاضلُ والأمائلُ .

– قد يَنخجلُ من المَنِ حتى الذين يَرتكِبونَه ويعملونَ على أساسِهِ من

تَبَتْ بِجَنِّهِمُ الْمُؤَلَّفُ ٤٥١
اللثامِ والأشحاء،

– المَنْ من أَشَدَّ ما يُكَدِّرُ الصَّفْوَةَ الرَّقْرَاقَ وَيَدَيْفُ العَذْبَ بِالمَلْحِ
الأجاجِ.

– إِنَّ المَنْ إِسَاءَةٌ صَارِخَةٌ لِلجُودِ وَالإِحْسَانِ وَأَعْمَالِ البِرِّ بِالذاتِ،
قَبْلَ الإِسَاءَةِ الِى الأخرينِ.

– المَنْ اسْتَرْدَادٌ غَيْرُ مَشْرُوعٍ لِبِطَاقَةِ البِرِّ وَالإِحْسَانِ.

– لَيْسَ مِنَ الكَرَامِ، مَنْ كَانَتْ سَجِيَّتُهُ قَطَعَ أَوْلِي الأَرْحَامِ.

– لَيْسَ مِنَ الكَرَامِ، مَنْ كَانَتْ سَجِيَّتُهُ التَّنَكُّرَ لِلإِنْعَامِ.

– مَا أَضْيَعُ الاطَّارَ الجَمِيلِ، إِنْ لَمْ يَضْمَمْ المَحْتَوَى الأَصِيلِ.

– مَا أَتَفَهُ الأَشْكَالَ والمَظَاهِرَ، إِنْ لَمْ تَحْفَلْ بِالأَلْيِ والجَواهِرِ.

– سَحَقاً ثُمَّ سَحَقاً لِعِبَادَةِ لا تَتَحَبَّبُ الِى اللهِ بِالزهدِ والتَقَشُّفِ.

– سَحَقاً ثُمَّ سَحَقاً لَجُوعِ لا يَتَحَبَّبُ الِى اللهِ بِالمَواساةِ لِلفقراءِ

والمَحْرُومينِ.

– سَيِّانٌ فِي حِكْمَةِ الأَخْلَاقِ بَيْنَ تَخْمَةِ الخِنازيرِ، وَبَيْنَ جُوعِ مَنْ لا

يَواسونِ المَحْتاجِ وَالفقيرِ.

– الجَواذُ مَنْ يَتَقَبَّلُ الإِكْرَامَ وَيُكثِرُ الإِنْعَامَ.

٤٥٢..... فلسفة الجُردِ والإِثَارِ لدى الإمامِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام)

– ما أسعدَ الكَرِيمَ وأرفعَ شأنته ذكْرُ عاطرٍ في الدنيا، وخيرٌ دائمٌ في

الآخِرَةِ. «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

– السَّماحةُ الخصبيةُ أفضلُ من العبادةِ الجديبةِ.

– حقاً إنَّه من الكرمِ تبجيلُ الكرماءِ. وحقاً إنَّه من الكرمِ العفوُّ عن

الكرماءِ.

– إنَّ أفضلَ الأفكارِ الصحيحةِ تلكَ التي تنزلُ إلى حيزِ التَّطبيقِ

وتشهدُ حلبياتِ مُمارسةِ الواقعِ، كما إنَّ أفضلَ حالاتِ الواقعِ المُعاشِ ما

كان منبثقاً عن الأفكارِ الصحيحةِ.

– إنَّ العِلْمَ بمنزلةِ الروحِ والعملَ بمنزلةِ الجسدِ، ولا حياةَ

لإنسانٍ بدونهما مُجتمعينِ.

– لو زادتِ الثقةُ باللهِ على الثقةِ بالمالِ لما بخلَ الباخلونُ.

– ما أشبهَ الحرِّيَّةَ بالماءِ زهيدٌ بوجدانه، ثمينٌ بفقدانه.

– لا تُميرَ للأموالِ، بمثلِ الفضلِ والنَّوالِ.

– إنَّ الندىَ والسماحَ، خيرٌ ما تُبتغى به الفوائدُ والأرباحُ.

– إنَّ أذنَ الأبِ الحنونِ أذنٌ صاغيةٌ في زمنٍ كثرت فيه صمُّ الأذانِ.

– إنَّ عينَ الأبِ الحنونِ عينٌ ثاقبةٌ النظرِ في زمنٍ كثرت فيه كُمةُ

– قد يبلغ الاستعلاء بالمرء أن لا ينسى حجته وضميره، بل وينسى عقله وتفكيره .

– رُبَّ غرورٍ يستدعي أن لا ينسلخ المرء من السمِّ الأخلاقي وحده، بل ينسلخ من الشرف الانساني كله .

– شيطانُ التفتير لا يقلُّ حُبّاً عن شيطانِ التبذير .

– الجُودُ مَلَكٌ صبيحٌ نُضير، حتى يغترَّ بشيطانِ التبذير .

– قد صَحَّ عِنْدِي أَنَّ التَّصَدُّقَ بِالدرهمِ الأبيضِ يَنْفَعُ فِي اليَوْمِ الأَسْوَدِ « يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ » .

– ينبغي لكلِّ عاقلٍ لبیبِ التفكيرِ حصيفِ الرأي أن يُكرِّمَ نظراتِ عينيه من أن يهينها ويزدر بها برؤيةٍ مُحَيِّبِ الخيل .

– السخاءُ هُوَ الذُّكَاءُ، وَقَدْ حَابَ مَنْ افترى .

– الفَضِيلَةُ ظِبَاءٌ دَانِيَةٌ تُقْتَنَصُ، وَاللَّبِيبُ الفَطِنُ مَنْ بَادَرَ الفُرْصَ .

– ما الإنسان انساناً بفلسفة جسمه، بل بقيمه وحلمه^(١) .

– مَنْ أضعوا الحدود، لم ينفعهم حُسنُ القدود.

– مَنْ لم يزيّنه خُلُقُه، لم يجمِّله خُلُقُه.

– مِنْ سُنَنِ الأشراف، التسارع إلى الاتحاف.

– مِنْ سُنَنِ البَخيل، المظل في التأميل.

– لِيّ المواعيد، أشدُّ من لِيّ الجيد.

– سخر من نفسه مدعٍ مشاطرة المجتمع آلامه وآماله، ولم

يشاطرهم ممتلكاته وأمواله.

– إنَّ الشحيح لا يفارق المال حتى تفارقه الحياة.

– البخل يعبّر تعبيراً واقعياً عن الأنانية والانطواء اللئيم على الذات.

– يعبّر البذل تعبيراً واقعياً وملموساً عن لونٍ رفيعٍ من ألوان

الأخلاق السامية والتفاعل الايجابي البناء مع خلق الله.

– التوجه بالحاجة إلى اللئام علامةٌ نكّدت التفكير وسوء التدبير.

– أذُلُّ الناسِ مَنْ أصبحَ وجهه كقطعةِ الرخامِ مصقولةً جرداء، لا

ماءَ فيها ولا حياءَ.

– مَنْ أولى بالمنِّ وألصق به من كلِّ رذُلٍ ساقطٍ وعبدٍ لئيم.

– إذا كان أصحابُ الضمائر، كالرابضات في الحضائر، فعلى

الإدعاءاتِ السلام.

– المعرفة السليمة أساس العمل السليم.

– من لا يستطيع إرشاد الكثير فينبغي له أن لا ييأس من إرشاد القليل.

– مَنْ جَادَ فَقَدْ أَجَادَ.

– ظَنُّوا الشَّجَاعَةَ بِالْجَوَادِ وَالْجَوَادَ بِالشَّجَاعِ؛ فَإِنَّ أَشْعَثَهُمَا مِنْ

شَمْسٍ وَاحِدَةٌ.

– هل رأيتم الأقفال الكبيرة التي لم تُصنع لها مفاتيح؟ إنها الرؤساء

والملوك الذين لا ينفعون الناس ولا ينتفعون.

– لَوْلَا مَحَكُّ الاستِدلالِ وَمِيسَرُ البرهانِ، لا اختلط الحق بالباطل،

والحابل بالنابل.

– لا يعزُّ الماء، إذا لم يعزَّ الفداء.

– إِنَّ مِنَ الصَّفَاءِ الحضاريِّ المائِزِ أن لا تُسيءَ الظنُّ بالكرامِ، وأن

لا تُحسنَ الظنَّ باللثامِ.

– وَعَدُّ الأكارِمِ أحدَ العطاءين.

– وَعَدُّ اللثامِ شرُّ البُخْلِينِ.

– عُبَيْدُ السوءِ مَنْ يطبِقُ الأُجْفانَ، عَن مَرَاتِعِ الفضلِ والإحسانِ.

٤٥٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

– إنّ شرّ حالات الصّغار والقماءة ، مقابلة الجميل بالإساءة .

– البخيل ظالم أثيم ما منع الحقوق وأجحف بكرامة الآخرين .

– أحسنّ حُسنِ الأموال ما ساهمَ بقوةٍ في مُساعدَةِ الخلقِ

ومساندةِ الحق .

– اعرفِ المفكّرَ في سلوكِهِ وأعمالِهِ ، تُعرفُ ماذا يقصدُ من فلسفتهِ

وأقوالِهِ .

– إنّ بذلَ المالِ ، مكسبَةٌ للرجالِ ، وإنّ يمينَ السّخاءِ ، مجلّبةٌ للبعداء .

– إنّ البخلَ يخسفُ أرضيَّةَ الصداقةِ ، وإنّ الشُّحَّ يبتُرُ سواعِدَ

الصّلاتِ ويجدُّ أيمانَ العلاقاتِ ، وإنّ اللؤمَ يكشفُ شمسَ المودّةِ

والقرايةِ .

– مَنْ لا يُكْرِمُ القاصدينَ مِنَ الناسِ ، فَهَيْهَاتَ أن يَفْقَهَ مَعْنَى

الحفّاوةِ والاجلالِ .

– لئن استطاعَ اللثيمُ الإبقاءَ على أموالِهِ ، فإنَّهُ لن يستطيعَ الإبقاءَ

على رجالِهِ .

– هَلْ نَكَّسَ رايَةَ الأشرافِ والأثرياءِ ، كالبخيلِ على الأحبابِ

والأولياءِ ؟

– لا بقاءَ لطولِ الصُّحبةِ ، وإخلاصِ المَحَبَّةِ ، مَعَ الشُّحِّ واللؤمِ .

– لَيْسَ أَدْعَى لِلجُودِ وَالْأَيْثَارِ وَالْفِدَاءِ مِنَ الْحُبِّ وَالْإِحْلَاصِ
وَالْوَفَاءِ. – إِنَّ مَنْ طَبِيعَتُهُ الْإِحْسَانُ حَقَّ الْإِحْسَانُ لِلْآخِرِينَ فِي الدُّنْيَا،
فَلَسَوْفَ يُحْسِنُ حَقَّ الْإِحْسَانِ لِلْآخِرِينَ يَوْمَ الدِّينِ.

– الْإِحْتِكَارُ يَتَجَلَّبَبُ الْحِرْصَ وَاللُّؤْمَ.

– إِنْ مِنَ الْأَنْيَابَةِ وَالْإِنْفِلَاقِ الشَّحِيحِ أَنْ لَا يَمُدَّ الْحُكْمَ وَالسِّيَاسَةَ ذِرَاعَ
الاسْتِيْعَابِ وَالْإِحْتِضَانِ إِلَى الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ.

– إِنَّ مَنْ لَا يُحْسِنُ أَنْ يُدَارِيَ الْأَعْدَاءَ، لَا يُحْسِنُ أَنْ يَحْتَفِظَ بِمَعَاشِرَةِ
الْأَصْدِقَاءِ.

– إِذَا كَانَ الضَّيْفُ حَبِيبَ اللَّهِ، فَإِنْ عَلَى الْمَضِيْفِ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ
بِخِدْمَةٍ وَتَبَجِيلٍ وَإِكْرَامِ حَبِيبِهِ.

– لِلنَّاسِ دِيُونٌ عَلَى الْأَجْوَادِ يَتَقَاضَوْنَهَا عَاجِلًا أَوْ آجِلًا.

– الْبِخْلَاءُ يَفْرَوْنَ مِنْ دِيُونٍ ثَابِتَةٍ بِشَهَادَةِ الشُّهُودِ، وَالكَرْمَاءُ يُثْبِتُونَ
عَلَيْهِمْ لِلنَّاسِ دِيُونًا مَا لَهَا شُهْدَاءُ.

– الْوُدُّ وَدَانٌ: وَدُّ اللِّسَانَ، وَوَدُّ الْجَنَانَ.

– أَلَيْسَ الْبِخْلُ دَلِيلًا عَلَى إِرَاقَةِ كَأْسِ الْمَحَبَّةِ فِي حَفِيرَةِ الْأَكَاذِبِ
وَالْإِنْخَاءِ الْمُضْطَنَّعِ؟

– إِنَّهَا لَنَكْسَةٌ ثِقَافِيَّةٌ كَبْرَى أَنْ لَا تُعْرَفَ الْحَضَارَةُ إِلَّا مِنْ أَفْوَاهِهِ

أعدائها.

– إنَّ مِنْ تَهَافُتِ الْأَخْلَاقِ وَتَفَاهَةِ الْمُضَيِّفِ أَنْ لَا يُكْرَمَ صَغِيرٌ

لِصِغَرِهِ.

– إنَّ التَّعَامَلَ مَعَ النَّاسِ تَعَامَلَ مَعَ اللَّهِ فليعرف الألباء كيف يتعاملون.

– لَا نَعُدُّ كَرَمًا وَجُودًا مَا نَكَّسَ الْهَامَ وَاسْتَجَلَبَ الْحَيَاءَ وَغَضَّ

الْبَصَرَ.

– إِنَّهُ لَيْسَ بِصَاحِبِ الْيَدِ الْكَرِيمَةِ ذَلِكَ الَّذِي يَغْضُ الْكَرِيمَتِينَ.

– خَيْرُ الْأَمْوَالِ مَا لَا تَضُرُّ قَلْبَهَا بِدُنْيَاكُمْ وَلَا كَثُرَتْهَا بِأَخْرَاكُمْ.

– لَا يَسْلُبُ مِنَ النَّاسِ وَحَدَّثَهُمْ وَتَلَا حَمَّ صَفْوَفِهِمْ مِثْلَ الْعِلْمِ الَّذِي

سَلَبَ مِنْهُ الدِّينَ وَالْأَخْلَاقَ.

– إن إدارة المال، مسؤولية في رقاب الرجال.

– الملامة والعتاب رجوان السب والقذح.

– إن الذي يفتقد خلقية قضاء الحوائج يفتقد درياً لاحقاً مهتياً يدينه

كثيراً من سرادق عرش الرب عز وجل.

– البخيلُ الغنيُّ بائعٌ لجاذبيته ولروثي شخصيته بثمنٍ دون

تَمَنِيهَا.

– البُخْلُ مُؤَشِّرٌ قِصْرِ النَّظَرِ وَسَطْحِيَّةُ التَّفْكِيرِ.

– التحجج بالمعاذير يثداء شاسعة الأطراف، لا يدرك أبعادها إلا

أدقُّ مناظير العالم رؤيةً وأكثرها تطوراً.

– على اللَّيْبِ الحَصِيفِ أَنْ لَا يَعتَبَرَ سِيرَ النارِ سِيراً، وَلَا قَلِيلَ

الشرِّ قليلاً.

– الحَرِيصُ تَوَامُ البَخِيلِ.

– الحَرِيصُ يَجْمَعُ بَيْنَ طَرِيقِي النارِ البَخْلِ والحَرِصِ.

– لَا حَيَاةَ وَلَا نَجَاةَ لِلبَائِسِ والمَحْرُومِ، مَا بَيْنَ الجَفَاءِ والجَفَافِ.

– الكَثِيرُونَ مِنَ النَّاسِ يَهْبُونَ، والقَلِيلُونَ مِنْهُمْ يُهْتَنُونَ.

– فِي تَوَاضَعِ الوَاهِبِينَ تَتَجَسَّدُ المَنفَعَةُ للمُعْطِينَ والآخِذِينَ.

– قَلِمَا يُوجَرُ الآخِذُ عَلَى الآخِذِ والاستِرْفَادِ، وَطَالَمَا يُوجَرُ الوَاهِبُ

عَلَى البَذْلِ والعَطَاءِ.

– إِنَّ تَوَاضَعِ الوَاهِبِينَ مِنْ أَفْضَلِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ.

– إِنْ تَوَاضَعِ الوَاهِبِينَ خَيْرٌ مِنْ شُكْرِ الآخِذِينَ.

– لِكُلِّ لَثِيمٍ، هَوَانٌ أَلِيمٍ. وَمَا زَلَّتْ أَعْتَقِدُ جَازِماً، وَأُصْدِرُ الحُكْمَ

مُتَيَقِّناً: أَنَّ البَخِيلَ عَبْدُ أَثِيمٍ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالأَحْرَارِ الأَبْرِيَاءِ.

٤٦٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

– الأيتام الذين يرعاهم الغرباء، أحسن حالاً من الأبناء الذين يضيعهم الآباء.

– من لم يكن قدوةً بأقواله وأعماله، فليكن قدوةً بصمته واعتزاله.

– حقاً إن الثقة الجليّة بالنفس ورائة سامية وتربيةً مثمرة معطاء. –
إن المُفضَّل هو المُفضَّل.

– حقيقة لا ريبَ فيها ما دامَ الماءُ يترقرقُ في الجبينِ فالإنسانُ
إنسان.

– الجواد يحتمل عن الغريب ما لا يحتمله القريب.

– العمل الجاد بالحزم ركن ركين لمن استهوئ الدنيا أو تعشَّق
الآخرة.

– الهدية رمزُ النأخي وعبيرُ الوئام.

– الهدية سبيلُ التفاهمِ ومناطُ الوفاق.

– الهدية مكسبةٌ للودادِ ومجلبةٌ لحسنِ الظنِّ.

– الهدية أطروحةُ المحبةِ وداعيةُ الصفاء.

– رُبُّ هديّةٍ جلبت رزيّةً.

– إن أولى الشجرتين بالمتى والإزدراء ما تُعدُّ من المثمرات

وَهِيَ لَا تُثْمِرُ سَجِيْسَ اللَّيَالِي .

– لَا يَمْنُ بِالْعَطَاءِ إِلَّا مَنْ كَانَ دُونَ قِيَمَتِهِ ، وَلَا يَتَكَبَّرُ عَلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ
غَيْرُ الْمُتَبَطَّرِ بِالنِّعْمَةِ .

– لَا يَمْنُ بِالْعَطَاءِ إِلَّا مَنْ كَانَ دُونَ قِيَمَتِهِ ، وَلَا يَتَكَبَّرُ عَلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ
غَيْرُ الْمُتَبَطَّرِ بِالنِّعْمَةِ .

– مَنْ صَحِبَ الثَّقِيلَ فَقَدْ صَحِبَهُ الشَّرُّ الْوَبِيلَ .

– مَنْ لَمْ يَبِعْهُ الْخَيْرُ بِمَا هُوَ خَيْرٌ فَلَتَبِعْهُ مَنَافِسَةُ الْأَقْرَانِ ، وَمَسَابِقَةُ
الْإِخْوَانِ . – لَيْسَ يَغْرُنَا طَيْبُ الطَّعَامِ مَعَ حُبِّهِ الْمَطْعِمِ .

– أَيُّهَا الْمَطْعِمُ رِئَاءَ النَّاسِ أَخَذْتَ الْقَلِيلَ مِنْ مَدْحِ الْمَادِحِينَ وَتَرَكْتَ
الْجَزِيلَ مِنْ مَدْحِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

– أَيُّهَا الْمَطْعِمُ رِئَاءَ النَّاسِ تَعَرَّفْتَ لِلخَلْقِ الضَّعِيفِ الضَّعِيفِ
وَتَنَكَّرْتَ لِلخَالِقِ الْعَظِيمِ الْعَظِيمِ .

– أَيُّهَا الْمَطْعِمُ رِئَاءَ النَّاسِ ذَهَبَ الطَّعَامُ وَمَاتَ النَّاسُ .

– أَيُّهَا الْمَطْعِمُ رِئَاءَ النَّاسِ أَطْعَمْتَ الضِّيُوفَ مِنْ صَدِيدِ نَوَايَاكَ
وَسَوْفَ يَطْعُمُكَ اللَّهُ مِنْ صَدِيدِ جَهَنَّمَ .

– الرِّيَاءُ يَبْتَرُ أذْرَعَ الْكَرَمِ وَيَجْدُ أَيْمَانَ الْعَطَاءِ .

٤٦٢..... فلسفة الجود والإنثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

– البخل قسوة في القلب، وفظاظة في التفكير، ونشوز في

الإحساس، ونبو في المشاعر، وجمود في العواطف، وغلظة في الطباع.

– أيها الإنسان البريء احذر الكلب العقور وأنت ترمي له بالخبز

واللحم.

– لا يفرق الكلب العقور بين من يرميه وبين من يرمي له.

– إن اللئيم إذا فكر وقدر، عبس وبسر، ثم أدبر وأستكبر^(١).

– ما أقرب أمام اللئيم من ورائه وقدامه من خلفه.

– كلما تقدم اللئيم إلى الأمام عاد أدراجه عودة الضبعان إلى وجاره،

والأفعوان إلى أحجاره.

– هل طبع اللئيم إلا النحوسة واليبوسة، والتصحر والتحجر؟

– الفقر من الأموال، من أشد الأهوال.

– إن في منطق التجارب والممارسات، ما يغني عن أقاويل

التنظيرات والدراسات.

– لا يختلف بشر اللئيم عن تقطيعه إلا بمقدار ما يحاول من المكر

والخدعة.

- إِذَا صَحَّ أَنْ بَشَرَ الْكَرِيمَ أَوَّلَ بَرٍّ، فَإِنَّ بَشَرَ اللَّئِيمِ أَوَّلَ مَكْرِهِ.
- إِذَا صَحَّ أَنْ وَعَدَ الْكَرِيمَ أَوَّلَ عَطَائِهِ، فَإِنَّ وَعَدَ اللَّئِيمِ أَوَّلَ انْكَفَائِهِ.
- مَنْ كَانَ عَبْدًا لئِيمًا، فَسَوْفَ يُعَاقَبُ عِقَابًا أَلِيمًا.
- الْعَطَاءُ رِشَاءُ الْمَحَبَّةِ.
- إِنَّ الْحُبَّ لَيَتَوَهَّجُ مَعَ كَثْرَةِ الْعَطَاءِ وَتَعَدُّدِ النِّوَالِ، سِوَاءَ كُنْتَ الْمَعْطَى أَوْ الْآخِذَ.
- مَا أَكْثَرَ الَّذِينَ لَا سَيِّدَ لَهُمْ مِنَ الْبَشَرِ، إِلَّا أَنَّ لَهُمْ أَسْيَادًا مِنْ جُنُودِ الْحَقَّارَةِ وَاللُّؤْمِ وَالسُّقُوطِ.
- الْعَبْدُ حَقُّ الْعَبْدِ مَنْ هُوَ النَّذْلُ حَقُّ النَّذْلِ فِي طَبِيعَتِهِ وَخِصَالِهِ.
- أَيُّ عُبُودِيَّةٍ وَرِقِيَّةٍ أَشَدَّ مِنَ النَّذَالَةِ؟
- أَفْضَلُ الشَّيْمِ وَفَاءٌ يُتَوَجَّحُ بِالْكَرَمِ.
- الْأَمَانُ رِبْعُ فِصُولِ الزَّمَانِ.
- الْأَمَانُ حَيَاةُ الْحَيَاةِ.
- الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَسِيلَةٌ وَالْأَمَانُ غَايَةٌ.
- طَفَحَ الْكَيْلُ، وَمَا خَافَ كُمَيْلَ.
- بَعِيدٌ عَنِ حَضِيرَةِ الْقُدْسِ مَنْ كَانَ صَادِقًا فِي رَأْيِهِ وَتَفَكِيرِهِ، كَاذِبًا

٤٦٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
في سلوكه ومسيره.

– لا تدور عجلة الليالي والأيام حتى تكشف عن كاذب يتزياً بزي
صادق، ومستهو يسير في ظل عاشق،

– ما رأيت خادعاً أقرب إلى المخدوع، ومتكلفاً أشبه بالمطبوع،
من محب للخير تارك للعمل به.

– أرحامك بيتك الذي يؤويك، ومعقلك الذي يحميك.

– من وصل أرحامه، فقد عمّر أيامه.

– من أحسن إلى أقاربه، فقد أحكم خنادق الدفاع.

– هل يزرع الكرام في شيء كما يزرعون لانتشال الغريق، واسعاف
الجريح، ومعالجة الدنف السقيم؟

– إن أسمى الأكل ما تكف الأسى وتكف بالندى.

– يا من تسعى لادراك خير الدنيا والآخرة صل رحمتك.

– الجور جوران: جور الحكام، وجور الأنام.

– شبه العدل ونصف العدل ليس عدلاً بتاتاً، بل علامتان فارقتان في

اطار الظلم والعدوان.

– ليس العدل إلا ما جرى كاملاً صافياً لا تشوبه شائبة من الكدر

وَالْمَدْر.

— اللَّيْمُ لَا دُنْيَا يُحْرَزُ وَلَا آخِرَةٌ يَنَالُ.

— الْوَيْتَالُ كُلُّ الْوَيْتَالِ، أَنْ تُجْهَدَ النَّفْسُ فَيَمَّا لَا تَنَالُ.

— مِنَ الْخَبَالِ، تَرْكَاضَنَا إِثْرَ الْخَيَالِ.

— إِنَّ الْأَمْسَاكَ عَنِ الْفَضْلِ وَالْإِنْفَاقِ، لَمِنْ مُؤَشِّرَاتِ الزَّيْبِ وَالنَّفَاقِ.

— إِنَّ لَمْ يَكُنِ الْبَخِيلُ مُنَافِقًا فَهُوَ خَدِيئُهُ.

— مَجْحُودُ النُّعْمَةِ لَا يُجِيلُ الْبَحْرَ الزَّائِحَرَ الَّتِي سَرَابٌ، وَلَا الْمَرْوَجَ

الْخَضْرَاءَ الَّتِي تُرَابٌ.

— إِنَّ لَمْ يَجْعَلِ اللَّيْبُ مِنْ مَالِهِ نَصِيبًا مَوْفُورًا لِكَرَمِ النَّفْسِ فَلَا تُبَّ لَهُ.

— يَنْبَغِي لِلْمَالِكِ أَنْ يَتَفَكَّرَ لِيَعْتَبِرَ، وَيَتَأَمَّلَ لِيَزِدَ جَرًا.

— إِنَّ أَجْمَلَ جَمَالِ الْأَمْوَالِ أَنْ تَنْفَقَ فِي أَحْسَنِ الْإِحْسَانِ وَالْإِفْضَالِ.

— هَيْهَاتَ أَنْ تَكُونَ الْقَطُوفُ دَانِيَةً يَوْمَ الدَّيْنِ، لِمَنْ لَمْ تَكُنْ قُطُوفُهُ

دَانِيَةً مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

— نَكَبَاتُ الدَّهْرِ أَقْدَرُ عَلَى مَنَعِ تَكْدِيسِ الثَّرْوَةِ مِنْ كَافَةِ الْمَذَاهِبِ

الْاِقْتِصَادِيَّةِ.

— الْأَخُ فِي اللَّهِ ظَلُّ اللَّهِ، أَفَلَا يَكْرَهُ عِبَادُ اللَّهِ ظُلَّ رَبِّهِمُ الْمُتَعَالِ؟

٤٦٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

– مَنْ كَانَ سَبَبًا لِلتَّوْفِيقِ ، فَهُوَ بِالشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ حَاقِقٌ .

– إِنَّ أَوْبًا وَدِيَانِ الْبِخْلِ لَوَادِي الْبِخْلِ الْمُنْتَظَمِ .

– فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ مِنَ الْأَمْوَالِ قِضَاءٌ لِلْوَاجِبِ ، وَتَكْرِيمٌ لِلرَّغْبِ ،

وَقِضَاءٌ لِحَقِّ الطَّالِبِ .

– أَنْفِيقْ بِسَخَاءٍ مِنْ خُزَانَةِ الْجَاهِ إِنْ لَمْ تُسْعِفْكَ خُزَانَةُ الْأَمْوَالِ .

– مَلِكٌ جَائِرٌ مِنْ يَمْلِكُ الْأَمْوَالَ وَالْجَاهَ وَلَا يَنْقُذُ بِهِمَا الْمَحْرُومِينَ

وَالْمَظْلُومِينَ .

– شَيْثَانٌ إِنْ وُزِنَا لَمْ يَتَرَجَّحْ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ طَبْلٌ فَارِغٌ وَوَجِيهَةٌ لَا

يَنْفَعُ .

– جَمَالَ الشُّكْرِ مِنَ الْمَوَاهِبِ الْكَرِيمَةِ ، وَجَلَالَ الثَّنَاءِ مِنْ أَجْزَلِ

الْعَطَاءِ .

– الْإِيثَارُ وَتَرُّ الْإِيمَانِ الْعَمِيقِ ، وَوَتْدُ السُّلُوكِ الْعَرِيقِ .

– إِنَّ بَدَلَ الْأَنْفِيسِ وَالْأَمْوَالِ أَكْبَرُ الشَّهَادَاتِ عَلَى صَدَقِ الْمَقَالِ .

– لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى الْجُودِ وَالْإِيثَارِ وَالْفِدَاءِ مِنَ الْحُبِّ الْمُتَوَهِّجِ

وَالْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ .

– أَلَيْسَ الْبِخْلُ دَلِيلًا عَلَى إِرَاقَةِ كَأْسِ الْمَحَبَّةِ فِي حَفِيرَةِ الْأَكَاذِبِ

وَالْإِخَاءِ الْمُضْطَنَعِ؟

– الْإِرْجَاءُ يُكَدِّرُ الرَّجَاءَ.

– إِنْ الْقَانُونَ الْعَامُّ لِلْأَكْرَامِ: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْبُخْلِ.

– مَا أَوْفَرَ التَّهْمَ الْبَاطِلَةَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَمَا أَوْفَرَ الْمَصْدَقِينَ

لِلْأَبَاطِيلِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

– لَيْسَ مِنْ أَمَدٍ مُحَدَّدَةٍ تَصِلُ إِلَيْهِ الزَّكَاةُ فَيَسْقُطُ الْعَمَلُ بِهَا حَتَّى

تَتَمَزَّقُ شَرَايِينُ الْعَمْرِ وَأُورِدَتْهُ.

– لَيْسَ بِإِمَامٍ مَنْ لَا يَوْمُ نَفْسِهِ، وَلَيْسَ بِقَائِدٍ مَنْ لَا يَقُودُهُ الْحُبُّ

وَالرَّحْمَةُ.

– قَانُونَ الْكِرَامِ أَنْ يَحْوِلُوا النُّقُودَ الْفَانِيَةَ إِلَى عِزَّةٍ بَاقِيَةٍ، وَأَنْ يَجْعَلُوا

مِنَ الْأَمْوَالِ الْبَائِدَةِ قَلَاعاً خَالِدَةً.

– عَرَفْنَا النَّبِيلَ بِتَحْمُلِهِ لِمَا لَا يَجِبُ، وَالرَّذَالَ بِتَخْلُصِهِ مِمَّا يَجِبُ.

– إِذَا حَازَ الْكَرِيمُ الْأَمْوَالَ فَقَدْ حَازَهَا النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ.

– إِنْ تَجَنَّبَ الْحَرَامَ آيَةً تَحْمِلُ التَّقْوَى، وَبِذَلِكَ النَّدَى وَالْخَيْرِ آيَةً

الِاسْتِعْدَادِ لِلتَّقْيَا.

– مَا أَكْثَرَ الَّذِينَ يَسْتَعِدُّونَ لِلْمَوْتِ عَنْ طَرِيقِ تَجَنُّبِ الْحَرَامِ، إِلَّا أَنَّهُ

٤٦٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
ما أقل الذين يستعدون للموت عن طريق تجنب الحرام وبذل الندى
والخير في الوقت ذاته .

— إنَّ الأَكْبَرَ حَقًّا من لا يكبرُ عليهم الإحسان إلى الأصدقاء والأعداء
على حدِّ سَوَاءٍ .

— ربُّ إنسانٍ خيرٌ من قبيلة ، وقبيلةٌ خيرٌ من شعب .

— ما ضرَّ من عمد إلى ما عليه من الحقوق المالية فأدَّاهَا ، أن لا يدعَ

بُحيرةَ زرقاء للجود والإيثار إلا وكان فيها السابح الماهر .

— غَايَةُ الإحسان أن يكونَ الإحسانُ غَايَةً .

— كَرَمَ الآبَاءِ مَعِينٌ دَافِقٌ لكَرَمِ النَّفْسِ .

— الجائع في شُغْلِ شاغل ، عن الاصغاء الكامل ، والاستيعاب

الشامل .

— أجمل من روضةٍ فوق رابيةٍ ذلك الذي يُكَلِّلُ أمجادَهُ بالتواضع . —

إنَّ القليلَ في سبيلِ اللهِ جزيل ، والكثيرَ مقبولٌ وجيل .

— التكافل الانساني دليل وجود الانسان .

— التكافل الانساني مدرجة السعادة الأبدية ، وعنصر الكمال

الخلق .

– أقبَلت الدنيا على ما يعطي البخيل فأفتنته، وأقبَلت الآخرة على ما يعطي الكريم فأبقتته.. فيا لسعادة الكرماء.

– إِنَّ الْعَبْدَ الصَّالِحَ يَزْهَدُ فِي شَيْءٍ لِيَمْنَحَهُ اللَّهُ أَشْيَاءَ، وَاللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ.

– الزُّهْدُ نَظْرَةٌ بَعِيدَةٌ الْمَرْمَى، تَبْحَثُ عَمَّا وَرَاءَ الْحَاضِرِ الزَّهِيدِ. –
أَحْسَنُ الْكِرْمِ مَا يُعْبَرُ عَنْ طَيْبِ النَّفْسِ وَجَمَالِ الدُّوقِ.

– يَنْبَغِي لِلْكَرِيمِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِالنَّظَافَتَيْنِ نَظَافَةِ اللُّسَانِ مِنَ الْمَنِّ وَالْأَذَى، وَنَظَافَةِ الْمَادَّةِ مِنَ الدَّنَسِ وَالْقَذَى.

– إِنَّمَا يَتَمُّ الْكِرْمُ بِنَظَافَةِ الْمُعْطَى وَنَظَافَةِ الْعَطَاءِ.

– إِنَّهَا لِمَأْسَاءٌ كَبْرَى أَنْ يَرعى الْأَطْفَالَ غَيْرَ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، بَيِّدَ أَنَّهَا
مَأْسَاءٌ لَا تَوْصَفُ أَنْ لَا يَجِدَ الْأَطْفَالَ مَنْ يَرعَاهُمْ مِنَ النَّاسِ.

– مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْأَنْدَرَفِي الْكِرَامِ، فَلْيَصِلِ الْمَنَاوِثِينَ مِنْ أَوْلِي
الْأَرْحَامِ.

– مَا أَقْرَبَ الشُّبَّةَ مَا بَيْنَ الَّذِي يَمْتَصُّ الْأَمْوَالَ وَيَسْلِبُهَا، وَمَا بَيْنَ مَنْ
يَمْتَصُّ الدَّمَاءَ وَيَشْرِبُهَا.

– مَا أَقْرَبَ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، مِمَّنْ أَعَانَ فِي الْمِحْنَةِ.

– مَا أَبْعَدَ عَذَابِ النَّارِ، عَنِ السَّالِكِينَ دَرْبَ الْإِيثَارِ.

٤٧٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

– آية الأيثار أن تجوع بطن في سبيل بطون.

– منار الاحسان أن تسهر عين من أجل عيون.

– أجود من في الوجود من ليس لجوده حدود.

– اذا ما كانت ثم اعتبارات معينة لاکرام الخليل الحميم، فثم

اعتبارات معينة لاکرام البغيض الخصيم.

– ما المشاريع العامة المفيدة إلا تعبيراً عن رؤية انفتاحية، وروح

اجتماعية وإنسانية، وتوجه نحو المجموع Collectivity Orientation

– المواعيد التي لا ينجزها صاحبها في حين الممارسة والتطبيق

إنما هي بخل وزيادة عليه^(١).

– أكذب الناس بخیل یكثر المواعيد. وأغدر الناس لثیم یتقن

المُماطلة.

– مواعيدك شخصيتك فزيتها بالصّدق والوفاء.

– مطلق المواعيد ترسيم الزانيات.

١ – تتمثل الزيادة عليه بالأذى والمعاناة التي تلحق بالأفراد أو بالجماعات الموعودة وأحياناً بالشعب أو الشعوب الموعودة بالخير والعطاء والسماحة، ثم لا ترى من المواعيد إلا رسمها أو رنين ألفاظها. وبشكل ذلك لها انتظاراً لا جدوى معه، وصبراً لا فرج يستتبعه، وأملأ ضبابياً لا منفعة تملوه أو تحدوه. وبالتالي لا يرى المنتظرون ما يرتجون، ولا يشخص أمامهم إلا تمثال البخل قائماً مهياً كأنه ركن الليل البهيم.

– المَنُّ إِسَاءَةٌ صَارِخَةٌ لِلجُودِ وَالإِحْسَانِ وَأَعْمَالِ البِرِّ بِالذَّاتِ قَبْلَ
الإِسَاءَةِ لِلآخَرِينَ .

– المَنُّ اسْتِرْدَادٌ غَيْرُ مَشْرُوعٍ لِبَطَاقَةِ البِرِّ وَالإِحْسَانِ .

– يَشْكَلُ المَنُّ مَنزَلَقًا خَطِيرًا فِي طَرِيقِ الجَزَاءِ الأَوْفَى .

– مَنْ لَمْ يَصُنْ كِرَامَتَهُ بِمَا أَكْدَى ، لَا يَصُنْ كِرَامَةَ غَيْرِهِ إِذَا اسْتَجَدَى .

– حَتَّى مَتَى يَطْمَعُ طَمَعًا سَرَابِيًا بِالجَنَاتِ وَالأنْهَارِ ، مِنْ طَبِيعَتِهِ

البِخْلُ بالدُولَارِ وَالدِينَارِ !

– تَأْبَى النِّعْمَةُ أَنْ تَبْقَى كَمَا هِيَ فِيمَا المَزِيدِ وَإِمَا المَحْقُ .

– القِنَاعَةُ شُكْرٌ صَامِتٌ .

– أَشْكَرُ الشَّاكِرِينَ قَانِعٌ شُكُورٌ .

– يَقْدُمُ المُنْعَمُ عَلَيْهِ شُكْرَهُ نَقْدًا ، وَيَقْدُمُ المُبْتَلَى شُكْرَهُ نَسِيئَةً .

– مَا قَتَبَتِ القِنَاعَةُ مَنَعَشَةً بَعْدَ الذَّوَاءِ ، مَلْبَسَةً ثَوْبَ العَنَاءِ .

– إِذَا ابْتَسَمَ الكَرِيمُ فَكْرَمَهُ ، وَإِذَا عَبَسَ الكَرِيمُ فَارْحَمَهُ .

– إِذَا ابْتَسَمَ اللِّئِيمُ فَاحْذَرَهُ ، وَإِذَا عَبَسَ اللِّئِيمُ فَاحْتَقِرَهُ .

– يُحْسِنُ الكَرِيمُ فَنَّ الطَّلَاقِ وَالبِشَاشَةِ إِعْمَانًا فِي الضِّيَافَةِ وَالتَّرْحِيبِ .

– يَا رَبِّمَا يُحْسِنُ اللِّئِيمُ فَنَّ الطَّلَاقِ وَالبِشَاشَةِ إِعْمَانًا فِي التَّخْلِصِ

٤٧٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

اللامشروع من الضيافة وقضاء الحوائج .

– إذا كان من القناعة أن لا نحزن لما فات ، فإن من القناعة أن لا

نرتبك لما هو آت .

– في كلمات المعاصرين للقيم الإنسانية الباذخة سجل حافل

بالتقويم والتقييم وتدوين الأعمال والآثار .

– إن من أخبث العهر والدعارة أن يتشبه بالكرام من يتشبت باللؤم

والحقارة .

– حق الضيافة حق عظيم وخدمة الضيوف واجب مقدس .

– أليس رب الناس أعلم بما يصلح الناس .

– حقاً إن كرم النفس وسمو أدب الضيافة يعمق التلاحم

الاجتماعي ويشد أواصر الأخوة ويغرس الحب والوداد .

– من كانت الدنيا مبلغ علمه ، كان المال غاية همّه .

– من كانت الآخرة نصب عينيه ، كان المال عبداً بين يديه .

– الشحيح اللئيم وجه آخر للشيطان الرجيم .

– المحسن المعين وجه آخر للملاك الكريم .

خِتَامُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ

إِنَّ الشَّحِيحَ اللَّثِيمَ وَجَهُ آخِرَ لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .
وَإِنَّ الْمُحْسِنَ الْمُعِينِ وَجَهُ آخِرَ لِلْمَلَائِكَةِ الْكَرِيمِ .

خَتَامُهُ مِنْ تَسْنِيمِ

(١)

دُعَاءُ الرَّحْمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ الْخَلَائِقَ تَبْيِينًا لِإِرَادَتِكَ الْمَاضِيَةِ، وَكَشَفًا لِقَدْرَتِكَ الْغَالِبَةِ... فَأَجْرِيئِهِمْ سُفْنًا فِي بَحَارِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَقَلْتَ لَهُمْ قَوْلَ النَّاصِحِ الرَّؤُوفِ الْكَرِيمِ « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »^(١). فَسَكَبْتَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِمْ شَأْسِيْبَ الْخَيْرَاتِ، وَنَشَرْتَ أَجْنَحَةَ الْإِحْسَانِ، وَفَاوَتْ بَيْنَهُمْ فِي الْقَدْرَةِ، وَبَيَّأَيْتَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَعَائِشِ، فَمِنْهُمْ غَنِيٌّ وَمِنْهُمْ فَقِيرٌ. فَقَلْتَ لِلْفُقَرَاءِ تَعَفَّفُوا وَاصْبِرُوا. وَقَلْتَ لِلْأَغْنِيَاءِ أَنْفَقُوا وَاشْكُرُوا: « إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ »^(٢). اخْتَبَارًا مِنْكَ لِلْأَغْنِيَاءِ وَالْفُقَرَاءِ؛ لِيَلْقَىٰ كُلُّ غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ مَا أُعِدَّ لَهُ مِنْ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَالْأَجْرِ الْمُبِينِ. فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنِ نَهْجِكَ الْقَوِيمِ وَسَنَنِكَ الْحَمِيدِ، وَمَنَارِكَ السَّاطِعِ، وَدَرِيكِ الْوَالِجِ، حَتَّىٰ كَانَتْ قِلَّةٌ ذَاتِ الْيَدِ شَرًّا وَاصِبًا، وَلَفْحٌ هَجِيرٍ دَائِمٍ، وَحَتَّىٰ كَانَتْ الْمَالُ مَلِكًا لِلْأَغْنِيَاءِ لَا يَحُولُ، أَوْ نَهْرٌ دَافِقٌ يَجْرِي وَلَا يَنْقُضِي. وَكَمْ مِنْ فَقِيرٍ اغْتَنَىٰ بَعْدَ الْاِفْتِقَارِ، وَانْتَعَشَ بَعْدَ الدَّوَاءِ. وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ اِفْتَقَرَ، وَمَلِيكَ اِنْدَحَرَ... وَلَا دَهْشَةً يَا رَبَّنَا وَلَا عَجَبًا؛ فَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا مَبْلَغَ عِلْمِهِ، كَانَ الْمَالُ غَايَةَ هَمِّهِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ عَقَلُوا أَمْرَكَ الْعَظِيمَ، لَسَاوُوا الْمَحَاوِجِ

٤٧٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) والمساكين، أو لأنفقوا عليهم وتسبقوا إلى العون والمواساة والرفد والعطاء، وبأدروا إلى حُسن الجزاء؛ فمن كانت الآخرة نصبَ عينيه، كان المال عبداً بين يديه. ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

وصلَّى الله على نبيِّنا وحبیبِ قلوبنا، الداعي إلى الإيمان والنور والخيرات، والمنقذ من الكفر والشرِّ واللزبات، مُحَمَّدٍ وآله الطَّيِّبين الطاهرين، وعلى صحبه الكرام الميامين، وعلى الصُّدِّيقين والشهداء والصالحين جميعاً وسلِّم تسليماً^(١).

(٢)

إنَّ من جملة المقاييس الرئيسيَّة المتعدِّدة التي تُقاس بها المستويات الحضارية للشعوب والدول المختلفة في العالم مقياساً يختفي ويغيب أحياناً، إلا أنَّه يظهر ويبرز إلى الساحة الفكرية والأخلاقية في أحيانٍ أخرى، ويكون محكاً سديداً وقويماً في معرفة أساسٍ من أسس البناء الحضاري ومقدار إنسانيَّة الشعوب والدول في الشرق والغرب، وهذا المقياس هو البذل والإحسان والإيثار في درجاتها المتباينة، الشيء الذي يعكس بالضرورة مناسيب الارتفاع والانخفاض التعاطفي ومدى التفاعل طرداً وعكساً ما بين أبناء الشعب والدولة الواحدة، أو ما بين أبناء مختلف الشعوب والدول، مما يُعطي ويُقدِّم - بلا ريب أو شبهة - صورةً بيَّنةً واضحةً على الصعيد الحضاري العام تقدُّماً أو تخلفاً.

إنَّ مقياس تعيين وتشخيص البذل والإحسان والإيثار في درجاتها المتفاوتة، أو الضمور الشديد لمثل هذه الحالات أو انعدامها من الوجود كما قد يتصور، يوضِّح كذلك مدى أهميَّة هذا الموضوع ومدى حيويَّته وفاعليَّته، والفائدة

الكبيرة المترتبة عليه دراسةً ومعالجةً وتحقيقاً.

(٣)

ولما كان الجود والإيثار والبر والإحسان مما تُقاس به المستويات الحضارية للشعوب والدول المختلفة حالياً أي على منحنى الدراسات الاجتماعية المعاصرة، فذلك هو مما تقاس به المستويات الحضارية للشعوب والدول في شتى العصور الماضية. بمعنى أن تناول هذه المواضيع دراسةً ومعالجةً وتحقيقاً، مما يطلعنا ويروينا من منابع التاريخة. بما للبحوث التاريخية من فوائد علمية وفكرية معروفة لذوي الاختصاص، بل للمفكرين والكتاب والمثقفين عموماً.

وهذا يعني أننا باطلاعنا على مثل هذه البحوث والدراسات ونشرنا لأريجها الزكي العاطر نكون قد اطلعنا على جوانب أساسية من تاريخنا المجيد، الأمر الذي يعني ربط الحاضر بالماضي وتزويد الأجيال بوثائق علمية وفكرية من تأريخهم الأغرّ الناصح النبيل، مما ينتفعون به إن شاء الله تعالى في إرقاد وتسيّد حاضرهم وواقعهم المعاش، وشدّ أركان آفاق مستقبلهم القريب والبعيد، ما فكروا في ذلك تفكيراً جدياً مخلصاً، وما نظروا نظراتٍ هادفةً وبعيدة الغور.

(٤)

وإذا كان الجود والبر والإحسان والإيثار مما تُقاس به المستويات الحضارية للشعوب والدول، فإنه في الوقت ذاته مما تُقاس به المستويات الروحية والنفسية والخلقية للأفراد قديماً وحديثاً؛ فيعدّ المفضلّ والمحسنّ والمؤثر من أفاضل المجتمع وأحسن أفراد الأسرة الإنسانية، وهم الذين يؤدون للبشرية خدماتٍ جليّة ومنتافع جسيمة، تنظر إليها العناصر الشريفة والراقية نفسياً وثقافياً بين الناس نظرة الاجلال والاكبار، وأحياناً نظرة التقديس

٤٧٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) والتعظيم. وكلما كان الفرد أعظم إحساناً وجوداً وإيثاراً، كان نصيبه أوفر وأعظم وأسنى من التبجيل والاطراء الفياض والتقدیس الباذخ. وفي الوقت نفسه كلما كان الفرد أدنى إلى البخل واللؤم والأثانية، أو كان بخيلاً ولثيماً وأنانياً بالفعل، كلما كان أدنى إلى الازدراء والاشمئزاز من شخصيته ومساره في الحياة وسلوكه بين الناس - طبعاً ما عدا بعض المجتمعات القليلة في العالم ممن لم يكن يشغل تفكيرها مثل هذا الموضوع، بل كأنها تعيش عيش الغابات النائية جداً عن حدود المدن والأرياف - فإنَّ الفضيلة والرذيلة عندها من صنف واحد لا يختلف بعض مصاديقه عن بعض آخر في اللب والجوهر، وإنما يقع الاختلاف في الألوان والمسميات والأشكال الظاهرية؛ وبذلك تفتقر حضارتهم المزعومة إلى سندٍ قويٍّ مكين، ودعامةٍ أساسية لا يمكن الاستغناء عنها بأيِّ حالٍ من الأحوال.

(٥)

في شخصيَّة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب جوانب كثيرة من السموق والجلال والابداع لم تبرز بعد بشكلٍ جليٍّ ولم تُعطَ حقَّها وحظُّها من الدراسة المستوعبة والتحليل الكافي، بل ولا ما يشبه الحقَّ والحظَّ، ومن بين هذه الجوانب الالتزام الكامل بروح الاسلام وتعاليمه قولاً وعملاً والعدالة والحكمة والفكر والإحسان والجود والقيم الانسانية عامَّة، إنَّه لا ينبغي أن تأخذنا الدهشة إذا ما عرفنا أن مئات الكتب في الزمن القديم والحديث قد صُنِّفت حول الإمام سواء تلك التي تناولته بصورة عامَّة أو من جهات معيَّنة مع العلم أن كثيراً منها في مستوى رفيع، بل ينبغي أن تأخذنا الدهشة لقلَّتها وندرتهَا، وذلك لأنَّها كُتبت عن شخصيَّة علي بن أبي طالب، ذلك النور الإلهي الذي لا تُبلي سناءه وإشراقه مسيرة الليل والنهار، وذلك الكنز العظيم الذي حاولت الدول المتعدِّدة والحكومات المتعاقبة منضماً إليها آلاف الخطباء والوعاظ والمؤلفين تغيب

أدواره العظيمة أو تقليل أهميته أو ابتزاز محاسنه وفضائله.

ومن فضل الخلاق الرحيم علينا أننا في هذا الكتاب قد اكتشفنا أو كدنا أن نكتشف سرّاً كبيراً من أسرار شخصيّة علي بن أبي طالب، متمثلاً في الجود والايثار، والواقع إنها محاولة قد أجهدتنا كثيراً إلا أن أمنيّنا أن يأتي من هم الأقدر على الكتابة فيها والبحث عنها، وأن يأتي في القريب العاجل من يقدّمون تراث الإمام وآثاره وملكاتة العجيبة وشخصيّته الساحرة في جاذبيّتها، ضمن آفاق جديدة وأن يطلعوا البشريّة المُعَدَّبَة والمحرومة بما يغني ويشري ويحقق أهداف الأنبياء والمرسلين (صلوات الله عليهم). وهكذا فإنه لَيَبْغِي لَنَا أَنْ لَا نَتَحَدَّثَ عَنِ الْمَاضِي الْمُشْرِقِ بِمَا أَنَّهُ مُجَرَّدُ فَخْرٍ طَوِيلٍ، وَمَجْدٍ أَثِيلٍ، بَلْ كَذَلِكَ بِمَا أَنَّهُ يَنْفَعُ حَاضِرَ الْبَشَرِيَّةِ وَمُسْتَقْبَلَهَا، وَيُغَيِّرُ مَنَاهِجَ التَّفَكِيرِ وَطَرَائِقَ التَّعَامُلِ فِيمَا بَيْنَهَا نَحْوَ الْأَحْسَنِ وَالْأَفْضَلِ. وَتَأْسِيساً عَلَيَّ هَذَا فَلَيْسَ يَهْدِفُ الْكِتَابُ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا أَنْ يُجَسِّدَ إِطْلَالََةً فِكْرِيَّةً وَتَأْرِيخِيَّةً مِنْ أَخْلَاقِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَفْكَارِهِ الْعَصْمَاءِ فَحَسَبَ، وَإِنَّمَا يَهْدِفُ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَكُونَ مُخَطَّطاً فِكْرِيّاً وَتَرْبَوِيّاً مِنْ أَجْلِ الْعَمَلِ الْجَادِّ وَالْحَازِمِ عَلَى تَعْمِيقِ الرُّوَاطِئِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَنْمِيَةِ الْعِلَاقَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَبَثِّ الرُّوحِ الْأَخُوِيَّةِ وَالتَّعَامُلِ عَلَيَّ أُسَاسِ تَقْدِيمِ الْخَيْرِ وَبَذْلِ الْإِحْسَانِ لِلْقَرِيبِ وَالبَعِيدِ، وَبَذْلِ حَالَاتِ الْبِخْلِ وَالشَّحِّ وَاللُّؤْمِ، بِمَعْنَى التَّعَامُلِ عَلَيَّ مِنْهَجِ رُوحِيٍّ بَهِيٍّ سَامِقٍ، فَإِنَّ الشَّحِيحَ اللَّتِيمَ وَجْهٌ آخَرٌ لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. وَإِنَّ الْمُحْسِنَ الْمُعِينَ وَجْهٌ آخَرٌ لِلْمَلَائِكَةِ الْكَرِيمِ.

« وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »^(١).

الإمام علي القدوة والأسوة في المكارم

يتضمن هذا الحديث بعض الكلمات حول الكتاب أحدها تفضل بها آية الله العظمى الشيخ جعفر السبحاني والثانية تفضل بها الكاتب المصري الدكتور أحمد راسم النفيس أستاذ كلية الطب في جامعة المنصورة والثالثة قد جاد بها الباحث المصري القدير الأستاذ معروف عبد المجيد فحفظ الله الجميع ورعاهم بفضله وإحسانه.

كلمة العلامة السبحاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يمكن تقسيم أبناء المجتمع الإنساني من حيث تأثيرهم على مجتمعهم وعلى ما حولهم إلى عدة أقسام: فمنهم من يعيش ويموت ولا يترك أثراً يستحق الذكر. ومنهم من يترك أثراً محدوداً بحدود زمانه وبلده الذي يعيش فيه، ويعرفه أبناء عصره فقط. وقسم ثالث وهم الذين يؤثرون في مسيرة التاريخ ويمتد تأثيرهم هذا إلى أبعد من عصرهم ومكانهم بل ويصل موج تأثيرهم إلى أعماق الزمن وإلى أبعد السواحل عن مصر والعصر الذين عاشا فيهما، كما أن تأثيرهم يتصف بنفس الحيوية الذي كان يمتاز به في حياة صاحبه.

ولا ريب في أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من هذه الطبقة الثالثة، فهو الرجل الأمثل الذي عقلت الدهور عن أن تأتي بمثله فهو وليد الكعبة دار التوحيد، وقد حمل راية التوحيد منذ نعومة أظفاره حتى شب وشاب، كما أنه شهيد المحراب، وبهذا فقط انحصرت حياته بين حسن المطلع وحسن الختام.

وقد نشأ في كنف أبيه أبي طالب الذي تكفل بحفظ حياة النبي الأكرم منذ أن كان له «صلى الله عليه وآله وسلم» ثماني سنوات، كما بذل أبو طالب جهوداً

٤٨٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
باسلة في الدفاع عن الرسالة الإلهية دفاعاً مستميتاً إلى أن لقي ربه ناصع الوجه
طاهر القلب.

لقد اقترنت حياة علي بحياة النبي «ص»، فقبل البعثة كان يلازمه ملازمة
الفصيل لأثر أمه، وها هو يصف تلك الفترة من حياته بقوله: وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله وسلم» بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ،
وَضَعَيْتَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْتُمُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمَسِّنِي
جَسَدَهُ وَيُسَمِّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ
وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ... وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمَّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ
أَخْلَاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ^(١).

ولذا فقد كان أول من أسلم وآمن من الناس وأظهر تصديقه به علي رؤوس
الأشهاد من دون خوف ولا وجل. لازم النبي الأكرم حيثما كان في مكة وفي
مهاجره (المدينة المنورة) حتى التحق النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم»
بربه تعالى ورأسه في حجر علي «عليه السلام».

جُمِعَتْ فِيهِ صِفَاتِ الْأَضْدَادِ

إن النوابع والعظماء كثيراً ما تتميز فيهم صفة تتغلب على سائر الصفات،
فكثيراً ما لا يكون الفارس الشجاع خطيباً، وكثيراً ما لا يكون الخطيب المصقع
فاتكاً في الحروب وضارباً في الصفوف، وكثيراً ما لا يكون الحكيم الخلاق
للأفكار دائراً في خلدته التفكير بالشجاعة والفروسية بل يأنس بالخلوة في المعاهد
والمدارس، وهكذا بالنسبة إلى العابد الزاهد من حيث الابتعاد عن الاختلاط
بالناس والقيام بسياسة أمرهم. وقلما اتفق أن يجمع رجل واحد بين الشجاعة
والخطابة وبين الحكمة والتفكير وبين الزهد والعبادة والتميز في ميادين الحروب.

الإمام علي عليه السلام القدوة والأسوة في المكارم ٤٨٣
وأندر من ذلك وربما لا يكون له إلا أنموذج واحد وهو أن تجتمع فيه أضداد
الصفات والأخلاق المتضادة ولا نجد ذلك إلا في الإمام علي.

جُمِعَتْ فِي صِفَاتِكَ الْأَضْدَادُ فَلِهَذَا عَزَّرْتَ لَكَ الْأَنْدَادُ

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: ما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة
وتنتهي إليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها
وسابق مضمارها ومجلي حلبتها، كل من يزغ فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى وعلى
مثاله احتذى. شرح نهج البلاغة: ١ / ١٦.

ولهذا يصعب على الكاتب أن يترجم لهذه الشخصية الفذة التي يضيء الدهر
بأمثالها، أو أن يحيط قلمه بذكر عامة جوانب حياته، وأمامك هذا الكتاب
(فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب) وقد تعرض إلى ترجمته
(عليه السلام) من تلك الزاوية وترك الأبعاد الأخرى لحياة الإمام علي (عليه
السلام) لمؤلفاته الأخرى ولسائر المؤلفين.

طالعت جوانب كثيرة من هذه الموسوعة فحملتني إلى أجواء روضة معطار
فشمنت منها ما يزرني برائحة المسك والعنبر، ولا غرو في ذلك وقد غرست
مفاهيمها من بستان أحاديث وأقوال باب مدينة علم الرسول «صلى الله عليه وآله
وسلم»، وسقيت بماء مكرماته، وتعهدها يد تحرير، ذي فكر سديد، وذوق رفيع،
ذلك هو الفقيه والمؤرخ آية الله سيد محمود محمد مناف الموسوي.

وإنك لتجد وأنت تطوف في آفاق هذه الموسوعة غزارة في المادة العلمية،
وجدة في البحث، ودقة في التحليل، وروعة في البيان.

والحق أنها قد أوتيت من كل شيء، مما جعل منها عملاً فريداً في بابها،
وسيفراً فذاً في موضوعه.

٤٨٤ فلسفة الجود والائثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وكم يشعر القارئ بالغبطة والسرور حينما يقف على حكم المؤلف التي علق بها على أحاديث الإمام علي (عليه السلام)، والتي تتم صياغتها بأسلوبه الأخاذ عن فكر واسع، وخيال خصب، وتجربة غنية.

تأمل - على سبيل المثال - في أقواله :

— مَنْ وَصَلَ أَرْحَامَهُ ، فَقَدْ عَمَّرَ أَيَّامَهُ .

— إِنَّهُ لَيْسَ بِصَاحِبِ يَدِ الْكَرِيمَةِ ذَلِكَ الَّذِي يَفْضُّ الْكَرِيمَتِينَ .

— شَيْئَانِ إِنْ وُزِنَا لَمْ يَتَرَجَّحْ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ : طَبْلٌ فَارِغٌ ، وَوَجِيهٌ لَا يَنْفَعُ .

— لِيِّ الْمَوَاعِيدِ ، أَشَدُّ مِنْ لِيِّ الْجِيدِ .

— إِنْ بَدَّلَ الْعَالِ ، مَكْسَبَتَهُ لِلرِّجَالِ ، وَإِنَّ يَمِينَ السَّخَاءِ ، مَجْلَبَتَهُ لِلْبُعْدَاءِ .

— الْمَنْ اسْتَرْدَادُ غَيْرِ مَشْرُوعٍ لِبَطَاقَةِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ .

— اعْرِفِ الْمَفْكَرَ فِي سُلُوكِهِ وَأَعْمَالِهِ ، تَعْرِفْ مَاذَا يَقْصُدُ مِنْ فَلَاسِفَتِهِ وَأَقْوَالِهِ .

— مَنْ لَمْ يَكُنْ قُدْوَةً بِأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ ، فَلْيَكُنْ قُدْوَةً بِصَمْتِهِ وَاعْتِزَالِهِ .

ألا تحس وأنت تطالع هذه الحكم وأمثالها أنك تقرأ ما لا يقل عما جادت به قرائح حكماء العرب والفرس وفلاسفة اليونان .

إن إحياء ما تضمنته الموسوعة من المعاني والمفاهيم والخصال الكريمة، ونشر عبيرها بين الأفراد والجماعات والأمم يعد ضرورة ملحة لا سيما في هذا العصر الذي طغت فيه الروح المادية، وانحسرت فيه القيم المعنوية، وضج بالمآسي والظلم والآثام، وأصبح المرء وكأنه ملقى في صحراء ناضبة من الخير.

وقد أبان الكاتب الكبير عن رسالته بهذه العبارة الوجيهة :

لقد كان رسول الله والإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهما) أكرم الخلق وأجودهم على الناس، في الوقت الذي كانا فيه من أشد الناس اقتصاداً على نفسيهما في كل أدوار حياتيهما الكريمتين، فمن أحب الذكر السني العاطر في دنيا المثل السامية والأخلاق الرشيدة العليا، وأراد الفوز والسعادة في النشأة الآخرة فليشرف منزلة وليكرم نفسه بالافتداء بهما واقتفاء تلك الآثار الإلهية الجميلة.

فما أحوجنا إلى نشر هذا الكتاب الجليل، ليأخذ طريقه إلى الباحثين والقراء، وينعموا بفوائده الجزيلة.

نسأل الله تعالى أن يحفظ المؤلف ويسدد خطاه ويفوقه للمزيد من الخير والعطاء إنه بالاجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

٣ ربيع الآخر / ١٤٢٨ هـ جعفر السبحاني

كلمة الدكتور النفيس

بسم الله الرحمن الرحيم

اطلعت على هذا السفر الجليل (فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب) الذي كتبه العلامة الدكتور سيد محمود محمد مناف الموسوي حفظه الله ورعاه ووجدت فيه إطلالة بالغة الأهمية والقيمة على مدرسة أمير المؤمنين ومولى المتقين علي بن أبي طالب باب مدينة علم رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في الأخلاق ورأسها الكرم والجود «وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ». الحشر، الآية / ٩.

دكتور سيد أحمد راسم النفيس

كلمة الأستاذ معروف عبد المجيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في زمن انكفاء القيم وانطفاء المثل وانطواء الإنسان على ذاته ضناً منه في البذل والعطاء يفتح أمامنا أفق واسع على عالم من الكرم والجود والتضحية تتألق فيه عملاقة شخصية أكرم الأكرمين وأجود الأجودين بعد رسول الله «ص» ألا وهو أسد الله الغالب وصاحب ذي الفقار الضارب علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإذا كان الكرم فطرته والجود سجيته والإيثار ضالته فعسى يسأل سائل وهل كان يمتلك ما يسد به رمقه ورمق من يعول فضلاً عن أن ينفقه أو يجوده به؟!

هذا وغيره من التساؤلات ما يجيب عنه كتاب (فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب) لمؤلفه المحقق والفقير الدكتور السيد محمود محمد مناف، ولا سيما عندما يطرق أبواباً مجهولة بما لم يطرقها أحد من قبل بهذه العناية والدقة وذلك مثل باب الموارد المالية لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب، وباب المشاريع العامة التي كان يديرها الإمام علي من أمواله الخاصة مما يعد تعبيراً عن رؤية انفتاحية وروح اجتماعية وإنسانية وتوجه نحو المجموع، حيث يكتشف القارئ آنذاك أن الإمام علي بن أبي طالب كان من أثري الأثرياء وأكرم الكرماء وهو ما لا يعرفه الكثيرون. إن علياً (عليه السلام) لم يكن يدع درهماً واحداً يستقر في يده بل كان يجوده به في مبادرة فريدة بكل ما يتنامى إليه من مال أو متاع سراً وعلانية حتى سال الندى من كفيه السخيتين وتساقط الغيث من بين أصابعه ليظفاً ظماً العطاشى ولهيب جوع ذوي الفاقة عاملاً في ذلك بمقولته الشريفة التي توطر لمنظومته الأخلاقية والتربوية (من أيقن بالخلف جاد بالعطية)

الإمام علي عليه السلام القدوة والأسوة في النكارم ٤٨٧
وغير ذلك مما أثر عنه من الأقوال والحكم البليغة التي تنظر لفلسفة عميقة ودراية
تامة بما ينطوي عليه الجود والإيثار من أهمية قصوى تأخذ بيد المجتمع
الإنساني نحو الرفاهية وصلاح الدنيا والآخرة.

على أن المتأمل في صفحات هذا الكتاب بمجلداته سيقف منبهراً أمام فيض
متموج من أمثلة السخاء ومواقف البذل والعطاء عند أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب (عليه السلام) وسرعان ما تتلاشى دهشته عندما يدرك أن كل ذلك لم يكن
سوى غيظ من فيض ومجرد قطرة من بحر الجود والكرم الذي لا يحده حد ولا
ساحل متمثلاً في هذا الإمام الهمام بعد أن كان المتأمل يرتاب في الأمر مستكثراً
هذه المجلدات في الاقتصار على منقبة الكرم وحده عند علي بن أبي طالب الذي
أطال المحققون في الحديث عن شجاعته وبطولته وأطنبوا في الكتابة عن زهده
وتقشفه وتوقفوا كثيراً عن علمه وعبادته غير آبهين كثيراً ولا متنبهين إلى جوده
وإيثاره وكأنهم لم يدركوا ما أتى في (هل أتى) الأمر الذي أحدث فراغاً في
تناول حياته وسيرته وهو ما تداركه هذا الكتاب النفيس الذي خرج ليردم هذه
الفجوة منبهاً إلى بعد مهم جداً في شخصية أمير المؤمنين كاد أن يغيب عن أقلام
الرواة والباحثين وتتجاوزه محابر الكتاب والمؤرخين إلا في ما ندر وقل.

إنه لجهد موفور وسعي مشكور يضاف إلى ما بذله المؤلف في خدمة
الرسول «ص» وأهل بيت الوحي والرسالة فجزاه الله خير الجزاء وأجزل له
الأجر والعطاء وجعله ذخراً ترجح به كفة حسناته ويرتفع به سلم درجاته عندما
تشرق الأرض بنور ربها ويوضع الكتاب.

معروف عبد المجيد

المَصَادِرُ وَالْمَرَا جِع

القرآن الكريم

إتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن اسماعيل الشافعي الشهير بالبوصيري، تحقيق سيد كسروي حسن، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ط ١، دار الكتب العلمية / بيروت.

الإحسان الإلزامي في الاسلام وتطبيقاته في المغرب الدكتور محمد حبيب التحكاني، ١٤٤٠ هـ ١٩٩٠ م، مطبعة فضالة المحمدية.

الأحكام السلطانية . علي بن محمد بن حبيب الماوردي البغدادي، تحقيق الدكتور محمد جاسم الحديثي، مطبعة المجمع العلمي / العراق.

أحكام القرآن . أبو بكر بن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي / بيروت.
أخبار الأول في من تصرف في مصر من أرباب الدول . . . محمد بن عبد المعطي الاسحاقي، ط ١٣٠٣ هـ المطبعة الشرقية / مصر.

الاختصاص الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد البغدادي، ط ١٤١٣ هـ، مؤسسة النشر الاسلامي / قم.

الإخوان أبو بكر بن أبي الدنيا القرشي. ط ١، ١٤٠٩ هـ دار الكتب العلمية / بيروت.

الأربعون حديثاً . . . الشهيد الأول (محمد بن مكي العاملي)، نسخة خطية.

الأربعون حديثاً محمد بهاء الدين العاملي، نسخة خطية.

٤٩٠..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الإرشاد محمد بن محمد بن النعمان المفيد، ١٤١٣ هـ مؤتمر الشيخ المفيد
/ قم.

إرشاد القلوب الحسن بن محمد الديلمي، دار الرضي للنشر.
الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام د. ميخائيل سعود. ط ١ دار العلم
للملايين / بيروت.

أسباب النزول علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، دار الكتب العلمية
/ بيروت.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر القرطبي، نهضة مصر /
القاهرة.

أشد الغابة في معرفة الصحابة .. علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن
الأثير، دار احياء التراث العربي / بيروت.

أسس الصحة النفسية عبد العزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية /
القاهرة.

الأصول العامة للفقهاء المقارن السيد محمد تقي الحكيم، ١٩٦٣ م، دار
الأتدلس / بيروت.

أصول الفقه ... شمس الدين بن مفلح المقدسي الحنبلي، حققه وعلق عليه
وقدم له الدكتور مهدي محمد السدحان، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ط ١، مكتبة العبيكان
/ الرياض.

أصول فلسفة الحق ج. فهيجل، ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة
مدبولي / القاهرة.

أضواء على السنة المحمدية الشيخ محمود أبورية، الطبعة الخامسة،
١٩٨٠ م، دار المعارف.

اعلام الدين الحسن بن أبي الحسن الديلمي، ط ١٤٠٨ هـ مؤسسة آل البيت / قم.

أعلام الموقعين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزي، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشير محمد عيون، ط ١، مكتبة دار البيان / دمشق.

إعلام الوري بأعلام الوري .. الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة / بيروت. أعيان الشيعة..... محسن الأمين العاملي، دار التعارف / بيروت. الأغاني أبو الفرج الاصفهاني، دار الكتب المصرية / مصر. الأغراض الاجتماعية في نهج البلاغة سيد محسن الأمين العاملي، / مؤسسة نهج البلاغة.

الافصاح في إمامة أمير المؤمنين محمد بن محمد بن النعمان المعروف بـ الشيخ المفيد، مؤتمر الشيخ المفيد، ط ١٤١٣ هـ / قم.

الاقبال ... علي بن موسى المعروف بـ السيد ابن طاووس، ط ١٣٨٠، دار الكتب الاسلامية / قم.

اقتصادنا ... السيد محمد باقر الصدر. ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، دار التعارف للمطبوعات / بيروت.

الأم محمد بن ادريس الشافعي، ١٣٨٨ هـ دار الشعب / القاهرة.

أمالى المرتضى الشريف علي بن الحسين المرتضى، دار الكتاب العربي / بيروت.

الأمالي . محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المفيد، مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣ / قم.

الأمالي الشيخ محمد بن علي الصدوق، ط ١٤٠٤ هـ، المكتبة الاسلامية، /

٤٩٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
قم .

الأمالي المعروفة بالأمالي الخميسية، الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين
الحسني الشجري، ط ٢١، ٢٠٠١ م، دار الكتب العلمية / بيروت .

الإمام علي جواد جعفر الخليلي ط ١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م / القاهرة .

الإمام علي جدل الحقيقة والمسلمين . محمود محمد العلي، ط ١، ١٤٢٠ هـ
٢٠٠٠ م، مؤسسة بحسون / بيروت .

الإمام علي بن أبي طالب . عبد الفتاح عبد المقصود، دار مصر للطباعة /
مصر .

الإمام علي بن أبي طالب . توفيق أبو علم، ط ٢، دار المعارف / القاهرة .

الإمام علي بن أبي طالب سيرة وتاريخ محمد حسن آل ياسين، ١٣٩٨ هـ
- ١٩٧٨ م، ط ١، منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر / بيروت .

الإمام علي صوت العدالة الانسانية . جورج جرداق، منشورات دار مكتبة
الحياة / بيروت .

الإمام علي نبراس ومتراس . سليمان كتاني، دار الكتاب العربي / بيروت .

أمثال الشرق والغرب يوسف تومال البستاني، مطبعة العاني / بغداد .

الأمثال في نهج البلاغة محمد الغروي، ١٤٠١ هـ، ط ١، انتشارات
فيروزآبادي / قم .

أمير المعادن الذهب دكتور زكريا هميمي، دار هبة النيل / مصر .

أنساب الأشراف .. أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، مؤسسة الأعلمي /

بيروت .

الأنوار النعمانية .. السيد نعمة الله الجزائري، مؤسسة الأعلمي / بيروت .

المصادر والمراجع ٤٩٣

الايضاح الفضل بن شاذان النيسابوري الأزدي، مؤسسة الأعلمي / بيروت .

بحار الأنوار .. الشيخ محمد باقر المجلسي، ط ١٤٠٣ هـ، مؤسسة الوفاء / بيروت .

البخلاء أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، قدم له وشرحه الدكتور عباس عبد الساتر، ١٩٩٨ م، منشورات دار ومكتبة الهلال / بيروت .

البداية والنهاية ... أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، الطبعة الأولى ١٩٦٦ م / بيروت .

البدو والبادية، الدكتور جبرائيل سليمان جبّور، ط ١، ١٩٨٨، دار العلم للملايين / بيروت .

البصائر والذخائر . أبو حيان التوحيدي، تحقيق الدكتورة وداد القاضي، ط ١، دار صادر / بيروت .

بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية أبو الفضائل أحمد بن طاووس الحلبي، مؤسسة آل البيت ١٤١١ هـ / قم .

بهجة المجالس ... يوسف بن عبد الله (ابن عبد البر القرطبي)، دار الكتب العلمية / بيروت .

البيان في فقه الإمام الشافعي يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق الدكتور أحمد حجازي، أحمد السقاء، ط ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، دار الكتب العلمية / بيروت .

البيان والتبيين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الجيل / بيروت .
البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة. أبو الوليد بن رشد القرطبي، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، دار الغرب الاسلامي / بيروت .

٤٩٤..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

تاج العروس..... سيد محمد مرتضى الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت / الكويت.

تاريخ الأدب العربي. أحمد حسن الزيات، ط ٧، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م / مصر.

تاريخ بغداد أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية / بيروت.

تاريخ الفقه الإسلامي، دعوة قوية لتجديده بالرجوع إلى مصادره الأولى د محمد يوسف موسى، ١٩٥٨ م / القاهرة.

تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام الدكتور محمد علي أبو ريان، ١٩٧٠، دار النهضة العربية / بيروت.

تاريخ الفلسفة الاسلامية..... هنري كوربان، دار عويدات، ١٩٦٦ م / بيروت.

تاريخ الفلسفة / الفلسفة الحديثة اميل برهيه، ترجمة جورج طرابيشي، ط ١، ١٩٨٧، دار الطليعة / بيروت.

تاريخية الفكر العربي الاسلامي محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي ط / ١٩٩٨ م / بيروت.

تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة..... شرف الدين علي الحسيني النجفي الاسترآبادي، نسخة مصورة، و ط ١٤٠٩ هـ، مؤسسة النشر الاسلامي.

التبصرة. أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد، ط ١، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

التذكرة الحمدونية محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ط ١ /

١٩٩٦ دار صادر / بيروت .

تذكرة الخواص سبط ابن الجوزي ، مكتبة نينوى الحديثة .

الترغيب والترهيب عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، دار ابن كثير دمشق

/ بيروت .

التسهيل في علوم التنزيل محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي

(تفسير ابن جزي الكلبي) ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣ هـ / بيروت .

التشريع الإسلامي مصادره وأطواره د شعبان محمد إسماعيل ، الطبعة

الثانية ١٩٥٨ م / القاهرة .

تطور النظريات والأفكار التربوية ... عمر الشيباني ، ١٩٨٢ م ، ط ٣ ، الدار

العربية للكتاب ، ليبيا / طرابلس .

التعسف في استعمال الحقوق والغاء العقود . المستشار حسين عامر ، تقحها

المستشار عبد الرحيم عامر ، ط ٢ ، ١٩٩٨ م ، الهيئة المصرية للكتاب .

تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) أبو محمد عبد

الحق بن عطية الأندلسي ط ١٣٩٨ هـ ١٩٧٧ م ، دولة قطر / الدوحة .

تفسير الصافي . محسن الفيض الكاشاني مكتبة الصدر / طهران . دار احياء

التراث العربي ١٣٧٩ هجرية / بيروت .

تفسير القرآن العظيم عبد الرحمن بن أبي حاتم ، مكتبة نزار مصطفى البار /

مكة المكرمة .

تفسير القرآن العظيم .. اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار المعرفة /

بيروت .

التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) الفخر الرازي ، مطبعة مكتب الاعلام

الاسلامي / ايران .

٤٩٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين... محسن بن كرامة الجشمي البيهقي،
تحقيق مؤسسة شمس الضحى، ط ١ / طهران.

التوحيد..... الشيخ محمد بن علي الصدوق، ط ١٣٩٨ هـ، مؤسسة النشر
الاسلامي.

تيسير المطالب أبو طالب يحيى بن الحسن بن هارون، تحقيق عبد الله بن
حمود العزي، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية عمان
/ المملكة الأردنية الهاشمية.

ثواب الأعمال.. الشيخ محمد بن علي الصدوق، ط ١٤٠٦ هـ، دار الرضي
للنشر / قم.

جامع الأخبار تاج الدين محمد بن محمد الشعيري، ١٤٠٥ هـ دار الرضي
للنشر / قم.

جامع الأصول..... ابن الأثير الجزري دار الفكر / بيروت.
جامع البيان عن تأويل آي القرآن. محمد بن جرير الطبري، دار الفكر /
بيروت.

الجامع لأحكام القرآن..... أبو عبد الله بن محمد أحمد القرطبي (تفسير
القرطبي)، ط دار الشعب.

الجلس الصالح الكافي. أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني الجري،
تحقيق الدكتور احسان عباس، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م / بيروت.

جمهرة اللغة.. ابن دريد محمد بن الحسن الأزدي، دار العلم للملايين ط ٢
١٩٨١ م / بيروت.

جنة المأوى الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، ١٤٠٨ هـ، دار الأضواء
/ بيروت.

جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ... أحمد الهاشمي، الطبعة الثالثة عشر، مطبعة المقتطف والمقطم / مصر.

جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام . الشيخ محمد حسن النجفي، ط ٧، دار احياء التراث العربي / بيروت.

الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة شمس الدين محمد بن عبد الرّحمن السّخاوي، تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم / بيروت - لبنان.

جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب محمد بن أحمد الباعوني الشافعي.

الحاوي للفتاوى .. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط ٢، ١٣٩٠ هـ، دار الكتب العلمية / بيروت.

حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة قطب الدين الكيدري البيهقي، تحقيق الشيخ عزيز الله العطاردي، ١٤١٦ هـ، مطبعة اعتماد / قم.

الحدائق في علم الحديث والزهديات أبو الفرج عبد الرحمن المعروف بابن الجوزي، حققه وعلق عليه مصطفى السّبكي، ط ١، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م، دار الكتب العلمية / بيروت.

الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة الشيخ يوسف البحراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم المشرفة.

حقائق الأصول السيد محسن الحكيم، ١٣٧٢ هـ / النجف الأشرف.

حلية الأولياء أحمد بن عبد الله الاصبهاني، دار الكتاب العربي / بيروت.

حياة أمير المؤمنين محمد صادق الصدر، ط ٣، دار التعارف للمطبوعات /

بيروت.

خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الحافظ الكبير أحمد بن شعيب

٤٩٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

النسائي مكتبة المعلى / الكويت .

خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الشريف الرضي، مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م / بيروت .

خصائص التصور الاسلامي ومقوماته .. سيد قطب، ١٤٠٢ هـ ١٩٩٢ م، دار
الشروق / بيروت .

الخصال محمد بن علي الصدوق، ١٤٠٣ هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي .

خلاصة الأقوال الحسن بن يوسف بن علي المعروف بالعلامة الحلبي، ط
١٤١١ هـ دار الذخائر / قم .

الخلق الاسلامي الكامل محمد جاد المولى، وقد هذب الكتاب وفسر غريبه
وعلق عليه يوسف علي بديوي .

دراسات في النفس الانسانية محمد قطب، ١٤٠٣ هـ ١٩٥٣ م، دار الشروق /
بيروت .

دُرُّ السحابة في مناقب القرابة والصحابة محمد بن علي الشوكاني دار الفكر
المعاصر / بيروت، دار الفكر دمشق .

الدروس الشرعية في فقه الإمامية الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي
العاملي (الشهيد الأول) تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين
ط ١، ١٤١٤ هـ، مؤسسة النشر الاسلامي / قم .

دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم القاضي محمد بن سلامة
القضاعي، طبع محمد سعيد الرافي، المكتبة الأزهرية مطبعة السعادة ١٣٣٢ هـ
/ مصر .

دعائم الاسلام القاضي محمد بن النعمان المصري، ط ١٣٨٥ هـ، / مصر .

دلائل الصدق ... محمد حسن المظفر، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت،

١٤٢٢ / قم.

الديباج الوضي في الكشف عن أسرار الوصي (شرح نهج البلاغة) المؤيد
بالله يحيى بن حمزة الحسيني، تحقيق خالد بن قاسم المتوكل، ط ١، ١٤٢٤ هـ -
٢٠٠٣ م، مؤسسة الإمام زيد الشهيد الثقافية / صنعاء.

ديوان ابن الرومي شرح وتحقيق عبد الأمير علي مهنا، ط ٢، ١٩٩٨، دار
ومكتبة الهلال / بيروت.

ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ١٩٥٨ / القاهرة.

ديوان البحري تحقيق حسن كامل الصيرفي، ١٩٦٣ - ١٩٦٤ /
القاهرة.

ديوان حاتم الطائي ط شركة الأرقم بن أبي الأرقم / بيروت.

ديوان الهذليين، ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م، دار الكتب المصرية / القاهرة.

الذخائر والتحف للقاضي الرشيد بن الزبير، حققه عن نسخة فريدة الدكتور
محمد حميد الله ط ١٩٥٩ م / الكويت.

الذريعة إلى مكارم الشريعة أبو القاسم حسين بن محمد بن مفضل الراغب.

ذكرى الأمير علي اثر الغدير الشيخ حسن السلامي ط ٢٢، ١٤٢٠ هـ، دار

الاعتصام / قم.

ربيع الأبرار أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م / بيروت.

رجال الكشي محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، ١٣٤٨ هـ ش، مؤسسة

النشر في جامعة مشهد.

رسائل الإمامة ... تأليف جمع من علماء الزيدية، تحقيق مؤسسة شمس

- ٥٠٠ فلسفة الجود والإينار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الضحى / طهران.
- روح المعاني أبو الفضل محمود الأوسي البغدادي، دار احياء التراث
العربي / بيروت.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء أبو حاتم محمد بن حبان البستي، شرح
وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وزميلاه، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، دار الكتب
العلمية / بيروت.
- رياض الصالحين أبو زكريا يحيى بن شرف النوري، دار الكتاب العربي /
بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير أبو الفرج جمال الدين الجوزي القرشي
البغدادي، ط ١ ١٩٨٧ م، دار الفكر / بيروت.
- زين الفتى في شرح سورة هل أتى الحافظ أحمد بن محمد العاصمي، هذبه
وعلق عليه العلامة الشيخ محمد باقر المحمودي، ط ١، ١٤١٨ هـ مجمع إحياء
الثقافة الاسلامية / قم.
- سجع الحمام في حكم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. جمع وضبط
وشرح علي الجندي، محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد يوسف المحجوب، ١٩٦٧
م، مكتبة الانجلو المصرية / القاهرة.
- سعد السعود علي بن طاووس الحلبي، دار الذخائر / قم.
- سلوني قبل أن تفقدوني الخطيب الشيخ محمد رضا الحكيمي ط ١٠،
٢٠٠١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت.
- السنن الكبرى أبو بكر البيهقي، دار الفكر / بيروت.
- سنن ابن ماجة ابن ماجة دار صادر / بيروت.
- سنن الترمذي الترمذي دار الفكر / بيروت.

سنن سعيد بن منصور، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى ١٩٨٥ / بيروت.

سيرة الأئمة الإثني عشر هاشم معروف الحسني، ط ٦، ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م، دار التعارف للمطبوعات / لبنان.

شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار .. القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلالي، ط ١، ١٤٠٩ هـ، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي / قم.

شرح مقدمة تقويم الإيمان في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام .. الفيلسوف السيد محمد باقر الداماد، مطبعة سيد الشهداء ١٤١٢ هـ / قم.

شرح نهج البلاغة ... سيد عباس علي الموسوي، دار الرسول الأكرم، دار التعارف ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م / بيروت.

شرح نهج البلاغة .. عز الدين بن أبي الحديد المعتزلي، ط ١٤٠٤ هـ، الناشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي / قم.

شرح نهج البلاغة ميشم بن علي بن ميشم البحراني، ط ٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م، دار العالم الاسلامي / بيروت.

شعر الأخطل تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، ط ٢، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، منشورات دار الآفاق الجديدة / بيروت.

الشعر والمال .. الدكتور مبروك المناعي، ١٩٩٨، منشورات كلية الآداب، منوبة / تونس.

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام .. قاضي مكة أبي الطيب المكي المالكي.
شواهد التنزيل عبید الله بن عبد الله القرشي العامري (الحاكم الحسكاني)
نسخة مصورة على نسخة خطية، ووزارة الثقافة والارشاد الاسلامي / ايران.

٥٠٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

الشيعة والحاكمون . محمد جواد مغنية ، ط ٥ ، ١٩٨١ ، دار ومكتبة الهلال / بيروت ، دار الجواد / بيروت .

صبح الأعشى أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، ط المؤسسة المصرية العامة / مصر .

الصحة النفسية والعلاج النفسي ... الدكتور حامد عبد السلام زهران ، عالم الكتب ١٩٧٧ م / القاهرة .

الصديق الأكبر (السيرة الذاتية للأمام علي بن أبي طالى) . زهير الأعرجي ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، المطبعة العلمية / قم .

صحيح البخاري .. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، دار القلم / بيروت .

صحيح مسلم ... مسلم بن الحجاج القشيري ، دار احياء التراث العربي / بيروت .

الصراط المستقيم الى مستحقي التقديم علي بن يونس العاملي البياضي ، ١٣٨٤ هـ / المكتبة المرتضوية .

صفحات من التاريخ الأردني ومن حياة البادية الأب جورج سابا وروكز بن زائدة العزيزي ، ١٩٦١ / عمان .

صوان الحكمة . أبو سليمان المنطقي السجستاني ، حققه وقدم له الدكتور عبد الرخن بدوي ، ١٩٧٤ م / طهران .

الطبقات الكبرى محمد بن سعد البصري ، دار احياء التراث العربي / بيروت ، ١٤٠٥ هجرية - ١٩٨٥ م ، دار صادر / بيروت .

الطرائف علي بن طاووس الحسيني الحلبي ، ط ١٤٠٠ هـ ، مطبعة الخيام / قم .

الاعتبار وسلوة العارفين ... الموفق بالله الحسن بن اسماعيل الجرجاني ،

المصادرُ والمراجع ٥٠٣

تحقيق عبد السلام عباس الوجيه، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية عمان / المملكة الأردنية الهاشمية .

العبقات العنبرية في طبقات الجعفرية الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، تحقيق الدكتور سيد جودت القزويني، ١٤٠٨ هـ، دار الأضواء / بيروت. العقد الفريد أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ط ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، دار الكتاب العربي / بيروت.

العقد المفصل السيد حيدر الحسيني الحلبي ط ١، ١٤٢١ هـ، المكتبة الحيدرية / قم.

علل الشرايع محمد بن علي بن الحسين الصدوق، المكتبة الحيدرية / النجف.

علم النفس في التراث الاسلامي مجموعة من الباحثين، اشراف وتقديم أ. د. محمد عثمان نجاتي أ. د. عبد الحلیم محمود السيد، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، المعهد العالمي للفكر الاسلامي / القاهرة.

علي إمام المتقين .. عبد الرحمن الشرقاوي، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، مؤسسة الوفاء / بيروت.

عليُّ فوق الفلاسفة موسى سبيتي، مطبعة العرفان، ١٩٥٣ م، لبنان / صيدا. علي والحاكمون محمد الصادقي ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، دار الغدير / بيروت. علي والخلفاء ... نجم الدين العسكري، ١٣٨٠ هـ، مطبعة الآداب / النجف الأشرف.

علي والفلسفة محمد جواد معنية، دار الكتاب العربي / بيروت. عين العبرة . عبد الله بن اسماعيل الكاتب، نسخة مصورة، ودار الشهاب / قم. الأرجح أن عبد الله بن اسماعيل الكتاب هو الاسم المستعار لأبي الفضائل

٥٠٤ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
أحمد بن طاووس الحلبي .

عيون أخبار الرضا محمد بن علي الصدوق ط ١٣٧٨ هـ / بيروت .

عيون الحكم والمواعظ .. علي بن محمد الليثي الواسطي ، تحقيق الشيخ
حسين الحسيني البيرجندي ، ط ١ ، دار الحديث / قم .

الغدِير عبد الحسين الأميني دار الكتاب العربي / بيروت .

غرر الحكم . عبد الواحد التميمي الأمدي ، ط ١٣٦٦ هـ ش ، مكتب الاعلام
الاسلامي ، الحوزة العلمية / قم .

غوالي اللثالي ابن أبي جمهور الإحسائي ، ط ١٤٠٥ هـ ، دار سيد الشهداء /
قم .

الغيلانيات أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي وتسمى فوائد أبي
بكر محمد بن عبد الله الشافعي ، ط ١٤١٦ - ١٩٩٦ ، مكتبة أخبار السلف /
الرياض .

الفائق في غريب الحديث . جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق
علي محمد وغيره ، ١٣٩٩ هـ دار الفكر / بيروت .

فجر الإسلام ، أحمد أمين ط ١٩٨٦ م ط النهضة المصرية .

الفردوس الأعلى ... الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، ط ١ ، دار المحجة
البيضاء ، ٢٠٠١ م / بيروت .

فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين .. ابراهيم بن محمد
بن المؤيد الجويني ، تحقيق وتعليق الشيخ محمد باقر المحمودي ، ط ١ ، ١٣٩٨ هـ -

١٩٧٨ م مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر / بيروت .

فضائل أمير المؤمنين وإمامته . حسن المظفر ، دار احياء التراث العربي /
بيروت .

المصادر والمراجع ٥٠٥

فقه اللغة وأسرار العربية أبو منصور الثعالبي، منشورات دار مكتبة الحياة / بيروت.

الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة الدكتور محسن الموسوي، مؤسسة الثقليين / بيروت.

الفكر العلمي فؤاد زكريا. عالم المعرفة / الكويت.

فلسفات تربوية معاصرة سعيد اسماعيل علي، ١٩٥٥ م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب / الكويت.

فلسفة التربية: اتجاهاتها ومدارسها محمد منير مرسي، ١٤٤٣ هـ ١٩٨٣ م، عالم الكتب / القاهرة.

الفلسفة في الشرق . . . بول ماسون اورسيل، ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى، ١٩٤٧ م، دار المعارف / مصر.

فلسفة القانون والسياسة . . . الفيلسوف أمانويل كنت، تأليف الدكتور عبد الرّحمن بدوي، وكالة المطبوعات / الكويت.

الفلسفة والاعتزال في نهج البلاغة الدكتور قاسم حبيب جابر، ط ١، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع / بيروت.

فهرست النجاشي . أبو العباس أحمد بن علي النجاشي، ط ١، ١٤٠٧ هـ، مؤسسة النشر الاسلامي / قم.

فوائد أبي بكر محمد بن عبد الله الشافعي، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦، مكتبة أخبار السلف / الرياض.

في رحاب نهج البلاغة الشهيد مرتضى المطهري، ترجمة الهادي اليوسفي، دار التعارف / بيروت.

في الفلسفة الاسلامية الدكتور ابراهيم مذكور، ١٩٦٨ م، ط ٢، دار المعارف

٥٠٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) /مصر.

في فلسفة التاريخ أحمد محمد صبحي، ط ٢ ١٩٩٤ م دار النهضة /بيروت.

قصص الأنبياء قطب الدين الراوندي، مؤسسة البعثة الاسلامية، / ١٤٠٩.

قصص الأنبياء .. نعمة الله الجزائري، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، ط

١٤٠٤ / قم.

قضاء حقوق المؤمنين سديد الدين بن طاهر الصوري، مؤسسة آل البيت

/ قم.

الكافي محمد الكليني، ١٣٦٥ هـ ش، المكتبة الاسلامية / طهران.

الكامل في اللغة والأدب أبو العباس المبرد، دار الفكر العربي / القاهرة.

كتاب العين أحمد بن الخليل الفراهيدي، ط ١٤٠٩ هـ مؤسسة دار الهجرة /

ايران. كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل محمد بن أحمد بن اسحاق النحوي

المعروف بالوشاء.

كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة أبو عبد الله بن محمد أحمد القرطبي

صاحب التفسير، ط ١٤٩١ هـ ١٩٨٩ م، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة

للتراث / طنطا.

كتاب المراتب من فضائل أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب

اسماعيل بن أحمد البستي / نسخة مصورة.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ... محمود بن عمر الزمخشري دار

الكتاب العربي / بيروت.

كشف الغمة علي بن عيسى الإربلي ط ١٣٨١ هـ مكتبة بني هاشمي / تبريز.

كشف اليقين .. الحسن بن يوسف بن علي العلامة الحلبي، ط ١ / ١٤١١ هـ

وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي / ايران.

كنز الفوائد ... محمد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي ط ١٤١٠ هـ
مؤسسة الوفاء / بيروت.

لباب الحديث . جلال الدين السيوطي ، طبع مع كتاب تنقيح القول الحثيث
شرح لباب الحديث ، لمحمد بن عمر النووي النبتني ط ٤ .

لسان العرب محمد بن مكرم بن علي المعروف بابن منظور الأنصاري ، ط ١ ،
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، دار إحياء التراث العربي / بيروت .

مئة منقبة . محمد بن أحمد بن شاذان ، ط ١٤٠٧ هـ ، مدرسة الإمام المهدي /
قم .

مآ نزل من القرآن في علي .. أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه ، طبع في
آخر كتابه مناقب علي بن أبي طالب .

المجتمع والتاريخ .. الاستاذ مرتضى المطهري ، ترجمة الدكتور محمد آذر
شب ط ١٤٠٢١ ، مؤسسة البعثة / طهران .

مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع والثلاثون ... المجمع العلمي
العراقي ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، مطبعة المجمع العلمي العراقي .

مجمع البحرين في زوائد المجمعين .. الحافظ نور الدين الهيثمي ، تحقيق
ودراسة عبد القدوس محمد نذير ، ط ٢ ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م ، الناشر مكتبة الرشد ،
المملكة العربية السعودية / الرياض .

مجمع البيان ... أبو علي الطبرسي .. دار احياء التراث العربي ١٣٧٩ هـ /
بيروت .

مجمع الزوائد .. أحمد بن حجر الهيثمي دار الكتاب العربي / بيروت .

مجل اللغة . أحمد بن فارس ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، منشورات معهد المخطوطات

٥٠٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
العربية / الكويت .

مجموع الغرائب وموضوع الرغائب ... تقي الدين ابراهيم بن علي العاملي
الكفعمي ، تحقيق السيد مهدي الرجائي ، ط ١٤١٢ هـ ، مؤسسة سيد الشهداء ،
مطبعة سيد الشهداء .

مجموعة ورام ورام بن أبي فراس الأشتري ، مكتبة الفقيه / قم .
المحاسن . أحمد بن محمد بن خالد البرقي ، دار الكتب الاسلامية ، ١٣٧١ هـ .

محاسن الأزهار في مناقب العترة الأطهار حسام الدين المحلي (حميد بن
أحمد الوادعي الهمداني) ، صفحات من نسخة مصورة عن النسخة الخطية في
المتحف البريطاني .

المحاسن والأضداد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، قدم له وبوبه
وشرحه علي أبو ملحم ، ١٩٦٦ م ، منشورات دار ومكتبة الهلال / بيروت .
المحلّي .. علي بن محمد بن سعيد بن حزم ، منشورات المكتب التجاري /
بيروت .

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ... أبو القاسم الحسين بن
محمد بن المفضل المعروف بالراغب الاصفهاني ، تحقيق الدكتور عمر الطباع ، ط
١ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، دار الأرقم / بيروت .

محاضرات في أصول الفقه ... محمد اسحاق فياض ، تقريراً لبحث آية الله
العظمى الأستاذ أبو القاسم الخوئي ، ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م ، مطبعة النجف / النجف
الأشرف .

المختصر في أخبار البشر عماد الدين اسماعيل أبو الفدا ، مكتبة المثنى /
القاهرة .

المدخل إلى علم الأخلاق ... وليام ليلي، ترجمة وتقديم وتعليق علي عبد المعطي محمد، دار المعرفة الجامعية.

مروج الذهب ... علي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس / بيروت.

المستجدات من فعلات الأجواد أبو علي المحسن بن علي التنوخي ط ١٩٧٠

٢٠

المستدرك على الصحيحين . الحاكم النيسابوري، دار المعرفة / بيروت.

مستدرك نهج البلاغة هادي كاشف الغطاء، دار الأندلس / بيروت.

مستدرك الوسائل حسين النوري، مؤسسة آل البيت / قم.

المستشرقون ومصادر التشريع الاسلامي ... دعجيل النشمي، ١٩٨٤ م /

الكويت . المسند . أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، تحقيق وتخريج الدكتور،

محمود عبد الرحمن زين الله، ط ١، ١٠ هـ، الناشر مكتبة العلوم والحكم، /

المدينة المنورة.

مسند أحمد أحمد بن حنبل الشيباني، دار احياء التراث العربي / بيروت.

مسند الإمام زيد زيد بن علي بن الحسين، ١٩٦٦ م، دار مكتبة الحياة /

بيروت.

مسند شمس الأخبار المُنْتَقَى من كلام النبي المُنْتَقَار علي بن حميد القرشي،

ط ١، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م، منشورات مكتبة اليمن الكبرى / صنعاء.

مسند علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) .. جلال الدين عبد الرحمن بن

أبي بكر السيوطي الهند / حيدر آباد.

مشكاة الأنوار علي بن الحسن الطبرسي، ط ١٣٨٥ هـ، المكتبة الحيدرية /

النجف الأشرف.

٥١٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
مصادر نهج البلاغة وأسانيده... سيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب
مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م / بيروت.

مصادقة الاخوان . محمد بن علي الصدوق ، ط ١٤٠٢ هـ، مطبعة الكرمانى /
قم.

مصباح الشريعة الإمام جعفر بن محمد الصادق، ط ١٤٠٠ هـ، مكتبة الفقيه
/ قم. المصنف... أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن
الأعظمي ط ١٣٨٠ هـ / الهند.

المصنف في الحديث والآثار . عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، وثق أصوله
وعلق عليه سعيد محمد اللحام،

معادن الجواهر ونزهة الخواطر... سيد محسن الأمين العاملي، ط ١، دار
الزهراء / بيروت.

معالم الفلسفة الإسلامية... محمد جواد مغنية، ط ٢، ١٩٧٣ م، دار القلم /
بيروت.

معاني الأخبار محمد بن علي الصدوق، ط ١٤٠٣ هـ، دار الكتب العلمية /
بيروت.

المعتقدات الدينية لدى الشعوب .. جفري، بارندر، ترجمة إمام عبد الفتاح
إمام، الطبعة، ٢، ١٩٩٦ م، مكتبة مديبولي / القاهرة.

معجم البلدان ياقوت الحموي، دار صادر / بيروت.

معادن الجواهر محمد بن علي بن عثمان الكراچكي الطرابلسي، ط ١٣٩٤ هـ
المكتبة المرتضوية / طهران.

المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .. أبو
جعفر الاسكافي (محمد بن عبد الله المعتزلي) ط ١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.

مغني اللبيب... جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق الدكتور مازن المبارك وغيره، ١٤١٢ هـ، دار الفكر / بيروت.

مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة السيد محمد جواد الحسيني العاملي، دار احياء التراث العربي / بيروت.

المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . الدكتور جواد علي، ط ٢، ١٩٧٨.

المفرد العلم في رسم القلم السيد أحمد الهاشمي، ط ١، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م، دار المعرفة / بيروت.

المقام الأسنى في شرح الأسماء الحسنی إبراهيم بن علي الكفعمي العاملي، ط ١٤١٢ هـ، مؤسسة قائم آل محمد / قم.

مقدمة ابن خلدون... عبد الرّحمن بن محمد بن خلدون، دار إحياء التراث العربي / بيروت.

مكارم الأخلاق رضي الدين الحسن بن الفضل الطبرسي، ط ١٤١٢ هـ، دار الشريف الرضي / قم.

مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي دار الآفاق العربية ١٤١٩ هـ / القاهرة.

المقتطفات . عيدروس بن أحمد السقاف الاندونيبي، ط ١٤١٥ هـ الناشر / المجمع العالمي لأهل البيت.

المناقب محمد بن سليمان الكوفي، مجمع احياء الثقافة الاسلامية.

مناقب آل أبي طالب . محمد بن علي ابن شهر آشوب السروي، ط ١٣٧٩ هـ المطبعة العلمية / قم.

مناقب علي بن أبي طالب أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، مؤسسة دار الحديث الثقافية / قم.

٥١٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

مناقب علي بن أبي طالب علي بن محمد الشافعي الواسطي المعروف بابن المغازلي دار الأضواء / بيروت.

من تاريخ الأدب العربي . طه حسين ط ٥ ، ١٩٩١ م ، دار العلم للملايين / بيروت .

منتهى الطلب من أشعار العرب... محمد بن المبارك بن ميمون البغدادي، نسخة مصورة على النسخة الخطية في المكتبة الظاهرية / دمشق .

من لا يحضره الفقيه الصدوق أيضاً، دار التعارف / بيروت .
المنمق في أخبار قریش . محمد بن حبيب البغدادي، صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فارق ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ط ١ ، عالم الكتب / بيروت .

منهج التربية الإسلامية محمد قطب ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٩١ م ، دار الشروق / بيروت .

منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله والاستفادة منه في العصر الحديث الدكتور سليمان بن قاسم العيد ، دار الوطن للنشر ط ١ / الرياض .
منهج القرآن في تربية المجتمع الدكتور عبد الفتاح عاشور ، ط ١ ، ١٩٧٩ م ، الناشر مكتبة الخانجي / مصر .

المنهل العلي في سيرة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، محمد نيهان خباز ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م ، دار الرضوان ، الجمهورية العربية السورية .

موسوعة فقه علي بن أبي طالب .. الدكتور محمد رؤاس قلعه جي ، ط ١ ، ١٩٩٦ م ، دار النفائس / بيروت .

الموجز في الأدب العربي وتاريخه . حنا الفاخوري ط ٢ ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م ، دار الجيل / بيروت .

موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ... محمد الري شهري بمساعدة محمد

المصادر والمراجع ٥١٣

كاظم الطباطبائي ومحمود الطباطبائي، ط ١، ٤٢١ هـ مؤسسة دار الحديث الثقافية / قم.

موسوعة النجف الأشرف... جعفر الخليلي، اشراف لجنة من رجال الفكر والعلم والأدب، بدون تاريخ الطبع، دار الأضواء / بيروت.

المؤمن الحسين بن سعيد الأهوازي ط ١٤٠٤ هـ، مدرسة الإمام المهدي / قم.

الميزان في تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائي، ط ٢ المحققة، ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م. / مؤسسة الأعلمي / بيروت.

نثر الدر الوزير أبو سعد منصور بن سعيد المعروف بالآبي ١٩٨٩ م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

التزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية. حسين مروّة، ط ٦، ١٩٨٨ م، دار الفارابي / بيروت.

نزهة الأبصار ومحاسن الآثار..... أبو الحسن علي بن مهدي الطبري المامطيري، تحقيق العلامة محمد باقر المحمودي، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، المطبعة نكار. نزهة الناظر وتبنيه خاطر..... الحسين بن محمد الحلواني.

نظم درر السمطين . محمد بن يوسف الزرندي الحنفي المدني ط / النجف.

النظرية الاسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية والثربوية عبد القادر هاشم رمزي، ١٤٠٤ ١٩٩٤ م، قطر / الدوحة.

نهاية الإرب في فنون الأدب شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، مطابع كوستاتسوماس وشركاؤه / القاهرة.

النهاية في غريب الحديث والأثر. أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية / بيروت.

٥١٤ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

نهج البلاغة . شرح الشيخ محمد عبدة، تحقيق محمد أحمد عاشور ومحمد
ابراهيم البنا، ١٤١٢ هـ، دار ومطابع الشعب .

نهج الحق وكشف الصدق العلامة الحلبي، ط ١٤٠٧ هـ، مؤسسة دار الهجرة
/ قم .

نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة العلامة محمد باقر المحمودي، ط ١،
١٤١٨ هـ وزارة الثقافة والإرشاد الاسلامي / طهران .

نوادير الأصول في أحاديث الرسول محمد بن علي بن الحسن الحكيم
الترمذي، حققه وخرج أحاديثه الدكتور عبد الرحمن عميرة، ط، ١٤١٢١ هـ
١٩٩٢ م / دار بيروت .

الهبة، دراسة مقارنة في القوانين الوضعية والشريعة الاسلامية عبد الوهاب
البنداري، ١٩٦٨ م، دار النهضة العربية / القاهرة .

وركبت السفينة . مروان خليفات، ط ١، الناشر / مركز الغدير للدراسات
الاسلامية .

وسائل الشيعة... محمد بن الحسن الحر العاملي، ط ١٤٠٥ هـ، مؤسسة آل
البيت / قم .

وقعة صفين نصر بن مزاحم المنقري، دار الجيل / بيروت .
الوقف في الفكر الاسلامي محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، ١٤١٦ - ١٩٩٦،
وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية / المملكة المغربية .

اليقين علي بن طاووس الحلبي . ط ١٤١٣ هـ، دار الكتاب / قم .
يواقيت المواقيت في مدح كل شي وذمه . أبو منصور عبد الملك بن محمد
الثعالبي، حققه وعلق عليه الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان، دار قباء / القاهرة .

المحتويات

- مُقارَنَةٌ بين جُودِ حاتمٍ وجُودِ الإمامِ عليٍّ ٣
- خطوات في وهج الصباح باسم ٧
- حُنُونٌ على الفقراء ٩
- من مناهل الاتحاد ١١
- ١ - التنظير للجود والكرم ١١
- ايضاح ١٥
- ٢ - المقام الأعلى في الكرم ١٧
- ٣ - لم يردّ طالب حاجة قط ١٧
- ٤ - ميراث الجود والإيثار ١٨
- ٥ - التضحية والفداء بالنفس والأموال ١٩
- ٦ - أرسى النوال ما بقي حتى الممات ١٩
- من مناهل الانعطاف والافتراق ٢٠
- ١ - القرآن يشيدُ بكرم عليٍّ وإيثاره ٢٠
- ٢ - ارضاء الواحد القهار ٢١
- ٣ - طهارة الأموال هي الشرط الأعظم لصحة الإنفاق ٢١
- تألق كرم عليٍّ على كرم حاتم ٢٢
- سياسة مالية خاصة في العطاء ٢٥

- ٥١٦ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
- ٣١ ادعوا لي غنياً وباهلةً فليأخذوا عطاياهم
- ٣٢ هكذا كان علي بن أبي طالب
- ٣٧ أحسنوا إليهم فإنهم أضياف
- ٣٧ مقدمة كريمة رقيقة الى تلك اليد الغليظة
- ٤١ ظاهرة الجود الهاشمي
- ٤٨ تعليق
- ٥٢ تنظير الصديقة الزهراء
- ٥٢ عاهة لا تكون في كريم
- ٥٤ ما أوفر التهم الباطلة
- ٥٥ قلادة فاطمة
- ٥٦ عظم بركة عقد فاطمة
- ٥٩ الوصية الكريمة
- ٦١ تنظير الإمام الحسن المجتبي
- ٦٤ تنظير الإمام الحسين الشهيد
- ٦٦ من مفردات التنظير
- ٦٦ العلة الكامنة وراء هذا البذل والعطاء
- ٦٨ تحية بطاقة ربحان
- ٦٩ بذل التحية من محاسن الأخلاق
- ٧٠ عرفنا النبيل بتحمُّله لما لا يجب
- ٧١ تكون الصنوعة مثل وابل المطر

٥١٧	المُحتويات
٧١	شُرُخِصَالِ الْمَلُوكِ
٧١	الْمَرْهُمِيُّ السِّيَاسِيُّ
٧٢	لَا تَرْفَعِ حَاجَتَكَ إِلَّا إِلَىٰ أَحَدِ ثَلَاثَةٍ
٧٣	ذُو دِينَ وَمَرْوَةٌ وَحَسْبُ
٧٣	إِنَّ خَيْرَ مَالِكَ مَا وَقَيْتَ بِهِ عِرْضَكَ
٧٣	الْعَطَاءُ يَقْطَعُ اللِّسَانَ
٧٤	جُودُ الْحُسَيْنِ يَضْمَدُ الْعَوَاطِفَ
٧٦	تَعْزِيزُ مَوْشِرَاتِ التَّنْظِيرِ
٨٢	تَنْظِيرُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ
٨٤	إِنَّ الْكَرِيمَ يَسْتُرُ سُرُورِينَ
٨٥	الْجُودُ اسْتِعْدَادٌ لِلْمَوْتِ
٨٧	مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَفْرَعَ أَبْوَابَ الْجِنَانِ
٨٩	تَعْزِيزُ مَوْشِرَاتِ التَّنْظِيرِ
٩١	تَنْظِيرُ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ
٩١	وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
٩٢	تَعْزِيزَانِ لِحَدِيثِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ
٩٣	مَوْشِرَاتُ عَاطِرَةٍ
٩٤	تَعْزِيزُ مَوْشِرَاتِ التَّنْظِيرِ
١٠٠	مَنْ لَمْ يَكُنْ سَخِيًّا، لَمْ يَكُنْ شِيعِيًّا
١٠٠	تَنْظِيرُ الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ

٥١٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

الإحسان يخفف حدة التوتر ١٠١

فقه كريم وفقه بخيل ١٠٢

كان حاتم الطائي نسباً عظيماً لقبيلته ١٠٣

الصدقة تدفع الدين، وتخلف بالبركة ١٠٤

صدقة الليل تطفأ غضب الرب ١٠٥

الوجدان اليقظان يتحسّس بمأساة النيام ١٠٥

ملاحظة ١٠٦

جود إبراهيم سبب اصطفايه خليلاً ١٠٦

الله سبحانه خازن الصدقة ١٠٨

من مرّمي السخاء ١١٠

ملاحظة ١١٠

شكر الساخط يوجب الصلاح ١١٠

مَا مِنْ رَجُلٍ أَدَّى الزَّكَاةَ فَتَقَصَّتْ مِنْ مَالِهِ ١١١

صورة تعريفية وتوضيحية للسخاء ١١٢

تعزيز مؤشرات التنظير ١١٣

علة الذكر الكامل ١٢٦

التنظير الديني لمكارم الأخلاق ١٢٧

معنى مكارم الأخلاق ١٢٧

مصاديق مكارم الأخلاق ١٢٩

تنظير الإمام موسى الكاظم ١٣٠

٥١٩	المُحتويات
١٣٠	الثناءُ حالة طبيعية وغريزة تلقائية في الانسان
١٣٢	الجوابُ السديد يستجلب الكرم العتيد
١٣٢	أحادية المنهج
١٣٣	تعزير مؤشرات التنظير
١٣٥	تنظيرُ الإمام علي الرضا
١٣٨	تحسين معاش الآخرين
١٣٩	يسترُ وجههُ كرمًا وجوداً
١٤٠	تعزير مؤشرات التنظير
١٤٥	الرَّمزُ المُشرق
١٤٧	يا علي إن الله جعلك سباقاً للخير
١٤٨	المواردُ المائيّة
١٥٤	للإمام علي أكثر من أرض في ينبع
١٥٧	أمثلةٌ لا تُنسى
١٦٠	ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ
١٦٠	لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ
١٦٢	الموائد العامة في شهر رمضان
١٦٤	منهج الإمام علي بن أبي طالب في الموائد عبرٌ ودروس
١٦٩	متى ساويناهم في طعامهم سألنا الله عن ذلك
١٧٠	من الخطوط الإيثارية المشتركة
١٧١	يتصدق بالأجرة ويشدُّ على بطنه حجرا

- ٥٢٠ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
- ١٧١ عمل جبار وانسانية وثقى
- ١٧٣ خارق للطبيعة
- ١٧٤ أنا أبو الأرملة واليتامى
- ١٧٦ رعاية اليتامى والأرملة
- ١٧٨ من يحمل وزري عني يوم القيامة
- ١٨٠ روضة فوق رابية
- ١٨١ جبرئيل عرفني
- ١٨٢ ذروة إخلاص علي في إنفاقه وإطعامه
- ١٨٣ يا علي أعط الأعرابي حاجته
- ١٨٥ دار الضيافة والترحيب
- ١٨٦ قضاء دين الرسول
- ١٨٨ أجود من الريح المرسله
- ١٩٠ لون رفيع من ألوان الجود
- ١٩١ ذلك فبلغ ثمانين ألفا
- ١٩٣ اختصاص علي بقضاء دين الرسول وتنجيز عداته
- ١٩٥ أنزل الناس منازلهم
- ١٩٦ سنة كريمة
- ١٩٨ جانب من فلسفة التعامل
- ٢٠٠ هي لهذا الأعرابي
- ٢٠٠ حافظ الحب

المحتويات	٥٢١
من مراحل الجود	٢٠٢
حديث الناقة	٢٠٣
يا لها من سرعة في التعويض	٢٠٥
حديث الدينار	٢٠٨
تحليل وتعليق	٢٠٩
ملائكة الرحمة	٢١٢
ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون	٢١٤
إِنَّمَا يَتَمُّ الْكِرْمُ بِنِظَافَةِ الْمُعْطَى وَنِظَافَةِ الْعَطَاءِ	٢١٦
مَرْحَبًا بِالْحَامِلِ وَالْمَحْمُولِ مَرْحَبًا بِأَبِي تُرَابٍ	٢١٨
يدعو اليتامى فيطعمهم العسل	٢٢٠
رعاية اليتيم في القرآن والسنة	٢٢٠
علي أول من قام بعملية إحصاء اليتامى	٢٢٣
إكرام الصديق والعدو	٢٢٥
الجود مفردة عامرة	٢٢٥
قصة ممتعة	٢٢٦
عَوْدٌ عَلَى بَدْءٍ	٢٢٨
إنفاق الذهب والفضة	٢٢٩
مقارنة بين الذهب والفضة	٢٣٠
كلاهما من العقلاء	٢٣٠
صور خلاقية من الإيثار	٢٣٢

٥٢٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

لم يأخذ ابن أبي طالب المربع والصفايا. ٢٣٢

الكريم يجود والله يعوض ٢٣٤

صاحب الضمان بمكة ٢٣٧

سباق للخير ٢٣٩

توزيع ألف مئقال ذهب على فقراء الصحابة ٢٤١

غني في قميص مخرق ٢٤٣

إظهار الأموال الكثيرة حماية للكرامة من المساس ٢٤٤

الرأس في آية الإيثار ٢٤٩

تعليقات ٢٥٠

الرأس في آية الإيثار ٢٥٢

يا ابن أبي طالب هبني سيفك ٢٥٣

حسن الضيافة ٢٥٥

الضيف حبيب الله ٢٥٦

الأهلية لقضاء الحوائج ٢٥٦

سبحان الله ما أكرم هذا الرجل ٢٥٧

استشهد علي وعليه دين ثمانمائة ألف درهم ٢٥٩

معنى النوايب ٢٥٩

تعزيز وتأکید المعنى ٢٦٣

الاستدانة للإنفاق على الآخرين ٢٦٣

أعطي أنا وتبخل أنت ٢٦٥

٥٢٣	المحتويات
٢٦٧	عليّ يعتق ألف مملوك
٢٧٠	مقارنة ولا سواء
٢٧٤	محتاج يمنح الدرع الثمينة
٢٧٥	من رموز الذكريات التاريخية السامية
٢٧٧	كبد مشوية في خبزة لينة
٢٧٨	تكريم رمزي
٢٨٠	عدل وجود
٢٨١	تصدق بجميع ماله عدة مرات
٢٨٣	الكرم المثالي المتألق في سماء السماء
٢٨٥	مديح أبي أسماء العبدى
٢٨٦	تحليل وتعليل
٢٨٦	الجواب
٢٨٨	مديح كعب بن زهير
٢٩٠	الكريم يعيش للآخرين لا لنفسه
٢٩١	الأندرفي الكرام
٢٩١	الاکرام بما يرضي
٢٩٢	صدقة السر
٢٩٥	توزيع الذهب والفضة
٢٩٧	رضا الله أفضل اكتساب
٢٩٨	الكرم توفيق في الدنيا ونجاح في الآخرة

٥٢٤ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

٣٠٠ علة العلة Cause of causes وسبيل الرشاد

٣٠١ الإيثار أعظم السخاء وأعظم العبادة

٣٠٣ الشكر على طلب الحاجة

٣٠٥ تعاليق

٣٠٦ الكريم والعالم والطيب

٣٠٧ تعليق غير مقصود

٣٠٧ تغرّ تبسم بين الهموم

٣٠٨ جود ابن أبي طالب لا يعرف المغيب

٣٠٩ اليمين التي امتدت من الكوفة إلى المدينة المنورة

٣١٢ دار الضيافة

٣١٣ تعليق وتحليل

٣١٧ المشاريع العامة

٣٢٧ مشاريع الأموال الشخصية

٣٢٧ الأهمية الكبرى للأوقاف

٣٣١ الطريقة المثلى

٣٣٣ الجود بالنفس

٣٣٥ وقعة بدر الكبرى

٣٣٨ وقعة أحد

٣٤١ وقعة الأحزاب

٣٤٢ اقتحام الخندق

٥٢٥	المحتويات
٣٤٧	وقعةٌ خَيبِرُ
٣٥٠	الجودُ الكاملُ بِطَرَفَيْهِ
٣٥٣	انتِظامُ الحِكمِ التَّنظيرِيَّةِ
٣٥٥	انتثار الدرر واللثاليء
٣٥٦	الإِثَار والمؤثر
٣٥٧	الاستِثْنازُ والمُستأثِر
٣٥٨	الكَرْمُ والكَرِيم
٣٥٨	مِن شِيم الكرامِ بذلِ النَّدَى
٣٦٠	اللؤمُ واللثيم
٣٦٣	العهدُ والمتعهد
٣٦٤	الوَعْدُ والواعد
٣٦٤	المنعُ والمانع
٣٦٥	الشحُ والشحيح
٣٦٦	التبذيرُ والمبذّر
٣٦٦	الاسرافُ والمُسرف
٣٦٧	السماحةُ والسّمح
٣٦٨	البخلُ والبخيل
٣٧١	التقتيرُ والمقتِر
٣٧١	الإِحسانُ والمحسن
٣٧٣	المعونةُ والمُعِين

٥٢٦ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

المعروف وذو المعروف ٣٧٣

مَا كُتِرَت الصَّنَائِعُ بِمِثْلِ الْاِمْتِنَانِ ٣٧٦

المواساة والمواسي ٣٧٧

البرُّ والبارَّ ٣٧٨

أَفْضَلُ الْبِرِّ مَا أُصِيبَ بِهِ أَهْلُهُ ٣٧٨

الاسعاف والمسعف ٣٧٩

الفضلُ والمُفضِل ٣٨٠

السخاءُ والسخي ٣٨١

سَلَّمَ الشَّرْفِ التَّوَاضَعُ وَالسَّخَاءُ ٣٨٢

الجودُ والجواد ٣٨٣

النوال والمُنيل ٣٨٤

الهبة والواهب ٣٨٥

البدل والباذل ٣٨٥

المن والمنان ٣٨٦

الشَّرُّ والشَّرِّه ٣٨٧

الحرصُ والحريص ٣٨٩

الاحتكار والمحتكر ٣٩١

الانفاق والمنفق ٣٩١

العطاءُ والمعطي ٣٩٢

الصنِيعَةُ والمصطنع ٣٩٤

٥٢٧	المُحتويات
٣٩٥	الصدقة والمتصدِّق
٣٩٧	الضيافة والمضيِّف
٣٩٩	طلاقة الوجه والطلاق
٣٩٩	القرض والمقرض
٤٠٠	المؤونة ومحتملها
٤٠١	الطعامُ والمُطعم
٤٠٢	القناعة والقانع
٤٠٦	الحاجة والقاضي لها
٤٠٩	الإنعام والمنعم
٤١٠	الشُّكْرُ والشَّاكِر
٤١٤	النفع والنافع
٤١٤	النبيل والنبيل
٤١٥	المسألة والسائل
٤١٧	المُرُوَّةُ وذو المُرُوَّة
٤٢٠	الهدية والمُهْدِي
٤٢١	مَلاحِق
٤٢٣	الملحقُ الأوَّل
٤٢٣	جوْدُ الباريء سبحانه وإحسانه
٤٢٣	الكريم
٤٢٣	الواسع

٥٢٨ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

٤٢٤ الغني

٤٢٤ المغني

٤٢٤ المجيد

٤٢٤ الصمد

٤٢٤ البرّ

٤٢٥ ذو الطول

٤٢٥ الجواد

٤٢٧ المنان

٤٢٧ الملحق الثاني

٤٢٧ الجود في اللغة

٤٣٠ الملحق الثالث

٤٣٠ السماحة في اللغة

٤٣٢ الملحق الرابع

٤٣٣ أسمع الأمة كفاً

٤٣٣ الملحق الخامس

٤٣٣ الحث على إجابة دعوة المؤمن والحث على الأكل من طعام أخيه

٤٣٣ الحكمة من الحث على إجابة الدعوة

٤٣٤ تلبية الدعوة وإجابة الداعي في الأحاديث

٤٣٥ إجابة الدعوة من الدين

٤٣٥ يكره إجابة من يشهد وليمته الأغنياء دون الفقراء

٥٢٩	المحتويات
٤٣٦	ما عشيتم ضيفي والله لا أطعم عشاءكم
٤٣٦	اعمل طعاماً وتنوّق فيه
٤٣٧	هٰلك لامرئٍ احتقر من أخيه ما قدم إليه
٤٣٧	أكل طعامك الأبرار
٤٣٨	ليشرب ساقى القوم آخرهم
٤٣٨	الجواد كل الجواد من بذل ما عنده
٤٣٨	هذه مما في بيتك
٤٣٩	العرض على أخيك
٤٣٩	فضل إقراء الضيف وإكرامه
٤٤٠	لا يقري الضيف إلا مؤمن
٤٤٠	ما لجهنم عليك سبيل
٤٤١	لا تنفع أحداً حتى تحبه
٤٤١	شبع أربع من المسلمين يعدل عتق رقبة
٤٤٢	المنزلة العظمى لمحِب الضيف
٤٤٢	الضيف هديّة من الله
٤٤٢	في المال حق سوى الزكاة
٤٤٣	أربع خصال في الطعام
٤٤٣	إن الرجل إذا دخل بلدة فهو ضيف على إخوانه
٤٤٤	الملحق السادس
٤٤٧	ثبت بحكم المؤلف

٥٣٠ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

٤٧٣ ختامة من تسنيم

٤٧٥ دعاء الرحمة

٤٨١ الإمام علي القدوة والأسوة في المكارم

٤٨١ كلمة العلامة السبحاني

٤٨٢ جمعت فيه صفات الأضداد

٤٨٥ كلمة الدكتور النفيس

٤٨٦ كلمة الأستاذ معروف عبد المجيد

٤٨٩ المصادير والمراجع

والحمد لله على فضله وتأيدِهِ، ولله الشكر دائماً سرمداً، وهو حسبنا ونعم

الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله الطيبين الطاهرين

وعلى الأنبياء والمرسلين والمخلصين والصالحين جميعاً حتى قيام يوم الدين.

Conclusion

1

One of the several basic criteria by which the cultural levels, of different nations and countries of the world, are measured is, a kind which sometimes disappears from the field of morals and thought and appears in other times. In this case it is the touchstone of the fundamentals of the cultural construction and the humanity of the nation of the Eastern as well as the Western countries. This criterion is the three morals: giving, charity, and altruism, in their different degrees. It is the thing which, necessarily, reflects the high and low levels of compassion and interaction among the people of a nation on one hand and of different nations and countries on the other hand. It provides an apparent view of the cultural growth or deterioration. The defining and distinguishing of the three given moral: giving, charity, and altruism, or their lacking, as it is though, explains the importance of this topic and its vigor, also the significance of its study, manipulation, and verification.

In addition to the fact that the cultural levels of nations and countries are measured by generosity, preference of others to the self, and charity, According to the present social studies, nowadays and in all the eras of the past. thus, studying, handling, and verification of such resources which have benefits in science and thought as it is well known for the men of thought,

writers, and the educated in general.

Thus, the knowledge of these studies and informing the others of their splendid effect will provide knowledge of basic aspects of our glorified history. In other words, It will abridge the present with the past and provide the people with documents of science and thought from their honorable history which enrich their present, as well as future financial life, as long as they are serious and honest in their way of thinking and make their views objective and not shallow.

Also studies of such morals measure the spiritual, psychological and moral levels of individuals of the past and present because those, who show these morals, are considered the best among the people, they do great work and bring effective

benefits to humanity. These deeds are glorified, praised, and idolised. accordingly, the more the person is mean and selfish,

the more his behavior

criticized and disgusted by people.

Nevertheless, there are some societies in the world who are not interested in these moral; they follow a jungle life which are away from cities and countries. So that, to them, the good and evil are the same in their essence, though they differ in the

surface. as such, their

supposed culture lacks the strong inseparable base.

there are many aspects in the character of Imam Ali (Peace be upon of him) which are full of grandeur but they do not appear apparently and are not given required comprehensive study and sufficient analysis. Some of these aspects are the complete adherence to spirit of Islamic education and to the morals of justice, wisdom, thought, charity, generosity, and other general human values. it is not surprising that hundreds of respectable books are written about Imam Ali in the past and the present as well, whether they talk about him generally or on specific points. Yet, they are, on the other hand, rare and few if one thinks that they are written about the character of Imam Ali

which is holy, splendid all the time. He is the great treasure which many successive countries and government with thousands of preachers and authors wanted to hide or reduce his great roles and his significance or even acclaiming his merits and good deeds to themselves.

Thanks to Allah that in the present book we discover a great secret in the character of Imam Ali in his generosity and preference of other to the self. This attempt needed a lot of efforts and we hope that other writers who are more qualified to write about him and show his heritage, amazing enrich the torture humanity and achieved the aims of all the prophets(Pease be upon them).

So that, we must not talk about the bright past as a thing to boast off, but as a thing which is useful to the humanity in the present and future, and as a thing which changes the approaches of thinking and dealing to what is better; Thus, the objective of the present book is not just to shed light on the history of morals of Imam Ali and his views, but to present a cultural and educational program so as to strengthen the Islamic bonds, human relations, and brotherly spirit.

إنه لَيَبْغِي لَنَا أَنْ لَا نَتَحَدَّثَ عَنِ الْمَاضِي الْمَشْرِقِيِّ بِمَا أَنَّهُ مُجَرَّدُ فَخْرٍ
طَوِيلٍ، وَمَجْدٍ أَثِيلٍ، بَلْ كَذَلِكَ بِمَا أَنَّهُ يَنْفَعُ حَاضِرَ الْبَشَرِيَّةِ وَمُسْتَقْبَلَهَا، وَيُغَيِّرُ
مَنَاهِجَ التَّفَكِيرِ وَطَرَائِقَ التَّعَامُلِ فِيهَا نَحْوَ الْأَحْسَنِ وَالْأَفْضَلِ. وَتَأْسِيساً عَلَى
هَذَا فَلَيْسَ يَهْدِفُ الْكِتَابُ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا أَنْ يُجَسِّدَ إِطْلَالََةً فِكْرِيَّةً وَتَأْرِيخِيَّةً
مِنْ أَخْلَاقِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَفْكَارِهِ الْعَصْمَاءِ فَحَسَبَ، وَإِنَّمَا يَهْدِفُ
أَيْضاً إِلَى أَنْ يَكُونَ مُخَطَّطاً فِكْرِيّاً وَتَرْبَوِيّاً مِنْ أَجْلِ الْعَمَلِ الْجَادِّ وَالْحَازِمِ عَلَى
تَعْمِيقِ الرُّوَابِطِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَنْمِيَةِ الْعِلَاقَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَبَثِّ الرُّوحِ الْأَخَوِيَّةِ وَالتَّعَامُلِ
عَلَى أَسَاسِ تَقْدِيمِ الْخَيْرِ وَبِذَلِ الْإِحْسَانِ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَنَبْذِ حَالَاتِ الْبَخْلِ
وَالشَّحِّ وَاللُّؤْمِ، بِمَعْنَى التَّعَامُلِ عَلَى مَنَهْجِ رُوحِيٍّ بَهِيٍّ سَامِقٍ، فَإِنَّ الشَّحِيحَ اللَّئِيمَ
وَجْهٌ آخَرَ لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. وَإِنَّ الْمُحْسِنَ الْمُعِينَ وَجْهٌ آخَرَ لِلْمَلَائِكَةِ الْكَرِيمِ.

من كلمات المؤلف في خاتمة الكتاب / ختامه من تسنيم.



إِنَّهُ لَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ لَا نَتَحَدَّثَ عَنِ الْمَاضِي الْمُشْرِقِ بِمَا أَنَّهُ مُجَرَّدُ فَخْرٍ طَوِيلٍ، وَمَجْدٍ أَثِيلٍ، بَلْ كَذَلِكَ بِمَا أَنَّهُ يَنْفَعُ حَاضِرَ الْبَشَرِيَّةِ وَمُسْتَقْبَلَهَا، وَيُغَيِّرُ مَنَاهِجَ التَّفَكِيرِ وَطَرَائِقَ التَّعَامُلِ فِيهَا بَيْنَهَا نَحْوَ الْأَحْسَنِ وَالْأَفْضَلِ. وَتَأْسِيساً عَلَى هَذَا فَلَيْسَ يَهْدَفُ الْكِتَابُ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا أَنْ يُجَسِّدَ إِطْلَالََةً فِكْرِيَّةً وَتَارِيخِيَّةً مِنْ أَخْلَاقِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَفْكَارِهِ الْعَصْمَاءِ فَحَسَبَ، وَإِنَّمَا يَهْدَفُ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَكُونَ مُخَطَّطاً فِكْرِيّاً وَتَرْبَوِيّاً مِنْ أَجْلِ الْعَمَلِ الْجَادِّ وَالْحَازِمِ عَلَى تَعْمِيقِ الرُّوَابِطِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَنْمِيَةِ الْعِلَاقَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَبَثِّ الرُّوحِ الْأَخَوِيَّةِ وَالتَّعَامُلِ عَلَى أَسَاسِ تَقْدِيمِ الْخَيْرِ وَبِذَلِ الْإِحْسَانِ لِلْقَرِيبِ وَالبَعِيدِ، وَبِذَلِكَ حَالَاتِ الْبُخْلِ وَالشُّحِّ وَاللُّؤْمِ، بِمَعْنَى التَّعَامُلِ عَلَى مَنَهْجِ رُوحِيٍّ بَهِيٍّ سَامِقٍ، فَإِنَّ الشَّحِيحَ اللَّئِيمَ وَجَهُ آخَرَ لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. وَإِنَّ الْمُحْسِنَ الْمُعِينَ وَجَهُ آخَرَ لِلْمَلَائِكِ الْكَرِيمِ.

من كلمات المؤلف في خاتمة الكتاب / ختامه من تسنيم.



دار الولاء

للطباعة والنشر والتوزيع



لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 00961 1 545133 - 00961 3 689496 - ص.ب. 307/25
www.daralwala.com - info@daralwala.com
E-mail: daralwala@yahoo.com